

مَجْلَدُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرَرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ

مُكَاتِبِينَ

الْعَلَّامَةُ الْمُجْتَمِعَةُ فَتْرَةِ الْأَمَّةِ الْمُؤَلَّى

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْمُجْتَمَعِ

“قَدَسَ رُتْبَتُهُ”

١٣٧-١١١١ هـ

طَبْعَةُ جَدِيدَةِ الْمُحَقَّقَةِ وَمُصَرِّحَةِ

بِإِشْرَافِ لَجْنَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ

طَارُ لِهَاءِ التَّوَالِدِ الْعَرَبِيِّ

55

السماء
والعالم

مَجَلَّةُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرَرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ

تأليف
العلم العلامة أُمِّهِ فَخْرُ الْأُمَّةِ الْمُؤَلَّى
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بَاقِرٍ الْمُجَلِّسِيِّ
« قَدَّرَ لَهُ »



الجزء الخامس والخمسون

﴿ باب ﴾

﴿ (العرش والكرسى وحملتهما) ﴾

الآيات :

البقرة : وسع كرسيه السماوات والأرض . (١)

الاعراف : ثم استوى على العرش . (٢)

يونس : ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه . (٣)

هود : وكان عرشه على الماء . (٤)

الرعد : ثم استوى على العرش . (٥)

طه : الرحمن على العرش استوى . (٦)

المؤمنون : قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم . (٧)

الفرقان : ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خيراً . (٨)

النمل : رب العرش العظيم . (٩)

(١) البقرة ، ٢٥٥ .

(٢) الاعراف ، ٥٤ .

(٣) يونس ، ٣ .

(٤) هود ، ٧ .

(٥) الرعد ، ٢ .

(٦) طه ، ٥ .

(٧) المؤمنون ، ٨٦ .

(٨) الفرقان ، ٥٩ .

(٩) النمل ، ٢٦ .

التنزيل : ثم استوى على العرش . (١)

المؤمن : الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا . (٢)

الحديد : ثم استوى على العرش . (٣)

الحاقة : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . (٤)

تفسير : « وسع كرسيه السماوات والأرض » قال الطبرسي - ره - : يختلف فيه على أقوال : أحدها وسع علمه السماوات والأرض عن ابن عباس ومجاهد ، و هو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ويقال للعلماء « كراسي » ، كما يقال لهم « أوتاد الأرض » لأن بهم قوام الدين والدنيا وثانيها أن الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن ، وإنما سمى كرسيًا لترتب بعضه على بعض وثالثها أن المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال « اجعل لهذا الحائط كرسيًا » أي عماداً يعتمد به حتى لا يقع ولا يميل ، فيكون معناه : أحاطت قدرته بالسماوات والأرض وما فيهما ورابعها أن الكرسي سرير دون العرش وقد روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام وقريب منه ماروي عن عطاء (٥) أنه قال : ما السماوات والأرض عند الكرسي إلا كحلقة خاتم في فلاة ، وما الكرسي عند العرش إلا كحلقة في الفلاة (٦) ، و منهم من قال : إن السماوات والأرض جميعاً على (٧) الكرسي ، و الكرسي تحت العرش (٨) فالعرش فوق السماوات . و روى الأصمعي بن نباته أن

(١) السجدة ، ٣ .

(٢) المؤمن ، ٧ .

(٣) الحديد ، ٣ .

(٤) الحاقة ، ١٧ .

(٥) بالمد وقد يقصر .

(٦) في المصدر : في فلاة .

(٧) في بعض النسخ : في الكرسي .

(٨) في المصدر « تحت الأرض كالعرش فوق السماء » والظاهر انه تصحيف .

عليه السلام قال : السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي^(١) .
 وساق الحديث إلى آخره كما سيأتي في رواية علي بن إبراهيم .
 « ثم استوى على العرش » منهم من فسّر العرش هنا بمعنى الملك ، قال القفال :
 العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ، ثم جعل العرش كناية عن
 نفس الملك يقال « نزل عرشه » أي انتقص ملكه . وقالوا : استوى على عرشه واستقر^٢
 على سرير ملكه . ومنهم من فسّر العرش بالجسم الأعظم . والاستواء بمعنى الاستيلاء
 كما مر^٣ . قال الرازي في تفسيره : اتفق المسلمون على أن فوق السماوات جسماً
 عظيماً هو العرش ، واختلف في المراد بالعرش هنا ، فقال أبو مسلم : المراد أنه لما
 خلق الله السماوات والأرض سطّحها ورفع سمكها ، فإن كل بناء يسمى عرشاً
 وبانيه يسمى عارشاً ، قال تعالى « ومما يعرشون »^(٤) والاستواء على العرش هو الاستعلاء
 عليه بالقهر ، والمشهور بين المفسرين أن المراد بالعرش فيها الجسم العظيم الذي
 في السماء ، وقيل : المراد من العرش الملك ، وملك الله تعالى عبارة عن مخلوقاته
 وجود مخلوقاته إنما حصل بعد خلق السماوات والأرض ، فلا جرم صح إدخال
 حرف « ثم » عليه ، والحاصل أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة
 والتدبير والحفظ ، يعني أن من فوق العرش إلى ماتحت الثرى في حفظه وتدبيره
 وفي الاحتياج إليه^(٥) .

« فاسأل به خبيراً » قال الطبرسي - ره - : قيل أي فاسأل عنه خبيراً والباء
 بمعنى عن والخبير هنا هو الله تعالى أو محمد ﷺ وقيل : إن الباء على أصلها ، و
 المعنى : فاسأل سؤالك^(٦) أيها الإنسان خبيراً يخبرك بالحق في صفته . وقيل : إن
 الباء فيه مثل الباء في قولك « لقيت بفلان ليئلاً » إذا وصفت شجاعته ، والمعنى : إذا

(١) مجمع البيان ، ج ٣ ، ص ٣٦٢

(٢) النحل ، ٦٨ .

(٣) مفاتيح الغيب : ج ٢ ، ٧٨٢ .

(٤) بسؤالك (خ) .

رأيته رأيت الشيء المشبه بأنه الخبير به ^(١) .

« الذين يحملون العرش » قال الطبرسي - ره - : عبادة الله وامتنالاً لأمره
« و من حوله » يعني الملائكة المطيعين بالعرش وهم الكروبيون و سادة الملائكة
« يستبحون بحمد ربهم » أي ينزهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون ، وقيل :
يستبحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على إغناهم « ويؤمنون به » أي ويصدقونه ^(٢)
ويعترفون بوحدانيته « و يستغفرون » أي ويسألون الله المغفرة « للذين آمنوا » من
أهل الأرض أي صدقوا بوحدانية الله واعترفوا بالهيبته وبما يجب الاعتراف به ^(٣)
و قال في قوله تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم » : يعني فوق الخلائق « يومئذ »
يعني يوم القيامة « ثمانية » من الملائكة عن ابن زيد ، وروي ذلك عن النبي ﷺ
أنهم اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة أخرى ^(٤) فيكونون ثمانية .
وقيل : ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس ^(٥) .
وقال الرازي : نقل عن الحسن أنه قال : لأدري أنهم ثمانية أشخاص أو ثمانية
آلاف يصفون ، وحمله على ثمانية أشخاص أولى لما روي أنهم ثمانية أملاك أرجلهم
في تخوم الأرض السابعة ، والعرش فوق رؤوسهم ، وهم يطوفون يستبحون . وقيل :
بعضهم على صورة الإنسان ، وبعضهم على صورة الأسد ، وبعضهم على صورة الثور ، و
بعضهم على صورة النسر . وروي : ثمانية أملاك على صورة الأوعال . ما بين أظلافها
إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً . و عن شهر بن حوشب ^(٦) : أربعة منهم يقولون :

(١) في مجمع البيان : و المعنى أنك إذا رأيته رأيت الشيء المشبه به و المعنى فأسأله

عنه فإنه الخبير ج ٧ ، ص ١٧٦ .

(٢) ويصدقون به (خ)

(٣) مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ٥١٥

(٤) في المصدر ، آخرين .

(٥) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٣٦ .

(٦) شهر بن حوشب مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، أو سعيد الشامي ، يروي عن أمير ←

« سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك » وأربعة تقول « سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك » (١) .

١ - الخصال والمعاني والعياشي والدر المنثور : في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال : يا باذر ، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة (٢) .

٢ - الفقيه والعلل والمجالس للصدوق : روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل : لم سمي الكعبة كعبة ؟ قال : لأنها مربعة ، ف قيل له : ولم صارت مربعة ؟ قال : لأنها بحذاء بيت المعمور وهو مربع ، ف قيل له : ولم صار البيت المعمور مربعاً ؟ قال : لأنه بحذاء العرش وهو مربع ، ف قيل له : ولم صار العرش مربعاً ؟ قال : لأن الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر (٤) .

بيان و تأويل عليل : قال السيد الداماد - ره - في بعض تعليقاته على الفقيه : العرش هو فلك الأفلاك ، وإنما حكم ﷺ بكونه مربعاً لأن الفلك يتعين له بالحرارة المنطقة والقطبان ، وكل دائرة عظيمة منصفة للكرة ، والفلك يتربع بمنطقة الحركة والدائرة المارة بقطبيها ، والعرش وهو الفلك الأقصى والكرسي وهو فلك الثوابت يتربعان بمعدل النهار ومنطقة البروج والدائرة المارة بالأقطاب

→ المؤمنين عليه السلام وابن عباس وجابر وام سلمة ، وعائشة . قال الخزرجي (خلاصة تذهيب الكمال : ١٣٣) وقته ابن معين واحمد ، وقال النسائي ، ليس بالقوي ، وقال البخاري وجماعة ، مات سنة مائة ، وقيل سنة احدى عشرة . (انتهى) أقول : المراد بقوله « احدى عشرة » مائة واحد عشر ، ويؤيد القول الأخير في تاريخ وفاته ما رواه في الكافي عنه عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام في باب قسمة الغنيمة من كتاب الجهاد والله العالم .

(١) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٢٨٤ .

(٢) معاني الأخبار : ٣٣٣ الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٢٨ وسيأتي تحت الرقم ١٠

من هذا الباب .

(٣) في الملل ، لم سميت .

(٤) الفقيه ، ج ٢ ص ٢٠١ . الملل ، ج ٢ ، ص ٨٨

الأربعة ، و أيضاً دائرة الأفق على سطح الفلك الأعلى يتربع بدائرة نصف النهار و دائرة المشرق والمغرب ، فيقع منها بينها أرباعها ، ويتبعين عليها النقاط الأربع : الجنوب ، والشمال ، والمشرق ، والمغرب . والحكماء نزّلوا الفلك منزلة إنسان مستلق على ظهره ، رأسه إلى الشمال ، ورجلاه إلى الجنوب ، ويمينه إلى المغرب وشماله إلى المشرق . وأيضاً التربع والتسديس أوّل الأشكال في الدائرة على ما قد استبان في مظانّه ، إذ التربع يحصل بقطرين متقاطعين على قوائم ، والتسديس بنصف قطر ، فإن وترسدس الدوريساوي نصف القطر ، وربع الدور قوس تامّة ، ومانقصت عن الربع فتمتّمها إلى الربع تمامها ، وأيضاً الفلك الأقصى له مادة ، و صورة ، و عقل هو العقل الأوّل و يقال له عقل الكلّ ، ونفس هي النفس الأولى ويقال لها نفس الكلّ ، فيكون مربّعاً و أوّل المربعات في نظام الوجود ، و هنالك وجوه أخرى يضيق ذرع المقام عن بسطها فليتهرّف (انتهى) ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع و مصطلحات أهله ، وسيأتي القول فيها ، وقد مرّ بعض ما يزيّفها .

٣ - المتجهّد والفقيه والتهذيب : في خطبة الاستسقاء : الذي جعل السماوات لكرسيّه عماداً ، والجبال ^(١) أوتاداً ، و الأرض للعباد مهاداً ، و ملائكته على أرجائها و حلة عرشه على أمطائها ، و أقام يعزّته أركان العرش وأشرق بضوئه شعاع الشمس ، وأطفأ ^(٢) بشعائه ظلمة القطش ، وفجر الأرض عيوناً ، والقمر نوراً والنجوم بهورا ^(٣) .

٤ - الاقبال : عن التلعكبري ، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في دعاء يوم عرفة : و أسألك بكلّ اسم هولك ، و كلّ مسألة حتّى ينتهي إلى اسمك الأعظم الأعظم الأكبر الأكبر العليّ الأعلى ، الذي استويت به على عرشك ، واستقللت به على كرسيك ^(٤) .

(١) في الفقيه ، والجبال للارض .

(٢) في الفقيه : وأحبي .

(٣) الفقيه ، ص ١٣٩ ، ح ١٦ .

(٤) الاقبال ، ٢٧٤ .

٥ - العقائد للصدوق : اعتقادنا في العرش أنه جملة جميع الخلق ، و العرش في وجه آخر هو العالم . وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل " الرحمن على العرش استوى " فقال : استوى من كل شيء ، فليس شيء أقرب منه من شيء ، وأما العرش الذي هو جملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة ، لكل واحد ثمانين أعين ، كل عين طباق الدنيا ، واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق الله تعالى لبني آدم ، و واحد منهم على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها و واحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للسباع ، و واحد منهم على صورة الديك يسترزق الله تعالى للطيور ، فهم اليوم هؤلاء الأربعة فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية . و أما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة من الأولين فنوح ، و إبراهيم ، و موسى ، و عيسى عليه السلام ، و أما الأربعة من الآخرين فمحمد ، و علي ، و الحسن ، و الحسين عليهم السلام ، هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته ، و إنما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم ، لأن الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد عليه السلام على شرائع الأربعة من الأولين : نوح ، و إبراهيم ، و موسى ، و عيسى عليهم السلام ، و من قبل هؤلاء الأربعة صارت العلوم إليهم ، و كذلك صار العلم بعد محمد عليه السلام و علي و الحسن و الحسين إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السلام .

أقول : قال الشيخ المفيد - ره - : العرش في اللغة هو الملك ، قال : إذا ما بنوا مروان ثلث ^(١) عروشهم * و أودت كما أودت أباد و حميره يريد : إذا ما بنوا مروان هلك ملكهم و بادوا .

و قال آخر :

أظننت عرشك لا يزول ولا يغير ؟

يعني أظننت ملكك لا يزول ولا يغير ؟ وقال الله تعالى مخبراً عن واصل ملك

(١) قال الجوهري ، « ثل الله عرشهم ، أى هدم ملكهم ، و يقال للمقوم إذا ذهب عزهم ،

قد ثل عرشهم و قال ، أودى فلان أى هلك (منه طاب ثراه) .

ملكة سبأ « وأوتيت من كل شيء. ولها عرش عظيم ^(١) » يريد : ولها ملك عظيم
 فعرش الله تعالى هو ملكه ، واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك والعرب
 تصف الاستيلاء بالاستواء ، قال :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق
 يريد به : قد استولى على العراق ، فأما العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض
 الملك ، وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة ، وتعبّد الملائكة بحمله و
 تعظيمه ، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض وأمر البشر بقصده وزيارته والحج إليه
 وتعظيمه ، وقد جاء الحديث : إن الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه « البيت
 المعمور » تحجّه الملائكة في كل عام ، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سمّاه « الضراح »
 وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله ، وخلق البيت الحرام في الأرض
 فجعله تحت الضراح وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : لو أُلقي حجر من العرش
 لوقع على ظهر بيت المعمور ولو أُلقي من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام
 ولم يخلق الله عرشاً لنفسه يستوطنه ، تعالى الله عن ذلك ، لكنّه خلق عرشاً أضافه
 إلى نفسه تكريماً له وإعظماً ، وتعبّد الملائكة بحمله كما خلق بيتاً في الأرض ولم
 يخلقه لنفسه ولا يسكنه ، تعالى الله عن ذلك ، لكنّه خلقه لخلقه ، وأضافه إلى نفسه
 إكراماً له وإعظماً ، وتعبّد الخلق بزيارته والحج إليه فأما الوصف للعلم بالعرش
 فهو في مجاز اللغة دون حقيقتها ، ولا وجه لتأويل قوله تعالى « الرحمن على العرش
 استوى » بمعنى أنّه احتوى على العلم ، وإنّما الوجه في ذلك ما قدّمناه ، والأحاديث
 التي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث آحاد ، وروايات أفراد ، لا
 يجوز القطع بها ولا العمل عليها ، والوجه الوقوف عندها ، والقطع على أنّ العرش
 في الأصل هو الملك ، والعرش المحمول جزء من الملك تعبّد الله بحمله الملائكة
 على ما قدّمناه .

٦ - **العقائد** : اعتقادنا في الكرسي أنه وعاء جميع الخلق من العرش و السماوات والأرض وكل شيء خلق الله تعالى في الكرسي ، وفي وجه آخر الكرسي هو العلم ، وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وسع كرسيه السماوات والأرض » قال : علمه .

٧ - **التوحيد** : عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق ، عن أحمد بن محمد بن أبي سعيد عن أحمد بن محمد بن عبدالله الصغدّي ، عن محمد بن يعقوب العسكري ، وأخيه معاذ عن محمد بن سنان الحنظلي ، عن عبدالله بن عاصم ، عن عبد الرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرّماني^(١) عن زاذان ، عن سلمان الفارسي ، قال : سألت الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام : أخبرني عن ربك أيحمل أو يحمل ؟ فقال : إن ربنا جلّ جلاله يحمل ولا يُحمل . قال النصراني : كيف ذلك^(٢) ؟ ونحن نجد في الإنجيل « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ؟ فقال علي عليه السلام : إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير ، ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر وربك عز وجل ماله ، لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء ، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه . قال النصراني : صدقت رحمك الله^(٣) .

٨ - **الكافي** : عن عدة من أصحابه ، عن أحمد بن محمد البرقي ، رفعه قال : سألت الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أو^(٤) العرش يحمله ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله عز وجل حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وذلك قول الله عز وجل : « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من

(١) الرّماني يضم الراء المهملة وتشديد الميم ، قال في خلاصة تذهيب الكمال (ص :

٣٩٨) : اسمه يحيى بن دينار الواسطي ، كان نزل قصر الرمان ، وثقه ابن معين والنسائي وأبو زرعة ، مات سنة اثنتين وعشرين ومائة .

(٢) في المصدر ، فكيف ذاك ؟

(٣) التوحيد ، ٢٣٢ .

(٤) في المصدر ، أم .

بعده إنه كان خليماً غفورا ، قال : فأخبرني عن قوله « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » فكيف ذاك و قلت إنه يحمل العرش و السماوات و الأرض ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن العرش خلقه الله تبارك و تعالى من أنوار أربعة : نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، و نور أخضر منه اخضرت الخضرة ، و نور أصفر منه اصفرّت الصفرة ، و نور أبيض منه ابيضّ البياض ، و هو العلم الذي حمّله الله الحملة ، و ذلك نور من نور عظمته ، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين ، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون ، و بعظمته و نوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة ، و الأديان المشتبهة ^(١) فكل [شيء] محمول يحمله الله بنوره و عظمته و قدرته لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكل شيء محمول و الله تبارك و تعالى الممسك لهما أن تزولا ، و المحيط بهما من شيء و هو حياة كل شيء ، و نور كل شيء ، سبحانه و تعالى عما يقولون علواً كبيراً . قال له : فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أين هو ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هو ههنا و ههنا و فوق و تحت و محيط بنا و معنا ، و هو قوله « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » فالكرسيّ محيط بالسماوات و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ و أخفى ، و ذلك قوله تعالى « وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما و هو العليّ العظيم » فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه ، و ليس يخرج من ^(٢) هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته ، و هو الملكوت الذي أراه الله أصفياه ، و أراه خليفه عليه السلام فقال : « و كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين » و كيف يحمل حملة العرش الله و بحياته حييت قلوبهم و بنوره اهتدوا إلى معرفته ^(٣) ؟ !

(١) المشتبهة (ح) .

(٢) عن (خ) .

(٣) الكافي ج ١ ، ص ١٢٩ .

توضيح : الجائليق - بفتح الثاء - رئيس للنصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام ، ذكره الفيروز آبادي . « أن تزولا » أي يمسكهما كراهة أن تزولا بالعدم و البطلان ، أو يمنعهما ويحفظهما أن تزولا ، فإن الإمساك متضمن لل منع والحفظ وفيه دلالة على أن الباقي يحتاج في بقاءه إلى المؤثر « إن أمسكهما » أي ما أمسكهما من أحد « من بعده » أي من بعد الله ، أو من بعد الزوال ، و « من » الأولى زائدة للمبالغة في الاستغراق ، و الثانية للابتداء « فأخبرني عن قوله » لعله توهّم المنافاة من جهتين : **الأولى** أن حملة العرش ثمانية و قلت هو سبحانه حامله و **الثانية** أن الثمانية إذا حملوا عرشه فقد حملوه أيضاً لأنه على العرش و قلت إنه حامل جميع ما سواه خلقه الله من أنوار أربعة .

اقول : قد تحيرت الأفهام في معنى تلك الأنوار التي هي من غوامض الأسرار فمنهم من قال هي الجواهر القدسية العقلية التي هي وسائط جوده تعالى ، وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسّي ، كالعناصر والأخلاق وأجناس الحيوانات أعني الإنسان والمهائم والسباع والطيور ، ومراتب الإنسان أعني الطبع و النفس الحساسة و النفس المتخيلة و العقل ، وأجناس المولّدات كالمعدن و النبات و الحيوان و الإنسان . و قيل : إنه تمثيل لبيان تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب و البعد من نور الأنوار ، فالنور الأبيض هو الأقرب ، و الأخضر هو الأبعد ، فكأنه ممتزج بضرب من الظلمة ، و الأحمر هو المتوسط بينهما ، ثم ما بين كل اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح و الشفق المختلفة في الألوان لقربها و بعدها من نور الشمس . و قيل : المراد بها صفاته تعالى فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات و إفاضة الأرواح التي هي عيون الحياة و منابع الخضرة ، و الأحمر غضبه و قهره على الجميع بالإعدام و التعذيب و الأبيض رحمته و لطفه على عباده ، قال تعالى « أمّا الذين ابيضّت وجوههم ففي رحمة الله » .

و أحسن ما سمعته في هذا المقام ما استفدته من والدي العلامة - رفع الله

في الجنان مقامه - و ملخصه أن لكل شيء شياً ومثلاً في عالم الرؤيا و العوالم التي تطاع عليها الأرواح سوى عالم الحس ، و تظهر تلك الصور و المثل على النفوس مختلفة بحسب اختلاف مراتبها في الكمال ، فبعض النفوس تظهر لها صورة أقرب إلى ذي الصورة و بعضها أبعد ، و شأن المعبر الكامل أن ينتقل من تلك الصور إلى ماهي صور لها بحسب أحوال ذلك الشخص ، و لذا لا يطلع عليها كما ينبغي إلا الأنبياء ، و الأوصياء عليهم السلام المطلعون على مراتب استعدادات الأشخاص و اختلافهم في النقص و الكمال ، فالنور الأصفر كناية عن العبادة و صورة لها كما هو المجرب في الرؤيا أنه إذا رأى العارف في المنام صفرة يوفق بعده لعبادة ، كما هو المشاهد في وجوه المتجهدين ، و قد ورد في الخبر أنه ألبسهم الله من نوره لما خلوا به ، و النور الأبيض العلم ، كما جرب أن من رأى في المنام لبناً أو ماء صافياً يقاض عليه علم خالص عن الشكوك و الشبهات ، و النور الأحمر المحبة كما هو المشاهد في وجوه المحبين عند طغيانها ، و جرب أيضاً في الرؤيا ، و النور الأخضر المعرفة و هو العلم المتعلق بذاته و صفاته سبحانه كما هو مجرب في الرؤيا ، و يومئذ إليه ما روي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عما يروى أن محمداً عليه السلام رأى ربه في صورة الشاب الموفق في صورة أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة ، فقال عليه السلام : إن رسول الله عليه السلام حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق و سن أبناء ثلاثين سنة . فقال الراوي : جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة ؟ قال : ذاك محمد عليه السلام كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب ، إن نور الله منه أخضر ، و منه أحمر ، و منه أبيض ، و منه غير ذلك (تمام الخبر) لأنه عليه السلام كان حينئذ في مقام كمال العرفان ، و خائضاً في بحار معرفة الرحيم المتان ، و كانت رجلاه في النور الأخضر وقائماً في مقام المعرفة لا يطبقها أحد من الملائكة و البشر و إنما عبروا بهذه العبارات و الكنايات لقصور أفهامنا عن إدراك صرف الحق كما تعرض على النفوس الناقصة في المنام هذه الصور ، و نحن في منام طويل من الغفلة عن المعارف الربانية ، و الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، و الأحوط في أمثال

هذه الأخبار الايمان بها مجملًا ، وردّ علمها إليهم ﷺ .

ثمّ اعلم أنّه على الوجه الأخير الضمير في قوله « وهو العلم » راجع إلى النور الأبيض ، وعلى سائر الوجوه راجع إلى العرش ، أي وقد يطلق العرش على العلم أيضاً ، أو العرش المركّب من الأنوار الأربعة هو العلم .
« أبصر قلوب المؤمنين » أي ما أبصروا وعلموا .

« عاداه الجاهلون » لأنّ الجهل مساوق الظلمة التي هي ضدّ النور ، والمعاداة إنّما تكون بين الضدين كذا قيل ، و الأظهر أنّ المراد به أنّ غاية ظهوره صارت سبباً لخفائه كما قيل « يا خفيّاً من فرط الظهور » فإنّه لو لم يكن للشمس غروب وأقول كان يشتبه على الناس أنّ ضوء النهار منها ، ولما كان شمس عالم الوجود في نهاية الاستواء و الكمال أبداً و فيضه جارٍ على الموادّ القابلة دائماً يتوهّم الملحد الجاهل أنّها بأنفسها موجودة غنيّة عن العلّة أو منسوبة إلى الدهر أو الطبيعة .

« ابتغى » أي طلب ، ولعلّ المعنى أنّ نوره سبحانه ممّا طلع على عالم الوجود وآثاره سبحانه ظهر في كلّ موجود طلبه جميع الخلق ، لكن بعضهم أخطؤوا طريق الطلب وتعيين المطلوب ، فصاروا حيارى ، فمنهم من يعبد الصنم لتوهّمه أنّ مطلوبه هناك ، ومنهم من يعتقد الدّهر أو الطبيعة لزعمه أنّ أحدهما إلهه و مدبّره ، فكلّ منهم يعلمون اضطرابهم إلى خالق ورازق وحافظ ومدبّر ، ويطلبونه و يبتغون إليه الوسيلة ، لكنّهم لضلالهم ^(١) وعماهم خاطؤون وعن الحقّ معرضون ، وهذا المعنى الذي خطر بالبال من غوامض الأسرار ، و له شواهد من الأخبار ، و إنّما أومأنا إليه على الإجمال ، إذ بسط المقال فيه يؤدّي إلى إبداء ما تأبى عنه الأذهان السقيمة لكن تستعذبه العقول المستقيمة .

« الممسك لهما » أي للسماوات والأرض « والمحيط » بالجبرّ عطفاً على ضمير لهما و « من » بيان له أي الممسك للمشيء المحيط بهما ، أو متعلّق بقوله « أن تزولا » وقوله « من شيء » للتعميم ويجوز رفعه بالعطف على الممسك ، و « من » بيان لضمير

« بهما » لقصد زيادة التعميم ، أو بيان لمحدوف يعني المحيط بهما مع ماحوته من شيء « وهو حياة كل شيء » أي من الحيوانات أو الحياة بمعنى الوجود و البقاء مجازاً « و نور كل شيء » أي سبب وجوده وظهوره ، فالكرسي يمكن أن يكون المراد تفسير الكرسي أيضاً بالعلم « ولا يؤده » أي لا يثقل عليه « هم العلماء » إذا كان المراد بالعرش عرش العلم كان المراد بالأ نوار الأربعة صنوف العلم و أنواعه ولا يخرج عن تلك الأنواع أحد ، و إذا كان المراد بالأ نوار نور العلم و المحبة و المعرفة و العبادة كما مر فهو أيضاً صحيح ، إذ لا يخرج شيء منها أيضاً ، إذ مامن شيء إلا وله عبادة و محبة و معرفة وهو يسبح بحمده ، وقال الوالد - ره - : الظاهر أن المراد بالأربعة العرش و الكرسي و السماوات و الأرض ، و يحتمل أن يكون المراد بها الأ نوار الأربعة التي هي عبارة عن العرش ، لأنه محيط على ما هو المشهور .

٩ - الكافي : عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، قال : سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن لي فدخل ، فسأله عن الحلال و الحرام ، ثم قال له : أفتر أن الله محمول ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج و المحمول اسم نقص في اللفظ ، و الحامل فاعل ، و هو في اللفظ مدحة ، و كذلك قول القائل فوق ، و تحت ، و أعلى ، و أسفل ، وقد قال الله « و له الأسماء الحسنى فادعوه بها » ولم يقل في كتبه إنه المحمول ، بل قال : إنه الحامل في البر و البحر و الممسك السماوات و الأرض أن تزولا ، و المحمول ما سوى الله ، ولم يسمع أحد آمن بالله و عظمته قط قال في دعائه « يا محمول » . قال أبو قرّة : فإنه قال « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » و قال « الذين يحملون العرش » فقال أبو الحسن عليه السلام : العرش ليس هو الله ، و العرش اسم علم و قدرة و عرش فيه كل شيء . ثم أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه ، و هم حملة علمه ، و خلقاً يستجرون حول عرشه و هم يعملون ^(١) بعلمه ، و ملائكة يكتبون أعمال

عباده ، و استعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته ، والله على العرش استوى ، كما قال ، و العرش ومن يحمله و من حول العرش والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كل نفس ، و فوق كل شيء ، و على كل شيء ، و لا يقال يحمل ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ و المعنى . قال أبو قرّة : فتكذب بالرواية التي جاءت : أن الله تعالى إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم ، فيخروا وسجداً ، فإذا ذهب الغضب خفّ و رجعوا إلى مواضعهم ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه فمتى رضي و هو في صفتك لم يزل غضباناً عليه و على أوليائه و على أتباعه ؟ كيف تجترى أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال ، و أنه ^(١) يجري عليه ما يجري على المخلوقين ؟ سبحانه وتعالى ! لم يزل مع الزائرين ، ولم يتغير مع المتغيرين ، ولم يتبدل مع المتبدلين ، و من دونه في يده و تدبيره ، و كلهم إليه محتاج ، و هو غني عن من سواه ^(٢) .

بيان : « و المحمول اسم نقص ، أي كل اسم مفعول دل على تأثر و تغيير من غيره و فاقه إليه فهو اسم نقص كالمحفوظ و المربوب و المحمول و أمثالها ، لا كل ما هو على هذه الصيغة ، إذ يجوز إطلاق الموجود و المعبود والمحمود و أمثالها عليه تعالى » و كذلك قول القائل فوق و تحت « يعني أن مثل ذينك اللفظين في كون أحدهما اسم مدح و الآخر اسم نقص قول القائل فوق و تحت ، فإن فوق اسم مدح و تحت اسم نقص ، و كذلك أعلى اسم مدح و أسفل اسم نقص ، و قوله عليه السلام « خلق » بالجر بدل « غيره » و أشار بذلك إلى أن الحامل لما كان من خلقه فيرجع الحمل إليه تعالى « وهم حملة علمه » أي وقد يطلق حملة العرش على حملة العلم أيضاً ، أو حملة العرش في القيامة هم حملة العلم في الدنيا وقوله عليه السلام « خلقا » و « ملائكة » معطوفان

(١) و إذا (خ)

(٢) و أن (خ) .

(٣) الكافي ج ١ ، ص ١٣٠ .

على خلقه ، أي استعبد خلقاً وملائكة ، والحاصل أنه تعالى لا يحتاج في حمل العرش إلى غيره ، بل استعبد أصناف خلقه بأنواع الطاعات ، وحمله العرش عبادتهم حمل العرش من غير حاجة إليهم « وهم يعملون بعلمه » أي بما أعطاهم من العلم ، ويحتمل أن يكون هذا مبنياً على كون العرش بمعنى العلم ، فحمله العرش الأنبياء والأوصياء ومن حول العرش الذين يأخذون العلم عنهم ويعملون بالعلم الذي حمله الحملة فهم مطيعون بهذا العرش ومقتبسون من أنواره « كما قال ، أي استواؤه سبحانه على العرش على النحو الذي قال ، وأراد من الاستواء النسبة أو الاستيلاء كما مر » لا كما تزعمه المشبهة . وقوله « والعرش » وما عطف عليه مبتدأ خبره محذوف أي محمول كلهم أو سواء في نسبتهم إليه سبحانه .

« قولاً مفرداً لا يوصل بشيء » أي لا يقرن بقريضة صارفة عن ظاهره ، أو ينسب إلى شيء آخر على طريقة الوصف بحال المتعلق بأن يقال : عرشه محمول ، أو أرضه تحت كذا ، أو جحيمه أسفل ونحو ذلك ، وإلا « فيفسد اللفظ » لعدم الإذن الشرعي « وأسماءه توقيفية » ، أيضاً هذا اسم نقص كما مر « والمعنى » لأنه يوجب نقصه وعجزه تعالى عن ذلك علواً كبيراً « وهو في صفتك » أي في وصفك إياه أنه لم يزل غضباً على الشيطان وعلى أوليائه ، والحاصل أنه لما فهم من كلامه أن الملائكة الحاملين للعرش قد يكونون قائمين وقد يكونون ساجدين بطريان الغضب وضده وحمل الحديث على ظاهره نبه عليه السلام على خطائه إلزاماً عليه بقدر فهمه بأنه لا يصح ما ذكرت ، إذ من غضبه تعالى ما علم أنه لم يزل كغضبه على إبليس ، فيلزم أن يكون حملة العرش منذ غضب على إبليس إلى الآن ساجدين غير واقفين إلى مواقفهم فعلم أن ما ذكرته وفهمته خطأ ، والحديث على تقدير صحتة محمول على أن المراد بغضبه سبحانه إنزال العذاب ، ووجودان الحملة ثقل العرش اطلاعهم عليه بظهور مقدّماته وأسبابه ، وبسجودهم خضوعهم وخشوعهم له سبحانه خشية وخوفاً من عذابه ، فإذا انتهى نزول العذاب وظهرت مقدّمات رحمته اطمأنوا ورجعوا في طلب رحمته . ثم بعد إلزامه عليه السلام بذلك شرع في الاستدلال على تنزيهه سبحانه مما فهمه

فقال « كيف تجترىء أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال » و هو من صفات المخلوقات و الممكّنات « لم يزل » بضم الزاي من زال يزول و ليس من الأفعال الناقصة ، و وجه الاستدلال بما ذكره عليه السلام قد مرّ مفصّلاً في كتاب التوحيد .

١٠ - الدر المنثور : عن أبي ذرّ قال : سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكرسي ، فقال يا أبا ذرّ ما السماوات السبع و الأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، و إن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ^(١) .

١١ - عن ابن عباس و ابن مسعود قالوا : السماوات والأرض في جوف الكرسي* و الكرسي* بين يدي العرش ^(٢) .

١٢ - و عن ابن عباس قال : إنما سمي العرش عرشاً لارتفاعه ^(٣) .

١٣ - و عن وهب قال : إن الله تعالى خلق العرش و الكرسي* من نوره ، و العرش ملتصق بالكرسي* ، و الملائكة في جوف الكرسي* ، و حول العرش أربعة أنهار : نهر من نور يتلأأ ، و نهر من نار تلتطّي ، و نهر من ثلج أبيض تلتمع منه الأبصار ، و نهر من ماء ، و الملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون الله ، و للغرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلهم ، فهو يسبح الله و يذكره بتلك الألسنة ^(٤) .

١٤ - و عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : العرش من ياقوتة حمراء و إن ملكاً من الملائكة نظر إليه و إلى عظمته ^(٥) فأوحى الله إليه أني قد جعلت فيك قوّة سبعين ألف ملك لكل ملك سبعون ألف [ألف] جناح فطر ، فطار الملك بما فيه من القوّة و الأجنحة ما شاء الله أن يطير ، فوقف فنظر فكأنه لم يرم ^(٦) .

١٥ - وعن حماد قال : خلق الله العرش من زمردة خضراء ، و خلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ، و خلق له ألف لسان ، و خلق في الأرض ألف أمة ، كل

(١) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٢٨ ، وقد مر تحت الرقم (١) من هذا الباب .

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٤) في المصدر : عظمه .

(٥) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

أُمَّة تَسْبِّحُ اللَّهَ بِلِسَانٍ مِنْ أَلْسِنِ الْعَرْشِ (١) .

١٦ - وعن ابن عباس قال : ما يقدّر قدر العرش إلّا الَّذي خلقه ، وإنّ السماوات في خلق الرحمن (٢) مثل قبة في صحراء (٣) .

١٧ - وعن مجاهد قال : ما أخذت السماوات والأرض من العرش إلّا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة (٤) .

١٨ - وعن كعب قال : إنّ السماوات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض (٥) .

١٩ - وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : ما الكرسي في العرش إلّا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض (٦) .

٢٠ - وعن وهب قال : خلق الله العرش والعرش سبعون ألف ساق كل ساق كاستدارة السماء والأرض (٧) .

٢١ - وعن جابر أنّ النبي ﷺ قال : أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام (٨) .

٢٢ - وعن حسان بن عطية قال : حملة العرش ثمانية ، أقدامهم مثبته (٩) في الأرض السابعة ، ورؤوسهم قد جاوزت السماء السابعة ، وقرونها مثل طولهم عليها العرش (١٠) .

٢٣ - وعن زاذان قال : حملة العرش أرجلهم في التخوم ، لا يستطيعون أن

(١) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٢) في المصدر ، في خلق العرش .

(٣) (٥٣٥٣) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٤) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٥) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٦) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٣٤٦ . وفيه « سبعمائة سنة » .

(٧) في المصدر ، « مثبته » والصواب ما في المتن .

(٨) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

يرفعوا أبصارهم من شعاع النور (١) .

٢٤ - وعن هارون بن رثاب قال: حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم (٢) يقول أربعة منهم « سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك » وأربعة منهم يقولون : « سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك (٣) » .

٢٥ - وعن وهب قال : حملة العرش الذين يحملونه لكل ملك منهم أربعة وجوه وأربعة أجنحة : جناحان على وجهه من أن (٤) ينظر إلى العرش فيصعق ، وجناحان يطير بهما ، أقدامهم في الثرى ، والعرش على أكتافهم ، لكل واحد منهم وجه ثور ، ووجه أسد ، ووجه إنسان ، ووجه نسر ، وليس لهم كلام إلا أن يقولوا « قدّوس الله القويّ » ، ملأت عظمته السماوات والأرض (٥) .

٢٦ - وعن وهب قال : حملة العرش اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيّدوا بأربعة آخرين ، ملك منهم في صورة إنسان يشفع لبني آدم في أرزاقهم ، وملك (٦) في صورة نسر يشفع للطير (٧) في أرزاقهم ، وملك (٨) في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها ، وملك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها ، فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم من عظمة الله فلقنوا « لا حول ولا قوة إلا بالله » فاستوتوا قياماً على أرجلهم (٩) .

٢٧ - وعن ميسرة قال : لا تستطيع الملائكة الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور (١٠) .

(١) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

(٢) أي رقيق لين .

(٣) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ - وقد ذكر التسبيحان في المصدر بالتقديم والتأخير .

(٤) في المصدر ، على وجهه ينظر :

(٥) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

(٦) (٨) في المصدر ، وملك منهم .

(٧) للطيور (خ) .

(٩) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

(١٠) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

٢٨ - و عن ابن عباس قال : حمله العرش ما بين كعب ^(١) أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ، وذكر أن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب ^(٢) .

٢٩ - و عن ميسرة قال : حمله العرش أرجلهم في الأرض السفلى و رؤوسهم قد خرقت العرش ، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم ، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة ، و أهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها ، و التي تليها أشد خوفاً من التي تليها ^(٣) .

٣٠ - و عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال : ما جمعكم فقالوا : اجتمعنا نذكر ربنا و نتفكر في عظمته . فقال : لن تدركوا التفكر في عظمته ! ألا أخبركم ببعض عظمة ربكم ؟ قيل : بلى يا رسول الله قال : إن ملكاً من حملة العرش يقال له «إسرافيل» زاوية من زوايا العرش على كاهله ، قدماه ^(٤) في الأرض السابعة السفلى ، و رأسه ^(٥) في السماء السابعة العليا ، في مثله من خليفة ربكم تبارك و تعالى ^(٦) .

٣١ - و عن ابن عباس في قوله « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قال : يقال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ، و يقال ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش في السماء السابعة ، و أقدامهم في الأرض السفلى ، ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه ^(٧) خمسمائة عام ^(٨) .

٣٢ - و عن الربيع قال : ثمانية من الملائكة ^(٩) .

(١) في المصدر ، منكب .

(٢) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

(٤) في المصدر ، « قد مرقت قدماه » و مرق أى نفذ و خرج .

(٥) في المصدر ، و مرق رأسه .

(٦) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

(٧) في المصدر ، مسيرة خمسمائة عام .

(٨ و ٩) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٦١ .

٣٣ - وعن ابن زيد قال : لم يسم من حملة العرش إلا إسرافيل ، و ميكائيل ليس من حملة العرش^(١) .

٣٤ - وعن كعب قال : لبنان أحد الثمانية تحمل العرش يوم القيامة^(٢) .
و عن ميسرة قال : ثمانية أرجلهم في التخوم ، و رؤوسهم عند العرش ، لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور^(٣) .

٣٦ - المهرج : في دعاء مروى عن موسى بن جعفر عليه السلام : يا من خافت الملائكة من نوره المتوقد حول كرسيه وعرشه ، صافون مسبحون طائعون خاضعون مدعون (الدعاء) .

٣٧ - الاحتجاج : عن هشام بن الحكم قال : سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام عن الكرسي^(٤) أهو أعظم أم العرش ؟ فقال عليه السلام : كل شيء خلق^(٥) الله في جوف الكرسي^(٦) خلا^(٦) عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي^(٧) .

٣٨ - تفسير على بن ابراهيم : عن أبيه عن إسحاق بن الهيثم ، عن سعد بن طريف ، عن الأصمغ بن نباتة ، أن علياً عليه السلام سئل عن قول الله تبارك وتعالى « وسع كرسيه السماوات والأرض » قال : السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي^(٨) ، وله أربعة أملاك يحملونه باذن الله ، فأما ملك منهم في صورة الآدميين ، وهي أكرم الصور على الله ، وهو يدعوا الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق^(٩) لبني آدم ، والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم و[هو] يطلب إلى الله ويتضرع إليه ، ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم^(٩) ، والملك الثالث في صورة

(١ و ٢ و ٣) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦١ .

(٤) في المصدر : فالكرسي أكبر أم العرش ؟

(٥) في المصدر ، خلقه الله .

(٦) في المصدر ، ما خلا عرشه .

(٧) الاحتجاج ، ١٩٣ .

(٨) والسمة في الرزق (خ) -

(٩) في المخطوطة ، لجميع البهائم .

النسر وهو سيد الطير ^(١) وهو يطلب إلى الله ويتضرع إليه و يطلب الشفاعة والرزق لجميع الطير ، والملك الرابع في صورة الأسد وهو سيد السباع وهو يرغب إلى الله ويتضرع إليه و يطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع ، ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور ، ولا أشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملائكة من بني إسرائيل العجل فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياء من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه ، وتخوف ^(٢) أن ينزل به العذاب . ثم قال عليه السلام : إن الشجر لم يزل حصيداً ككله حتى دعي للرحمن ولد ، عز الرحمن وجل أن يكون له ولد ، فكادت ^(٣) السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، و تخر الجبال هدأً ، فعند ذلك اقشعر الشجر و صار له شوك ، حذاراً أن ينزل به العذاب ، فما بال قوم غيروا سنة رسول الله ﷺ وعدلوا عن وصيته لا يخافون أن ينزل بهم العذاب ؟ ! ثم تلا هذه الآية « الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار » ^(٤) ، ثم قال : نحن والله نعمة الله التي أنعم الله بها على عباده ، بنا فاز من فاز ^(٥) .

بيان : قد تحمل هؤلاء الحملة على أرباب الأنواع التي قال بها أفلاطون وأضرابه ، وما يظهر من صاحب الشريعة لا يناسب ما ذهبوا إليه بوجه ، كما لا يخفى على العارف بمصطلحات الفريقين .

٣٩ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن النضر ، عن موسى بن بكر عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله « وسع كرسيه السماوات والأرض » قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى « وسع كرسيه السماوات والأرض » السماوات والأرض وسع الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض ؟ قال : بل الكرسي

(١) في المخطوطة : سيد الطيور .

(٢) في المصدر : ما يشبهه ، ويخاف .

(٣) في المصدر ، تكاد .

(٤) ابراهيم ، ٢٩ .

(٥) تفسير علي بن ابراهيم ، ٧٥ .

وسع السماوات والأرض والعرش و كل شيء خلق الله في الكرسي^(١) .
 بيان : لعل سؤال زرارة لاستعلام أن في قرآن أهل البيت « كرسية » منصوب
 أو مرفوع ، وإلا فعلى تقدير العلم بالرفع لا يحسن هذا السؤال لاسيما من مثل زرارة
 ويروى عن الشيخ البهائي - ره - أنه قال : سألت عن ذلك والذي فأجاب - ره - بأن
 بناء السؤال على قراءة « وسع » بضم الواو و سكون السين مصدراً مضافاً ، و على
 هذا يتجه السؤال ، وإنني تصفحت كتب التجويد فما ظفرت على هذه القراءة إلا
 هذه الأيتام رأيت كتاباً في هذا العلم مكتوباً بالخط الكوفي وكانت هذه القراءة
 فيه وكانت النسخة بخط مصنفه . وقوله « والعرش » لعله منصوب بالعطف على الأرض
 أو مرفوع بالابتدائية فالمراد بالكرسي العلم أو بالعرش فيما ورد أنه محيط بالكرسي
 العلم ، وقيل : العرش معطوف على الكرسي ، أي والعرش أيضاً وسع السماوات
 والأرض ، فالمعنى أن الكرسي والعرش كلاهما وسع السماوات والأرض فالمراد
 بكل شيء خلق الله كل ما خلق فيهما .

٤٠ - التوحيد : عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، عن أبيه ، عن أحمد بن
 محمد بن عيسى ، عن عبد الله بن محمد الحجال ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة قال :
 سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « وسع كرسية » - إلى قوله - والعرش و كل
 شيء في الكرسي^(٢) .

ومنه : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الحسن^(٣) بن الحسن بن أبان ، عن

(١) تفسير على بن ابراهيم القمي ، ٧٥

(٢) التوحيد ، ٢٣٩ .

(٣) في المصدر « الحسين بن الحسن بن أبان » وهو الصحيح ، قال الشيخ - ره - في
 باب اصحاب العسكري عليه السلام : الحسين بن الحسن بن أبان ادركه (يعني العسكري عليه
 السلام) ولم أعلم أنه روى عنه ، وقال ، انه روى عن « الحسين بن سعيد » كتبه كلها ، وروى
 عنه ابن الوليد و ذكر ابن قولويه انه قرابة الصفار و سعيد بن عبد الله لكنه اقدم منهما لانه
 يروى عن الحسين بن سعيد دونهما والظاهر انه من الثقات لرواية اجلة القميين كسعد بن عبد الله
 وابن الوليد عنه ، وكونه من مشايخ الاجازة ، مضافاً الى أن العلامة - ره - في المنتهى والمختلف
 والشهيد في الذكري وصفا حديثه بالصحة .

الحسين بن سعيد ، عن فضالة ، عن ابن بكير ، عن زرارة مثله .

العياشي : عن زرارة مثله .

٤١ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم ابن عمر اليماني ، عن أبي الطفيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليه السلام فقال له : إن ابن عباس يزعم أنه يعلم كل آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت وفيمن نزلت ! فقال أبي عليه السلام : سله فيمن نزلت ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلا^(١) ؟ وفيمن نزلت ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ،^(٢) وفيمن نزلت يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا^(٣) ؟ فأتاه الرجل فسأله فقال : وددت أن الذي أمرك بهذا واجهني به^(٤) فأسأله عن العرش مم خلقه الله^(٥) وكم هو وكيف هو ؟ فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي عليه السلام : فهل أجابك بالآيات ؟ قال : لا ، قال أبي : لكن أجيبك فيها بعلم و نور غير المدعي ولا المنتحل ، أما قوله « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلا » ففيه نزلت وفي أبيه ، وأما قوله « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم » ففي أبيه نزلت ، وأما الأخرى ففي ابنه^(٦) نزلت وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به ، وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ، ومن نسله المرابط ، وأما ما سأل عنه من العرش مم خلقه الله فإن الله خلقه أرباعاً ، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء : الهواء ، والقلم ، والنور ثم خلقه من ألوان أنوار مختلفة من ذلك النور : نور أخضر منه اخضرت الخضرة

(١) الاسراء : ٧٢ .

(٢) هود ، ٣٣ .

(٣) آل عمران ، ٢٠٠ .

(٤) في بعض النسخ : واجهني به فأسأله ، ولكن سل ما العرش ومتى خلق وكيف هو ؟

(٥) في المصدر : ومتى خلق ؟

(٦) في المصدر : ففي أبيه

و نور أصفر منه اصفرّت الصفرة ، و نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، و نور أبيض و هو نور الأنوار ، و منه ضوء النهار ، ثمّ جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين ، ليس من ذلك طبق إلا يستريح بهمد ربّه و يقدره بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة ، لو اُذن للسان واحد فأسمع شيئاً ممّا تحته لهدم الجبال و المدائن و الحصون ، و كشف البحار و لهلك ما دونه ، له ثمانية أركان يحمل كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم إلا الله . يستريحون بالليل ^(١) و النهار لا يفترون ، ولو أحسّ حسّ شيء ممّا فوقه ماقام لذلك طرفة عين بينه و بين الإحساس حجب الجبروت و الكبيرياء و العظمة و القدس و الرحمة و العلم ^(٢) و ليس وراء هذا مقال ، لقد طمع الحائر في غير مطمع ، أما إن في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنم فيخرجون أقواماً من دين الله ، و تنصبغ الأرض بدماء أفراخ من أفراخ آل محمد تنهض تلك الفراخ في غير وقت ، و تطلب غير مدرك ، و يرباط الذين آمنوا ، و يصبرون و يصابرون ، حتّى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين ^(٣) .

٤٢ - التوحيد : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار عن عليّ بن إسماعيل ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن أبي الطفيل ^(٤) عن أبي جعفر ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عزّ وجلّ خلق العرش أربعاً - و ذكر مثله إلى قوله - و ليس بعد هذا مقال ^(٥) .

الكشي : عن جعفر بن معروف ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد بن عيسى

(١) الليل (خ) .

(٢) القلم (خ) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ، ٣٨٥ .

(٤) هو عامر بن واثله الكنانى اللبى ، ذكر فى خلاصة تذهيب الكمال (ص ١٥٧) أنه ولد عام أحد ، و اثبت مسلم و ابن عدى صحبته - إلى ان قال - كان من شيعة على ثم سكن مكة إلى ان مات سنة مائة و قيل سنة عشر (يعنى بعد المائة) و هو آخر من مات من جميع الصحابة على الإطلاق .

(٥) التوحيد ، ٢٣٨ .

مثل ما رواه علي بن إبراهيم إلى آخر الخبر .

و قال أيضاً : حدثني علي بن محمد بن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان ، عن محمد ابن أبي عمير ، قال : جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام و ذكر نحوه .

الاختصاص : عن جعفر بن الحسين ، عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد ابن الحسن الصفار ، عن علي بن إسماعيل عن حماد مثله ^(١) .

بيان : « غير المدعي » أي بلا حقيقة ، و الالتحال أن يدعي شعر غيره أو قوله لنفسه . وفي رواية الكشي بعد ذلك : « أمّا الأولتان فنزلتا في أبيه ، و أمّا الأخيرة فنزلت في أبي و فينا . و كذا في الاختصاص و فيه بعده : و لم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد . و على التقادير يدل على أن العمى المذكور في الآية ليس عمى العين بل عمى القلب . إذ العباس لم ينقل عماء بل عبدالله صار عمى « ففي ابنه نزلت » لعل الظاهر ففي بنيه ، و يمكن أن يراد به الجنس ، أو أول من خرج منهم أي نزلت في المراقبة ، و الانتظار الذي أمرنا به في دولة ذريته الملعونة ، فقله عليه السلام « من نسله المراقبة » على التهكم ، أو بزعمهم ، فإنهم كانوا يترقبون الدولة في زمن بني أمية ، أو المراد المراقبة اللغوية لا المذكورة في الآية ، و يحتمل أن يكون المراد بالمراقبة الخارج بالسيف ، و المراقبة من الأئمة القائم عليه السلام و منهم أولهم أو كلهم و في القاموس : ربطه : شده ، و الرباط : ما ربط به ، و المواظبة على الأمر و ملازمة ثغر العدو كالمراقبة و المراقبة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره و كل معد لصاحبه فسمي المقام في الثغر رباطاً و منه قوله تعالى « و صابروا و رابطوا » ^(٢) ، (انتهى) « ولو أحسن شي ، مما فوقه » لعل قوله مما فوقه مفعول « أحسن » أي شيئاً مما فوقه و في الاختصاص « ولو أحسن شيئاً مما فوقه » أي حاساً أو كل من الملائكة الحاملين . و في بعض النسخ « ولو أحسن حس شيء » و في بعضها « ولو أحسن حس شيئاً » . و هو أظهر « بينه و بين الإحساس » أي بين الملك أو الحاس و بين إحساس ما فوقه

(١) الاختصاص : ٧١ - ٧٣ .

(٢) آل عمران ٢٠٠ .

« حجب الجبروت و الكبرياء » أي الصورية أو المعنوية « و ليس وراء هذا مقال ، أي لا يمكن وصف ما وراء هذه الحجب » لقد طمع الحائر ، أي ابن عباس ، و في بعض النسخ « الخائن » و في بعضها « الخاسر » « في غير مطمع » أي في أمر لا ينفع طمعه فيه و هو فوق مرتبته .

« فيخرجون » وفي الكشي : « يستخرجون أقواماً من دين الله أفواجا كما دخلوا فيه » والمراد بالافراخ السادات الذين خرجوا وقتلوا ، لأنهم خرجوا في غير وقت الخروج و عند استقرار دولة المخالفين « و تطلب غير مدرك » على بناء المفعول أي مالا يمكن إدراكه . و في الكشي : غير ما تدرك .. وقد مرّت الوجوه الكثيرة في تأويل الأنوار في كتاب التوحيد ، و في هذا الباب أيضاً فلا نعيدها هنا .

٤٣ - التفسير : « و الملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون » قال : حملة العرش ثمانية لكل واحد ثمانية أعين ، كل عين طباق الدنيا و في حديث آخر : حملة العرش ثمانية : أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة من الأولين فنوح ، و إبراهيم ، و موسى و عيسى عليهم السلام و أما الأربعة من الآخرين ، فمحمد ، وعلي ، والحسن ، والحسين و معنى « يحملون العرش » يعني العلم ^(١) .

٤٤ - الخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن سعد بن عبدالله ، عن القاسم بن محمد الأصهباني ، عن سليمان بن داود ، عن حفص بن ^(٢) غياث قال : سمعت

(١) تفسير على بن إبراهيم : ٦٩٤ .

(٢) هو حفص بن غياث - بكسر المعجمة - ابن طلق بن معاوية ابو عمر النخعي قاضي الكوفة ، عده الشيخ - ره - من اصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام و ادعى في الزمعة اجماع الطائفة على العمل بروايته . و قال النجاشي (١٠٣) انه ولي القضاء ببغداد الشرقية لهارون ثم ولاء قضاء الكوفة و مات بها سنة اربع و تسعين و مائة (انتهى) و لتوليته القضاء مرقب لهارون استظهر جماعة كونه عامياً لكنه كما ترى ، و النجاشي لم يشر إلى عامية مذهبه عند التمرض لترحمته ولو كان عامياً لاشار إليه كما هو دأبه ، و قال في تنقيح المقال (ج ١ ، ص ٣٥٥) : يدل على كونه شيعياً جملة من اخباره و رواياته ثم ذكر بعضها .

أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن "حملة العرش ثمانية لكل" واحد منهم ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا ^(١) .

٤٥ - ومنه : عن ابن الوليد ، عن الصفار ، رسلاً قال : قال الصادق عليه السلام :
 إن "حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم ، و الثاني على صورة الديك يسترزق الله للطير ، و الثالث على صورة الأسد يسترزق الله للمسباع و الرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ، و نكس الثور رأسه منذ عبد بنو- إسرائيل العجل ، فإذا كان يوم القيمة صاروا ثمانية ^(٢) .
 بيان : يمكن أن يكون الذي يسترزق للطير شبيهاً بالنسروالديك معاً ، فلذا شبه بهما .

٤٥ - التوحيد : عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، و الكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش و العرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، و الحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر ^(٣) (الخبر) .

٤٦ - التوحيد والمعاني : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن حفص بن غياث ، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل "وسع كرسيه السماوات والأرض" قال : علمه ^(٤) .

٤٧ - المعاني : عن أحمد بن الحسن ، عن عبد الرحمن بن محمد الحسني ، عن أحمد بن عيسى بن أبي مريم ، عن محمد بن أحمد العرزمي ، عن علي بن حاتم المنقري عن المفضل بن عمر ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش و الكرسي ما هما ؟

(١) الخصال ، ٣٩ .

(٢) الخصال : ٢٠ .

(٣) التوحيد : ٦٤ .

(٤) التوحيد ، ٢٣٩ ، المعاني : ٣٠ .

فقال : العرش في وجهه هو جملة الخلق ، و الكرسي وعاءه ؛ و في وجه آخر هو العلم الذي اطلع الله عليه أنبياءه و رسله و حججه ، و الكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحداً من أنبيائه و رسله و حججه عليه السلام (١) .

٤٨ - وهذه : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن موسى بن جعفر البغدادي عن محمد بن جمهور ، عن عبدالله بن عبد الرحمن ، عن محمد بن أبي حمزة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال في كل يوم من شعبان سبعين مرة « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم وأتوب إليه » كتب في الأفق المبين . قال : قلت : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدي العرش فيه أنهار تطرد ، فيه من القدحان عدد النجوم (٢) .

٤٩ - التوحيد : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد ، عن ربعي (٣) ، عن الفضيل ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل « وسع كرسيه السماوات والأرض » قال : يافضيل . السماوات والأرض وكل شيء في الكرسي (٤) .

٥٠ - وهذه : عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل « وسع كرسيه السماوات والأرض » فقال : السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي ، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره (٥) .

(١) الممانى : ٢٩ .

(٢) الممانى : ٢٢٨ .

(٣) بكسر الراء وسكون الباء ، قال النجاشي ، ربعي بن عبدالله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي ابونعيم بصري ثقة روى عن أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام و صاحب الفضيل بن يسار و أكثر الأخذ عنه وكان خصيصا به - الى ان قال - وله كتاب رواه عن عدة من اصحابنا رحمهم الله منهم حماد بن عيسى .

(٤) التوحيد : ٢٣٩ .

(٥) التوحيد : ٢٣٩ .

٥١ - وهذه : عن علي بن أحمد الدقاق ، عن محمد بن جعفر الأسدي ، عن محمد بن إسماعيل البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن أبيه ، عن حنان بن سدير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال : إن العرش صفات كثيرة مختلفة ، له في كل سبب وصنع ^(١) في القرآن صفة على حدة ، فقوله « رب العرش العظيم » يقول : الملك العظيم ، وقوله « الرحمن على العرش استوى » يقول : على الملك احتوى ، وهذا ملك الكيفوية في الأشياء . ثم العرش في الوصل مفرد ^(٢) من الكرسي ، لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب ، وهما جميعا غيبان ، وهما في الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها ^(٣) الأشياء كلها ، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأيّن والمشية وصفة الإرادة و علم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبداء ، فهما في العلم بابان مقرونان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي ، وعلمه أغيب من علم الكرسي ، فمن ذلك قال « رب العرش العظيم » أي صفته أعظم من صفة الكرسي ، وهما في ذلك مقرونان . قلت : جعلت فداك فلم صار في الفضل جار الكرسي ؟ قال عليه السلام : إنه صار جاره لأن علم الكيفوية فيه وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها ^(٤) وحد رتقها وفتقها ، فهذان جاران أحدهما محل صاحبه في الظرف . وبمثل صرف العلماء ، وليستدلوا ^(٥) على صدق دعواهما لأنه يختص برحمته من يشاء وهو القوي العزيز .

فمن اختلاف صفات العرش أنه قال تبارك وتعالى « رب العرش - رب الوحدانية - عما يصفون » وقوم وصفوه بيدين فقالوا « يد الله مغلولة » وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمناها ارتقى إلى السماء ، و

(١) وضع (خ) .

(٢) في بعض النسخ وفي المصدر : متفرد .

(٣) في المصدر : « منه » وهو الظاهر .

(٤) في بعض النسخ : اينيتها .

(٥) في المصدر : يستدلوا .

وصفوه (١) بالأنامل فقالوا: إن محمداً ﷺ قال «إني وجدت برد أنامله على قلبي ، فلمثل هذه الصفات قال «رب العرش عما يصفون ، يقول : رب المثل الأعلى عما به مثلوه ، والله المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم ، فذلك المثل الأعلى . و وصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال وشبهوه بالمتشابه منهم فيما جعلوا به ، فلذلك قال «وما أوتيتن من العلم إلا قليلا ، فليس له شبه ولا مثل ولا عدل ، وله الأسماء الحسنى التي لا يسمي بها غيره ، وهي التي وصفها في الكتاب فقال «فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، جهلا بغير علم ، فالذي يلحد في أسمائه [جهلاً] بغير علم يشرك وهو لا يعلم ، و يكفر به وهو يظن أنه يحسن ، فلذلك قال «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم ، فيضعونها غير مواضعها .

يا حنان ! إن الله تبارك وتعالى أمر أن يتخذ قوم أولياء ، فهم الذين أعطاهم الفضل و خصهم بما لم يخص به غيرهم ، فأرسل محمداً ﷺ فكان الدليل على الله بأذن الله عز وجل حتى مضى دليلاً هادياً ، فقام من بعده وصيه ﷺ دليلاً هادياً على ما كان هودل عليه من أمر ربّه من ظاهر علمه ثم الأئمة الراشدون ﷺ (٢) .

بيان ، « صفات كثيرة » أي معان شتى و إطلاقات مختلفة « ملك الكيفيّة في الأشياء » أي كيفية ارتباطه سبحانه بمخلوقاته و تدبيره لها و علمه بها و مباينته عنها ، و لذا وصف ذلك بالاستواء فليس بشيء أقرب من شيء ، و رحمته و علمه وسعاً كل شيء ، و يحتمل أن يكون المراد تدبير صفات الأشياء و كیفياتها و أوضاعها و أحوالها ، و لعله أظهر . « ثم العرش في الوصل مفرد » أي إذا عطف أحدهما على الآخر و وصل بينهما في الذكر فالعرش مفرد عن الكرسي و مبائن له ، و في غير ذلك قد يطلقان على معنى واحد كالعلم « وهما جميعاً غيبان » أي مغيبان عن الحواس قوله ﷺ « لأن الكرسي هو الباب الظاهر » يظهر منه مع غاية غموضه أن المراد

(١) في المصدر ، وقوم وصفوه .

(٢) التوحيد ، ٢٣٦ .

بالكرسي* و العرش هنا نوعان من علمه سبحانه ، فالكرسي* العلم المتعلق بأعيان الموجودات ، و منه يطلع و يظهر جميع الموجودات بحقائقها و أعيانها ، و الأمور البديعة في السماوات و الأرض وما بينهما ، و العرش العلم المتعلق بكيفيات الأشياء و مقاديرها و أحوالها و بدئها و عودها ، و يمكن أن يكون أحدهما عبارة عن كتاب المحو و الإثبات ، و الآخر عن اللوح المحفوظ . قوله ﷺ « لأن علم الكيفية » أي إنهما إنما صارا جارين مقرونين لأن أحدهما عبارة عن العلم المتعلق بالأعيان و الآخر عن العلم المتعلق بكيفيات تلك الأعيان فهما مقرونان ، و من تلك الجهة صحّ جعل كل منهما ظرفاً للآخر ، لأن الأعيان لما كانت محالاً للكيفيات فهي ظروفها وأوسع منها ، ولما كانت الكيفيات محيطة بالأعيان فكأنها ظرفها وأوسع منها وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار ولعله أشير إلى هذا بقوله « أحدهما محل صاحبه في الظرف » بالظاء المعجمة أي بحسب الظرفية ، و في بعض النسخ بالمهملة أي حيث ينتهي طرف أحدهما بصاحبه إذا قرئ ، بالتحريك ، و إذا قرئ بالسكون فالمراد نظر القلب . « و بمثل صرف العلماء ، أي علماء أهل البيت ﷺ عبثوا عن هذه الأمور بالعبارات المتصرفة المتنوعة على سبيل التمثيل و التشبيه ، فتارة عبثوا عن العلم بالعرش ، و تارة بالكرسي* ، و تارة جعلوا العرش وعاء الكرسي* ، و تارة بالعكس ، و تارة أرادوا بالعرش و الكرسي* الجسمين العظيمين ، و إنما عبثوا بالتمثيل ليستدلوا على صدق دعواهما ، أي دعواهم لهما ، و ما ينسبون إليهما و يبيّنون من غرائبهما و أسرارهما ، و في أكثر النسخ « و ليستدلوا » فهو عطف على مقدّر أي لتفهيم أصناف الخلق و ليستدلوا ، و لعل الأظهر « دعواهم » .

قوله ﷺ « فمن اختلاف صفات العرش » أي معانيه قال في سورة الأنبياء « فسبحان الله رب العرش مما يصفون » فالمراد بالعرش هنا عرش الوجدانية ، إذ هي أنسب بمقام التنزيه عن الشريك ، إذ المذكور قبل ذلك « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون » لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش مما يصفون ، وقال سبحانه في سورة الزخرف « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين »

سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون، والمناسب هنا عرش القدس و التنزه عن الأشباه والأمثال والأولاد ، فالعرش في كل مقام يراد به معنى يعلمه الراسخون في العلم . ثم إنه ظاهر الكلام يوهم أن النظر في قوله « عما يصفون » متعلق بالعرش و هو بعيد ، بل الظاهر تعلقه بسبحان ، و على ما قررنا عرفت أنه لا حاجة إلى ارتكاب ذلك ، ويدل الخبر على أن خطاب « و ما أوتينم » متوجه إلى السائلين عن الروح وأضرابهم لا إلى النبي ﷺ قوله ﷺ « من ظاهر علمه » إنما خص بالظاهر لأن باطن علمه لا يطيقه سائر الخلق سوى أوصيائه ﷺ . واعلم أن هذا الخبر من المتشابهات ، وغوامض المخبيات ، و الظاهر أنه وقع من الرواة والنسآخ لعدم فهمهم معناه تصحيفات و تحريفات أيضاً ، فلذا أجمعت الكلام فيه ، و ما ذكرته إنما هو على سبيل الاحتمال ، والله يعلم و حججه حقائق كلامهم عليهم السلام .

٥٢ - العياشي : عن الأصبح ، قال : سئل أمير المؤمنين ﷺ عن قول الله « وسع كرسيه السماوات والأرض » فقال : إن السماء ^(١) والأرض و ما فيهما من خلق مخلوق في جوف الكرسي ، وله أربعة أملاك يحملونه باذن الله .

٥٣ - تفسير العسكري : قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لما خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن ، و خلق عند كل ركن ثلاثمائة وستين ألف ملك ، لو أذن الله تعالى لأصغرهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلا كالرمل في المفازة الفضفاضة ! فقال لهم الله : يا عبادي احتملوا عرشي هذا ، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه ، فخلق الله عز وجل مع كل واحد منهم واحداً فلم يقدرُوا أن يزعموه ، فخلق الله مع كل واحد منهم عشرة فلم يقدرُوا أن يحركوه ، فخلق الله بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدرُوا أن يحركوه ، فقال الله عز وجل لجميعهم : خلّوه عليّ أمسكه بقدرتي ، فخلّوه فأمسكه الله عز وجل بقدرته ، ثم قال لثمانية منهم : احمّلوه أتم . فقالوا : يا ربنا

لم نطقه نحن و هذا الخلق الكثير و الجسم الغفير ، فكيف نطقه الآن دونهم ؟ فقال
الله عز وجل : " لَأَنْتِي أَنَا اللَّهُ الْمُقَرَّبُ لِلْبَعِيدِ ، وَ الْمَذَلُّ لِلْعَبِيدِ ، وَ الْمَخْفَفُ لِلشَّدِيدِ
وَ الْمُسَهَّلُ لِلْعَسِيرِ ، أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ ، وَأُحْكِمُ مَا أُرِيدُ ، أَعْلَمُكُمْ كَلِمَاتٍ تَقُولُونَهَا يَخْفُفُ ^(١)
بِهَا عَلَيْكُمْ . قَالُوا : وَ مَا هِيَ ؟ قَالَ : تَقُولُونَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ » فَقَالُوا هَا فَحْمَلُوهُ ، وَ
خَفَّ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ كَشَعْرَةِ نَابْتَةٍ عَلَى كَاهِلِ رَجُلٍ جَلَدٌ قَوِيٌّ . فَقَالَ اللَّهُ عزَّ وَ جَلَّ
لِسَائِرِ تِلْكَ الْأَمْلاكِ : خَلُّوا عَلَى هَؤُلَاءِ الثَّمَانِيَةِ عَرْشِي لِيَحْمَلُوهُ ، وَ طُوفُوا أَنْتُمْ حَوْلَهُ
وَ سَبِّحُونِي وَ مَجْدُونِي وَ قَدْ سَوَّيْتُ ، فَأَنَا اللَّهُ الْقَادِرُ [الْمَطْلُوقُ] عَلَى مَا رَأَيْتُمْ وَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

بيان : « الفضفاضة » الواسعة ذكره الجوهرى ، و قال : الجلد الصلابة و
الجلادة ، تقول منه جلد الرجل بالضم فهو جلد .

٥٤ - روضة الواعظين : روى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام أنه
قال : في العرش تمثال ما خلق الله من البر والبحر ^(٢) قال : وهذا تأويل قوله « وإن من
شيء إلا عندنا خزائنه ^(٣) » و إن بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقتان
الطير المسرع مسيرة ألف عام ، و العرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور
لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله ، و الأشياء كلها في العرش كحلقة في
فلاة ، و إن الله تعالى ملكاً يقال له « خرقائيل » له ثمانية عشر ألف جناح ، ما بين
الجناح إلى الجناح خمسمائة عام ، فخطر له خاطر : هل فوق العرش شيء ؟ فزاده
الله تعالى مثلها أجنحة أخرى ، فكان له ست و ثلاثون ألف جناح ، ما بين الجناح
إلى الجناح خمسمائة عام ، ثم أوحى الله إليه : أيها الملك طر ، فطار مقدار عشرين
ألف عام لم ينل رأس ^(٤) قائمة من قوائم العرش ، ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة

(١) يخفف (خ) .

(٢) في المصدر ، في البر و البحر .

(٣) الحجر : ٢١ .

(٤) راسه (خ) .

و أمره أن يطير ، فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً ، فأوحى الله إليه : أيها الملك ! لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك و قوتك لم تبلغ إلى ساق عرشي^(١) ! فقال الملك « سبحان ربّي الأعلى » ، فأنزل الله عز وجل « سبح اسم ربك الأعلى » فقال النبي ﷺ : اجعلوها في سجودكم .

٥٥ - و روي من طريق المخالفين في قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قال : ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله ، لكل ملك منهم أربعة وجوه لهم قرون كقرون الوعلة ، من أصول القرون إلى منتهائها مسيرة خمسمائة عام ، و العرش على قرونهم ، و أقدامهم في الأرض السفلى ، و رؤوسهم في السماء العليا ، و دون العرش سبعون حجاباً من نور^(٢) .

بيان : قال الجزري^٣ : الوعول تيوس الجبل ، واحداها وعل بكسر العين ، و منه الحديث في تفسير قوله تعالى « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قيل : هي ثمانية أوعال ، أي ملائكة على صورة الأوعال .

٥٦ - تأويل الايات الظاهرة : نقلاً من كتاب محمد بن العباس بن ماهيار عن جعفر بن محمد بن مالك ، عن أحمد بن الحسين العلوي^٤ ، عن محمد بن حاتم ، عن هارون بن الجهم ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله » قال : يعني محمدًا ، وعلياً ، و الحسن ، و الحسين و نوحاً ، و إبراهيم ، و موسى ، و عيسى عليه السلام .

٥٧ - الاختصاص : عن ابن عباس ، قال : سأل ابن سلام النبي ﷺ فكان فيما سأله : ما الستة عشر ؟ و ما الثمانية عشر ؟ قال : ستة عشر صفاً من الملائكة حافين من حول العرش ، و ذلك قوله « حافين من حول العرش » ، و أما الثمانية عشر فثمانية عشر حجاباً من نور معلق بين الكرسي^٥ و الحجب ، و لولذلك لذابت

(١) في المصدر : إلى ساق العرش .

(٢) روضة الواعظين ، ٥٩ .

صمّ الجبال الشوامخ ، واحترقت الجنّ والانس من نور الله . قال : صدقت يا محمد ^(١) .

٥٨ - في بعض الكتب عن عليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله .

٥٩ - المتهجد : في دعاء ليلة الجمعة : اللهم ربّ النور العظيم ربّ الكرسيّ الواسع ، وربّ العرش العظيم ، وربّ البحر المسجور (الدعاء) .

٦٠ - وفي تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : و أسألك باسمك الذي خلقت به عرشك الذي لا يعلم ما هو إلا أنت - إلى قوله - وأسألك يا الله باسمك الذي تضعض به سگان سماواتك ، واستقرّ به عرشك - إلى قوله - وأسألك باسمك الذي أقمّت به عرشك وكرسيّك في الهواء - إلى قوله - وأسألك باسمك الذي دعاك به حلة عرشك فاستقرّت أقدامهم ، وحملتهم عرشك بذلك الاسم يا الله الذي لا يعلمه ملك مقرّب ولا حامل عرشك ولا كرسيّك إلا ما علمته ذلك .

٦١ - بيان التنزيل لابن شهر آشوب عن الصادق عليه السلام : إنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفّان الطير عشرة آلاف عام ^(١) .

(١) الاختصاص ، ٢٧ .

(١) حاصل ما يستفاد من الروايات الشريفة أن العرش مخلوق عظيم جداً يشتمل على مادونه من الموجودات ، خلق من انوار اربعة ، و يحمله اربعة من الملائكة ، وله اربع قوائم وليس اول المخلوقات بل رابعها ، وهو الملكوت الذي اراه الله اصفياه ، وفيه تمثال ما خلق الله في البر والبحر ، وفيه خزائن جميع الاشياء ، وهو الباب الباطن من العلم ، وفيه علم الكيف والكون والمود والبداء وقد يستعمل بمعنى الملك والقدرة بعناية ، ومنه قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » ولعل منه ايضاً « وكان عرشه على الماء » .

وقد تكلف بعض الحكماء لتطبيقه على الفلك التاسع من الافلاك المفروضة في الهيئة القديمة ، لكنه لا يوافق ما ذكر له من الخواص في الروايات و الذي يفيد التدبر البالغ في خواصه المذكورة في الروايات الشريفة ان اشتماله على مادونه من الموجودات ليس كاشتمال جسم مجوف على آخر ، بل معناه اشتماله على صور الاشياء وحققاتها وكمالاتها ، قال عليه السلام « في العرش تمثال ما خلق الله تعالى في البر والبحر وهذا تأويل قوله وان من شيء الا عندنا -

تحقيق وتوفيق : اعلم أن ملوك الدنيا لما كان ظهورهم و إجراء أحكامهم على رعيّتهم إنّما يكون عند صعودهم على كرسي الملك وعروجهم على عرش السلطنة ومنهما تظهر آثارهم وتبين أسرارهم ، والله سبحانه لتقدسه عن المكان لا يوصف بمجل ولا مقر ولا عرش ولا كرسي يستقرّ عليهما ، بل يطلقان على أشياء من مخلوقاته أوصافاته الكمالية على وجه المناسبة ، فالكرسي والعرش يطلقان على معان : أحدهما جسمان عظيمان خلقهما الله تعالى فوق سبع سموات ، وظاهر أكثر الأخبار أن العرش أرفع وأعظم من الكرسي ، ويلوح من بعضها العكس ، والحكماء يزعمون أن الكرسي هو الفلك الثامن ، والعرش هو الفلك التاسع ، وظواهر الأخبار تدلّ على خلاف ذلك من كونهما مرتّعين ذاتي قوائم وأركان ، وربما يؤولان بالجهات والحدود والصفات التي بها استحقّق التعظيم والتكريم ، ولا حاجة لنا إلى هذه التكلفات ، وإنّما سمّيا بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما ، وإحاطة الكرسيين والمقرّين وأرواح النبيّين والأوصياء بهما ، و عروج من قرّبه من جنابه إليهما ، كما أن أوامر الملوك وأحكامهم وآثار سلطنتهم وعظمتهم تبتدو منهما ، وتطيف مقرّبوا جنابهم وخواصّ ملكهم بهما ، وأيضاً كانا أعظم مخلوقاته الجسمانية وفيهما من الأنوار العجيبة والآثار الغريبة ما ليس في غيرهما من الأجسام فدلالتهما على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته سبحانه أكثر من سائر الأجسام ، فلذا خصّا بهذين الاسمين من بينهما ، وحملتهما في الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت ، وفي الآخرة إمّا الملائكة أو أولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السلام كما عرفت ، و

→ خزائنه « وقال هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون . وهما (يعنى العرش والكرسي) غيبان وهما فى العلم مقروfan ، فبالنظر الى هذه الخواص لا يبعد استظهار كونه من الموجودات النورانية العالية والجواهر المجردة العقلية ، و كونه رابعا بحسب المرتبة الوجودية ، مشتقلا على اربع حيثيات مختلفة . يبقى اشكال وهو انه ربما يظهر من بعض الروايات كونه جسماً عظيماً فوق السماء السابعة فلو كان المراد غير ذلك لم لم يصرح به ؛ والجواب قوله عليه السلام فى رواية حقان المتقدمه « بمثل صرف العلماء » والله العالم .

يمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازاً لقيام العرش بهم في القيامة وكونهم الحكام عنده والمقر بين لديه .

وثانيها : العلم كما عرفت إطلاقهما في كثير من الأخبار عليه و قد مر الفرق بينهما في خبر معاني الأخبار وغيره ، وذلك أيضاً لأن منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم والمعرفة ، و به يتجلى على العباد ، فكانه عرشه و كرسيه سبحانه وحملتهما نبينا وأئمتنا عليهم السلام لأنهم خزائن علم الله في سمائه وأرضه لاسيما ما يتعلق بمعرفة سبحانه .

وثالثها الملك ، وقد مر إطلاقهما عليه في خبر « حنان » والوجه مأمراً أيضاً . ورابعها : الجسم المحيط و جميع ما في جوفه أو جميع خلق الله كما ذكره الصدوق - ره - ويستفاد من بعض الأخبار ، إذ ما من شيء في الأرض ولا في السماء وما فوقها إلا وهي من آيات وجوده وعلامات قدرته ، و آثار وجوده وفيضه وحكمته فجميع المخلوقات عرش عظمته و جلاله ، و بها تجلى على العارفين بصفات كماله وهذا أحد المعاني التي خطرت ببالي الفاتر في قولهم عليهم السلام « وارتفع فوق كل منظر » فتدبر .

وخامسها : إطلاق العرش على كل صفة من صفاته الكمالية و الجلالية إذ كل منها مستقر لعظمته و جلاله ، و بها يظهر لعباده على قدر قابليتهم و معرفتهم فله عرش العلم ، و عرش القدرة ، و عرش الرحمانية ، و عرش الرحيمية ، و عرش الوحدانية ، و عرش النزوة كما مر في خبر حنان وغيره . وقد أوّل الوالد - ره - الخبر الذي ورد في تفسير قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » أن المعنى : استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء ، أن المراد بالعرش هنا عرش الرحمانية والظرف حال أي الرب سبحانه حال كونه على عرش الرحمانية استوى من كل شيء ، إذ بالنظر إلى الرحيمية التي هي عبارة عن الهدايات والرحمات الخاصة بالمؤمنين أقرب ، أو المراد أنه تعالى بسبب صفة الرحمانية حال كونه على عرش الملك و العظمة و الجلال استوى نسبته إلى كل شيء ، وحينئذ فائدة التقييد بالحال نفي

توهم أن هذا الاستواء مما ينقص من عظمته وجلاله شيئاً .
 وسادسها إطلاق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وكمال المؤمنين
 فإن قلوبهم مستقر محبته ومعرفته سبحانه ، كما روي أن قلب المؤمن عرش الرحمن
 و روي أيضاً في الحديث القدسي « لم يسعني سمائي ولا أرضي و وسعني قلب عبدي
 المؤمن » .

ثم أعلم أن إطلاقهما على بعض المعاني عند التصريح به أو إقامة القرائن
 عليه لا ينافي وجوب الإذعان بالمعنى الأول الذي هو الظاهر من أكثر الآيات
 والأخبار ، والله المطلع على الأسرار .

٥

﴿ باب ﴾

﴿ الحجب والاستار والسراقات ﴾

١ - التوحيد و الخصال : عن أحمد بن الحسن القطان ، عن أحمد بن يحيى
 ابن زكريا القطان ، عن بكر بن عبدالله ، عن تميم بن بهلول ، عن نصر بن مزاحم
 المنقري ، عن مرو بن سعد ، عن أبي مخنف ^(١) لوط بن يحيى ، عن أبي منصور ، عن
 زيد بن وهب ، قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب ، فقال : أول الحجب
 سبعة ، غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل حجابين مسيرة خمسمائة
 عام ، و الحجاب الثاني سبعون حجاباً ، بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام ^(٢)

(١) وزان « منبر » وابومخنف هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الازدى شيخ اصحاب
 الاخبار بالكوفة - كما عن النجاشي - يروى عن الصادق عليه السلام و كان من اعظم مؤرخى
 الشيعة ، ومع اشتهاره بالشيع اعتمد عليه علماء السنة كالطبرى والجزرى وغيرهما ، له كتب فى
 التاريخ والسير منها « مقتل الحسين عليه السلام » الذى نقل عنه اعظم العلماء المتقدمين توفى
 سنة (١٥٧) وجده « مخنف » صحابى شهد الجمل فى اصحاب على عليه السلام حاملاً راية الازد
 فاستشهد فى تلك الواقعة سنة (٣٦) .

(٢) فى المصدر : وطوله خمسمائة عام .

حجبة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك ، قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين ، منها ظلمة ، و منها نور ، و منها نار ، و منها دخان ، و منها سحب و منها برق ^(١) ، و منها رعد ، و منها ضوء ، و منها رمل ، و منها جبل ، و منها عجاج ، و منها ماء ، و منها أنهار . و هي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام ، ثمّ سرادقات الجلال و هي ستون ^(٢) سرادقاً ، في كلّ سرادق سبعون ألف ملك ، بين كلّ سرادق و سرادق مسيرة خمسمائة عام ، ثمّ سرادق العزّ ، ثمّ سرادق الكبرياء ، ثمّ سرادق العظمة ، ثمّ سرادق القدس ، ثمّ سرادق الجبروت ، ثمّ سرادق الفخر ، ثمّ سرادق النور الأبيض ، ثمّ سرادق الوحدانيّة و هو مسيرة سبعين ألف عام ، ثمّ الحجاب الأعلى . و انتضى كلامه عليه السلام و سكت فقال له عمر : لا بقيت ليوم لأراك فيه يا أبا الحسن ^(٣) !

قال الصدوق - ره - : ليست هذه الحجب مضروبة على الله ، تعالى عن ذلك لأنّه لا يوصف بمكان ، ولكنّها مضروبة على العظمة الغليظة التي لا يقادر قدرها غيره تبارك و تعالى ^(٤) .

بيان : قوله عليه السلام « منها ظلمة » لعلّ المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدم كما يدلّ عليه قوله « غلظ كلّ حجاب » الخ .

٢ - المعاني والخصال : عن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرئ ، عن محمد بن إبراهيم الجرجاني ، عن عبد الصمد بن يحيى الواسطي ، عن الحسن بن عليّ المدني ، عن عبد الله بن المبارك ^(٥) ، عن السفينان الثوري ، عن جعفر بن محمد الصادق

(١) مطر (خ) .

(٢) في المخطوطة ، سبعون

(٣) التوحيد ، ٢٠١ .

(٤) الخصال ، ٣٦ - ٣٧ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عباد بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي المالم الزاهد المحدث من تابعي التابعين ، ذكر ترجمته مفصلاً في تاريخ بغداد و الحلية وغيرهما و اتفوا عليه كثيراً ، روى عنه انه قال ، كتبت عن اربعة آلاف شيخ ، فرويت عن ألف ، و روى انه قال لا بى -

عن أبيه ، عن جده [عن] علي بن أبي طالب عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد عليه السلام قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار ، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وكل من قال الله عز وجل في قوله « ووهبنا له إسحاق ويعقوب - إلى قوله - وهديناهم إلى صراط مستقيم ^(١) » وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربعمائة ألف وأربع وعشرين ألف سنة ، وخلق عز وجل معه اثني عشر حجاباً : حجاب القدرة ، وحجاب العظمة وحجاب المنّة ، وحجاب الرحمة ، وحجاب السعادة ، وحجاب الكرامة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الهداية ، وحجاب النبوة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الشفاعة ، ثم حبس نور محمد عليه السلام في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول « سبحان ربي الأعلى » وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول « سبحان عالم السر [وأخفى] » وفي حجاب المنّة عشرة آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو قائم لا يلهو » وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول « سبحان الرفيع الأعلى » وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو دائم لا يسهو » وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو غني لا يفتقر » وفي حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول « سبحان ربي العلي الكريم » وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول « سبحان ذي ^(٢) العرش العظيم » وفي حجاب النبوة أربعة آلاف سنة وهو يقول « سبحان رب العزة عما يصفون » وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول « سبحان ذي الملك

→ جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام ، فدانتك مسترقاً مستعبداً ، فقال : قد قبلت ، واعتقه وكتب له عهداً ، حكى الدميري انه استعار قداماً من الشام فعرض له سفر فسار الى انطاكية وكان قد نسى القلم معه ، فذكره هناك ، فرجع من انطاكية الى الشام ماشياً حتى رد القلم الى صاحبه وعاد . ولد سنة (١١٨) بمرو وتوفي سنة (١٨١) بهيت وهي - بكسر الهاء - مدينة على الفرات فوق الانبار من اعمال العراق .

(١) الانعام : ٨٧ .

(٢) في الحصول ، رب العرش .

والملكوت ، وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول « سبحان الله وبحمده » وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول « سبحان ربّي العظيم وبحمده » ثمّ أظهر عزّ وجلّ اسمه على اللوح فكان على اللوح منوراً أربعة آلاف سنة ، ثمّ أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة ، إلى أن وضعه الله عزّ وجلّ في صلب آدم عليه السلام إلى آخر ما مرّ في المجلد السادس ^(١) .

٣ - تفسير على بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : قال جبرئيل في ليلة المعراج : إنّ بين الله و بين خلقه تسعين ألف حجاب ، و أقرب الخلق إلى الله أنا و إسرافيل و بيننا و بينه أربعة حجب : حجاب من نور ، و حجاب من ظلمة ، و حجاب من الغمام و حجاب من ماء ، (الخبر) ^(٢) .

٤ - المجالس للصدوق : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي - عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن خلف بن حماد ، عن أبي الحسن العبدی ، عن الأعمش ^(٣)

(١) الخصال : ٨١ - ٨٢ المعاني ، ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٢) تفسير على بن ابراهيم ، ٣٧٣ .

(٣) هو ابو محمد سليمان بن مهران الاسدي مولا هم الكوفي معروف بالفضل و الثقة و الجلالة و التشيع و الاستقامة ، و العامة ايضاً يثنون عليه ، مطبقون على فضله و ثقته ، مقرّون بجلالته مع اعترافهم بتشيعه ، و قرّنوه بالزهرى و نقلوا منه نوادر كثيرة ، و صنف « ابن طولون » كتاباً في نوادره سماه « الزهر الانثى في نوادر الاعمش » و ذكر ابن خلكان انه كان ثقة عالماً فاضلاً و كان ابوّه من « دماوند » من رساتيق الري ، و لقي كبار التابعين ، و روى عنه سفيان الثوري و شعبة بن الحجاج و حفص بن غياث و خلق كثير من اجلة العلماء و كان لطيف الخلق مزاحاً . و ذكره الخطيب في تاريخ بغداد و اتنى عليه كثيراً ثم قال : كان محدث اهل الكوفة في زمانه ، يقال انه ظهر له اربعة آلاف حديث و لم يكن له كتاب ، و كان يقره القرآن و رأس فيه ، قرأ على « يعقوب بن وثاب » و كان فصيحا و لم يكن في زمانه من طبقته اكثر حديثاً منه و كان فيه تشيع و روى عن هشيم انه قال : ما رأيت بالكوفة احداً اقرأ لكتاب الله من الاعمش ولا اجد حديثاً ولا افهم ولا اسرع اجابه لما يسأل عنه ، توفي سنة (١٣٨) .

عن عباية بن ربعي^(١) ، عن ابن عباس ، في ذكر خبر المعراج قال : فعبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى إلى الحجب ، والحجب خمسمائة حجاب من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام (الخبر) .

٥ - التوحيد : عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي^(٢) ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر (الخبر)^(٣) .

٦ - المتمجد : في تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : وأسألك بنور اسمك الذي خلقت به نور حجابك النور - إلى قوله عليه السلام - وأسألك باسمك الزكي الطاهر المكتوب في كنه حجبك ، المخزون في علم الغيب عندك على سدة المنتهى ، وأسألك باسمك المكتوب على سرادق السرائر - إلى قوله - باسمك الذي كتبته على حجاب عرشك ، وبكل اسم هولك في اللوح المحفوظ .

٧ - الإقبال : في تعقيبات نوافل شهر رمضان ، روي عن أبي عبد الله عليه السلام : اللهم إنتي أسألك باسمك المكتوب في سرادق المجد ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العزة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السرائر ، السابق الفائق الحسن النضير ، ورب الملائكة الثمانية ورب العرش العظيم^(٢) (الدعاء) .

٨ - الدر المنثور للسيوطي : نقلاً من عدة كتب عن ابن عباس قال بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور^(٣) .

(١) قد مر الحديث بعينه في باب العرش والكرسي تحت الرقم (٣٥) .

(٢) لم يوجد هذا الدعاء في تعقيبات النوافل .

(٣) لم يوجد في المصدر .

٩ - و عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : قال جبرئيل : إن بيني وبين الرب سبعين حجاباً من نار أو نور ، لورأيت أذاها لاحتقرت ^(١) .

١٠ - وعن أبي هريرة أن رجلاً من اليهود أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هل احتجب الله من خلقه بشيء غير السموات ؟ قال : نعم ، بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور ، وسبعون حجاباً من ظلمة ، وسبعون حجاباً من رفاف الاستبرق ، وسبعون حجاباً من رفاف السندس ، وسبعون حجاباً من درّ أبيض ، وسبعون حجاباً من درّ أحمر ، وسبعون حجاباً من درّ أصفر ، وسبعون حجاباً من درّ أخضر ، وسبعون حجاباً من ضياء ، وسبعون حجاباً من ثلج ، وسبعون حجاباً من ماء ، وسبعون حجاباً من برد ، وسبعون حجاباً من عظمتة التي لا توصف . قال : فأخبرني عن ملك الله الذي يليه . فقال النبي ﷺ : إن الملك الذي يليه إسرافيل ، ثم جبرئيل ، ثم ميكائيل ، ثم ملك الموت ^(٢) .

١١ - وعن مجاهد ، قال : بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً ، حجاباً ^(٣) من نور ، وحجاباً ^(٤) من ظلمة .

١٢ - وعن سهل بن سعد ، وعبد الله بن عمرو قالوا : قال رسول الله ﷺ : دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة لا يسمع ^(٥) من نفس [من حس] تلك الحجب إلا زهقت نفسه .

١٣ - شرح النهج للكيدري : عن النبي ﷺ في حديث المعراج قال : فخرجت من سدرة المنتهى حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزة ، ثم إلى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجاباً وأنا على البراق ، وبين كل حجاب وحجاب مسيرة

(١) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٩٣ ، وفيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل ،

هل ترى ديك ؟ قال ، ان بيني ..

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٩٣ .

(٣) حجاب (خ)

(٤) في المخطوطة ، ما يسمع

خمسائة سنة - إلى أن قال - رأيت في عليين بحاراً وأنواراً وحجباً وغيرها لولا تلك لا حترق كل ما تحت العرش من نور العرش . قال : وفي الحديث أن جبرئيل عليه السلام قال : لله دون العرش سبعون حجاباً لودنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا .

فذلك : اعلم أنه قد تظافرت الأخبار العامية والخاصية في وجود الحجب و السراقات وكثرتها ، وفي القاموس : السراق الذي يمد فوق صحن البيت ، و الجمع سرادات ، والبيت من الكرسف ، وبيت مسردق أعلاه وأسفله مشدود كله ^(١) . وفي النهاية : السراق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء ^(٢) (انتهى) و ظاهر أكثر الأخبار أنها تحت العرش و يلوح من بعضها أنها فوقه ، ولا تنافي بينها ، وروي من طرق المخالفين عن النبي ﷺ أن الله تبارك و تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه مادونه . وقال الجزري : فيه أن جبرئيل قال : لله دون العرش سبعون حجاباً لودنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجهه ^(٣) . وفي حديث آخر : حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدر كه بصره . سبحات الله : جلاله وعظمته ، وهي في الأصل جمع « سبحة » و قيل : أضواء وجهه ، وقيل : سبحات الوجه محاسنه ، لأنك إذا رأيت الحسن الوجه قلت سبحان الله ، وقيل : معناه تنزيه له ، أي سبحان وجهه ، وقيل : إن سبحات وجهه كلام معترض بين الفعل والمفعول ، أي لو كشفها لأحرقت كل شيء بصره كما تقول لو دخل الملك البلد لقتل - العياذ بالله - كل من فيه ، و أقرب من هذا كله أن المعنى : لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خر موسى صعقاً ، و تقطع الجبال دكاً لما تجلّى الله سبحانه و تعالى ^(٤) . و قال النووي في شرح صحيح مسلم : سبحات

(١) القاموس ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٢) النهاية ج ٢ ، ص ١٥٧ .

(٣) في المصدر ، وجه ربنا .

(٤) النهاية ج ٢ ، ص ١٣١ .

- بضم السين والباء - أي نوره ، وأراد بالوجه الذات ، و بما انتهى إليه بصره جميع المخلوقات ، لأن بصره محيط بجميعها ، أي لو أزال المانع من رؤية أنواره لأحرق جلاله جميعهم .

والتحقيق أن تلك الأخبار ظهراً وبطناً وكلاهما حق فأما ظهرها فانه سبحانه كما خلق العرش والكرسي مع عدم احتياجه إليهما كذلك خلق عندهما أستاذاً وحجاً وسرادقات ، وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيين ومن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيئته وسعة فيضه ورحمته ولعل اختلاف الأعداد باعتبار أن في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع وفي بعضها الأصناف وفي بعضها الأشخاص أوضم بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات ، أو اكتفي بذكر بعضها في بعض الروايات وأما بطنها فلأن الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته وصفاته أمور كثيرة ، منها ما يرجع إلى نقص المخلوق وقواه ومداركه بسبب الإمكان والافتقار والاحتياج والحدوث وما يتبع ذلك من جهات النقص والعجز ، وهي الحجب الظلمانية . ومنها ما يرجع إلى نوريته وتجردده وتقديسه ووجوب وجوده وكمالهِ وعظمته وجلاله وسائر ما يتبع ذلك وهي الحجب النورانية ، وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال ، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء ، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانية ، والتخلق بالأخلاق الربانية بكثرة العبادات والرياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقة ، فترتفع الحجب بينه وبين ربه سبحانه في الجملة ، فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيناتهم وإراداتهم وشهواتهم ، فيرون بعين اليقين كماله سبحانه ونقصهم ، وبقائه وفناءهم وذلهم ، وغناه وافتقارهم ، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدماً ، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزاً بل يتخلون عن إرادتهم وعلامهم وقدرتهم ، فيتصرف فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه ، فلا يشاؤون إلا أن يشاء الله ، ولا يريدون سوى ما أراد الله ، ويتصرفون في الأشياء بقدره الله ، فيحيون الموتى ، ويردون الشمس ، ويشقون القمر ، كما

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية » والمعنى الذي يمكن فهمه ولا ينافي أصول الدين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى ^(١) . وبعبارة أخرى : الحجب النورانية الموانع التي للعبد عن الوصول إلى قربه و غاية ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرثاء والعجب والسمعة والمرء وأشباهها ، والظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه ، فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه ، وأحرق محبة ماسواه حتى نفسه عن نفسه و سيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الإيمان والكفر إنشاء الله تعالى ، وكل ذلك لا يوجب عدم وجوب الإيمان بظواهرها إلا بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها وأول الإلحاد سلوك التأويل من غير دليل ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١) الطريق الذي سلكه العلامة المؤلف رضوان الله عليه في كلامه هذا أشبه بطرق أهل الذوق وبياناتهم فلا بأس بالإشارة إلى طريق أهل البحث والنظر ليكون النفع أعم والفائدة أتم وافقه المستعان .

العالم المادى عالم الحركة والتكامل ، والنفس أيضاً لتعلقها بالبدن المادى بل اتحادها به محكوم بهذا الحكم فهي لا تزال تسير في منازل السير وتخرج على مدارج الكمال و تقترب إلى الحق المتعال حتى تصل إلى ثغور الامكان والوجود فتمتدّد ينتهى السير و يقف الحركة « وان إلى ربك المفتى » ومنازل السيرهى المراتب المتوسطة بين المادة وبين اشرف مراتب الوجود وهو بوجه ينقسم إلى مادية وغير مادية والاولى هى المراحل التى تقطعها حتى تصل إلى حد التجرد والثانية هى المراتب الكمالية المالية التى فوق ذلك و حيث إن نسبة كل مرتبة عالية بالنسبة إلى ما تحته نسبة العلة إلى المعلوم والمعنى الاسمى إلى الحرفى والمستقل إلى غير المستقل كانت المرتبة المادية مشتملة على كمالات المرتبة الدانية من غير عكس فكلما أخذ قوس الوجود فى النزول ضمعت المراتب وكثرت الحدود المدمية ، وكلما أخذ فى الصمود اشتدت المراتب و قلت الحدود الى ان تصل الى وجود لاحدله أصلاً و وصول النفس إلى كل مرتبة عبارة عن تعلقها بتلك المرتبة ، و بمباراة اخرى بمشاهدة ارتباطها بها بحيث لا ترى لنفسها استقلالاً بالنسبة إليها ، وإن شئت قلت ، بفنائها عن ذاتها و خروجها عماله من الحدود بالنسبة إليها .

و بعد هذه المقدمة نقول : الحدود اللازمة لكل مرتبة المارضة لحقيقة وجود الشيء ←

٦ ﴿ باب ﴾

﴿ سدرۃ المنتهى ومعنى عليين وسجين ﴾

الآيات :

النجم : ولقد رآه نزلة أخرى ﴿ عند سدرۃ المنتهى ﴾ عندها جنة المأوى ﴿

→ الذى فى تلك المرتبة هى التى تجبب ذلك الشئ من الوصول الى المرتبة المآلية وإدراك مالها من الكمال والمظمة فاذا خرج الشئ عن هذه الحدود وخلع تلك القيود أمكنه الترقى الى درجه ما فوقه فىرى عندئذ ذاته متملقه به غير مستقلة عنه و يعرف ماله من البهاء والشرف والكمال والمظمة ، فذلك الحدود هى الحاجبة عن حقيقة الوجود المطلقة عن كل قيد فالنفس الوالهة الى اللذائذ المادية هى المتوغلة فى ظلمات الحدود و غواشى القيود ، و هى اهدم النفوس عن الحق تعالى ، فكلما انخلت من القيود المادية و قطعت تعلقها عن زخارف هذه الدنيا الدنية اقتربت من عالم النور والسرور والبهاء والحيور ، حتى تتجرد تجرداً سامياً فتشاهد نفسها جوهرأ مجردأ عن المادة والصورة وعند ذلك خرجت عن الحجب الظلمانية ، وهى حقيقة الذنوب والمعاصى ، الاخلاق الذميمة ، و رآها حب الدنيا و الاخلاص الى أرض الطيبة ، وقد روى الفريقان عن النبى صلى الله عليه وآله « حب الدنيا رأس كل خطيئة » لكنها بعد محتجبة بالحجب النورانية و هى ألطف وأرق ولذا كان تشخيصها أصعب ، ومعرفتها الى الدقة والحذاقة أحوج ، فرب سالك فى هذه المسالك لما شاهد بعض المراتب الدانية زعم أنه وصل إلى أقصى الكمالات و أرفع الدرجات ، و صار ذلك سبباً لتوقفه فى تلك المرتبة واحتجابه بها ، و نعم ما قيل :

رق الزجاج ورقى الخمر * فتشابهها و تشابه الامر
فكأنها خمير ولا قدح * وكأنها قدح ولا خمير

فمن شمله عناية الحق و ساعده التوفيق فخصه الله بعبادته ، وهيم قلبه لارادته ، و فرغ فؤاده لمحبتة ، وأزال محبة الاغيار عن قلبه ، وأشرق له نوره ، وكشف له سبحات وجهه ، ورفع عنه حجب كبرياته وسرادقات عزه وجلاله ، وتجلى له فى سره ، ثم وفقه للاستقامة فى أمره والتمسك فى مقامه فارتفع عنه كل حجاب ، و تعلق بمزقدس رب الارباب فقد هنا عيشه وطاب حياته ←

إذ يغشى السدرۃ ما يغشى (١) .

المطففين : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِّينٍ ؕ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيّينَ ؕ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيّونَ ؕ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢) .

تفسير : قال الطبرسي - ره - : « ولقد رآه » أي جبرئيل (٣) في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء « نزلة أخرى » وذلك أنه رآه مرتين على صورته عند سدرۃ المنتهى « هي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة ، انتهى إليها علم كل ملك عن الكلي » ومقاتل ، وقيل : إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء وما يهبط من فوقها من أمر الله عن ابن مسعود والضحاك ، وقيل : إليها ينتهي أرواح الشهداء وقيل : إليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء ، وهذه الشجرة حيث تنتهي إليه الملائكة فأضيفت إليه ، وقيل : هي شجرة طوبى عن مقاتل ، والسدرۃ هي شجرة النبق « عندها جنة المأوى » أي جنة المقام وهي جنة الخلد ، وهي في السماء السابعة ، وقيل في السماء السادسة ، وقيل هي الجنة التي كان أوى إليها آدم وتصير إليها أرواح الشهداء عن الجبائي وقناة ، وقيل : هي التي تصير إليها أهل الجنة عن الحسن ، وقيل : هي التي يأوي إليها جبرئيل والملائكة عن عطاء عن ابن عباس « إذ يغشى السدرۃ ما يغشى » قيل : يغشها الملائكة أمثال الغربان حتى يقعن على الشجرة عن الحسن ومقاتل ، وروي أن النبي ﷺ قال : رأيت على كل ورقة من أوراقها ملكاً

→ فطوبى له ثم طوبى له . وقد ظهر مما ذكرنا أن معنى ارتفاع الحجاب مشاهدة عدم استقلال النفس فلا يوجب ارتفاع الحجب كلاً اندام العالم رأساً بل إنما يوجب معاينة ما سوى الله تعالى متعلّقاً به غير مستقل بنفسه فلا يلزم منه محال ولا ينافي شيئاً من أصول الدين والله الهادي والمعين .

(١) النجم : ١٣ - ١٦ .

(٢) المطففين : ٧ - ٢١ .

(٣) في المصدر : أي رأى جبرئيل .

قائماً يسبح الله تعالى ، وقيل : يغشيها من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن ، وقيل : يغشيها فراش من ذهب عن ابن عباس ومجاهد ، وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى أنه رأى جبرئيل على صورته في الحال التي يغشى فيها السدرة من أمر الله ومن المعجائب المنبئة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشيها ، وإنما أبهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه (١) .

« إن كتاب الفجر لفي سجين » يعنى : كتابهم الذي فيه ثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن ، وقيل : معناه أنه كتب في كتابهم أنهم يكونون في سجين ، وهي في الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس ومجاهد وقناة وضحاك وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : سجين أسفل سبع أرضين ، وقال شمر بن عطية : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال : أخبرني عن قول الله تعالى « إن كتاب الفجر لفي سجين » قال : إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين وهو موضع جند إبليس ، والمعنى في الآية أن كتاب عملهم يوضع هناك . وقيل : إن سجين جب في جهنم مفتوح والفلق جب في جهنم مغطى ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وقيل : إن السجين اسم كتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفار بمعنى أوجبه عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمى سجيناً ، ويكون لفظه من السجن الذي هو الشدة عن أبي مسلم (٢) .

وقال : « لفي عليّين » أي مراتب عالية مخوفة بالجلالة ، وقيل : في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين ، وقيل : في سدرة المنتهى التي إليها ينتهي كل شيء من أمر الله تعالى ، وقيل : عليّون الجنة عن ابن عباس ، وقال الفرّاء : في ارتفاع

(١) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٧٥ .

(٢) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٥٢ .

بعد ارتفاع لا غاية له ، و قيل : هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية أخرى ، و عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال في عليّين : في السماء السابعة تحت العرش . و قال ابن عمر : إن أهل عليّين لينظرون إلى أهل الجنة من كذا ، فإذا أشرف رجل منهم أشرقت الجنة وقالوا : قد اطلع رجل من أهل عليّين (١) .

١ - العلل : عن محمد بن موسى ، عن عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أحمد ابن محمد ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن حبيب السجستاني ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنما سميت سدرۃ المنتهى لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرۃ ، قال : و الحفظة الكرام البررة دون السدرۃ يكتبون ما يرفعه إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض فينتهى (٢) بها إلى محل السدرۃ (٣) .

المحاسن : عن ابن محبوب مثله (٤) .

٢ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ لما أُسري بي إلى السماء انتهيت إلى محل سدرۃ المنتهى ، و إذا الورقة منها تظل أمة من الأمم ، فكنت من ربّي كقاب (٥) قوسين أو أدنى (الخبر) (٦) .

٣ - ومنه : قال : سدرۃ المنتهى في السماء السابعة ، وجنة المأوى عندها (٧) .

٤ - ومنه : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : السجّين الأرض

(١) مجمع البيان ج ١٠ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٢) في المحاسن : وينتهون .

(٣) الملل ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٤) المحاسن ، ٣٣٣ .

(٥) في المصدر ، فكنت منها كما قال الله «كقاب قوسين أو أدنى» .

(٦) تفسير علي بن ابراهيم : ٣٧٣ .

(٧) المصدر ص ٦٥٢ .

السابعة ، وعلينون السماء السابعة ^(١) .

بيان : قال في النهاية : فيه « إن أهل الجنة ليتراوون أهل عليين كما ترون الكوكب الدرّي في أفق السماء » عليون اسم للسماء السابعة ، وقيل : هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد ، وقيل : أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى في الدار الآخرة ، ويعرب بالحروف والحركات كقنسرين وأشباها على أنها جمع أو واحد ^(٢) وقال : سدرة المنتهى شجرة في أقصى الجنة إليها ينتهي علم الأولين والآخرين ولا يمتدّها ^(٣) .

٥ - الدر المنثور : عن ابن عباس ، سأل كعب الأحمري عن قوله « كلاً إن » كتاب الفجر لفي سجين ، قال : إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فيهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فيدخل بها تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو ^(٤) موضع جند ^(٥) إبليس ، فيخرج لها من تحت جند ^(٦) إبليس رق لهلاكه للحساب ، فذلك قوله « وما أدريك ما سجين » كتاب مرقوم ، وقوله « كلاً إن » كتاب الأبرار لفي عليين ، قال : إن روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء فتفتح [لها] أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهي بها إلى العرش ، وتخرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب ^(٧) يوم الدين ، وتشهد الملائكة المقرّبون ، فذلك قوله « وما أدريك ما عليون » كتاب مرقوم ^(٨) .

(١) المصدر ص ٧١٦ .

(٢) النهاية : ج ٣ ، ص ١٢٥ .

(٣) النهاية : ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٤) وهو خد إبليس (خ) .

(٥) الخد : الطريق والجماعة والحفرة المستطيلة في الأرض كالخدة بالضم (القاموس) .

(٦) في المصدر ، فيخرج لها من تحت خد إبليس كتاباً فيختم ويوضع تحت خد إبليس

لهلاكه .

(٧) في المصدر ، للحساب يوم القيامة .

(٨) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٢ .

٦ - وعن سعيد بن المسيّب قال : التقى سلمان و عبدالله بن سلام فقال أحدهما لصاحبه : إن متّ قبلي فالقني فأخبرني ما صنع بك ربك ، وإن أنامتُ قبلك لقيتك فأخبرتكَ . فقال عبدالله بن سلام : كيف هذا^(١) ؟ أو يكون هذا ؟ قال : نعم ، إنّ أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت ، ونفس الكافر في سجين^(٢) .

٧ - وعن قتادة « كلاً إنّ كتاب الأبرار نفي عليّين » قال : عليّون فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى « كتاب مرقوم » قال : رقم لهم بخير « يشهده المقرّون » قال : المقرّون من ملائكة الله^(٣) .

و عن الضحّاك قال : إذا قبض روح^(٤) المؤمن عرج به إلى السماء الدنيا فينطلق معه المقرّون إلى السماء الثانية قال الأجلح : فقلت : وما المقرّون ؟ قال : أقربهم إلى السماء الثانية ، ثمّ الثالثة ، ثمّ الرابعة ، ثمّ الخامسة ، ثمّ السادسة ثمّ السابعة ، حتّى ينتهى به إلى سدرۃ المنتهى . قال الأجلح : فقلت ، للضحّاك : ولم تسمّى سدرۃ المنتهى ؟ قال : لأنّه ينتهى إليه كلّ شيء من أمر الله لا يعدوها فيقولون : ربّ عبدك فلان - وهو أعلم به منهم - فيبعث إليهم بصكّ مختوم بأمنه^(٥) من العذاب ، و ذلك قوله « كلاً إنّ كتاب الأبرار نفي عليّين وما أدريك ما عليّون كتاب مرقوم يشهده المقرّون »^(٦) .

و عن ابن عبّاس ، سأل كعباً عن قوله تعالى « كلاً إنّ كتاب الأبرار نفي عليّين » الآية قال : إنّ المؤمن يحضره الموت ويحضره رسل ربّه فلاهم يستطيعون أن يؤخّروه ساعة ، ولا يعجلوه حتّى تجي ساعته ، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه

(١) فى المصدر ، كيف يكون هذا ؟

(٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٢٥ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

(٤) فى المصدر ، روح العبد المؤمن .

(٥) فى المصدر ، يأمنه .

(٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

فدفعوه إلى ملائكة الرحمة ، فأروه ما شاء الله أن يروه من الخير ، ثم عرجوا بروحه إلى السماء فيشيئعه من كل سماء مقرّ بوها حتّى ينتهوا به إلى السماء السابعة فيضعونه بين أيديهم لا ينتظرون به صلاتكم عليه ، فيقولون : اللهم هذا عبدك فلان قبضنا نفسه - فيدعون له بما شاء الله أن يدعو - فنحن نحبّ أن تشهدنا اليوم كتابه . فينشر كتابه من تحت العرش ، فيثبتون اسمه فيه وهم شهود ، فذلك قوله « كتاب مرقوم يشهده المقرّ بون » و سأله عن قوله « إن كتاب الفجار لنفي سبّحين » الآية قال : إن العبد الكافر يحضره الموت و يحضره رسل الله ، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه إلى ملائكة العذاب ، فأروه ما شاء الله أن يروه من الشرّ ، ثم هبطوا به إلى الأرض السفلى و هي سجّين ، و هي آخر سلطان إبليس ، فأثبتوا كتابه فيها ^(١) .

١٠ - و عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت رجلاً من حمير كان ^(٢) علامة يقرأ الكتب فقلت له : الأرض التي نحن عليها ما مكانها ^(٣) ؟ قال : هي على صخرة خضراء تلك الصخرة على كف ملك ، ذلك الملك قائم على ظهر حوت ^(٤) . قلت : الأرض الثانية من سكّانها ؟ قال : ساكنها الريح العقيم ، لما أراد الله أن يهلك عاداً أوحى إلى خزنتها أن افتحوا عليهم منها باباً ، قالوا : يا ربنا مثل منخر الثور ؟ قال : إذا تكفّأ ^(٥) الأرض و من عليها ، فضيّق ذلك حتّى جعل مثل حلقة الخاتم ، فبلغت ما حدث الله . قلت : الأرض الثالثة من سكّانها ^(٦) ؟ قال : فيها حجارة جهنّم . قلت : الأرض الرابعة من سكّانها ؟ قال : فيها كبريت جهنّم ، قلت : الأرض الخامسة من

(١) البر المنفور ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ .

(٢) في المصدر ، كأنه .

(٣) > « ساكنها » و الظاهر انه تصحيف .

(٤) > حوت منطو بالسموات والأرض من تحت العرش .

(٥) > تكفّأ .

(٦) > « ساكنها » و كذا في المواضع الآتية .

سكّانها ؟ قال : فيها عقارب جهنّم ، قلت : الأرض السادسة من سكّانها ؟ قال : فيها حيّات جهنّم ، قلت : الأرض السابعة من سكّانها ؟ قال : تلك سجنّ ، فيها إبليس موثوق ^(١) يد أمامه و يد خلفه و رجل أمامه و رجل خلفه ، كان يؤذي الملائكة فاستعدت عليه فسجن هنالك ، و له زمان يرسل فيه ، فإذا أرسل لم تكن فتنة الناس بأعبي عليهم من شيء ^(٢) .

٧

﴿ باب ﴾

﴿ البيت المعمور ﴾

الآيات :

الطور : و البيت المعمور ^(٣) .

تفسير : قال الطبرسي : البيت المعمور هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمّره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد ، و روي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : و يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً ، و عن الزّهرّي عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : البيت المعمور في السماء الدنيا ، وفي السماء الرابعة نهر يقال له « الحيوان » يدخل فيه جبرئيل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّوا فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبداً ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : البيت الذي في السماء ^(٤) يقال له « الضراح » وهو بقناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه ، يدخله

(١) في المصدر ، وثق .

(٢) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٧ .

(٣) الطور ، ٣ .

(٤) في المصدر ، في السماء الدنيا .

كلّ يوم ألف ملك لا يعودون إليه أبداً . وقيل : البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحجّ والعمرة عن الحسن ، وهو أوّل مسجد وضع للعبادة في الأرض (١) .

١ - محاسبة النفس للسيد عليّ بن طاوس - ره - نقلا من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلوديّ بإسناده قال : سأل ابن الكوّاء (٢) أمير المؤمنين عليه السلام عن البيت المعمور والسقف المرفوع ، قال عليه السلام : ويك ذلك الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيمة ، فيه كتاب أهل الجنّة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنّة ، وفيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود ، فإذا كان مقدار العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما مامل الرجل ، فذلك قوله تعالى « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » إنّنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون (٣) .

بيان : « فيسمعون » أي الملائكة الذين عن يمين الباب و يساره « منهما » أي من الملكين الكاتبين « هذا كتابنا » قال الطبرسي - ره - : يعني ديوان الحفظة

(١) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٦٣ .

(٢) هو عبداؤه بن الكواء كان من رؤوس الخوارج و له اخبار كثيرة مع على عليه السلام و كان يلزمه و يعييه في الاسئلة ، قال ابن حجر في لسان الميران (ج ٣ ص ٣٢٩) : قد رجع عن مذهب الخوارج و عاود صحبه على عليه السلام و ذكر يعقوب بن شيبه ان اهل الشام لما رفعوا المصاحف يوم صفين و اتفقوا على التحكيم غضبت الخوارج و قالت « لا حكم إلا لله » قال فأخبرني خلف بن سالم عن وهب بن جريّر قال ، خرجوا مع ابن الكواء و هو رجل من « بنى يشكر » فنزلوا « حروراء » فبعث إليهم ابن عباس و صمصمة بن صوحان فقال لهم صمصمة ، انما يكون القضية من قابل فكونوا على ما انتم حتى تنظروا القضية كيف تكون قالوا انا نخاف ان يحدث ابو موسى شيئا يكون كفرا . قال فلا تكفروا العام مخافة عام قابل . فلما قام صمصمة قال لهم ابن الكواء ، أي قوم ! الستم تملعون أنى دعوتكم إلى هذا الامر ؟ قالوا : بلى ، قال : فان هذا ناصح فاطيعوه (انتهى) .

(٣) الجافية ، ٢٨ .

« ينطق عليكم بالحق » أي يشهد عليكم بالحق ، و المعني : يبينه بياناً شافياً حتى كأنه ناطق « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » أي نستكتب الحفظه ما كنتم تعملون في دار الدنيا ، و الاستنساخ : الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب ، و قيل : المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من خير و شر ، و على هذا فيكون معني « نستنسخ » أن الحفظه تستنسخ الخزنة ما هو مدون عندها من أعمال العباد و هو قول ابن عباس (١) .

٢ - العلل : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن أحمد بن عاذ ، عن أبي خديجة (٢) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : لم سمّي البيت العتيق ؟ قال : إن الله عز وجل أنزل الحجر الأسود لآدم من الجنة و كان البيت درة بيضاء ، فرفعه الله إلى السماء و بقي أسفه ، فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً ، فأمر الله إبراهيم و إسماعيل ببنيان (١) البيت على القواعد ، و إنما سمّي البيت العتيق لأنه أعتق من الفرق (٢) .

٣ - تفسير علي بن ابراهيم : « والبيت المعمور » قال : هوفي السماء الرابعة

(١) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٨٠ .

(٢) هو أبو سلمة سالم بن مكرم بن عبدالله مولى بنى اسد كان من أصحاب ابي عبدالله عليه السلام وثقه النجاشي (١٤٣) و ذكر في الخلاصة ان الشيخ وثقه في أحد قوليه و ضعفه في الاخر ثم قال : الوجه التوقف في ما يرويه لتعارض الاقوال فيه . و ذكر الكشي انه كان اولاً من اصحاب ابي الخطاب و كان في المسجد يوم بمث « عيسى بن موسى بن علي » - و كان عامل المنصور على الكوفة - إلى ابي الخطاب لما بلغه أنهم قد اظهروا الاباحات و دعوا الناس إلى نبوة ابن الخطاب ، و أنهم يجتمعون في المسجد و ازموا الاساطين يرون الناس انهم لزموها للمباداة و بمث إليهم فقتلهم جميعاً لم يفلت منهم إلا رجل واحد فسقط بين القتلى فلما جنه الليل خرج من بينهم فتخلص و كان هو ابا خديجة . ثم ذكر انه تاب و كان ممن يروي الحديث .

(١) في بعض النسخ ببنيان و كذا في المصدر .

(٢) الملل : ج ٢ ، ص ٨٥ .

وهو « الضراح » يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً^(١) .
 ٤ - العلل : عن علي بن حاتم ، عن القاسم بن محمد ، عن حمدان بن الحسين
 عن الحسين بن الوليد ، عن أبي بكر ، عن حنان بن سدير ، عن أبي حمزة الثمالي
 عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قلت [له] : لم صار الطواف سبعة أشواط ؟ قال :
 لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة « إنني جاعل في الأرض خليفة » فردوا على
 الله تبارك وتعالى وقالوا « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » قال الله « إنني
 أعلم ما لا تعلمون » وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام
 فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة ، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي
 في السماء الرابعة فجعله مثابة وأمناً ، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور
 فجعله مثابة للناس وأمناً ، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد ، لكل ألف
 سنة شوطاً واحداً^(٢) .

٥ - العلل : في علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام : علّة الطواف بالبيت أن الله
 تبارك وتعالى قال للملائكة « إنني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من
 يفسد فيها ويسفك الدماء » فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب ، فعلموا
 أنهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا ، فأحبّ الله عز وجل أن يتعبد بمثل
 ذلك العباد ، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى « الضراح » ثم وضع
 في السماء الدنيا بيتاً يسمّى [البيت] المعمور بحذاء الضراح ، ثم وضع البيت بحذاء
 البيت المعمور ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه فجرى ذلك في ولده إلى يوم
 القيامة^(٣) .

٦ - الكفعمي والبرسي : بإسناديهما عن موسى بن جعفر عن آبائه عن
 أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال جبرئيل : والذي بعثك بالحق نبياً

(١) تفسير القمي ، ٣٢٩ .

(٢) العلل ، ٢ ج ، ص ٩٢ .

(٣) علل الشرائع ، ٢ ج ، ٩١ .

إنَّ اللهَ تعالى بنى في السماء الرابعة بيتاً يقال له « البيت المعمور » يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك و يخرجون منه ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة (الخبر) .

٧ - الدر المنثور : قال : أخرج الأزرقي عن علي بن الحسين عليهما السلام أن رجلاً سأله : ما بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان و حيث كان ؟ فقال : أمّا بدء هذا الطواف بهذا البيت فإنَّ الله قال للملائكة : إنِّي جاعل في الأرض خليفة ، فقالت الملائكة : أي رب ، أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها و يفسك الدماء و يتحاسدون و يتباغضون و يتباغون ؟ أي رب اجعل ذلك الخليفة منّا ، فنحن لا نفسد فيها ولا نفسك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ، و نحن نسبح بحمدك و نقدر لك و نطيعك ولا نعصيك . قال الله تعالى : إنِّي أعلم ما لا تعلمون . قال : فظننت الملائكة أن ما قالوا رد على ربهم عز وجل ، و أنه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ^(١) ثلاث ساعات ، فظنر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم ، فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من زبرجد ، و غشاهن بياقوتة حمراء ، و سمى البيت « الضراح » ثم قال الله للملائكة : طوفوا بهذا البيت و دعوا العرش فطافت الملائكة بالبيت و تركوا العرش فصار أهون عليهم و هو البيت المعمور الذي ذكره الله ، يدخله كل يوم ليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً ، ثم إنَّ الله تعالى بعث ملائكته ^(٢) فقال : ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله و قدره ، فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور ^(٣) .

٨ - و عن مقاتل يرفع الحديث إلى النبي ﷺ أن آدم قال [أي رب]

(١) في المصدر ، فلاذوا بالعرش ورفدوا رؤوسهم و أشاروا بالاصابع يتصرعون و يبكون

إشفاقاً لفضبه ، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات .

(٢) ملائكته (خ) .

(٣) الدر المنثور ج ١ ، ص ١٢٨ .

أعرف شقوتي ! لا أرى شيئاً من نورك نعبد^(١) فأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ^(٢) على عرض البيت و موضعه من ياقوت الجنة و لكن طوله بين السماء و الأرض و أمره أن يطوف به ، فأذهب عنهم الهمّ الَّذِي كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ، ثمّ رفع على عهد نوح عليه السلام^(٣) .

٩ - و عن ابن عباس : قال : قال رسول الله ﷺ : البيت المعمور الَّذِي فِي السَّمَاءِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ^(٤) فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِذَاءُ الْكَعْبَةِ الْحَرَامِ^(٥) .
و عن أنس مثله^(٦) .

١٠ - و عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ « الْمَعْمُور » بِحِثَالِ الْكَعْبَةِ ، وَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ نَهْرٌ يُقَالُ لَهُ « الْحَيَّوَان » يَدْخُلُهُ جِبْرِئِيلُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَنْفِثُ فِيهِ نَفْسَ الْوَسْوَاسِ ثُمَّ يُخْرِجُ فَيَنْتَفِضُ اتِّفَاضَةً يَجْرِي مِنْهُ سَبْعُونَ أَلْفَ قَطْرَةٍ يَخْلُقُ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا يُؤْمَرُونَ أَنْ يَأْتُوا الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فَيَصَلُّونَ فَيَفْعَلُونَ ثُمَّ يُخْرَجُونَ فَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَ يُؤَلَّى عَلَيْهِمْ أَحَدُهُمْ يُؤْمَرُ أَنْ يَقِفَ بِهِمْ فِي السَّمَاءِ مَوْقِفًا يَسْبِّحُونَ اللهُ فِيهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ^(٧) .

١١ - و عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ « الضَّرَاح » عَلَى مِثْلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ لَوْ سَقَطَ سَقَطَ عَلَيْهِ ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَمْ يَرَوْهُ^(٨) قَطُّ ، وَإِنْ لَهُ فِي السَّمَاءِ حَرَمَةٌ عَلَى قَدَرِ حَرَمَةِ مَكَّةَ^(٩) .

(١) فِي الْمَصْدَرِ : نَعْبُدُ .

(٢) الْبَيْتُ الْحَرَامُ الَّذِي عَلَى عَرَصِ الْبَيْتِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ .

(٣) الدِّرَ الْمَنْثُورُ ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٤) فِي الْمَصْدَرِ : لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ .

(٥) الدِّرَ الْمَنْثُورُ : ج ٦ ، ص ١١٧ . وَ لَيْسَ فِيهِ « حِذَاءُ الْكَعْبَةِ الْحَرَامِ » .

(٦) الدِّرَ الْمَنْثُورُ ، ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٧) الدِّرَ الْمَنْثُورُ : ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٨) فِي الْمَصْدَرِ : لَمْ يَرَوْهُ .

(٩) الدِّرَ الْمَنْثُورُ ، ج ٦ ، ص ١١٧ .

- ١٢ - وعن خالد بن مرتة^(١) أن رجلاً قال لعلي^{عليه السلام} : ما البيت المعمور؟ قال : بيت في السماء يقال له « الضراح » و هو بجبال الكعبة^(٢) حرمة في السماء كحرمة البيت في الارض ، يصلّي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً^(٣) .
- ١٣ - وعن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً^{عليه السلام} عن البيت المعمور ما هو؟ قال : ذاك الضراح بيت فوق سبع سماوات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة^(٤) .
- ١٤ - و عن ابن عباس ، قال : هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلّي فيه كل ليلة سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه^(٥) .
- ١٥ - و عن الضحاك قال : أنزل من الجنة و كان يعمر بمكة ، فلمّا كان الفرق رفعه الله فهو في السماء السادسة ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك^(٦) .
- بيان : مقتضى الجمع بين الأخبار مع صحة جميعها القول بتحقيق البيت في جميع تلك المواضع و سيأتي كثير من الأخبار المتعلقة بالباب في باب الملائكة .

٨

﴿ باب ﴾

﴿ السماوات و كيفياتها و عددها ، و النجوم و أعدادها ﴾

﴿ و صفاتها و المجرة ﴾

الآيات :

الانعام : و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون^(٧) .

(١) في المصدر ، خالد بن عرعة .

(٢) الكعبة من فوقها .

(٣-٥) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٦) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٧) الانعام : ٩٧ .

الاعراف : إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ (١) .

الرعد : اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) .

الحجر : وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مِنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (٣) .

النحل : خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) .
وَقَالَ : وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (٥) .

طه : تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٦) .

الانبياء : وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ (٧) .

وَقَالَ تَعَالَى : يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (٨) .

الحج : وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَازْنَةً (٩) .

المؤمنون : وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٠) .

(١) الاعراف ، ٢٠ .

(٢) الرعد : ٢ .

(٣) الحجر ، ١٦ - ١٨ .

(٤) النحل : ٢ .

(٥) النحل ، ١٦ .

(٦) طه ، ٢ .

(٧) الانبياء ، ٢٢ .

(٨) د ، ١٠٣ .

(٩) الحج ، ٦٣ .

(١٠) المؤمنون ، ١٦ .

و قال تعالى : قل من ربّ السماوات السبع و ربّ العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون (١) .

الفرقان : تبارك الذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً (٢) .

العنكبوت : خلق الله السماوات والأرض بالحق إنّ في ذلك لآية للمؤمنين (٣) .

الروم : و من آياته أن تقوم السماء و الأرض بأمره (٤) .

لقمان : خلق السماوات بغير عمد ترونها (٥) .

الصافات : و ربّ المشارق إنّما زيننا السماء الدنيا بزينه الكواكب و حفظاً من كلّ شيطان ما رد - إلى قوله تعالى - فاتبعه شهاب ثاقب (٦) .

المؤمن : الله الذي جعل لكم الأرض قراراً و السماء بناء (٧) .

السجدة : ثمّ استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضيهن سبع سماوات في يومين و أوحى في كلّ سماء أمرها و زيننا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (٨) .

ق : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زينناها و مالها من فروع (٩) .
الذاريات : و السماء ذات الجبك (١٠) . و قال تعالى : وفي السماء رزقكم و

(١) المؤمنون ، ٨٦ .

(٢) الفرقان ، ٦١ .

(٣) العنكبوت ، ٢٢ .

(٤) الروم ، ٢٥ .

(٥) لقمان ، ١٠ .

(٦) الصافات ، ٦ - ١٠ .

(٧) المؤمن ، ٦٢ .

(٨) فصلت ، ١١ و ١٢ .

(٩) ق ، ٦٠ .

(١٠) الذاريات ، ٧ .

- ما توعدون ^(١) و قال : و السماء بنياناً ما بأيدينا لموسعون ^(٢) .
- الطور : و السقف المرفوع ^(٣) . و قال تعالى : يوم تمور السماء موراً ^(٤) .
- النجم : و النجم إذا هوى ^(٥) . و قال تعالى : و أنه هو ربّ الشعري ^(٦) .
- القمر : اقتربت الساعة و انشقّ القمر ^(٧) .
- الرحمن : الشمس و القمر بحسبان و النجم و الشجر يسجدان و السماء رفعها ^(٨)
- و قال : فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ^(٩) .
- الواقعة : فلا أقسم بمواقع النجوم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم ^(١٠) .
- الملك : الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
- فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً
- و هو حسير و لقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوماً للشياطين و أعتدنا
- لهم عذاب السعير ^(١١) .
- الحاقة : و انشقت السماء فهي يومئذ واهية ^(١٢) .
- المعارج : يوم تكون السماء كالمهل ^(١٣) .

(١) الذاريات ٢٢ .

(٢) د ٣٨٠ .

(٣) الطور ٥ .

(٤) الطور ٩ .

(٥) النجم ١٠ .

(٦) د ٣٩٠ .

(٧) القمر : ١ .

(٨) الرحمن : ٥ - ٧ .

(٩) د ٣٧ .

(١٠) الواقعة : ٧٦ .

(١١) الملك ٣٠ - ٥٠ .

(١٢) الحاقة : ١٦ .

(١٣) المعارج : ٨ .

نوح : ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً ^(١) .

الجن : و إنما لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً و شهباً و إنما كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ^(٢) .

المرسلات : فإذا النجوم طمست و إذا السماء فرجت ^(٣) .

النبأ : و بنينا فوقكم سماعاً شداداً و جعلنا سراجاً وهاجاً ^(٤) .

التكوير : و إذا السماء كشطت - إلى قوله تعالى - فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ^(٥) .

الانفطار : إذا السماء انفطرت و إذا الكواكب انتثرت ^(٦) .

الانشقاق : إذا السماء انشقت و أذنت لربها و حقّت ^(٧) .

البروج : و السماء ذات البروج ^(٨) .

الطارق : و السماء و الطارق و ما أدريك ما الطارق النّجم الثاقب - إلى قوله تعالى - و السماء ذات الرجّع ^(٩) .

الغاشية : و إلى السماء كيف رفعت ^(١٠) .

الشمس : و السماء و ما بنيتها ^(١١) .

(١) نوح ، ١٥ و ١٦ .

(٢) الجن : ٨ و ٩ .

(٣) المرسلات ، ٨ .

(٤) النبأ : ١٢ و ١٣ .

(٥) التكوير ، ١١ - ١٦ .

(٦) الانفطار ، ١ و ٢ .

(٧) الانشقاق : ١ و ٢ .

(٨) البروج ، ١ .

(٩) الطارق ، ١ - ١١ .

(١٠) الغاشية : ١٨ .

(١١) الشمس ، ٥ .

تفسير : « جعل لكم النجوم » أي خلقها لمنافعكم « لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر » قيل : أي في ظلمات الليل في البر والبحر ، وإضافتها إليهما للملاسة أو في مشتبهات الطرق سماها ظلمات على الاستعارة ، وهو أفراد لبعض منافعها بالذكر بعد أن أجملها بقوله « لكم » وأولت النجوم في الأخبار بالائمة الأخيار عليهم السلام فإنهم الهداة في ظلمات الفتن والشبهات ولا ينافي الظاهر . « قد فصلنا الآيات » بيئناها فصلاً فصلاً « لقوم يعلمون » فإنهم المنتفعون به .

« لا تفتح لهم أبواب السماء » أي لا دعيتهم وأعمالهم ، أولاً راحهم كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم ، ويدل على أن للسماء أبواباً ، وربما يحمل على المجاز . « بغير عمد ترونها » قال الرازي : في قوله « ترونها » أقوال : الاول أنه كلام مستأنف والمعنى : رفع السماوات بغير عمد ، ثم قال ترونها أي وأنتم ترونها أنها مرفوعة بلا عمد الثاني قال الحسن : في الآية ^(١) تقديم وتأخير ، تقديره : رفع السماوات ترونها بغير عمد . الثالث أن قوله « ترونها » صفة للعمد ، والمعنى : بغير عمد مرئية أي للسماوات عمد ولكننا لانراها ، قالوا : ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكنكم لا ترونه ، وهذا التأويل في غاية السقوط لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الإله القادر ولو كان المراد ما ذكره ما تمت ^(٢) الحجة ، لأنه يقال : إن السماوات لما كانت مستقرة على جبل ^(٣) فأى دلالة [تبقى] فيها على وجود الإله ؟

وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكل ، وهو أن العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله فحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فصح أن يقال رفع السماوات بغير عمد ترونها أي

(١) في المصدر ، في تقدير الآية .

(٢) في المصدر ، لما ثبتت الحجة .

(٣) في المصدر ، على جبل قاف .

لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمدهي إمساك^(١) الله تعالى و حفظه و تدبيره و إبقاؤه إياها في الجو العالي و أنتم لا^(٢) ترون ذلك التدبير ولا تعرفون كيفية ذلك الإمساك^(٣) (انتهى) .

و أقول : هذا الوجه الأخير الذي يتجسّح به و نسبه إلى نفسه أورده شيخنا الطبرسي - ره - في مجمع البيان راوياً عن ابن عباس و مجاهد .
وسخر الشمس والقمر ، فيه أنواع من الدلالة على وجود الإله الحق و حكمته و قدرته ، إذ أصل تلك الحركات السريعة واستمرارها و كونها على أقدار مخصوصة و كون بعضها مشرقية و بعضها مغربية و بعضها مائلة إلى الشمال و بعضها مائلة إلى الجنوب مما يدلّ دلالة قطعية على وجود قادر قاهر كامل في العلم و الحكمة و اللطف و الرحمة . « كلّ يجري لأجل مسمى » قال الرازي : فيه قولان : الاول قال ابن عباس : للشمس مائة و ثمانون منزلاً كلّ يوم لها منزل و ذلك في^(٤) ستة أشهر ، ثمّ إنّها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى و كذلك القمر له ثمانية و عشرون منزلاً ، فالمراد بقوله « كلّ يجري لأجل مسمى » هذا ، و تحقيقه أنّه تعالى قدر لكلّ واحد من هذه الكواكب سيراً خاصاً إلى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة و البطء ، ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون لها بحسب كلّ لحظة و لمحة حال أخرى ما كانت حاصلة قبل ذلك . و الثاني المراد كونهما متحرّكين إلى يوم القيامة ، وعند مجيئيه ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات كقوله^(٥) تعالى « إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا السماء انشقت و إذا السماء انفطرت ، و جمع الشمس و القمر »^(٦) .

(١) في المصدر ، قدرة الله تعالى .

(٢) في المصدر ، و انهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٢٦٠ .

(٤) في المصدر : و ذلك يتم في .

(٥) في المصدر ، كما وصف الله تعالى ذلك في قوله .

(٦) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٢٦١ .

« يدبر الأمر » قال البيضاوي : أي أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك « يفصل الآيات » ينزلها و يبينها مفصلة ، أو يحدث الدلائل بواحد ^(١) بعد واحد « لعلكم تلقوا ربكم توفقون » لكي تتفكروا فيها و تتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء وتديرها فدر على الإعادة و الجزء ^(٢) .

قوله تعالى « ولو فتحنا عليهم باباً » ظاهره جواز الخرق على الأفلاك و إن أمكن أن يكون من قبيل التعليق على المحال « وقد جعلنا في السماء بروجا » أكثر المفسرين حملوه على البروج الإثني عشر المعروفة ، و قيل هي الكواكب . قال الطبرسي - ره - : أي منازل للشمس والقمر و زيتها للناظرين « بالكواكب النيرة » عن أبي عبد الله عليه السلام و قيل : البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقتادة « و حفظناها » أي السماء « من كل شيطان رجيم » أي مرجوم مرمي بالشهاب ، و قيل : ملعون مشؤم ، و حفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما أعد له من الشهاب « لإلّا من استرق السمع » المراد بالسمع المسموع ، و المعنى : إلّا من حاول أخذ مسموع من السماء في خفية « فأتبعه » أي لحقه « شهاب مبین » أي شعلة نار ظاهر لأهل الأرض بين لمن رآه و نحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم ، و الشهاب عمود من نور يضيئ ضياء النار لشدة ضيائه ، و روى عن ابن عباس أنه [قال :] كان في الجاهلية كهنة و مع كل واحد شيطان ، فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع ، فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل و يخبر به الكاهن ، فيقشيه الكاهن إلى الناس ، فلما بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات ، ولما بعث محمد عليه السلام منعوا من السماوات كلها و حرست السماء بالنجوم ، و الشهاب ^(٣) من معجزات نبينا عليه السلام لأنه لم ير

(١) في المصدر ، واحداً بعد واحد .

(٢) أنوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٦١٤ .

(٣) في المصدر ، فالشهاب .

قبل زمانه . و قيل : إن الشهاب يقتل الشياطين ، و قيل : لا يقتلهم ^(١) .
 « خلق السماوات و الأرض بالحق » أي لأمر حق هو العبادة و المعرفة ، أو
 على مقدار و شكل و أوضاع و صفات مختلفة قدرها و خصصها بحكمته « تعالى عما
 يشركون » منها أو مما يفتر في وجوده أو بقائه إليها و مما لا يقدر على خلقها .
 « وعلامات » عطف على قوله « رواسي » في قوله « و ألقى في الأرض رواسي » أي ألقى
 في الأرض و جعل فيها معالم تستدل به السابلة من جبل و منهل و ريح و نحو ذلك
 « و بالنجم هم يهتدون » بالليل في البراري و البحار ، و المراد بالنجم الجنس ، و
 قيل : الثريا و الفرقدان و بنات النعش و الجدي ، قيل : و لعل الضمير لقريش
 لأنهم كانوا كثير الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم ، و في
 كثير من الروايات أن « العلامات الأئمة عليهم السلام و النجم رسول الله ﷺ و ضميرهم »
 راجع إلى العلامات باعتبار المعنى . و العلى جمع العليا تأنيث الأعلی ، أي السماوات
 الرفيعة العالية .

« و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً » أي عن الوقوع بقدرته ، أو عن الفساد و
 الانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته ، أو عن استراق السمع بالشهب و هم عن
 آياتها ، أي أحوالها الدالة على وجود الصانع و وحدته و كمال قدرته و تناهي
 حكمته « معرضون » غير متفكرين .

« يوم نطوي السماء » قال الطبرسي - ره - : المراد بالطي هنا هو الطي
 المعروف ، فإن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته ، و قيل : إن طي السماء ذهابها
 عن الحسن « كطي السجل » للسجل [السجل] صحيفة فيها الكتب ، و قيل : ملك
 يكتب أعمال العباد ، و قيل : اسم كاتب كان للنبي ﷺ انتهى ^(٢) .

و أقول : تدل الآية على حدوث السماوات و إمكان خرقها و زوالها و تغير
 أحوالها رداً على الحكماء المنكرين لجمع ذلك .

(١) مجمع البيان ج ٦ ، ص ٣٣١ .

(٢) مجمع البيان ج ٧ ، ص ٦٦ .

« أن تقع على الأرض » قال البيضاوي : من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك « إلا باذنه » أي إلا بمشيئته ، وذلك يوم القيامة ، وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسميّة فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ^(١) (انتهى) .

« سبع طرائق » قال الرازي : أي سبع سماوات ، وإنما قيل طرائق لتطارقها بمعنى كون بعضها فوق بعض ، يقال طارق الرجل نعليه إذا طبق ^(٢) نعلًا على نعل وطارق بين ثوبين إذا لبس ثوبًا على ^(٣) ثوب ، هذا قول الخليل و الزجاج ^(٤) و قال الزجاج : هو قوله « سبع سماوات طباقًا » وقال علي بن عيسى سميت بذلك لأنها طرائق الملائكة في العروج والهبوط و الطيران ، وقال آخرون : لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها . والوجه في إنعامه علينا بذلك أنه تعالى جعلها موضعاً لأرزاقنا بإزالة الماء منها ، وجعلها مقرّاً للملائكة ، وأنها موضع الثواب ، و لأنها مكان إرسال الأنبياء و نزول الوحي . وأما قوله « وما كنّا عن الخلق غافلين » فمие وجوه : أحدها ما كنّا غافلين بل كنّا للخلق حافظين من أن تسقط عليهم السبع الطرائق ^(٥) فتهلكهم ، وثانيها إنما خلقناها فوقهم لتنزل عليهم الأرزاق والبركات منها ، وثالثها أننا خلقنا هذه الأشياء فدلّ خلقنا لها على كمال قدرتنا ثمّ بيّن كمال العلم بقوله « وما كنّا عن الخلق غافلين » يعني عن أهملهم وأقوالهم و ضمائرهم ، وذلك يفيد نهاية الزجر ، ورابعها وما كنّا عن خلق السماوات غافلين بل نحن لها حافظون ، لئلاّ تخرج عن التقدير الذي أردنا كونها عليه ، كقوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ^(٦) » (انتهى) .

(١) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ١١٠

(٢) في المصدر ، طبق .

(٣) في المصدر ، فوق ثوب .

(٤) و زاد في المصدر الفراء .

(٥) في المصدر ، الطرائق السبع .

(٦) مفاتيح الغيب ، ج ٧ ، ص ٦٢٠ .

« تبارك الذي جعل في السماء بروجاً » قال الرازي : البروج هي القصور العالية ، سميت بروج الكواكب لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها ، و اشتقاق البرج من التبرج لظهوره ، وفيه قول آخر عن ابن عباس أن البروج هي الكواكب العظام ، والأول أولى . و السراج الشمس ^(١) (انتهى) « بأمره » أي بمحض إرادته « ورب المشارق » قيل : أي مشارق الكواكب ، أو مشارق الشمس في السنة ، وهي ثلثمائة وستون يشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب و لذلك اكتمل بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة « إننا زيننا السماء الدنيا » أي القربى منكم « بزينة الكواكب » أي بزينة هي الكواكب بالإضافة البيانية أو البدلية على القراءتين « وحفظاً » منصوب بإضمار فعله ، أو العطف على « زينة » باعتبار المعنى كأنه قال : إننا خلقنا الكواكب زينة للسماء و حفظاً من كل شيطان « ما رد » خارج من الطاعة يرمى بالشبه ^(٢) .

« قراراً » أي مستقراً تستقرّون عليه « والسماء بناء » أي وجعل السماء بناءً مرتفعاً فوقها ، ولو جعلهما رتقاً لما أمكن الخلق الانتفاع بما بينهما « كيف بنيناها » أي رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب « ومالها من فروج » أي فتوق كسائر الأبنية المبنية من الأحجار واللبنات ، بل خلقها ملساء متصلة ، أو ليس لها فروج ظاهرة مرئية فلا ينافي الأبواب الكائنة فيها ، وقال الكسائي : معناه ليس فيها تفاوت واختلاف . قال الرازي : قالت الفلاسفة : الآية دالة على أن السماء لا تقبل الخرق ، وكذلك قالوا في قوله « هل ترى من فطور » وقوله « سبعا شداداً » وتعسفوا فيه لأن قوله تعالى « مالها من فروج » صريح في عدم ذلك ، والإخبار عن عدم شيء لا يكون إخباراً عن عدم إمكانه ، فإن من قال « ما لفلان مال » لا يدل على نفي إمكانه ، ثم إنه تعالى بين خلاف قولهم بقوله « وإذا السماء فرجت » وقوله ^(٣) « إذا السماء انقطرت » وقوله ^(٤) « فهي يومئذ واهية » في مقابلة قوله

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٦ ، ص ٢٩٥ .

(٢) بالشهاب (خ) .

(٣٣) في المصدر ، وقال .

« سبعاً شداداً » قال (١) « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » إلى غير ذلك والكل في الرد عليهم صريح ، وما ذكره في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية أيضاً ، وأما دليلهم المعقول فأضعف وأسخر من تمسكهم بالمعقول (٢) .

« ذات الحبك » قال البيضاوي : ذات الطرائق ، والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب ، أو المعقولة التي يسلكها النظر ويتوصل بها إلى المعارف ، أو النجوم فإن لها طرائق ، أو إنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الموشى ، جمع « حبيكة » كطريقة وطرق ، أو « حباك » كمثل ومثل (٣) . قال الطبرسي - ره - : أي ذات الطرائق الحسنة ، لكننا لانرى تلك الحبك لبعدها عنا وقيل : ذات الخلق الحسن المستوي ، وقيل : ذات الحسن والزينة عن علي عليه السلام (٤) (انتهى) .

واقول : سيأتي تأويل آخر في الرواية عن الرضا عليه السلام .

« وفي السماء رزقكم » أي أسباب رزقكم أو تقديره ، وقيل : المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب الأقوات « وما توعدون » من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة ، أو لأن الأعمال و ثوابها مكتوبة مقدرة في السماء « بأيد » أي بقوة « وإنا لموسعون » أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، و الموسع : القادر على الاتفاق ، أو لموسعون السماء ، أو ما بينها وبين الأرض ، أو الرزق . وقيل : أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها . « والسقف المرفوع » هو السماء عن علي عليه السلام ، « يوم تمور السماء مورا » أي تدور دورانا وتضطرب وتموج وتتحرك . « والنجم » المراد جنس النجم أو الثريا فإنه غلب فيه ، وأول في بعض الأخبار بالرسول ﷺ « إذا هوى » أي غرب ، أو انتشر يوم القيامة ، أو انقضت

(١) في المصدر : وقال .

(٢) مفاتيح الغيب ج ٧ ، ص ٦٢٠

(٣) انوار التنزيل ج ٢ ، ص ٦٦٢ .

(٤) مجمع البيان ج ٩ ، ص ١٥٣ .

أو طلع فإنه يقال « هوي هويًا » بالفتح إذا سقط على الأرض ، أو إذا نمت وارتفع
و على الأخير معراجهُ أو نزولهُ في قوله . « وأنه هورب الشعري » إنما خص بالذكر
لأن خزاة كانت تعبدها .

« و انشق القمر » قال الرازي : المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر
انشقّ و حصل فيه الانشقاق ، و دلّت الأخبار الصحاح عليه ، و إمكانه لا يشكّ فيه
وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه ، و حديث امتناع الخرق والالتئام حديث
اللثام ، و قد ثبت جواز الخرق والتخريب على السماوات ^(١) (انتهى) .

« الشمس و القمر بحسبان » أي يجريان بحساب معلوم مقدّر في بروجهما و
منازلهما ، و يتسقى بذلك أمور الكائنات السفليّة ، و تختلف الفصول و الأوقات
و يعلم السنون و الحساب . « و النجم و الشجر » المشهور أن المراد بالنجم النبات
الذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له ، و بالشجر الذي له ساق ، و قيل :
المراد بالنجم نجم السماء . « يسجدان » أي ينقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد
الساجد من المكلفين طوعاً « و السماء رفعها » خلقها مرفوعة محلاً و مرتبة ، فإنها
منشأ أفضينها ، و منزل أحكامها ، و محل ملائكتها .

« فإذا انشقت السماء » يعني يوم القيامة « فكانت وردة » أي فصارت حمراء
ثم تجري « كالدهان » و هو جمع الدهن عند انقضاء الأمر ، و قيل : هي كالدهان
التي تصبّ بعضها بألوان مختلفة ، و قيل : الدهان الأديم الأحمر . « فلا أقسم »
قيل : إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم ، أو فأقسم « ولا » مزيدة للتأكيد ، أو
فلا أنا أقسم فحذف المبتدأ و أشبع فتحة لام الابتداء « بمواقع النجوم » أي بمساقطها
وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها و الدلالة على وجود مؤثر لا يزول
تأثيره ، أو بمنازلها و مجاريها ، و قيل : النجوم نجوم القرآن ، و مواقعها أوقات
نزولها « و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم » لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة
و كمال الحكمة ، و فرط الرحمة ، « طباقاً » أي مطابقة بعضها فوق بعض ، مصدر طابقت

النعل إذا خصفتها طبقاً على طبق وصف به ، أوطوقت طباقاً ، أودات طباق جمع طبق كجبل وجبال ، وقيل : أراد بالمطابقة المشابهة أي يشبه بعضها بعضاً في الأحكام والاتقان « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » أي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة بل ترى أفعاله كلها سواءً في الحكمة وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئة ، وقيل : معناه ماترى يا ابن آدم في خلق السماوات من عيب واعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلها مع عظمها « فارجع البصر » أي فرد البصر وأدرها في خلق الله واستقص في النظر مرة بعد أخرى ، والتقدير : أنظر ثم ارجع النظر في السماء ، وقيل : أي قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعائن ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها « هل ترى من فطور » أي شقوق وفتوق ، وقيل : من وهي وخلل « ثم ارجع البصر كرتين » أي ثم كرّر النظر مرتين لأن من نظر في الشيء كرتة بعد أخرى بان له مالم يكن بائناً ، وقيل : المراد بالثنائية التكرير والتكثير كما في لبّيك وسعديك ، ولذلك أجاب الأمر بقوله « ينقلب إليك البصر خاسئاً » أي بعيداً عن إصابة المطلوب كأنه طرده عنه طرداً بالصغار « وهو حسير » قليل من طول المعادة وكثرة المراجعة « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » أي بكواكب مضيئة إضاءة السراج .

واعلم أن ههنا إشكالاً مشهوراً وهو أنه اتفق أصحاب الهيئة على أنه ليس في السماء الأولى سوى القمر ، وسائر السيارات كل في فلك ، والثابت كلها في الثامن ، والآية الكريمة تدل على أن كلها أو أكثرها في السماء الدنيا والجبب عنه بوجوه :

الاول : أن النسبة إليها أنه لما كانت ترى منها فكانت زينة لها كما أن السراج المرئي خلف الزجاج زينة لها ، أولاً أنه بحسب الحسن لما كان يتوهم أنه فيها فكانت زينة لها ، وهذا الوجه وإن كان أوفق بأصولهم إلا أنه متضمن لتكلف كثير في الآيات .

الثاني : ما ذكره الرازي في تفسيره وهو أنه لا يبعد وجود كرة تحت كرة

القمر وتكون في البطء مساوية لكرة الثوابت و تكون الكواكب المركوزة فيما يقارن القطبين مركوزة في هذه الكرة السفلية ، إذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة ، و على هذا التقدير لا يمتنع أن تكون هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا ، فنبت أن مذهب الفلاسفة في هذا الباب ضعيف^(١) (انتهى) .

واقول : جملة القول في ذلك أن الحكماء أثبتوا أفلاكاً تسعة ، لأنهم وجدوا أولاً لجميع الكواكب حركة سريعة من المشرق إلى المغرب ، و هي التي بها يتحقق طلوعها وغروبها ، و بها يتحقق الليل و النهار ، و هي المسماة بالحركة اليومية و بالحركة الأولى وبحركة الكل ، فأثبتوا لها فلکاً واحداً يشمل على الجميع^(٢) ، ثم وجدوا لكل [واحد] من الكواكب السبعة المعروفة بالسيارة

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٨ ، ص ٢٣٦ .

(٢) الهيبويون الاقدمون لاسيما شعبة بطلميوس كانوا يزعمون ان العالم الجسماني كرات متداخلة مركزها الارض التي اتوعب ثلاثة ارباع سطحها الماء ، وفوقها كرة الهواء ، و فوقها كرة النار ، ثم فلك القمر ، ثم عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الشمس ، ثم المريخ ، ثم المشترى ثم زحل ثم فلك الثوابت ثم فلك الافلاك وهو غير منناه قطراً فلا يمكن تحديد سطحه المحدب بعد ولا يقاس بمقياس وكانوا يعدون الشمس و القمر من السيارات و يزعمون انها منحصرة في السبعة المذكورة وان لا حركة للثوابت سوى حركة غريبة بطيئة جداً وان الفلك جسم كروي بسيط شفاف لا يقبل الخرق والالتئام والتغير والفساد وان الكواكب احر مركوزة في الافلاك الى غير ذلك . وقد اختلفوا في عدد الافلاك حتى ادعى بعض المتأخرين وحدة الفلك الكلي و آخر انتهى الافلاك الجزئية الى الثمانين ، و كان لارهاط من الفلاسفة الاقدمين آراء اخرى احسنها راي فيثاغورس وكان يرى ان للارض حركتين وان الحركة اليومية هي حركتها الوضعية كما ثبت في الهيئة الحديثة ونسب الى بعض اتباعه القول بمركزية الشمس .

ثم ان فلاسفة الاسلام ارتضوا الفرضية البطلمية وبنوا عليها وشددوا مبانيها فاصبحت نظرية مرضية بل اصلا مسلماً لا يختلف فيه ، ثم نزل جم فقير من علماء الاسلام ما ورد في لسان الشرع من لفظة « السموات » على الافلاك السبعة « والكرسى » على الثامن و « العرش » على التاسع ، ومنهم من قال ان السماوات فوق الافلاك ، وقد تكلفوا لتطبيق الظواهر الشرعية

حركة من المغرب إلى المشرق مخالفة لحركة آخر منها في السرعة والبطء ، فأثبتوا لكل واحدة منها فلکاً ، ثم وجدوا لجميع الكواكب التي غير السبعة حركة واحدة غريبة بطيئة جداً فأثبتوا لها فلکاً عليحدة ، فحصلت تسعة أفلاك لتسعة حركات ، وهي المسمّاة بالأفلاك الكلية . وأمّا ترتيب السيارات فالمشهور أن القمر في الفلك الذي هو أقرب إلينا ، ثم عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الشمس ، ثم المريخ ثم المشتري ، ثم زحل ، ثم فلك الثوابت ، ثم الأطلس الذي هو غير مكوكب ، وما ورد في لسان الشرع بلفظ السماوات ينزلونها على أفلاك السيارات ولفظ الكرسي على فلك البروج وهو الثامن ولفظ العرش على التاسع . واستدلّوا على الترتيب المذكور بأن زحل يكشف بعض الثوابت فيكون تحتها ، وينكشف بالمشتري فيكون فوقه ، والمشتري ينكشف بالمريخ فهو فوقه ، وهذه الثلاثة تسمّى علوية ، وأمّا كون الشمس تحتها فلأن لها اختلاف منظر دون العلوية ، وأمّا الزهرة وعطارد فلا جزم بكونهما تحت الشمس أو فوقها إذ لا يكشفها غير القمر ولا يدرك كشفها لشيء من الكواكب لا حتراقها عند مقارنتها ، ولا يعرف لهما اختلاف منظر أيضاً لأنهما لا يبعدان عن الشمس كثيراً ولا يصلان إلى نصف النهار ، والآلة التي يعرف بها اختلاف المنظر

→ على أصول هذه الفرضية وفروعها ، كل ذلك لارتضائهم إياها واعجابهم بها واعتقادهم بانها اصل هوى قويم وقاعدة فلكية مسلمة ، مع انها في الاصل فرضية افترضت لحل ما اشكل من المسائل الهيوية ولذلك كلما بدت مشكلة اخذوا في اصلاحها وتتميمها فزادوا في تعداد الافلاك ونقصوا وابرموا مانسجوا ونقصوا ، حتى آل الامر الى انكار كثرة الافلاك من جهة وانهاؤها الى الثمانين من اخرى ، والليبيب يأخذ عظته من عبر التاريخ ولا يتهاون بعد في تأويل حقائق الكتاب والسنة بما يعجبه من آراء العلماء واوهام الحكماء مالم يستندوا الى دليل قاطع وبرهان ساطع . وكيف كان فالهيئة الحديثة تنكر مركزية الارض ووحدة القمر وانحصار السيارات في النيرين والخمسة المتحيرة وكون الشمس من السيارات والفلك البسيط الذي لا يقبل الخرق والالتئام ، واكتشفت بالالات الهيوية الحديثة كواكب واقماراً اخرى ليس لها ذكر في الهيئة القديمة فاكتشفت من السيارات فلكان ، اورانوس ، نبتون و پيلوتون و عدة كواكب صغيرة بين المريخ والمشتري تناهز الف سيارة . واكتشفت للمريخ قمران والمشتري احد عشر قمراً وزحل تسعة اقمار ولاورانوس ستة اقمار الى غير ذلك . وسنشير الى بعض ماثبت في الهيئة الجديدة في موضع انسب ان شاء الله تعالى .

إنما تنصب في سطح دائرة نصف النهار ، فحكموا بكونهما تحت الشمس استحساناً لتكون متوسطة بين الستة بمنزلة شمسة القلادة ، و أيدوا ذلك بمناسبات أخر . و ذكر الشيخ وبعض من تقدّمه أنه رأى الزهرة كشامة على وجه الشمس ، و بعضهم ادّعى أنه رآها وعطارد كشامتين عليها وسميًا سفليّين لذلك ، والزهرة منها فوق عطارد لانكشافها به ، والقمر تحت الكل لانكشاف الكل به .

وأما خصوص عدد التسعة فجزم الأكثر بأنه لأقل منها و المحقق الطوسي - ره - جوّز كونها ثمانية حيث قال في التذكرة : وإسناد إحدى الحركتين الأولين إلى المجموع لا إلى فلك خاص به لم يكن ممّنعاً ، لكنهم لم يذهبوا إلى ذلك . وقال صاحب التحفة : إنني سمعت من الأستاذ أن جواز إسناد إحدى الأولين إلى المجموع لا إلى فلك خاص بها معلّل بجواز اتصال نفس بالثمانية و أخرى بالثامنة و تكون دوائر البروج و المنطقتان مفروضة على محدّب الثامنة ، فقلت : فعلى هذا يمكن أن تكون الأفلاك الكلية سبعة فقط بأن تفرض الثوابت مركوزة في ممثل زحل ودوائر البروج على محدّب به متحرّكة بالحرركة السريعة دون البطيئة ، وتتعلّق نفس واحدة بمجموع السبعة و تحرّكه الحركة الأولى ، و نفس أخرى تعلّقت بممثل زحل وحده و تحرّكه الحركة البطيئة ، و نفس الثانية تعلّقت بخارجه و تحرّكه الحركة الخاصة ، و باقي الأفلاك الستة على حالها . فاستحسنه و أننى عليّ (انتهى) .

و قال المحقق الدواني : يجوز أن تكون الأفلاك الكلية اثنين ، بأن تفرض الأفلاك الخارجة المراكز كلّها سوى خارج القمر في ثخن ممثل واحد بحيث لا تكون السطوح التي يثبتونها بين الممثلات إلاّ بين ذلك الممثل وممثل القمر ، فتتخصّر الأفلاك الكلية فيهما (انتهى) هذا هو الكلام في جانب القلّة ، وأمّا في جانب الكثرة فلا قطع ، لاحتمال أن يكون كلّ من الثوابت أو كلّ طائفة منها في فلك عليحدة و أن يكون أفلاكاً كثيرة غير مكوكبة . هذا ما ذكره في هذا الباب ، و لنرجع إلى ما يناسب الكتاب فنقول :

يمكن أن يكون أكثر الكواكب الثابتة وهي التي لم تكن في ممر السيارات في فلك من الأفلاك الجزئية للقمر مساوية حر كته لحر كة الثوابت ، فإنهم أثبتوا كلاً من تلك الأفلاك الجزئية لدواعي دعوتهم إلى ذلك ، مع أنه تلزمهم على ذلك إشكالات لم يمكنهم حلها ، فلا مانع من إثبات فلك آخر لتصحيح ما في الآيات و الأخبار ، بحيث لا يخالف قواعدهم المبنية على الظن والنخمين ، و بالقيدمذكور لا مانع من جهة الانكشاف أيضاً .

الثالث : ما خطر بالبال القاصر ، وهو أن يكون جميع الأفلاك الثمانية التي أثبتوها لجميع الكواكب فلكاً واحداً مسمى بالسماء الدنيا ، و تكون غيرها ستة سموات أخر غير مكوكبة ، كما أنهم يثبتون لكل من الكواكب أفلاكاً كثيرة جزئية و يعدّون الكل فلكاً واحداً كلياً ، فلا ينافي شيئاً من أصولهم ، و إنما يخالف مصطلحهم ولا عبرة بمخالفة الاصطلاح . وقد ذهب بعض قدماء الحكماء أيضاً إلى أن الثوابت في فلك القمر . قال بليناس الحكيم في كتاب « علل الأشياء » : هي سبعة أفلاك بعضها في جوف بعض ، و صارت الأفلاك في كل منها كوكب غير فلك القمر ، فإن الكواكب تبددت فيه و تقطعت لاختلاطها بكثرة الرياح الصاعدة إليه من قرب الأرض . و قال في موضع آخر : و أمّا سماء الدنيا فإنها تبددت كواكبها من قبل حبكها و تدرجها ، فتقلبت الكواكب فصارت متعلقة بتلك الدرج و قال عند ذكر الملائكة : سكّان فلك القمر من الروحانيين كثيرة رحمتهم ، قليلة شروهم ، متعطفين على الحيوان ، مصلحين للنبات ، دائبين في مسرة بني آدم متصّلين بهم ، فلا تصالهم ربما ظهروا لهم و كلّموهم بلاهيبية منهم بالرحمة لهم و باللفة وهم مسلطون على السماء ، يحرسون السماء من شيطانك و ولده أن يسترقوا السمع من الملائكة الأعلين الروحانيين المتصّلين بفلك الشمس ، وإن الروحانيين الموكّلين بالشمس إذا طلعت الشمس من مشرقها كان عندهم الأحداث التي تحدث في العالم في ذلك اليوم كله ، فشيطانك و ولده يسترقون ما أوحى إلى أولئك الملائكة فالملائكة الذين في فلك القمر يحملون النجوم حتى يصير ناراً ، ثم يرجونهم بها

فيهربون منها (إلى آخر ما قال) .

الرابع : أن يكون المراد بالكواكب في الآية الكريمة الشهب المنقضة قريباً منها ، ولما كانت تُرى حساً على سطح السماء فهي زينة لها ، و تؤيده تتمّة الآية كما ستعرف .

الخامس : أن يكون المراد بالدنيا الدنوّ من الناحية العليا والعرش الأعلى فالمراد بها الفلك الثامن على سياق قوله تعالى « دنى فتدلى » فإنّ ترتيب الأفلاك قد يبتدأ ممّا يليها فيكون فلك القمر أوّلها وأدناها ، وقد يبتدأ به من الجانب الأعلى ففلك الثوابت أوّل الأفلاك المكوكبة و أدناها من العرش . ويرد عليه أن في لسان الشرع يعبر عنه بالكُرسي كما مرّ .

« وجعلناها رجوماً للشياطين » قال البيضاوي : « وجعلناها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاء الشهب المسيّبة عنها ، وقيل : معناها : رجوماً وظنوناً لشياطين الإنس وهم المنجمون فالرجوم^(١) جمع « رجم » بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرم به » و أعتدنا لهم عذاب السعير « في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا^(٢) » (انتهى) وأقول : على الاحتمال الرابع لا تحتاج إلى تكلف في ذلك .

« و انشقت السماء » قال الرازي : لنزول الملائكة « فهي يومئذ واهية » أي مسترخية ساقطة القوة كالهن المنقوش بعد ما كانت محكمة شديدة^(٣) . « كالهل » قيل : كدردي الزيت ، وقيل : كعكر القطران . « سبع سماوات طباقا » قال الرازي : « هذا يقتضي كون بعضها مطبقاً^(٤) على البعض ، وهذا يقتضي أن لا يكون ههنا^(٥) فرج فالملائكة كيف يسكنون ؟ والجواب أن الملائكة أرواح ، وأيضاً

(١) في المصدر « والرجوم » .

(٢) انوار التنزيل ج ١ ، ص ٥٣٣ .

(٣) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٢٨٣ .

(٤) في المصدر : منطبقاً .

(٥) « بينها » .

المراد من كونها طباقاً كونها موازية لأنها متماسة^(١). «و جعل القمر فيهن نوراً» قال البيضاوي: «أي في السماوات وهو في السماء الدنيا وإنما نسب إليهن لما بينهن من الملايسة». «وجعل الشمس سراجاً» مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله^(٢). «وإنما لمسنا السماء» أي طلبنا بلوغ السماء أو خبرها، و«اللمس مستعار من المس» للطلب كالجس «حرساً» أي حراًساً - اسم جمع كالخدم - «شديداً» قوياً وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها «و شهاباً» جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار «وإننا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع» أي مقاعد خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرصد والاستماع، و«للسمع» صلة لتقعد أو صفة لمقاعد «شهاباً» أي شهاباً بأرصاده ولاجله يمنع عن الاستماع بالرجم، أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم جمع للرّاصد.

«طمست» أي محقت وأذهب نورها «فرجت» أي شقت «سبعاً شداداً» أي سبع سموات أقوىاء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور «وجعلنا سراجاً وهجاً» متلاًئلاً وقبّاداً، أو بالغاً في الحرارة والمراد الشمس «وإذا النجوم انكدرت» أي انقضت أو أظلمت «وإذا السماء كشطت» أي قلعت وأزيلت كما يكشط الابهاب عن الذبيحة «فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس» قال الرازي: فيه قولان الأول وهو المشهور الظاهر أنها النجوم، الخنس جمع «خانس» والخنوس الانقباض والاستخفاء، تقول: خنس بين القوم وانخنس، والكنس جمع «كانس» و«كانسة» يقال: كنس إذا دخل الكناس وهو مقرّ الوحش يقال: كنست الظباء في كناسها وتكنست المرأة إذا دخلت هودجها تشبه بالطبي إذا دخل الكناس، ثم اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه، فالقول الأول أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيّارة واستقامتها، فرجوعها هو الخنوس، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شك أن هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة

(١) مفاتيح النيب، ج ٨، ص ٣٠٦.

(٢) انوار التنزيل، ج ٢، ص ٥٥٢.

باهرة ، و القول الثاني ما روي عن علي عليه السلام وغيره أنها هي جميع الكواكب ، و خنوسها عبارة عن غيوبتها عن البصر في النهار ، و كنوسها عن ظهورها للبصر في الليل أي تظهر في أما كنّها كالوحش في كنسها ، و القول الثالث أن السبعة السيّارة تختلف مطالعها و مغاربها على ما قال تعالى « ربّ المشارق و المغارب » ، و لا شك أن فيها مطالعاً واحداً و مغرباً واحداً هما أقرب المطالع و المغارب إلى سمت رأسنا ^(١) ثم إنتها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة ثم ترجع إليها ، فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع و كنوسها عبارة عن عودها إليه فعلى القول الأول يكون القسم واقعاً بالخمس المتحيّرة ، و على الثاني بجميع الكواكب ، و على الثالث بالسبعة السيّارة .

و القول الثاني أنّها بقر الوحش ، و قال ابن جبير : هي الظباء ، و على هذا الخنس من الخنس في الأنف و هو تعقير فيه فإنّ البقر و الظباء أنوفها على هذه الصفة ، و الكنّس جمع كانس و هي التي تدخل الكناس ، و القول هو الأول لأنّه أنسب بما بعده ، و لأنّ محلّ قسم الله كلّما كان أعظم و أعلى رتبة كان أولى ^(٢) (انتهى) .

و أقول : الخمسة المتحيّرة هي ما خلا الشمس و القمر من السبعة السيّارة و إنّما سمّيت متحيّرة لكونها في حركاتها الخاصة تارة مستقيمة ترى متحرّكة من المغرب إلى المشرق و تارة واقفة و تارة راجعة كالمنجيّر في أمره ، و لذا أثبتوا لها تدوير لظنهم عدم الاختلاف في حركات فلك واحد .

قوله تعالى « إذا السماء انفطرت » قال الرازي : أي انشقت « وإذا الكواكب انتشرت » إذ ^(٣) عند انتقاض تركيب السماء لابدّ من انتشار الكواكب على تخوم ^(٤) الأرض ، و الفلاسفة ينكرون إمكان الخرق و الائتام على الأفلاك ، و دليلنا على

(١) في المصدر ، رؤوسنا .

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٨ ، ص ٣٨٢ .

(٣) في المصدر ، لان .

(٤) > ، على الارض .

إمكان ذلك أن الأجسام متماثلة في كونها أجساماً فوجب أن يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر، وإنما قلنا إنها متماثلة لأنه يصح تقسيمها إلى السماويات والأرضيات ومورد التقسيم مشترك بين القسمين، فالعلويات والسفليات مشتركة في أنها أجسام، وإنما قلنا إنه متى كان كذلك وجب أن يصح على العلويات ما يصح على السفليات لأن المتماثلات حكمها واحد فما صح^(١) حكمه على كل واحد منها وجب أن يصح على الباقي^(٢). وقال في قوله سبحانه «إذا السماء انشقت» قد مر شرحه في مواضع، وعن علي عليه السلام أنها تنشق من المجرة «و أذنت لربها» أي استمعت له، والمعنى أنه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله في شقها وتفريق أجزائها فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ولى^(٣) عليه الأمر من جهة المالك أنصت له وأذن ولم يمتنع، فكذلك قوله «قلنا أتينا طائعين» يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير مانع^(٤) أصلاً، كما أن قوله هنا «و أذنت لربها» يدل على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام والإفناء من غير ممانعة أصلاً، وأما قوله «و حققت» فهو من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، وذلك لأنه جسم وكل جسم ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته فإن الوجود والعدم بالنسبة إليه على السوية وكل ما كان كذلك فإن ترجيح^(٥) عدمه على وجوده لا بد وأن يكون بتأثير واجب الوجود و ترجيحه، فيكون تأثير قدرته في إيجاده وإعدامه نافذاً سارياً من غير ممانعة أصلاً، وأما الممكن فليس له إلا القبول والاستعداد، ومثل هذا الشيء حقيق به أن يكون قابلاً للوجود تارة وللعدم أخرى من واجب الوجود^(٦). وقال

(١) في المصدر : فمتى يصح .

(٢) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٢٨٦ .

(٣) في المصدر : إذا ورد عليه .

(٤) > : من غير ممانعة

(٥) > : ترجيح وجوده على عدمه أو عدمه على وجوده .

(٦) مفاتيح الغيب : ج ٧ ، ص ٥٠٩ .

في قوله تعالى « و السما ذات البروج » ثلاثة أقوال : أحدها أنها هي البروج الاثنا عشر ، وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجب الحكمة ، وذلك لأن سير الشمس فيها ، ولا شك أن مصالح العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس ، فدل ذلك على أن لها صانعاً حكيماً و ثانيها أن البروج هي منازل القمر و إنما حسن القسم بها لما في سير القمر و حركته من الآثار العجيبة و ثالثها أن البروج هي عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها ^(١) (انتهى) ،

و أقول : في بعض الأخبار تأويل السماء بسيد الأنبياء ﷺ و البروج بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام .

« و السماء و الطارق » قال الرازي : « أما الطارق فهو كل ما أتاك ليلاً سواء كان كوكباً أو غيره » و ما أدريك ما الطارق ، قال سفيان بن عيينة : كل شيء في القرآن « ما أدريك » فقد أخبر الرسول ﷺ به ، و كل شيء فيه « ما يدريك » لم يخبر به كقوله « و ما يدريك لعل الساعة قريب » ثم قال « النجم الثاقب » أي هو طارق رفيع الشأن ، و هو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر و البحر ، و يوقف به على أوقات الأمطار ، و وصف بكونه ثاقباً لوجوه : أحدها أنه ينقب الظلام بضوء ينقذ فيه ، و ثانيها أنه يطلع من المشرق نافذاً في الهواء كالشيء الذي ينقب الشيء ، و ثالثها أنه الذي يرمى به الشيطان فينقبه أي ينقذ فيه و يحرقه ، و رابعها قال الفراء : هو النجم المرتفع على النجوم ، و العرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً قد ثقب . و اختلفوا في النجم ، قال بعضهم : أشير به إلى جماعة النجوم كما قيل « إن الإنسان لفي خسر » و قال آخرون : إنه نجم بعينه ، قال ابن زيد : إنه الثريا ، و قال الفراء : إنه زحل لأنه ينقب بنوره سمك سبع سماوات ، و قال آخرون : إنه الشهب التي ترجم بها الشياطين لقوله تعالى « فأتبعه شهاب ثاقب » ^(٢) .

(١) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٥١٨ .

(٢) في المصدر : عظيم الشأن رفيع القدر .

(٣) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٥٢٨ .

« و السماء ذات الرجوع ، قال الطبرسي - ره - : أي ذات المطر ، عن أكثر المفسرين ، و قيل : يعني بالرجوع شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع ، وقيل : رجوع السماء إعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان فترجع بالغيث وأرزاق العباد و غير ذلك ^(١) (انتهى) .

و أقول : لا يبعد أن يكون إشارة إلى رجوع المتحيرة كما عرفت .

« و إلى السماء كيف رفعت » أي رفعاً بعيد المدى بلا إمساك وبغير عمد « وما بناها » أي و من بناها .

تذييل : قال الرازي : « اعلم أن منافع النجوم كثيرة : منها أنه زين الله السماء بها ، ومنها أنه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك فإنه إذا تكاثفت السحاب في الليل عظمت الظلمة و ذلك بسبب أن السحاب يحجب أنوارها ، و منها أنه يحصل بسببها تفاوت في أحوال الفصول الأربعة فإنه أجسام عظيمة نورانية فإذا قاربت ^(٢) الشمس كوكباً مسخناً في الصيف صار أقوى حرّاً ، و هي مثل نار تضم إلى نار أخرى فإنه لا شك أنه يكون الأثر الحاصل من المجموع أقوى و منها أنه تعالى جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البر و البحر على ما قال تعالى « و علامات و بالنجم هم يهتدون » ، و منها أنه تعالى جعلها رجوماً للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الإيمان إلى ظلمة ^(٣) الكفر ، يروى أن السبب في ذلك أن الجن كانت تسمع بخبر السماء ، فلما بعث محمد ﷺ حرس السماء و رصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقاً للسمع رمي بشهاب فأحرقه لئلا ينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النبي أمره و يرتاب الناس بخبره ، و هذا هو السبب في انقضاء الشهب ، فهذا هو المراد من قوله تعالى « و جعلناها رجوماً للشياطين » و من الناس من طعن في هذا من وجوه :

(١) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٢٧٢ .

(٢) في المصدر : قارنت .

(٣) في المصدر ، ظلمات .

أحدها : أن " انقراض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة ، قالوا : إن الأرض إذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس ، فإذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب .

وثانيها : أن هؤلاء الجن كيف يجوز أن يشاهدوا واحداً و ألفاً من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ، ثم إنه ^(١) مع ذلك يعودون لمثل صفتهم ^(٢) فإن العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرة و مراراً امتنع أن يعود إليه من غير فائدة .

وثالثها : أنه يقال في ثخن السماء مسيرة خمسمائة عام ، هؤلاء الجن إن نفذوا في جرم السماء وخرقوا اتصاله فهذا باطل ، لأنه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال « فارجع البصر هل ترى من فطور » وإن كانوا لا ينفذون في جرم السماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم ؟ فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الأرض ؟ .

و رابعها : أن الملائكة إنما اطلعوا على الأحوال المستقبلية إما لأنهم طالعوها من اللوح ^(٣) المحفوظ ، أو لأنهم يتلقونها من وحي الله تعالى إليهم ، وعلى التقديرين فلم لا يمسكون عن ذكرها حتى لا يتمكّن الجن من الوقوف عليها ؟ .
وخامسها : أن الشياطين مخلوقون من النار ، والنار لا تحرق النار بل تقوّيها ، فكيف يحتمل ^(٤) أن يقال الشيطان زجر من استراق السمع بهذه الشهب .
وسادسها : أنه إن كان هذا القذف لأجل النبوة فلم دام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وسابعها : أن هذه الرجوم ، إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أننا نشاهد حر كاتها بالغة ولو كانت قريبة من الفلك لما شاهدنا حر كاتها ^(٥) كما لم نشاهد

(١) في المصدر ، لأنهم .

(٢) » صنيعهم

(٣) » في اللوح .

(٤) » فكيف يعقل ان يقال ان الشياطين زجروا عن استراق .

(٥) » حر كتها بالعين .

حركات الكواكب ، وإذا ثبت أن هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض فكيف يقال إنها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك ؟ .

وثامنها : أن هؤلاء الشياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفار حتى ينوِّس الكفار بواسطة وقوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضرر بهم ؟ .

وتاسعها : لم لم يمنهم الله ابتداءً من الصعود إلى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب ؟ .

والجواب عن السؤال الاول : أننا لانكر أن هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي ﷺ ^(١) وقد يوجد بسبب آخر وهو دفع الجنّ وزجرهم . يروى أنه قيل للزّهري : أكان يرمى في الجاهلية ؟ قال : نعم ، قال : أفرأيت قوله تعالى « إِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا » قال : غلظت وشدّ أمرها حين بعث النبي ﷺ .

و الجواب عن السؤال الثاني : أنه إذا جاء القدر عمي البصر ، فإذا قضى الله على طائفة منهم الحرق لطغيانها و ضلالها قيّض لها من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي إلى الهلاك والوبار .

والجواب عن السؤال الثالث : أن البعدين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام فأما نحن الفلك فلعلّه لا يكون عظيماً .

و الجواب عن السؤال الرابع : ما روى الزهري عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال : ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا حدث مثل هذا ؟ قالوا كنّا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . قال النبي ﷺ : فإنّها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ، و لكن ربّنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبّحت حملة

(١) في المصدر : لاسباب اخر إلا أن ذلك لا ينافي أنها بعد مبعث النبي عليه الصلاة والسلام قد توجد .

العرش ، ثم سُبِّحَ أهل السماء وسُبِّحَ (١) كلّ سماء حتّى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء ، ويستخير أهل السماء حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء إلى سماء إلى أن ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، ويتخطف الجن فيرمون ، فما جاؤوا به فهو حقّ ولكنهم يزيدون فيه .

والجواب عن السؤال الخامس : أنّ النار قد تكون أقوى من نار أخرى فالأقوى تبطل الأضعف .

والجواب عن السؤال السادس : أنّه إنّما دام لأنّه ﷺ أخبر ببطلان الكهانة ، فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة ، وذلك يقدر في خبر الرسول ﷺ عن بطلان الكهانة .

و الجواب عن السؤال السابع : أنّ البعد على مذهبنا غير مانع من السماع فلعله تعالى أجرى عادته بأنهم إذا وقعوا (٢) في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة (٣) .

والجواب عن السؤال الثامن : لعله تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة وأعجزهم عن إيصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين (٤) .

والجواب عن السؤال التاسع : أنّه تعالى يفعل ما يشاء ، و يحكم ما يريد فهذا ما يتعلق بهذا الباب على سبيل الاختصار (٥) (انتهى) .

(١) في المصدر ، يسبح أهل كل سماء .

(٢) في المصدر ، وقفوا .

(٣) هذا الجواب مبني على قول الاشاعرة بانكار العلية و المعلولية و أنّ الملازمة بين العلة و المعلول ليس أمراً ذاتياً و انما هولجريان عادة الله تعالى على ذلك ، فمن الممكن ان يكون عادته تعالى في بعض الموارد على خلافه .

(٤) والصواب ان يقال ، ان كان المراد بالكفار جميعهم فالملازمة ممنوعة لان المكالمه مع الجن يتوقف على مقدمات لا تحصل لجميعهم ، وان كان المراد كهنتهم فبطلان التالى غير مسلم .

(٥) مفاتيح الغيب ، ج ١ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

واقول : الأصوب في الجواب عن الثالث أن يقال : قد ظهر أن للسماء أبواباً يصعد منها الملائكة وصعد منها نبيّنا ﷺ وعيسى وإدريس عليهم السلام بل أجساد سائر الأنبياء والأوصياء بعد وفاتهم على قول وقد ورد في الأخبار أن الجن كانوا يصعدون قبل عيسى عليه السلام إلى ما تحت العرش ، وبعد بعثته كانوا يصعدون إلى الرابعة وبعد بعثة النبي ﷺ منعوا عن صعود السماء مطلقاً بالشهب ، فصعدوهم إمّا من أبوابها أو لكونهم أجساماً لطيفة يمكنهم النفوذ في جرمها ، ولعلّ المراد بالفطور فيها أن ترى فيها شقوق وثقب ، أو تنهدم وتنحلّ أجزاؤها ، فلا إشكال في ذلك .

١ - **العلل و العيون و الخصال :** في خبر الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سأله ممّ خلق السماوات ؟ قال : من بخار الماء ، وسأله عن سماء الدنيا ممّا هي ؟ قال : من موج مكفوف ، وسأله كم طول الكواكب وعرضه ؟ قال : اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً ، وسأله عن ألوان السماوات السبع وأسمائها فقال له : اسم السماء الدنيا « رفيع » وهي من ماء ودخان ، و اسم السماء الثانية « قيدوم » وهي على لون النحاس ، والسماء الثالثة اسمها « الماروم » وهي على لون الشبه ، والسماء الرابعة اسمها « أرفلون » وهي على لون الفضة ، والسماء الخامسة اسمها « هيعون ^(١) » وهي على لون الذهب ، والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء ، والسماء السابعة اسمها « عجماء » وهي درّة بيضاء ^(٢) (الخبر) .

بيان : « من موج مكفوف » أي من جسم موج ممنوع من السيلان بقدرته سبحانه ، أو بأن أجمدها بعد ما كانت سيّالة ، و يحتمل أن يكون كناية عن كونها مخلوقة من جسم لطيف قد استقرّ في محلّه ولا ينزل ولا يسهل ، أو موجها كناية عن تلاؤم الكواكب فيها بناءً على أنّها فيها ، ويمكن أن يكون المقدار المذكور للكوكب لأصغر الكواكب التي في المجرّة ، إذ المرصودة منها على المشهور أكبر من ذلك بكثير ، بل ماسوى القمر والسفليّين أكبر من الأرض بأضعافها ، و

(١) في المخطوطة « هيوف » وفي المصدر « هيون » .

(٢) الخصال : ٣ ، العيون : ج ١ ص ٢٣١ ، الملل : ج ٢ ص ٢٨٠ .

قد أول بعض السالكين مسالك الفلاسفة اختلاف الألوان الوارد في هذا الخبر باختلاف أنواعها وطبائعها، فإنهم يقولون ليس للسماوات لون كما ستعرف إنشاء الله وذكر السيد الداماد - ره - لتقدير الكواكب تأويلاً غريباً أوردته في مقام آخر وإن كانت أقوالهم في أمثال ذلك لم تورث إلا ظناً .

٢ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لما أُسري بي إلى السماء رأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلأل ، يكاد تلوؤها يخطف بالابصار، وفيها بحار من (١) ظلمة وبحار تلج ترعد (٢) (الخبر) .

بيان : « ترعد » أي يظهر منها صوت الرعد ، أو على بناء المجهول أي تضطرب .
٣ - العلل : عن علي بن أحمد بن محمد ، عن الكليني ، عن علان رفعه قال : سأل يهودي أمير المؤمنين عليه السلام لم سميت السماء سماء ؟ قال : لأنها وسم الماء يعني معدن الماء (٣) (الخبر) .

بيان : فسر الوسم بالمعدن لأن معدن كل شيء علامة حصوله ، ولعله مبني على الاشتقاق الكبير ، لأن الوسم من معتل الفاء والسماء على المشهور من معتل اللام من السموات ، وهو الرفع ، وهو على القلب كما أن الاسم أيضاً من السموات .

٤ - العلل : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه ، عن أحمد بن النضر ، عن محمد بن مروان ، عن جرير ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : سئل علي عليه السلام عن الطارق ، قال : هو أحسن نجم في السماء وليس يعرفه الناس ، وإنما سمي الطارق لأنه يطرق نوره سماء سماء إلى سبع سماوات ثم يطرق راجعاً حتى يرجع إلى مكانه (٤) .

(١) في المصدر : بحار مظلمة .

(٢) تفسير القمي ، ٣٧٣ .

(٣) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٣ .

(٤) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

٥ - الاحتجاج : عن الأصبع قال : سأل ابن الكوا، أمير المؤمنين عليه السلام عن المجرة التي تكون في السماء ، قال : هي شرج السماء ، و أمان لأهل الأرض من الفرق ، ومنه أغرق الله قوم نوح بماء منهمر ^(١) (الخبر) .

بيان : الشرج اسم للمجرة ، ولعلهم شبهوها بالعرى التي في الكيس والعيبة تشد بها ، أو بمجرى الماء لأنها مجراه حقيقة كما في الخبر ، أولاً أنها شبيهة بالنهر في وسط الوادي ، قال الفيروز آبادي : الشرج - محرقة - العرى ، ومنقسخ الوادي ومجرة السماء ، وانشقاق في القوس ، والشرج : الفرقة ، و مسيل ماء من الجرة إلى السهل وشد الخريطة ^(٢) . وقال الجوهري : شرج العيبة بالتحريك عراها وقد أشرجت العيبة إذا دخلت بين أشراجها ، ومجرة السماء تسمى شرجاً ^(٣) .

تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، سمعت حدثه عن أبي عبدالله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام أنه قال ملك الموت : غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ^(٤) ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام و كل سماء وما بينهما كذلك ^(٥) (الخبر) .

٧ - العلل : في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله : ما بال النجوم تستبين صفاراً و كباراً و مقدار ^(٦) النجوم كلها سواء ؟ قال : لأن بينها و بين سماء الدنيا بحاراً يضرب الرّيح أمواجها فلذلك تستبين صفاراً و كباراً و مقدار النجوم كلها سواء ^(٧) (الخبر) .

(١) الاحتجاج ، ١٣٨ .

(٢) القاموس ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) الصحاح ، ج ١ ، ص ٣٢٥ .

(٤) في المصدر ، وغلظ السماء الثالثة خمسمائة عام .

(٥) تفسير القمي ، ٣١٢ .

(٦) في المصدر ، و مقدارها سواء ، وهو الصحيح ظاهراً ، أي حالكون مقدارها سواء .

(٧) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

بيان : لعلّ غرض السائل السؤال عن علّة كون النجم الواحد يرى في بعض الأحيان أصغروني بعضها أكبر مع أنّ مقداره في جميع الأحوال واحد كما أنّ كلّاً من الشمس والقمر إذا كان عند الأفق أو قريباً منه يرى أكبر منه إذا كان في قريب سمت الرأس لكثرة الأبخرة وانعطاف الأشعة البصريّة عند وصولها إلى الملاء الغليظ كما يتّسن في علم المناظر ، ويحتمل أن تكون البحار كناية عن الأبخرة .

تفسير على بن ابراهيم : عن أبيه و يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه النجوم (١) التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض مربوطة كلّ مدينة إلى عمود من نور ، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة (٢) .

أقول : سيجيء خبر الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام في باب صفة الأرضين .
٩ - التوحيد : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد الأشعري ، عن السياري ، عن عبد الله بن حماد ، عن جميل ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار ؟ قال : نعم ، أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام (٣) (الخبر) .

١٠ - منتخب البصائر : عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن الحسين ، عن علي بن الريان ، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : إنّ لله خلف هذه النطاق زبرجدة خضراء منها اخضرت السماء . قلت : وما النطاق ؟ قال : الحجاب ، والله عزّ وجلّ وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجنّ والانس وكلّهم يلعن فلاناً وفلاناً .

١١ - ارشاد المفيد : روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنّه

(١) في المصدر : لهذه النجوم .

(٢) تفسير القمي : ٥٥٣ .

(٣) التوحيد ، ٢٠٣ .

قال : إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة ، فهدم بها أربعة مساجد ، ولم يبق مسجد على أهل الأرض ^(١) له شرف ^(٢) إلا هدمها وجعلها جثاء ^(٣) ، ووسّع الطريق الأعظم وكسّر كل جناح خارج عن ^(٤) الطريق ، وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات ولا يترك بدعة إلا أزالها ولا سنة إلا أقامها ، ويفتح قسطنطينية والصين و جبال الديلم ، فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين من سنينكم هذه ، ثم يفعل الله ما يشاء . قال : قلت له : جعلت فداك فكيف تطول السنون ؟ قال : يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون ! قال : قلت له : إنهم يقولون إن الفلك إن تغير فسد ! قال : ذلك قول الزنادقة ، فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك ، وقد شق الله القمر لنبيه صلى الله عليه وآله ، ورد الشمس من قبله ليوشع بن نون ، وأخبر بطول يوم القيامة ، وأنه كآلف سنة مما تعدون ^(٥) .

١٢ - كتاب النجوم : روى ابن جهور العمي في كتاب الواحدة في أوائل أخبار مولانا الحسن بن علي عليه السلام من خطبة له في صفة النجوم ما هذا لفظه : ثم أجرى في السماء مصابيح ضوءها في مفتحه و حارثها بها و جال شهابها من نجومها الداراري المضيئة التي لولأضوؤها ما أنقذت أبصار العباد في ظلم الليل المظلم بأحواله المدلهم بحنادسه ، و جعل فيها أدلة على منهاج السبل لما أحوج إليه الخليفة من الانتقال والتحول ، والإقبال والإدبار .

١٣ - كتاب الغارات : لأبراهيم الثقفي بإسناده عن أبي عمران الكندي قال : سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى « والسماء ذات الحجب » قال : ذات الخلق الحسن ، قال فما المجرّة ؟ قال ياويلك سل تفقّها ولا تسأل

(١) في المصدر : على وجه الارض .

(٢) أى ارتفاع و اشراف .

(٣) أى مستوية ملساء ، ولعل تأنيث الضمير باعتبار الارض .

(٤) فى المصدر ، فى الطريق .

(٥) ارشاد المفيد : ٣٣٣ .

تَعْنَتَا ! يا ويلك سل عما يعنيك قال : فوالله إن ما سألتك عنه ليعنيني ! قال : إنَّها شرح السماء ، ومنها فتحت السماء بماء منهمر زمن الفرق على قوم نوح عليه السلام قال : فكُم بين السماء والأرض ؟ قال : مدَّ البصر ودعوة بذكر الله فيسمع لا نقول غير ذلك .

بيان : « لا نقول غير ذلك » أي لا نخبر الخلق بمقدار ذلك إذ لا مصلحة لهم في ذلك ^(١) ، فبدل على أن التفكير في أمثال ذلك ممنوع منه ، وليس كما تزعمه الفلاسفة أنها كمال النفس ولا بدَّ للإنسان في تحصيل السعادات الأبدية من النظر فيها .

١٤ - الغارات : باسناده عن ابن نباته ، قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : مدَّ البصر ودعوة المظلوم . وسئل : كم بين المشرق والمغرب ؟ قال : يوم طراد الشمس وسئل عن المجرة فقال أبواب السماء فتحتها الله على قوم نوح ثم أغلقها فلم يفتحها . وسئل عن القوس فقال : أمان الأرض كلَّها من الفرق إذا رأوا ذلك في السماء (الخبر) .

بيان : « يوم طراد » أي تام ، أو قصير ، أو يوم يجري فيه الشمس . قال في القاموس : الطريد من الأيام الطويل كالطراد ، والطريدان : الليل والنهار ، وكتاب رمح قصير ، ومطاردة الأقران حمل بعضهم على بعض وهم فرسان الطراد ، واطرد الأمر تبع بعضه بعضاً وجرى ^(٢) (انتهى) واعلم أن الحكماء اختلفوا في المجرة فقيل : احتراق حدث من الشمس في تلك الدائرة في بعض الأزمان السالفة . وأورد عليه أنه مخالف لقواعدهم التي منها عدم كون الشمس موصوفة بالحرارة

(١) و لعل عدم الاخبار لعدم اعتماد الناس لفهمه في ذلك الزمان ، أو لكون السائل في مقام التعمت والاعياء ، ولو كان التفكير في أمثال هذه المعاني ممنوعة والعلم بها خالياً عن المصلحة لما حاموا حومها و لنهوا اصحابهم و خواصهم أن يطوفوا طورها ، كيف وقد تكاثرت الروايات عنهم بأخبار السماوات وكيفياتها و ما بينها إلى غير ذلك ، مضافاً إلى ما في فهم هذه المعاني من درك عظمة الله تعالى و حكمه وسعة رحمته و معرفة صفاته و أسمائه ، و سيأتي في ما ينقل عن اقوال اجلاء العلماء في النجوم القول باستحباب تعلم الهيئة لذلك .

والإحراق ، ومنها عدم كون الفلك قابلاً للتأثر . وقيل : بخار دخاني واقع في الهواء ، وأُورد عليه بأنه لو كان كذلك لكان يختلف في الصيف والشتاء . وقيل : هي كواكب صفراء متقاربة متشابكة لاتتميز حساً بل هي لشدة تكاثفها وصفرها صارت كأنها لطخات سحابية وهذا أقرب الوجوه (١) .

١٥ - العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم : معنى السماء أنها ارتفعت أي سمت من السمو ، ومعنى الأرض أنها انخفضت ، وكل شيء انخفض فهو أرض .

١٦ - النهج : قال عليه السلام : رب السقف المرفوع ، والجو المكفوف ، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار ، ومجرىً للشمس والقمر ، ومختلفاً للنجوم السيارة ، و جعلت سكانه سيطاً من ملائكتك ، لا يسأمون من عبادتك ، ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام ، و مدرجاً للهوام والأنعام ، و مالا يحصى مما يرى و مما لا يرى ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً ، وللخلق اعتقاداً (٢) .

بيان : السقف المرفوع السماء ، والجو الهواء و ما بين السماء والأرض ، و كنهه أي جمعه وضم بعضه إلى بعض ، وفسر بعضهم الجو المكفوف بالسماء أيضاً والظاهر أن المراد به هنا الهواء بين السماء والأرض فإنه مكفوف بالسماء ، وقد ورد في الدعاء « وسد الهواء بالسماء » وغاض الماء يغيب غيباً : نصب ، وقل ، وكون السماء مغيضاً لليل والنهار والشمس والقمر ظاهر لأنها فيها تغيب ، و أمّا الجو المكفوف فإن فسر بالسماء فظاهر أيضاً ، وإن فسر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه ويرى بحسب الحس كذلك ، وقيل : المراد به الهواء والفضاء بين السماوات فإنه مكفوف بها ، ويمكن حمله على البعد الموجود أو الموهوم الذي هو مكان الفلك ، و كنهها تحديدها وضبطها بالسماوات ، و يمكن جعل الموصول صفة لمجموع السقف والجو لاتصالهما بعدهما شيئاً واحداً ، فإن المجموع محل لتلك الآثار والأجرام في الجملة ومختلفاً للنجوم السيارة . وقال ابن ميثم : المراد بالجو السماء ، وكونه

(١) و إليه انتهى نظر المتأخرين من الفلكيين .

(٢) النهج : ١ ج ، ص ٣١٨ و ٣١٩ .

مغيضاً لليل والنهار لأن الفلك بحر كنه المستلزمة لحرارة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيوبة الليل وعن وجهها لغيوبة النهار ، فكان كالمغيض لهما ، وقيل : جعلته مغيضاً أي غيضة لهما ، وهي في الأصل الأجمة كما يجتمع فيها الماء فتسمى غيضة وينبت فيها الشجر ، كأنه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها . وقال الكيدري في شرحه المغيض : الموضع الذي يفيض فيه الماء أي ينضب ويقل ، وجعل السماء والفلك مغيضاً لليل والنهار مجازاً أي ينقص الله الليل مرة والنهار أخرى وإن زاد في الآخر ، وذلك بحسب جريان الشمس . وقال : الجو المكفوف كأنه أراد الهواء المحدود الذي ينتهي حده إلى السماء ، والجو ما بين السماء والأرض كأنه كف أي منع من تجاوز حده . وقال أبو عمرو : الجو ما اتسع من الأودية ، وكل مستدير فهو كفة - بالكسر - كأنه أراد الهواء الذي هو على هيئة المستدير ، لأنه داخل الفلك الكروي الشكل ، أو أراد بالجو الفلك العريض الواسع و بالمكفوف ما كان عليه كفة من المجرة والنيرات فيكون من كفة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبرئ ، عن الخلل والفطور من قولهم « عيبة مكفوفة » أي مشرحة مشدودة (انتهى) .

والاختلاف : التردد ، وحمله على اختلاف الفصول بعيد . والسبط - بالكسر -

الأمة والقبيلة .

« لايسأمون » أي لا يملون « قراراً » أي محل استقرار ، و درج كقعد أي : مشى . والهوام : الحشرات . وقال ابن ميثم : قال بعض العلماء : من أراد أن يعرف حقيقة قوله ﷺ « مما يرى ومما لا يرى » فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره . وأقول : يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغره أو لطافته كالملك والجن . والاعتماد : الاتكاء والاثكال ، إذ الجبال مساكن لبعضهم ومنها تحصل منافعهم .

١٧ - النهج : عن نوف البكالي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة :

فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطنات بلا عمد ، قائمات بلا سند ، دعاهن "فأجبن طائعات مذعنات، غير متلكنات ولا مبطنات ، ولولا إقرارهن" له بالربوبية ، وإذعانهن" بالطوعية لما جعلهن" موضعاً لعرشه ، ولا مسكناً للملائكته ، ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه ، جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران ، في مختلف فجاج الأقطار ، لم يمنع ضوء نورها ادلهام سجع الليل المظلم ، ولا استطاعت جلايب سواد الحنادس أن ترد" ماشاع في السماوات من تلالؤ نور القمر^(١) (إلى آخر الخطبة) .

توضيح : المراد بشواهد الخلق آيات الإبداع وعلامات التدبير المحكم ، أو ما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه وتدبيره وعلمه ، أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير . ووطدت كوعدت أظدها طدة ووطدتها توطيداً : إذا أثبتتها بالوطء أو غيره حتى تتصلب ، و توطيد السماوات إحكام خلقها و إقامتها في مقامها على وفق الحكمة . و العمد - بالتحريك - : جمع عماد - بالكسر - وهو ما يسند به ، أو جمع عمود . والسند - بالتحريك - : ما استندت إليه واتكأت من حائط وغيره ، والطائع : المنقاد السلس . وأذن أي انقاد ولم يستعص وتلكاً : أي توقف واعتل . والطوعية - كثمانية - : الطاعة ، ولعل" المراد بالملائكة المقرّبون أو الأكثر ، لأن منهم من يسكن الهواء والأرض والماء ، وصعود الكلم الطيب والعمل الصالح صعود الكتب بصحائف أعمال العباد إلى السماوات ، وفيه إشارة إلى قوله سبحانه «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»^(٢) ، وإجابتهن" إشارة إلى قوله تعالى «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»^(٣) ، وقدمر" الكلام في تأويل الآية ، وقيل : هنا إقرارهن" بالربوبية له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الرب" و الانقياد لحكم

(١) النهج ، ج ١ ، ص ٣٣٩ و ٣٤٠ .

(٢) فاطر ، ١٠١ .

(٣) فصلت ، ١١ .

قدرته ، وظاهر أنه لولا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتديره لم يكن فيها عرش ولم يكن مسكناً للملائكة ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من الخلق (انتهى) .
وأما تخصيصه ﷺ السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعله لكونها أكثر طاعة لكون مادتها أقبل أولشرفها . والعلم - بالتحريك - : ما يهتدى به والمختلف : الاختلاف أي التردد ، أو موضعه ، أو هو من المخالفة . والفج : الطريق الواسع بين جبلين ، والقطر : الجانب و الناحية ، فالمعنى : يستدل بها الحيارى في التردد في فجاج الأقطار ، أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأقطار ، وذهاب كل منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر كاختلاف القوم في الآراء . والسجف - بالكسر وبالفتح - : الستر ، والجلباب - بالكسر - : ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها كالملحفة ، وقيل : هو الخمار ، وقيل : القميص . والهندس - كزبرج - : الشديد الظلمة ، وشاع الشيء يشيع أي ظهر و ذاع وفشا ، وتلاّ القمر والبرق أي لمع .

١٨ - كتاب المنى بن الوليد الحنات : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : سألت عن السماوات السبع ، فقال : سبع سماوات ليس منها سماء إلا وفيها خلق ، وبينها وبين الأخرى خلق ، حتى ينتهي إلى السابعة . قلت : و الأرض ؟ قال : سبع ، منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب ، و اثنتان هواء ^(١) ليس فيهما شيء .

١٩ - كتاب زيد النرسي : عن أبي عبد الله ﷺ قال : إذا نظرت إلى السماء فقل - وذكر الدعاء إلى قوله - اللهم رب السقف المرفوع ، والبحر المكفوف ، و الفلك المسجور ، والنجوم المستخرات ، ورب هور بن إسيّة صل على محمد وآل محمد وعافني من كل عقرب و حية - إلى آخر الدعاء - قال : قلت : وما هور بن

(١) ان كان المراد بالهواء الجسم اللطيف المعروف كان المراد بالارضين الاجسام المنخفضة بالنسبة الى السماوات سواء كانت كثيفة كالتراب اولطيفة كالهواء ، وان كان المراد به الشيء الخالي ، كما انه من معانيه وربما يؤيده قوله بمدّه « ليس فيها شيء » فيمكن اخذ الارض بمعناها المعروف .

إِسِيَّة ، قال : كوكبة في السماء خفية تحت الوسطى من الثلاث الكواكب التي في بنات نعش المتفرقات ، ذلك أمان ماقلت .

٢٠ - الدر المنثور : نقلًا من سبعة من كتبهم عن ابن مسعود قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ^(١) خمسمائة عام ، وما بين كل سمان خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ^(٢) .

٢١ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز ذكره إذا أراد فناء دولة قوم أمر الفلك فأسرع السير فكانت على مقدار ما يريد ^(٣) .

بيان : أمر الفلك لعلّه كناية عن تسبیب أسباب زوال دولتهم على الاستعارة التمثيلية ، ويحتمل أن يكون لكل دولة فلك سوى الأفلاك المعروفة بالحركات وقد قدر لدولتهم عدد من الدورات فإذا أراد الله إطالة مدتهم أمر ببطائه في الحركة وإذا أراد سرعة فنائها أمر بإسراعه .

٢٢ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن عنبسة بن بجاد العابد ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كنا عنده - وذكر واسطان بني أمية - فقال أبو جعفر عليه السلام : لا يخرج على هشام أحد إلا قتله . قال : وذكر ملكه عشرين سنة ، قال : فجزعنا فقال : مالكم ؟ إذا أراد الله عز وجل أن يهلك سلطان قوم أمر الملك فأسرع بسير الفلك فقدّر على ما يريد ^(٤) (الخبر) .

٢٣ - توحيد المفضل : قال : قال الصادق عليه السلام : فُكر يا مفضل في النجوم

(١) في المصدر : بين السماء والأرض خمسمائة عام .

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٣) روضة الكافي : ١٦٣ .

(٤) روضة الكافي ، ٣٩٣ .

واختلاف مسيرها ، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة ، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها ، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين : أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب ، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق ، كالنملة التي تدور على الرحى ، فالرحى تدور ذات اليمين ، و النملة تدور ذات الشمال ، و النملة في تلك تتحرك حركتين مختلفتين : إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها ، والاخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها ، فاسأل الزاعمين ، أن النجوم صارت على ماهي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها مامنعا أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها متنقلة ؟ فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعهد و تدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعمه المعطلة .

فان قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتبا و بعضها متنقلا ؟ قلنا : إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المتنقلة و مسيرها في كل برج من البروج ، كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس و النجوم في منازلها ، ولو كانت كلها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه ، لأنه إنما يوقف بمسير المتنقلة منها لتنقلها في البروج الراتبة ، كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ، ولو كان تنقلها بحال واحدة لا خلط نظامها وبطلت المآرب فيها ، ولساغ لقائل أن يقول : إن كينو نيتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ، ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها .

فكّر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل ثريا والجوزاء ، والشعرين ، وسهيل ، فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها ^(١) على حياله دلالات يعرفها الناس ، ويبتدون بها البعض أمورهم كمرقتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت ، واحتجابها إذا احتجبت

فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته ، وكما جعلت الثرى وأشباهها تظهر حيناً وتحجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة ، فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة ، وذلك أنها لاتغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا ، و صار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الرب والمصلحة ، وفيها مآرب أخرى : علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر ، وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد ، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة ، مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة و مشرقة ومغربة من العبر ، فإنها تسير أسرع السير وأحش ، أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها ، كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجو ، وكذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا في قبة مكلّلة بمصابيح تدور حولهم دوراً حثيثاً لحارت أبصارهم حتى يخرقوا لوجوهم ، فانظر كيف قدّر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار ، وتتكأ فيها ، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها ، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسدّ مسدّ الضوء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة ، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل ، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه ، فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة لحاجة إليها ، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا .

فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم [في] هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي

بيّنت ولخصت لك آتفاً ، وهل يخفى على ذي لبّ أن هذا تقدير مقدّر و صواب و حكمة من مقدّر حكيم ؟ فإن قال قائل : إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاّب تراه يدور و يسقي حديقة فيها شجرونبات ، فترى كل شيء من آله مقدّرأً بعضه يلتقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله ؟ و ما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه ؟ فينكر أن يقول في دولاّب خشب ^(١) مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلاصانع ومقدّر ، ويقدر أن يقول في هذا الدولاّب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لواعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه .

بيان : قوله ﷺ « لا تفارق مراكزها » لعل المراد أنه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيارات ، أولاً يختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها ، ويحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها ، و عليه ينبغي أن يحمل قوله ﷺ « وبعضها مطلقة ينتقل في البروج » أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كل أحد ، والأوّل أظهر كما سيظهر من كلامه ﷺ .

قوله ﷺ « فإن الإهمال معنى واحد » يحتمل أن يكون المراد أن الطبيعة أو الدهر اللذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثرين كل منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة ، ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مرّ ، أو المراد أن العقل يحكم بأن مثل هذين الأمرين المتسقّين الجارين على قانون الحكمة لا يكون إلا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم ، أو المراد أن الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلة وترجح الأمر الممكن من غير مرجّح كما تزعمون أمر

واحد حاصل فيهما فلم صارت إحدیهما راتبة والأخرى متنقلة ولم لم يمسك الأمر؟
والأول أظهر كما لا يخفى . قوله عليه السلام «لبطلت الدلالات ، ظاهره كون الأوضاع
النجومية علامات الحوادث . قوله عليه السلام « في البروج الراتبة » يدل ظاهره على ما
أشرنا إليه من أنه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذة نفس الأشكال ، وإن أمكن
أن يكون المراد بيان حكمة بطء الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج
ولو بقربها منها لكنه بعيد . قوله عليه السلام « والشعرين » قال الجوهري : الشعرى
الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ، وهما الشعران : الشعرى
العبور التي في الجوزاء ، والشعرى القميصاء التي في الذراع ، تزعم العرب أنهما
اختاسهيل (انتهى) والقفار جمع قفر وهو الخلاء من الأرض ، وخطف البرق البصر :
ذهب به ، ووهج النار . بالتسكين - : توقدها ، وقوله « حثيثاً » أي مسرعاً ، وتجافى :
أي لم يلزم مكانه ، وبرح مكانه : زال عنه .

٢٤ - المتعبد : في تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : وأسألك باسمك الذي
أجريت به الفلك ، فجعلته معالم شمسك وقمرک ، وكتبت اسمك عليه .

٢٥ - الدر المنثور : للسيوطي نقلاً من تسعة عشر من كتبهم عن العباس
ابن عبدالمطلب قال : كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فقال : هل تدرون كم بين السماء
والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : بينهما مسيرة خمسمائة عام ، ومن كل
سما إلى سما مسيرة خمسمائة عام ، وكثف كل سما خمسمائة سنة ، وفوق السماء
السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال
بين كبهن^(١) وأظلافهن^(٢) كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش بين أسفله
وأعلاه كما بين السماء والأرض^(٢) .

٢٦ - ومن عدة كتب بأسانيدهم عن أبي ذر - ره - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سما مسيرة خمسمائة عام ، وما

(١) في المصدر : بين وركهن .

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٣ .

بين السماء إلى النبي تليها مسيرة خمسمائة عام ، كذلك إلى السماء السابعة ، والأرضون مثل ذلك ، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك . ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله ثمة - يعني علمه - (١) .

٢٧ - وبأسانيد أخرى عن النبي ﷺ قال : كنّا جلوساً مع رسول الله ﷺ فمرّت سحابة فقال : أتدرون ما هذه ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذه الغيابة يسوقها الله إلى أهل بلد لا يعبدونه ، ولا يشكرونه ! هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنّ فوق ذلك موج مكفوف و سقف محفوظ ، هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنّ فوق ذلك سماء أخرى ، هل تدرون كم ما بينهما ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنّ بينهما مسيرة خمسمائة عام - حتّى عد سبع سماوات بين كلّ سماءين مسيرة خمسمائة عام - ثمّ قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّ فوق ذلك العرش ، فهل تدرون كم ما بينهما ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّ بين ذلك كما بين السماءين ثمّ قال : هل تدرون ما هذه ؟ هذه أرض ، هل تدرون ما تحتها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أرض أخرى ، وبينهما مسيرة خمسمائة عام ، حتّى عد سبع أرضين بين كلّ أرضين مسيرة خمسمائة عام (٢) .

٢٨ - وعن عبد الله بن عمر أنّه نظر إلى السماء فقال : تبارك الله ! ما أشدّ بياضها ، والثانية أشدّ بياضاً منها ، ثمّ كذلك حتّى بلغ سبع سماوات ، وخلق فوق السابعة الماء ، وجعل فوق الماء العرش ، وجعل فوق السماء الدنيا الشمس والقمر والنجوم والرجوم (٣) .

٢٩ - وعن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله ما هذا السماء ؟ قال : هذا موج مكفوف عنكم (٤) .

٣٠ - وعن الربيع بن أنس قال : السماء الدنيا موج مكفوف ، والثانية مرمرة

بيضاء ، والثالثة حديد ، والرابعة نحاس ، والخامسة فضة ، والسادسة ذهب ، والسابعة
ياقوتة حمراء ، وما فوق ذلك صحاري من نور ، وما يعلم ^(١) ما فوق ذلك إلا الله ، و
ملك موكل بالحجب يقال له « ميطاطروش » ^(٢) .

٣١ - وعن سلمان الفارسي - ره - قال : السماء الدنيا من زمردة خضراء
اسمها « رفيعة » والثانية من فضة بيضاء واسمها « أدقلون » والثالثة من ياقوتة حمراء
واسمها « قيدوم » والرابعة من درة بيضاء واسمها « ماعونا » ^(٣) والخامسة من ذهب
حمراء واسمها « ديقا » والسادسة من ياقوتة صفراء واسمها « دفنا » والسابعة من نور
واسمها « عربيا » ^(٤) .

٣٢ - وعن علي عليه السلام قال : اسم السماء الدنيا رفيع ، واسم السابعة المضراح ^(٥) .
٣٣ - وعن ابن عباس قال : سيد السماوات السماء التي فيها العرش و سيد
الأرضين الأرض التي أتم عليها ^(٦) .

٣٤ - وعن الشعبي قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجحدر حين سأله عن
السماء من أي شيء هي فكتب إليه : إن السماء من موج مكفوف ^(٧) .

٣٥ - وعن حبة العرنبي ^(٨) قال : سمعت علياً عليه السلام ذات يوم يحلف :
والذي خلق السماء من دخان وماء ^(٩) .

٣٦ - وعن كعب قال : السماء أشدّ بياضاً من اللبن ^(١٠) .

٣٧ - وعن سفيان الثوري قال : تحت الأرضين صخرة بلغنا أن تلك الصخرة
منها خضرة السماء ^(١١) .

(١) في المصدر ، ولا يعلم .

(٢) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٣ .

(٣) منحونا (خ) .

(٤-٧) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٨) في المصدر ، عن حبة العوفى .

(٩-١١) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٣ .

٣٨ - وعن قتادة في قوله « فسوَّينَ سبع - ماوات » قال : بعضهنَّ فوق بعض بين كلِّ سماءين مسيرة خمسمائة عام ^(١) .

٣٩ - وعن ابن جبير قال : إنَّ هرقل كتب إلى معاوية وقال : إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبروني ممَّا أسألهم عنه ، قال : وكتب إليه يسأله عن المجرَّة وعن القوس وعن البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة . قال فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال : إنَّ هذا شيء ما كنت أظنُّ أن أسأل عنه إلى يومي هذا ! من لهذا ؟ قالوا : ابن عباس . فطوى معاوية كتاب هرقل وبعث به إلى ابن عباس فكتب إليه أن القوس أمان لأهل الأرض من الفرق ، والمجرَّة باب السماء الذي يشقُّ منه ، وأمَّا البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من نهار فالبحر الذي أُفرج من بني إسرائيل ^(٢) .

٤٠ - وعن أبي صالح في قوله « كانتا رتقا ففتقناهما » قال : كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات ، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين ^(٣) .

٤١ - وعن الحسن وقتادة قالا : كانتا جميعاً ففصل الله بينهما بهذا الهواء ^(٤) .

٤٢ - وعن ابن جبير قال : كانت السماوات والأرضون ملتزقتين ، فلما رفع الله السماء وأبعدها ^(٥) من الأرض فكان فتقها الذي ذكر الله ^(٦) .

٤٣ - وعن ابن عباس في قوله تعالى « والسماء ذات الجبك » قال : حسنها واستواؤها ^(٧) .

٤٤ - وروي عنه أيضاً أنه قال : ذات البهاء والجمال ، وأنَّ بنيانها كالبرد المسلسل ^(٨) .

(١) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٤) في المصدر ، وابتزها .

(٥-٨) الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

- ٤٥ - وفي رواية أخرى عنه : ذات طرائق والخلق الحسن^(١) .
- ٤٦ - وعن علي^{عليه السلام} قال : هي السماء السابعة^(٢) .
- ٤٧ - وعن عكرمة : ذات الخلق الحسن محبكة بالنجوم^(٣) .
- ٤٨ - وعن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين علياً^{عليه السلام} عن المجرة فقال : هي شجر^(٤) السماء ، ومنها فتحت أبواب السماء بماء منهمر ، ثم قرأ « ففتحن أبواب السماء بماء منهمر^(٥) » .
- ٤٩ - وعن ابن عباس في قوله « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سماوات مقداره خمسين ألف سنة ، ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك ينزل^(٦) الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام^(٧) .
- ٥٠ - وعنه أيضاً قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، و بين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام ، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء خمسمائة عام ، فذلك أربعة عشر ألف عام ، و بين السماء وبين العرش مسيرة سنة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة^(٨) » .
- ٥١ - وعن وهب قال : مقدار ما بين أسفل الأرض إلى العرش خمسون ألف سنة^(٩) .

٥٢ - وعن الحسن في قوله « سبع سماوات طباقا » قال : بعضهن فوق بعض

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ٣١٧ .

(٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١١٢ .

(٣) الظاهر انه مصحف « شرح »

(٤) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٣٤ .

(٥) في المصدر : نزول الامر .

(٦-٧) الدر لمنثور : ج ٦ ، ص ٢٦٣ .

كلّ سماء وأرض خلق وأمر (١) .

٥٣ - وعن أبي ذرّ قال : قرأ رسول الله ﷺ « هل أتى على الإنسان ، حتّى ختمها ، ثمّ قال : إنّي أرى ما لاترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أظنّ السماء وحقّ لها أن تظنّ ! ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وما تلدّذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله عزّ وجلّ » (٢) .

٥٤ - وعن عليّ عليه السلام قال : السقف المرفوع السماء ، و البحر المسجور بحر في السماء تحت العرش (٣) .

بيان : قال في النهاية : الوعول والأوعال تيوس الجبل ، واحدها « وعل » بكسر العين ، ومنه الحديث في تفسير قوله تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قيل ثمانية أوعال أي ملائكة على صورة الأوعال (٤) (انتهى) . قوله « لوجدتم الله ثمة » أي نسبته سبحانه إلى العرش وتحت الثرى وجميع الأماكن متساوية من حيث عدم حصوله بذاته في شيء منها ، وإحاطة علمه وقدرته بجميعها . وقال الطيبي : « فيما رواه » لودليتم بجبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله « دلّينم أي أرسلتم ، وعلى الله أي على علمه وقدرته وسلطانه و في النهاية : الغيابة كل شيء أظنّ الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (انتهى) . موج مكفوف قال الطيبي : أي ممنوع من الاسترسال ، حفظها الله أن تقع على الأرض ، وهي معلقة بلا عمد كال موج المكفوف .

٥٥ - الدر المنثور : عن عليّ عليه السلام في قوله « فلا أقسم بالخنس » قال : هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى (٥) .

(١) الدر المنثور ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٢) الدر المنثور ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٣) الدر المنثور ج ١ ، ص ١١٨ .

(٤) النهاية ج ١ ، ص ٢٢١ .

(٥) الدر المنثور ج ١ ، ص ٣٢٠ .

٥٦ - وعن علي عليه السلام في قوله « فلا أقسم بالخنس » قال : خمسة أنجم : زحل ، وعطارد ، والمشتري ، وبهرام ، والزهرة ، ليس في الكواكب شيء يقطع المجرة غيرها ^(١) .

٥٧ - وعن ابن عباس قال : الخنس نجوم تجري يقطعن المجرة كما يقطع الفرس ^(٢) .

٥٨ - وعن ابن عباس في قوله « بالخنس الجوار الكنس » قال : هي النجوم السبعة : زحل ، وبهرام ، وعطارد ، والمشتري ، والزهرة ، والشمس ، والقمر ، خنوسها رجوعها ، وكنوسها تغيبها بالنهار ^(٣) .

٥٩ - وعن الأعمش قال : كان أصحاب عبدالله يقولون في قوله تعالى « والسماء ذات البروج » ذات القصور ^(٤) .

٦٠ - وعن أبي صالح في قوله « ذات البروج » قال النجوم العظام ^(٥) .

٦١ - وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السماء ذات البروج فقال : الكواكب . وسئل ^(٦) « الذي جعل في السماء بروجاً » فقال : الكواكب . قيل : فبروج مشيدة ؟ فقال القصور ^(٧) .

٦٢ - وعن قتادة في قوله « والسماء ذات البروج » قال : بروجها نجومها « واليوم الموعود » قال : يوم القيامة « وشاهد ومشهود » قال : يومان عظيمان عظمهما الله من أيام الدنيا ، كنّا نحدث أن الشاهد يوم القيامة ، وأن المشهود يوم عرفة ^(٨) .

٦٣ - وعن الحسن في قوله « والسماء ذات البروج » قال : حبكت بالخلق الحسن ثم حبكت بالنجوم « واليوم الموعود » قال : يوم القيامة ^(٩) .

(١) (٣ و ٢١) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٠ .

(٢) (٤ و ٥) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٣١ .

(٣) في المصدر : وسئل عن الذي ...

(٤ - ٧) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٣١ .

٦٤ - وعن مجاهد « والسماء ذات البروج » قال : ذات النجوم « و شاهد ومشهود » قال : الشاهد ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة ^(١) .

فائدة : اعلم أن أصحاب الهيئة قالوا : بُعد مقعر فلك القمر عن مركز العالم أحد وأربعون ألفاً وتسعمائة وستة وثلاثون فرسخاً ، و بُعد محدب به الذي هو مماس لمقعر فلك عطارد بزعمهم خمسة وثمانون ألف فرسخ و سبعمائة فرسخ وثلاث فراسخ ، و بُعد مقعر فلك الزهرة مائتان وخمسة وسبعون ألف فرسخ وثلاثمائة وثمانون فرسخاً ، و بُعد مقعر فلك الشمس ألف ألف فرسخ وثمانمائة [وثمان] وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة وخمسة وثمانون فرسخاً ، و بعد مقعر فلك المريخ ألف ألف فرسخ وسبعة وعشرون ألف فرسخ و تسعمائة وأربع وثلاثون فرسخاً و بعد مقعر فلك المشتري أربعة آلاف ألف فرسخ وسبعمائة وسبعون ألف فرسخ وستمائة و اثنان وسبعون فرسخاً ، و بعد مقعر فلك زحل ثلاثة وعشرون ألف ألف فرسخ وتسعمائة وأحد وتسعون ألف فرسخ ومائتان وخمسة عشر فرسخاً ، و بعد مقعر فلك الثوابت ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ خمسمائة ألف وتسعة آلاف فرسخ ومائة وثمانية وثمانون فرسخاً ، و بعد مقعر الفلك الأعلى ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ وخمسمائة وأربعة وعشرون ألف فرسخ وستمائة وتسعة فراسخ ، و بعد محدب الفلك الأعلى لا يعلمه أحد إلا الربّ تبارك وتعالى ومن أوحى إليه .

وذكروا أن قطر القمر سبعمائة وأحد وثلاثون فرسخاً ، وجرمه سدس سبع جرم الأرض . وقيل : جزء من تسعة وثلاثين جزء منها ، وقطر العطارد مائة وتسعة فراسخ ، وجرمه جزء من اثني عشر ألف جزء وسبعمائة وتسعة وستين جزء من جرم الأرض ، وقطر الزهرة تسعمائة فرسخ وخمسة وستون فرسخاً ، وجرمه ثلاث تسع جرم الأرض ، وقيل : جزء من سبعة وثلاثين جزء من الأرض ، وقطر الشمس سبعة عشر ألف فرسخ وخمسمائة وثمانية وستون فرسخاً ، وجرمه ثلاثمائة وثمانية وعشرون ضعف جرم الأرض ، وقيل : مائة وستة وستون ضعفاً ، وقطر المريخ ثلاثة آلاف

فرسخ وسبعمائة وخمسة وتسعون فرسخاً، وجرمه ثلاثة أضعاف جرم الأرض، وقيل : مثل الأرض ونصفها، وقطر المشتري أربعة عشر ألف فرسخ وخمسمائة وستة وتسعون فرسخاً، وجرمه مائة وثمان وثمانون ضعفاً من الأرض، وقيل : اثنان وثمانون ضعفاً ورباعاً منها، وقطر زحل أربعة عشر ألف فرسخ وأربعمائة وخمسة وثلاثون فرسخاً، وجرمه مائة واثان وثمانون ضعفاً من الأرض، وقيل : سبع وسبعون ضعفاً^(١)، والكواكب الغير المرصودة لا يعلم عددها إلا الله تعالى وحججه عليه السلام، ومارصدوا منها ألف واثان وعشرون كوكباً^(٢)، فأعظمها على ما ذكره بعضهم ثمانية وتسعون ضعفاً للأرض و سدسها، وأصغرها عشرة أضعاف و ثلث من الأرض وعلى ما ذكره آخرون : أعظمها مائتان واثان وعشرون ضعفاً من الأرض، وأصغرها ثلاثة وعشرون ضعفاً منها، ورتبوا أقدارها المختلفة في ست مراتب ينقص كل مرتبة عن صاحبها في القطر بسدس، فأولها أعظمها وفيها خمسة عشر كوكباً، وفي الثانية خمسة وأربعون، وفي الثالثة مائتان وثمانية، وفي الرابعة أربعمائة وأربعة وسبعون وفي الخامسة مائتان وسبعة عشر، وفي السادسة تسعة وأربعون، وأربعة عشر خارجة عن المراتب، تسعة خفية تسمى مظلمة، وخمسة سحابية كأنها قطعة غيم، وقد

(١) قطر القمر عند اصحاب الهيئة الجديدة خمسمائة وتسعة وسبعون فرسخاً، وجرمه سبع سبع جرم الأرض، وقطر عطارد ثمانمائة وخمسة فراسخ وجرمه جزء من اربعة وعشرين جزء من جرم الأرض، وقطر الزهرة ألفان وستة عشر فرسخاً وجرمها تسعة اعشار جرم الأرض، وقطر المريخ ألف ومائتا فرسخ وجرمه عشر جرم الأرض، وقطر المشتري احد عشر ألف فرسخ وخمسمائة فرسخ وجرمه اكثر من جرم الأرض بألف وثلاثمائة ضعف جرمها وهو اكبر السيارات وقطر زحل عشرة آلاف فرسخ وجرمه أكثر من جرم الأرض بتسمائة وخمسين ضعف جرمها، كل ذلك بالتقريب، ولأجل مايقع من المسامحة في امثال تلك المحاسبات يحصل اختلافات كثيرة في تعيين المقادير، ولذلك ذكروا في تعيين الاقطار والابعاد اعداداً تختلف مع ما ذكرنا بكثير.

(٢) ما يمكن رؤيته بلا آلة يقرب من ستة آلاف كوكب، ويمكن رؤية ألفين منها تقريباً في ليلة واحدة، واما ما يرى بالمكبرات العظيمة فتبلغ مئات مليون واما ما لم ير بعد فلا يعلم عدده الا الله تعالى أو من علمه من لدنه.

يزاد ثلاثة تسمى « صغيرة » ثم توهّموا لتعريف هذه الكواكب صوراً تكون هي عليها، أوفيما بينها ، أو بقربها ، والصورتان وأربعون : إحدى وعشرون في الشمال واثنان عشرة على المنطقة ، وهي صور البروج المشهورة ، وخمس عشرة في الجنوب . هذا ما ذكره واستنبطوه من قواعدهم والله تعالى يعلم حقائق الأمور .

وقال بعضهم: يسير الفلك الأعظم بمقدار ما يقول أحد « واحد » ألفاً وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخاً من مقعره ، والله تعالى يعلم ما يسير من محدّبه ! وهو أسرع الحركات ، وحركته من المشرق إلى المغرب ، ويتمّ في يوم بليلته دوراً بالتقريب ، و قطباه يسميان بقطبي العالم ، ومنطقته تسمى بمعدّل النهار ، وهي تقطع العالم بنصفين : شمالي ، وجنوبي ، والصغار الموازية المرشمة من تحرك النقاط عن جنبتيها تسمى بالمدارات اليومية ، وسائر الحركات الخاصة للكواكب من المغرب إلى المشرق على توالي البروج وأبطالها حركة فلك الثوابت ، و يوافقه جميع الممثلات ، ويقطع في كلّ خمسة وعشرين ألفاً ومأتي سنة دوراً ، ويقطع في كلّ سنة عشرة فراسخ ، ومع ذلك لا ترى حركتها في قريب من خمسين سنة ، بل ترى في تلك المدّة كأنّها ساكنة و قطباه يسميان بقطبي البروج ، ومنطقته بمنطقة البروج وفلك البروج ، وهي تقطع المعدّل على نقطتين تسميان بالاعتدالين : الربيعي والخريفي ، وأبعد أجزائها عنه بالانقلابين الصيفي والشتوي ، وغاية هذين البعدين من الجانب الأقرب تسمى بالميل الكلّي ، وهو بالرصد الجديد ثلاثة وعشرون جزءاً وثلاثون دقيقة ، وتنقسم منطقة البروج بهذه النقاط الأربعة أرباعاً قطع الشمس لكلّ منها أحد الفصول الأربعة ، ولها دوائر صغار كالأولى التي تسمى بمدارات العرض ، وتوهّموا في كلّ ربع من تلك الأرباع نقطتين انقسم بها بثلاثة أقسام متساوية فحصلت البروج الاثنا عشر ، فالحمل والثور والجوزاء ربيعية ، والسرطان والأسد والسنبلة صيفية ، والميزان والعقرب والقوس خريفية ، والجدي والدلو والحوث شتوية ، فتحصل بالحركة الخاصة للشمس في هذه البروج ، الفصول الأربعة في كلّ سنة ، والقمر يقطع تلك البروج في سبعة وعشرين يوماً و ليلة وثلاث

تقريباً ، والعطارد والزهرة يقطعانها في سنة تقريباً ، والمرّ يخ يقطعها في سنة وعشرة أشهر وأحد وعشرين يوماً و ليلة و اثنتين وعشرين ساعة وخمسين دقيقة ، و المشتري يقطعها في إحدى عشرة سنة و شهرين وثلاثة عشر يوماً و ليلة و إحدى عشرة ساعة وتسع دقائق وقال المحقق الطوسي - ره - في اثنتي عشرة سنة تقريباً ، وزحل يقطعها في ثلاثين سنة ، ويقال للشمس والقمر « النيران » ولزحل والمشتري « العلويان » ولعطارد والزهرة « السفليان » وللمشتري والزهرة « السعدان » ولزحل والمريخ « النحسان » .

ثمّ إنّ القدماء قالوا : كل واحد من أفلاك الكواكب السبعة يشتمل على أفلاك أخرى جزئية مفروزة عن كلّها متحرّكة بحركة أخرى غير حركة الكل وذلك لأنّه يعرض لها في حركاتها السرعة والبطء والتوسط بينهما ، وكذا الوقوف والرجوع والاستقامة ، وقد تكون حركة بعضها متشابهة حول نقطة ، أي يحدث عندها في أزمنة متساوية زوايا متساوية وقسماً ^(١) متساوية ، مع أنّه يقرب منها تارة ويبعد عنها أخرى إلى غير ذلك من الاختلافات ، فأثبتوا الفلك الشمس فلكاً آخر شاملاً للأرض ، مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جانب من الفلك الكلي لها بحيث يماسّ محدّب سطحه السطح الأعلى من الفلك الكلي على نقطة مشتركة بينهما تسمّى « الأوج » ومقعّر سطحه السطح الأدنى منه على نقطة مشتركة تسمّى « الحضيض » فيحصل بسبب ذلك جسمان متدرّجا الثخن إلى غاية هي ضعف ما بين المركزين أحدهما حاوٍ للفلك الخارج المركز ، والآخر محوي ، فيه رقّة الحاوي ممّا يلي الأوج ، و غلظه ممّا يلي الحضيض ، ورقّة المحوي و غلظه بالعكس يقال لكلّ منهما « المتعمّم » و جرم الشمس مركّوز في ثخن الخارج عند منتصف ما بين قطبيه مماسّ لسطحه على نقطتين ، و أفلاك كل من الكواكب العلوية والزهرة

(١) القسي - بكسر القاف والسين و تشديد الياء - : جمع « قوس » على فمول ، فنقلت الواو إلى موضع السين وابدلت ياء ثم ابدلت واو الجمع ياء وادغمت فيها وكسرت القاف والسين لمناسبتها .

كذلك ، إلا أن لها تداوير مركوزة في خوارجهما كارتكاز الشمس وهي فيها يماس^١ سطح كل سطح تدويره على نقطة ، وكذلك فلك القمر إلا أن له فلكاً آخر مركزه مركز العالم محيطاً بالكل يسمى بالجوزهر ، وأما عطارد فمركز فلكه الذي في ثخنه الخارج غير مركز العالم ويسمى بالمدير ، وهو في ثخن فلكه الكلي الذي مركزه مركز العالم كالخارج في ثخنه على الرسم المذكور ، فله خارجان وأوجان وحضيضان وأربعة متممات . وتسمى الأفلاك الكلية بالمثلثات لمماثلتها لمنطقة البروج في المركز والحركة والمنطقة والقطين ، وتسمى الخوارج المراكز كلها سوى المدير بالحوامل ، وتسمى البعد الأبعد في التداوير بالذروة ، والأقرب بالحضيض . هذا ما ذكره القدماء في ذلك ، وأما المتأخرون فزادوا أفلاكاً جزئية أخرى لحل بعض ما لا ينحل من مشكلات هذا الفن لم تتعرض لها ولا لذكر جهات حركات هذه الأفلاك ومقاديرها وأقطابها ودوائرها ومناطقها المذكورة في كتب القوم ، لأنها لا تناسب هذا الكتاب ، وكل ما ذكره مبنية على أوهام و خيالات يستقيم بعض الحركات بها ، وتحيروا في كثير منها ، ولا يعلمها بحقيقتها إلا خالقها ومن خصه بعلمها من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام .

٩

﴿ باب ﴾

﴿ الشمس والقمر وأحوالهما وصفاتهما والليل والنهار ﴾
 ﴿ (وما يتعلق بهما) ﴾

الآيات :

البقرة : يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج^(١) .
 آل عمران : تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل^(٢) .

(١) البقرة ، ١٨٩ .

(٢) آل عمران ، ٢٧٠ .

الانعام : فالحق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباً ذلك تقدير العزيز العليم ^(١).

الاعراف : يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ^(٢).

يونس : هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض آيات لقوم يتقون ^(٣).
وقال تعالى : هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ^(٤).

الرعد : وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى - إلى قوله - يغشي الليل النهار ^(٥).

ابراهيم : وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ^(٦).
النحل : وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ^(٧).

الاسراء : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ^(٨).

(١) الانعام ، ٩٦ .

(٢) الاعراف ، ٥٣ .

(٣) يونس : ٥ و ٦ .

(٤) يونس : ٦٧ .

(٥) الرعد ، ٣ و ٢ .

(٦) ابراهيم ، ٣٣ .

(٧) النحل : ١٢ .

(٨) الاسراء ، ١٢ .

الكهف : حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تقرب في عين حمة ووجد عندها قوماً - إلى قوله تعالى - حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً (١)

الانبياء : وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون (٢).

الحج : ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٣).

المؤمنون : وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون (٤).

النور : يقاب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (٥).

الفرقان : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ۞ وهو الذي جعل الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً (٦) وقال سبحانه : تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ۞ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً (٧).

النمل : أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر (٨) وقال تعالى : ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٩).

(١) الكهف ، ٨٦ - ٩٠ .

(٢) الانبياء : ٣٣ .

(٣) الحج ، ٦١ .

(٤) المؤمنون ، ٨٠ .

(٥) النور ، ٣٣ .

(٦) الفرقان ، ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ .

(٧) د : ٦١ و ٦٢ .

(٨) النمل : ٦٣ .

(٩) النمل ، ٨٦ .

القصص : قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتىكم بضياء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ^(١).
العنكبوت : ولئن سئلتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنَّ الله فأنسى يؤفكون ^(٢).

الروم : ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ^(٣).
لقمان : ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ^(٤).
فاطر : يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك ^(٥).

يس : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ؟ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ؟ والقمر قد رنا منازل حتى عاد كالرجون القديم ؟ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ^(٦).

الصفات : ورب المشارق ^(٧).

الزمر : خلق السماوات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر

(١) القصص ، ٧١ ، ٧٣ .

(٢) العنكبوت ، ٦١ .

(٣) الروم ، ٢٣ .

(٤) لقمان ، ٢٩ .

(٥) فاطر ، ١٣ .

(٦) يس ، ٣٧ .

(٧) الصفات ، ٥ .

النهار على الليل و سَخَّرَ الشمس و القمر كلَّ يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز
الفقار (١).

المؤمن : الله الَّذِي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنَّ الله لذو-
فضل على الناس و لكنَّ أكثر الناس لا يشكرون (٢).

السجدة : و من آياته الليل و النهار و الشمس و القمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله الَّذِي خلقهنَّ إن كنتم إِيَّاه تعبدون (٣).

الرحمن : الشمس و القمر بحسبان (٤) و قال تعالى : ربَّ المشرقين و ربَّ
المغربين فبأيَّ آلاء ربكما تكذَّبان (٥).

الحديد : يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل (٦).

المعارج : فلا أقسم بربَّ المشارق و المغرب (٧).

نوح : و جعل القمر فيهنَّ نورا و جعل الشمس سراجاً (٨).

المدثر : كلاً والقمر † والليل إذ أدبر † و الصبح إذا أسفر † إنها لا حدى
الكبر (٩).

النبا : و جعلنا نومكم سباتاً † و جعلنا الليل لباساً † و جعلنا النهار معاشاً †
و بنينا فوقكم سبعا شداداً † و جعلنا سراجاً † وهّاجاً (١٠).

(١) الزمر : ٥ .

(٢) المؤمن : ٦١ .

(٣) فصلت : ٢٧ .

(٤) الرحمن : ٥ .

(٥) الرحمن : ١٧ و ١٨ .

(٦) الحديد : ٦ .

(٧) المعارج : ٣٠ .

(٨) نوح : ١٦ .

(٩) المدثر : ٣٢ - ٣٥ .

(١٠) النبا : ٩ - ١٣ .

التكوير : إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت - إلى قوله تعالى -
و الليل إذا عسعس * و الصبح إذا تنفس (١) .

الفجر : والفجر و ليال عشر * و الشفع و الوتر * و الليل إذا يسر (٢) .
الشمس : و الشمس وضحيها * و القمر إذا تليها * و النهار إذا جليها * و
الليل إذا يغشيها (٣) .

الضحى : و الضحى و الليل إذا سجي (٤) .

الفلق : قل أعوذ بربّ الفلق * من شرّ ما خلق * و من شرّ غاسق إذا وقب (٥) .
تفسير : « يسئلونك عن الأهلّة » قال البيضاوي : سأله معاذ بن جبل و ثعلبة
ابن غنم فقالا : ما بال الهلال يبدو دقيقاً كالخيط ثمّ يزيد حتى يستوي ثمّ لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدأ ؟ فنزلت « قل هي مواقيت للناس و الحج » إنهم سألوا
عن الحكمة في اختلاف حال القمر و تبدّل أمره فأمره الله أن يجيب بأنّ الحكمة
الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يواقتنون بها أمورهم ، و معالم للعبادات
الموقّنة يعرف بها أوقاتها ، و خصوصاً الحجّ ، فإنّ الوقت مراعى فيه أداء و قضاء
و المواقيت جمع ميقات من الوقت (٦) . و قال في قوله تعالى « تولج الليل في النهار »
إيلاج الليل و النهار إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة و النقص (٧) .
و قال في قوله تعالى « فالق الإصباح » شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض
النهار ، أو شاقّ ظلمة الإصباح وهو الغيش الذي يليه ، و الإصباح في الأصل مصدر

(١) التكوير ١٠ - ١٨ .

(٢) الفجر ١٠ - ٣ .

(٣) الشمس ١ - ٣ .

(٤) الضحى ١٠ .

(٥) الفلق ١ - ٣ .

(٦) انوار التنزيل ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٧) > > ج ١ ، ص ٢٠٠ .

« أصبح » إذا دخل في الصبح ^(١) سمي به الصبح . و قرى ، بفتح الهمزة على الجمع
 « و جاعل الليل سكناً » يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحتة فيه ، من « سكن إليه »
 إذا اطمأن إليه استئناساً به ، أو يسكن فيه الخلق من قوله « لتسكنوا فيه » ونصبه
 بفعل دل عليه « جاعل » لابه ، فأنه في معنى الماضي ، و يدل عليه قراءة الكوفيين
 « و جعل الليل » حملاً على معنى المعطوف عليه ، فإن قالق بمعنى فلق فلذلك قرى ،
 به ، أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة ، و على هذا يجوز
 أن يكون « و الشمس والقمر » عطفاً على محل الليل و يشهد له قراءتهما بالجر ، و
 الأحسن نصبهما بجعل مقدّر ، و قرى بالرفع على الابتداء ، و الخبر محذوف أي
 مجموعان « حساباً » أي على أدوار مختلفة تحسب بها الأوقات و يكونان علمي الحساب
 وهو مصدر حسب - بالفتح - كما أن الحساب - بالكسر - مصدر حسب - بالكسر -
 و قيل : جمع حساب كشهاب و شهبان . « ذلك » إشارة إلى جعلهما حساباً أي ذلك
 السير بالحساب المعلوم « تقدير العزيز » الذي قهرهما وسيّرهما على الوجه المخصوص
 « العليم » بتدبيرهما و الأنفع من التداوير الممكنة لهما ^(٢) .

و في قوله تعالى « يفشي الليل النهار » يغطيه به ، ولم يذكر عكسه للعلم به
 أو لأن اللفظ يحتملها ، و لذلك قرى « يفشي الليل النهار » بنصب الليل و رفع
 النهار ، و قرأ حمزة و الكسائي و يعقوب و أبو بكر عن عاصم بالتشديد و في الرد
 للدلالة على التكرير « يطلبه حثيثاً » يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء
 و الحثيث : فيعل من الحث ، و هو صفة مصدر محذوف ، أو حال من الفاعل بمعنى
 حاثاً ، أو المفعول بمعنى محثوئاً . « و الشمس والقمر و النجوم مسخرات بأمره »
 أي يقضائهم و تصرفهم ، و نصبها بالعطف على السماوات و نصب مسخرات على الحال
 و قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء ، و الخبر ^(٣) (انتهى) .

(١) في المصدر : في الصباح .

(٢) انوار التنزيل : ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٣) > > > ١ ص ٢٢٥ .

وقال الرازي في قوله سبحانه « يطلبه حثيثاً » : اعلم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة و الشدة ، وذلك هو الحق لأن تعاقب الليل و النهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم^(١) وتلك الحركة أشد الحركات سرعة وأكملها شدة ، حتى أن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل فإلى أن يرفع رجله و يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل وإذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية السرعة والشدة ، فلهذا السبب قال تعالى « يطلبه حثيثاً » ثم قال : في هذه الآية لطائف فالأولى أن الشمس لها نوعان من الحركة : أحدهما حركتها بحسب ذاتها و هي إنما تتم في سنة كاملة ، و بسبب هذه الحركة تحصل السنة ، و الثاني حركتها بسبب حركة الفلك الأعظم ، و هذه الحركة تتم في اليوم بليته ، إذا عرفت هذا فنقول : الليل و النهار لا يحصلان بسبب حركة الشمس بل بحركة السماء الأقصى التي يقال لها العرش ، و لهذا السبب لما ذكر العرش بقوله « ثم استوى على العرش » ربط به قوله « يغشي الليل النهار » تنبيهاً على أن سبب حصول الليل و النهار هو حركة الفلك الأقصى لا حركة الشمس و القمر .

و الثانية : أنه تعالى لما شرح كيفية تخليق السماوات قال « فقضين سبع سماوات في يومين و أوحى في كل سماء أمرها » فدلت تلك الآية على أنه سبحانه خص كل ذلك بلطفة نورانية ربانية من عالم الأمر ، ثم قال بعده « ألاله الخلق و الأمر » و هو إشارة إلى أن كل ما سوى الله إما من عالم الخلق أو من عالم الأمر ، أما الذي هو من عالم الخلق فالخلق عبارة عن التقدير و كل ما كان جسماً أو جسمانياً كان مخصوصاً بمقدار معين فكان من عالم الخلق ، و كل ما كان بريئاً عن الحجمية و المقدار كان من عالم الأرواح و من عالم الأمر ، فدل على أنه سبحانه خص كل واحد من أجرام الأفلاك و الكواكب التي هي من عالم الخلق بملك

(١) هذا مبني على الفرضية البطلميوسية ، و اما على رأى فيثاغورس و أصحابه و كذا

على ما ثبت في الهيئة الحديثة فالليل و النهار إنما يحصلان بسبب حركة الأرض الوضعية .

من الملائكة وهم من عالم الأمر، والأحاديث الصحيحة مطابقة لذلك، وهي ماروي من ^(١) الأخبار أن الله ملائكة يحركون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب ^(٢) وكذا القول في سائر الكواكب، وأيضاً قوله سبحانه « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » إشارة إلى أن الملائكة الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية، ثم إذا دققت النظر قلت ^(٣) إن عالم الخلق في تسخير الله، وعالم الأمر في تدبير الله، واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله، فلهذا المعنى قال « ألا له الخلق والأمر ».

ثم كون الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره يحتمل وجوهاً :
أحدها : أننا قد دللنا أن الأجسام متماثلة، ومتى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص والضوء الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي لا بد وأن يكون لأجل أن الفاعل الحكيم والمقدر العليم خص ذلك الجسم بهذه الصفات، فجسم كل واحد من الكواكب والنيرات كالمسخر في قبول تلك القوى والخواص عن قدة المدبر الحكيم.

وثانيها : أن يقال إن لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيراً خاصاً بطبيعتها من المشرق إلى المغرب وسيراً آخر سريعاً بسبب حركة الفلك الأعظم فالحق سبحانه خص جرم الفلك الأعظم بقوة زائدة ^(٤) على أجرام سائر الأفلاك باعتبارها صارت مستولية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القمر من المشرق إلى المغرب، فأجرام الأفلاك والكواكب صارت كالمسخرة لهذا القمر والقمر ^(٥).

(١) في المصدر : في الأخبار .

(٢) > ، وعند الغروب .

(٣) > : علمت .

(٤) > ، بقوة سارية في أجرام .

(٥) مفاتيح الغيب : ج ٤ ، ص ٣٣٨ .

أقول : ثم ذكر وجوهاً أخرى لاطائل تحتها ، وفيما نقل عنه أيضاً مخالفات لأصول المسلمين ومناقشات لا يخفى على المتدبرين .

« هو الذي جعل الشمس ضياء ، قال البيضاوي : أي ذات ضياء ، وهو مصدر كقيام ، أو جمع ضوء كسياط و سوط ، و الباء فيه منقلبة عن الواو ، وعن ابن كثير « ضياء » بهمزة في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين « والقمر نوراً » أي ذانور ، أو سمّي نوراً للمبالغة وهو أعمّ من الضوء ، و قيل : ما بالذات ضوء ، و ما بالعرض نور ، وقد نبّه سبحانه بذلك على أنّه خلق الشمس نيّرة بذاتها ^(١) و القمر نيّراً بعرض مقابلة الشمس ^(٢) « و قدره منازل » الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل ، أو قدره ذامنازل ، أولللمقر ، وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره و معاينة منازلهم وإناطة أحكام الشرع به ، ولذلك علّله ^(٣) بقوله « لتعلموا عدد السنين والحساب » أي حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم « ما خلق الله ذلك إلّا بالحق » إلّا متلبساً بالحق مراعيّاً فيه مقتضى الحكمة البالغة « يفصل الآيات لقوم يعلمون » فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها ^(٤) (انتهى) .

« إن في اختلاف الليل والنهار » أي مجيئ كل منهما خلف الآخر ، أو اختلافهما بالزيادة و النقصان المستلزم لحصول الفصول الأربعة « و ما خلق الله في السماوات والأرض » أي من الكواكب والملائكة والمواليد وأنواع الأرزاق و النعم « لآيات » أي دلالات على وجود الصانع تعالى و علمه و قدرته و حكمته و لطفه و رحمته « لقوم يتّقون » الشرك والمعاصي ، فإنهم المنتفعون بها . « هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه » أي لسكونكم و راحتكم و راحة قواكم من التعب

(١) في المصدر ، في ذاتها .

(٢) > مقابلة الشمس والاكتساب منها .

(٣) > علل .

(٤) أنوار التنزيل : ج ١ ، ص ٥٢٩ .

و الكلال « و النهار مبصراً ، أي مضيئاً تبصرون فيه ، ونسبة الإبصار إليه على المجاز
 « لقوم يسمعون ، أي الحجج سماع تدبّر و تعقل . » و سخر الشمس و القمر ،
 قال الرازي : « هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة : الأول الاستدلال على
 وجود الصانع القادر بركات هذه الأجرام ، وذلك لأن الأجسام متماثلة فاختلفت
 بالحركة الدائمة دون السكون لا بد له من مخصص ، و أيضاً إن كل واحدة من
 تلك الحركات مختصة بكيفية معينة من البطء و السرعة فلا بد أيضاً من مخصص
 و أيضاً تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها و دوراتها
 متساوية بحسب المدة حالة عجيبة فلا بد فيه من مقدّر ، و بعض تلك الحركات
 مشرقية و بعضها مغربية و بعضها مائلة إلى الشمال و بعضها إلى الجنوب و هذا أيضاً
 لا يتم إلا بتدبير كامل و حكمة بالغة . و النوع الثاني قوله « كل يجري لأجل
 مسمى » و فيه قولان الأول قال ابن عباس : للشمس مائة و ثمانون منزلاً كل
 يوم لها منزل و ذلك ^(١) في ستة أشهر ، ثم إنتهت تعود مرة أخرى إلى واحد واحد
 منها في ستة أشهر مرة ^(٢) أخرى ، و كذلك القمر له ثمانية و عشرون منزلاً
 فالمراد بقوله « كل يجري لأجل مسمى » هذا . و الثاني كونهما متحرّكين إلى
 يوم القيامة و عنده تنقطع تلك الحركات .

و قال في قوله تعالى « دائبين » : معنى الدؤوب في اللغة مرور الشيء في العمل
 على عادة مطردة . قال المفسرون : معناه يدأبان في سيرهما و إنارتها و تأثيرهما
 في إزالة الظلمة و في إصلاح النبات و الحيوان ، فإن الشمس سلطان النهار ، و القمر
 سلطان الليل و لولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة ، و لولاها لاختلفت مصالح
 العالم بالكلية ^(٣) . و قال في قوله « و جعلنا الليل و النهار آيتين » : فيه قولان

(١) في المصدر ، و ذلك يتم في ستة أشهر .

(٢) ، أشهر أخرى .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٢٦١ ملخصاً .

(٤) ، ج ١ ، ص ٣٥٥ .

الاول أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار المعنى أنه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا ، أمّا في الدين فلأنّ كلّ واحد منهما مضادّ للآخر معاندله ^(١) فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدلائل على أنّهما غير موجودين لذاتيهما بل لا بدّ لهما من فاعل يدبّرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة ، و أمّا في الدنيا فلأنّ مصالح الدنيا لا تتمّ إلّا بالليل والنهار ، فلولالليل لما حصل السكون والراحة ، ولولا النهار لما حصل الكسب والنصرّف في وجوه المعاش ، ثمّ قال تعالى « فمحونا آية الليل » فعلى هذا القول تكون الإضافة للنبيين ، والتقدير : فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة . الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل وهي القمر ، وفي تفسير محو القمر قولان : الأوّل المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبدو في أوّل الأمر في صورة الهلال ثمّ لا يزال يتزايد نوره حتّى يصير بديراً كاملاً ثمّ يأخذ في الانقاص قليلاً قليلاً وذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق ، والثاني أن المراد من محو القمر الكلف الذي يظهر في وجهه ، يروى أنّ الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله جبرئيل فأمرّ جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ، ومعنى المحو في اللغة إذهاب الأثر . وأقول : محو المحو على الوجه الأوّل أولى لقوله « اتبثقوا فضلاً من ربكم - الآية - » لأنّ المحو إنّما يؤثّر في ابتغاء فضل الله إذا حملناه على زيادة نور القمر ونقصانه ، لأنّ بسبب حصول هذه الحالة تختلف أحوال نور القمر وأهل التجارب يبيّنوا أنّ اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحها ، مثل أحوال البحار في المدّ والجزر ، ومثل أحوال البحارنات على ما يذكره الأطباء في كتبهم . وأيضاً بسبب زيادة نور القمر ونقصانه تحصل الشهور ، وبسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربية المبتنية على رؤية الأهلة كما قال « ولتعلموا عدد السنين والحساب » وأقول أيضاً لو حملنا المحو على

(١) في المصدر : منائر له مع كونهما .

الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أيضاً برهان قاطع على صحة قول المسلمين في المبدء والمعاد ، أمّا دلالة على صحة قولهم في المبدء فلاّن جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب أن يكون متشابه الصفات ، فحصول الأحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدلّ على أنّه ليس بسبب الطبيعة بل لأجل أنّ الفاعل المختار خصّص بعض أجزائه بالنور القويّ و بعض أجزائه بالنور الضعيف ، و ذلك يدلّ على أنّ مدبّر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات . و آخر^(١) ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه أنّه ارتكز في وجه القمر أجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في أجرام الأفلاك ، فلمّا كانت تلك الأجرام أقلّ ضوءاً من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الأجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الإنسان . وهذا لا يفيد مقصود الخصم لأنّ جرم القمر لما كان متشابه الأجزاء فلم ارتكزت تلك الأجرام الظلمانية في بعض أجزاء القمر دون سائر الأجزاء ، وبمثل هذا الطريق يتمسك في أحوال الكواكب و ذلك لأنّ الفلك جرم بسيط متشابه الأجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب ، و ذلك يدلّ على أنّ اختصاص ذلك الكوكب بذلك الموضع المعيّن من الفلك لأجل تخصيص الفاعل المختار الحكيم .

و أمّا قوله « و جعلنا آية النهار مبصرة » ففيه وجهان : الاول أن معنى كونها مبصرة أي مضيئة ، و ذلك لأنّ الإضاءة سبب لحصول الإبصار ، فأطلق اسم الإبصار على الإضاءة إطلاقاً لاسم المسبّب على السبب . و الثاني قال أبو عبيدة : يقال قد أبصر النهار إذا صار الناس يبصرون فيه ، كقوله « رجل مخبث » إذا كان أصحابه خبيثاء ، و « رجل مضغف » إذا كان دوابّه^(٢) ضغافاً ، فكذا قوله « و النهار مبصراً » أي أهله بصراء « لتبتغوا فضلاً من ربكم » أي لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم « ولتعلموا عدد السنين والحساب » اعلم أن الحساب يبني على أربع مراتب : الساعات

(١) في المصدر ، و احسن .

(٢) في المصدر : إذا كان ذراريه ضغافاً .

و الأيام ، و الشهور ، و السنون . فالعدد للسنين ، و الحساب لمادون السنين و هي الشهور و الأيام و الساعات ، و بعد هذه المراتب الأربعة لا يحصل إلا التكرار كما أنهم رتبوا العدد على أربع مراتب : الآحاد ، و العشرات ، و المئات ، و الألوف و ليس بعدها إلا التكرار^(١) .

« و كل شيء فصلناه تفصيلاً ، أي كل شيء بكم إليه حاجة في مصالح دينكم و دنياكم فصلنا و شرحنا . و قال في قوله سبحانه « و جدها تغرب في عين حمئة » قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم « في عين حامية » بالالف من غير همزة أي حارة . و عن أبي ذر قال : كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل ، فرأى الشمس حين غابت فقال : أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه ؟ قلت : الله و رسوله أعلم قال : فإنها تغرب في عين حائمة - و هي قراءة ابن مسعود و طلحة ، و أبو عمرو و الباقون « حمئة » و هي قراءة ابن عباس . و اتفق أن ابن عباس كان عند معاوية فقرأ معاوية « حامية » فقال ابن عباس : حمئة ، فقال معاوية لعبد الله بن عمر : كيف تقرأ ؟ فقال : كما يقرأ أمير المؤمنين ، ثم وجه إلى كعب الأخبار و سأله كيف تجد الشمس تغرب ؟ قال : في ماء و طين ، كذلك نجده في التورية . و الحمئة مافيه حمأة سوداء . و اعلم أنه لا تنافي بين الحمئة و الحامية ، فجائز أن يكون الماء جامعاً للوصفين^(٢) . ثم اعلم أنه ثبت بالدليل أن الأرض كرة ، و أن السماء محيطة بها ولا شك أن الشمس في الفلك . و أيضاً قال : « و جد عندها قوماً » و معلوم أن جلوس القوم^(٣) في قرن الشمس غير موجود ، و أيضاً فالشمس أكبر من الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض ؟ !

إذا ثبت هذا فنقول : في تأويله وجوه :

الاول : أن ذا القرنين لما بلغ موضعاً ما في المغرب لم يبق بعده شيء من

(١) مفاتيح النيب ، ج ٥ ، ص ٥٥٥ .

(٢) في المصدر : البحث الثاني .

(٣) في المصدر : جلوس قوم في قرب الشمس .

العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة وإن لم يكن كذلك في الحقيقة كما أن ركب البحر يرى الشمس كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر ، ذكره الجبائي .

الثاني : أن الجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار ، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخوة فهي حامية ، وهي أيضا حمئة لكثرة ما فيها من الباء وهي الحمأة السوداء ، فقوله « تغرب في عين حمئة » إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط البحر به ، وهو موضع شديد السخونة .

الثالث : قال أهل الأخبار إن الشمس تغرب في عين حمئة كثيرة الحاء والحمأة وهذا في غاية البعد ، وذلك أننا إذا رصدنا كسوفاً قمرياً رأينا أهل المغرب قالوا حصل هذا الكسوف أول الليل . رأينا أهل المشرق قالوا حصل في أول النهار فعلمنا أن ما هو أول الليل عند أهل المغرب فهو أول النهار عند أهل المشرق ، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ووقت الضحوة في بلد ثالث ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل في بلد خامس ، وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاختبار وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال إنها تغيب في الطين والحمأة كلاماً على خلاف اليقين ، و كلام الله مبرأ عن البهمة ^(١) فلم يبق إلا أن يضاف ^(٢) إلى التأويل الذي ذكرنا ، والضمير في قوله « عندها » عائذ إلى الشمس لأن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك فكان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس ، أو عائذ إلى العين ^(٣) .

وقال في قوله « وجدها تطلع » أي وجد الشمس تطلع « على قوم لم نجعل

(١) في المصدر ، عن هذه التهمة .

(٢) في المصدر ، « إلا أن يصار » وهو الظاهر .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ١٥ ، ص ٧٣٥ .

لهم من دونها سترًا ، فيه قولان : الاول أنه شاطىء بحر لاجل ولا شيء يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم ، فلهذا السبب إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب وأغلة في الأرض أو غاصوا في الماء فيكون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش ، وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش ، وحالهم بالضد من أحوال سائر الخلق .

والقول الثاني : أن معناه لاثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً وفي كتب الهيئة أن حال أكثر الزنج كذلك ، و حال كل من سكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك ، و ذكر في كتب التفسير أن بعضهم قال : سافرت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل : بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فبلغتهم وإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه ويلبس الأخرى ، فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كههيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت فلما طلعت الشمس إذا هي فوق الماء كههيئة الزيت فأدخلوا في سربالهم^(١) ، فلما ارتفع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج^(٢) .

« كل في فلك » أي كل منهما أومع النجوم بقرينة الجمع في فلك واحد أو كل واحد منهما أومنها في فلك عليحدة « يسبحون » أي يجرون . قال الرازي : لا يجوز أن يقول كل في فلك يسبحون إلا ويدخل في الكلام مع الشمس والقمر النجوم ليثبت معنى الجمع والكل^(٣) . ثم قال : الفلك في كلام العرب كل شيء دائر و جمعه أفلاك ، واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم : الفلك ليس بجسم وإنما هو مدار هذه النجوم ، وهو قول الضحّاك ، و قال الأكثرون بل هي أجسام تدور النجوم عليها وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن ، ثم اختلفوا في كيفية فقال بعضهم : الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه ، و قال الكلبي : ماء

(١) السربال : القميص أو كل ما يلبس .

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٧٥٥ ، نقلاً بالمعنى .

(٣) في المصدر : ومعنى الكل .

مكفوف^(١) أي مجموع تجري فيه الكواكب ، واحتج بأن السباحة لا تكون إلا في الماء . قلنا : لانسلم ، فإنه يقال للفرس الذي يمدّ يديه في الجري « سباح » وقال جمهور الفلاسفة وأصحاب الهيئة : إنها أجرام صلبة لاخفيفة ولاثقيلة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول . والحق أنه لا سبيل إلى معرفة السماوات إلا بالخبر . واختلف الناس في حركات الكواكب ، والوجوه الممكنة فيها ثلاثة : فإنه إما أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه ، كحركة السمكة في الماء الراكد ، وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب تتحرك فيه أيضاً ، وإما مخالفاً لجهة حركته أو موافقاً لجهته ، إما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء أو مخالفة ، وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة ، أمّا الرأي الأول فقالت الفلاسفة إنه باطل لأنه يوجب خرق الفلك^(٢) وهو محال عندهم و أمّا الرأي الثاني فحركة الكواكب إن فرضت مخالفة لحركة الفلك فذاك أيضاً يوجب الخرق ، وإن كانت حركتها إلى جهة حركة الفلك فإن كانت مخالفة لها في السرعة والبطء لزم الانخراق وإن استويا في الجهة والسرعة والبطء فالخرق أيضاً لازم لأن الكواكب تتحرك بسبب حركته فتبقى حركته الذاتية زائدة فيلزم الخرق فلم يبق إلا القسم الثالث وهو أن يكون الكواكب مغروزاً في الفلك واقفاً فيه ، والفلك يتحرك ، فيتحرك الكواكب^(٣) بسبب حركة الفلك . واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك وهو باطل ، بل الحق أن الأقسام الثلاثة ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات ، والذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء . واحتج « ابن سينا » على أن الكواكب أحياء ناطقة بقوله « يسبحون » فإن الجمع بالواو والنون لا يكون إلا للعقلاء ، وبقوله تعالى : « والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »

(١) في المصدر ، ماء مجموع تجري ...

(٢) في المصدر ، الافلاك .

(٣) الكوكب (خ) .

والجواب : إنّما جعلوا الضمير للعقلا، للوصف بفعلهم وهو السباحة .
فان قلت : لكل واحد من القمرين فلك عليحدة فكيف قيل جميعهم يسبحون
في فلك ؟

قلت هذا كقوله « كساهم الأمير حلة وقلّدهم سيفاً » أي كلّ واحد منهم ^(١) .
« وله اختلاف الليل والنهار » قال البيضاوي : أي ويختص به تعاقبهما لا يقدر
عليه غيره ، فيكون ردّاً لنسبته إلى الشمس حقيقة أو مجازاً أولاً مره وقضائه تعاقبهما
أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر ^(٢) . وفي قوله سبحانه « يقلّب الله الليل والنهار »
بالمعاقبة بينهما ، أو ينقص أحدهما وزيادة الآخر ، أو يتغير أحوالهما بالحرّ والبرد
والظلمة والنور ، أو ما يعم ^(٣) ذلك « إنّ في ذلك » فيما تقدّم ذكره « لعبرة لأولي
الأبصار » لدلالته ^(٤) على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ
مشيئته وتنزّهه عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة ^(٥) .

قوله تعالى « ألم تر إلى ربك » أقول : للعلماء في تأويل هذه الآية مسالك :
الاول ألم تنظر إلى صنع ربك كيف بسطه ، أو ألم تنظر إلى الظلّ كيف بسطه ربك
فغير النظم إشعاراً بأنّ المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرّفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أنّ ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه ، أو ألم ينته علمك إلى أنّ ربك كيف مدّ الظلّ وهو
فيما بين طلوع الفجر و الشمس وهو أطيب الأحوال ، فإنّ الظلمة الخالصة تنقر
الطبع وتسدّ النظر وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهّر البصر ولذلك وصف به الجنة
فقال « وظلّ ممدود » ^(٦) . « ولو شاء لجعله ساكناً » أي ثابتاً من السكنى ، أو غير

(١) مفاتيح الغيب ، ج ١ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ . نقلاً بالمعنى مع التلخيص

(٢) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٣) في المصدر ، بما يعم .

(٤) في المصدر ، دلالة - بفتح اللام - .

(٥) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ١٣٧ .

(٦) الواقعة ، ٣٠ .

متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد . ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ، فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام إذ لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حررتها . ثم قبضناه إلينا ، أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه . قبضاً يسيراً ، أي قليلاً قليلاً حسب ما ترتفع الشمس لتنظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق ، و « ثم » في الموضعين لتفاضل الأمور ، أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها .

الثاني أن المعنى مد الظل لما بنى السماء بلا نيرودح الأرض تحتها وألقت عليها ظلها ، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال ، ثم خلق الشمس عليه دليلاً أي مسلطاً عليهم مستتباً إياه كما يستتبع الدليل المدلول ، أو دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحر حررتها ويتحول بنحوها . ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ، شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي نقصانه ، أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المطلقة والمطلّ عليها . وهذان الوجهان ذكرهما البيضاوي وغيره من المفسرين .

الثالث : أن يكون المراد بالظل الروح كما يطلق عالم الظلال على عالم الأرواح لأنها تابعة للبدن كالظل ، أو لكونها أجساماً لطيفة ، أولتجرداً عنها إن قيل به . ولو شاء لجعله ساكناً ، بعدم تعلّقها بالأجساد ، والمراد بالشمس شمس عالم الوجود وهو الرب تعالى لأنه دليل الممكّنات إلى الوجود وسائر الكمالات ، و قبضه عبارة عن قبض الروح شيئاً فشيئاً إلى أن يموت الشخص ، وفي قوله « ثم جعلنا الشمس » نوع التفاوت .

الرابع : أن يراد بالظل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنهم ظلاله سبحانه لكونهم تابعين لأرادته متخلّقين بأخلاقه ، وكونهم ظلال رحمته على عباده . ولو شاء لجعله ساكناً ، أي لم يبعثهم إلى الخلق « ثم جعلنا الشمس » أي شمس الوجود عليه دليلاً ، أي لهم دليلاً ، هادياً لهم إلى كمالاتهم وقبضه جذبهم إلى عالم القدس . الخامس : أن يكون المراد بالظلال الأعيان الثابتة والحقائق الإمكانية على مذاق الصوفية ، ومدّها عبارة عن الفيض الأقدس بزمهم ، أي جعل الماهيات

ماهيات ، و الشمس عبارة عن الفيض المقدس وهو إفاضة الوجود ، و القبض اليسير بزعمهم إشارة إلى تجدد الأمثال و إعدام كل شيء و إيجاداه في كل آن ، و به أولوا قوله سبحانه « بل هم في لبس من خلق جديد ^(١) » أيضاً ، و ربّما يحمل الظل على عالم المثال كما هو ذوق المتألمين من الحكماء ، و هذه احتمالات في هذه الآية التي هي من المتشابهات و ما يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم . و فسر علي بن إبراهيم الظل بما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ^(٢) .

« وهو الذي جعل الليل لباسا » قال الطبرسي - ره - : أي غطاء ساتراً للأشياء بالظلام كاللباس الذي يشتمل على لابس ، فالله سبحانه ألبسنا الليل و غشانا به لنسكن فيه و نسريح عن كدّ الأفعال « و النوم سباتا » أي راحة لأبدانكم و قطعاً لأعمالكم قال الزجاج : السبات أن ينقطع عن الحركة و الروح في بدنه « و جعل النهار نشوراً » لانتشار الروح باليقظة فيه ، مأخوذ من نشور البعث ، و قيل : لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم و معاشهم ، فالنشور بمعنى التفرّق لا ابتغاء الرزق عن ابن عباس .

« تبارك » تفاعل من البركة ، معناه : عظمت بركاته و كثرت عن ابن عباس و البركة : الكثرة من الخير ، و قيل : معناه تقدّس و جلّ بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره ، وأصله من بروك الطير فكأنّه قال : ثبت و دام فيما لم يزل ولا يزال ، عن جماعة من المفسرين . و قيل : معناه قام بكلّ بركة و جاء بكلّ بركة ^(٣) . « الذي جعل في السماء بروجا » يريد منازل النجوم السبعة السيّارة ، و هي : الحمل ، و الثور ، و الجوزاء ، و السرطان ، و الأسد ، و السنبلّة ، و الميزان ، و العقرب ، و القوس ، و الجدي ، و الدلو ، و الحوت . و قيل : هي النجوم الكبار ، و سميت بروجا لظهورها . « و جعل فيها سراجاً » أي و خلق

(١) ق ، ١٥ .

(٢) تفسير القمي ، ٣٦٦ .

(٣) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ١٦٠ .

في السماء شمساً ، ومن قرأ « سرجاً » أراد الشمس والكواكب معها « وقمرأ منيراً » أي مضيئاً بالليل إذا لم تكن شمس « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه » أي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه ، فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار ، ومن فاته عمل النهار استدركه بالليل ، و « قوله » لمن أراد أن يذكّر ، روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يقضى صلوة ^(١) الليل بالنهار . وقيل : معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه ، فجعل أحدهما أسود والآخر أبيض « لمن أراد أن يذكّر » أي يتفكر ويستدل بذلك على أن لهما مدبراً ومصرّفاً لا يشبههما ولا يشبهانه فيوجه العبادة إليه « أو أراد شكورا » أي أراد شكر نعمته عليه فيهما ، وعلى القول الأول فمعناه : أراد النافلة بعد أداء الفريضة ^(٢) .

« أمّن يهديكم في ظلمات البر » والبحر « قال البيضاوي » : بالنجوم وعلامات الأرض ، والظلمات ظلمات الليالي ، والإضافة ^(٣) إلى البر والبحر للملازمة أو مشتبهاً الطرق ، يقال « طريقة ظلماء وممياء » للتي لا منار بها ^(٤) .

« ليسكنوا فيه » بالنوم والقرار « والنهار مبصراً » أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجمعول عليها بحيث لا ينفك عنها ^(٥) .

« سرمداً » أي دائماً ، من السرد وهو المتابعة ، والميم مزيدة كميم « دلامص » إلى يوم القيامة « باسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول ^(٦) الأفق الغائر » من إله غير الله يأتيكم بضياء « كان حقه هل إله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة « أفلا تسمعون » سماع تدبرواستبصار . « إن جعل الله عليكم النهار سرمداً »

(١) في المجمع : يقضى صلوة النهار بالليل و صلوة الليل بالنهار .

(٢) مجمع البيان : ج ٧ ، ص ١٧٨ .

(٣) في المصدر ، وأضافها .

(٤) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٥) د د ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٦) في المصدر ، فوق الأفق .

بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق « بليل تسكنون فيه »
استراحة عن متاعب الأشغال ، و لعلّه لم يصف الضياء بما يقابله لأنّ الضوء نعمة
في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ، ولأنّ منافع الضوء أكثر ممّا يقابله ، و
لذلك قرن به « أفلا تسمعون » و بالليل « أفلا تبصرون » لأنّ استفادة العقل من
السمع أكثر من استفادته من البصر « لتسكنوا فيه » أي في الليل « و لتبتغوا من
فضله » أي بالنهار بأنواع المكاسب « و لعلكم تشكرون » أي و لكي تعرفوا نعمة
الله في ذلك فتشكروه عليها^(١) . « و لئن سألتهم » المسؤول عنهم أهل مكة « ليقولنّ
الله ، لما تقررّ في العقول من وجوب انتهاء الممكّنات إلى واحد واجب الوجود^(٢) .
« و من آياته منامكم بالليل و النهار و ابتغواكم من فضله » منامكم في
الزّمانين لاستراحة القوى النفسانيّة وقوّة القوى الطبيعيّة وطلب معاشكم فيها ، أو
منامكم بالليل و ابتغواكم بالنهار ، فلفّ و ضمّ بين الزّمانين و الفعلين بعاطفين
إشعاراً بأنّ كلّاً من الزّمانين و إن اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة
ويؤيّد سائر الآيات الواردة فيه^(٣) « كلّ يجري » أي كلّ من النّيرين يجري
في فلكه « إلى أجل مسمّى » أي إلى منتهى معلوم ، الشمس إلى آخر السنة ، والقمر
إلى آخر الشهور ، وقيل : إلى يوم القيامة^(٤) .
وقال في قوله « لأجل مسمّى » مدّة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة^(٥) . « نسلخ
منه النهار » أي نزيله ونكشفه عن مكانه ، مستعار من سلخ الجلد « فأذاهم مظلمون »
أي داخلون في الظلام^(٦) .

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٢) د د : ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٣) د د : ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٤) د د : ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٥) د د : ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٦) د د : ج ٢ ، ص ٣١١ .

أقول : وفي الكافي عن الباقر عليه السلام : يعني قبض عنه عليه السلام وظهت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته ^(١) . وهو من بطون الآية .

« والشمس تجري لمستقر لها » أي لحدّ معين ينتهي إليه دورها ، فشبّه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره ، أولكبد السماء فإنّ حركتها فيه توجد إبطاء ، بل ورد في الرواية أنّ لها هناك ركوداً ، أو لاستقرار لها على نهج مخصوص ، أو لمنتهى مقدّر لكلّ يوم من المشارق والمغارب فإنّ لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً يطلع كلّ يوم من مطلع ويغرب في مغرب ثمّ لاتعود إليهما إلى العام القابل ، أو لمنقطع جريها عند خراب العالم . قال الطبرسي : روي عن السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام وابن عبّاس وابن مسعود وعكرمة وعطاء « لا مستقرّ لها » بنصب الراء ^(٢) « ذلك » الجري على هذا التقدير المتضمّن للحكم التي تكلّ الفطن عن إحصائها « تقدير العزيز » الغالب بقدرته على كلّ مقدور « العليم » المحيط علمه بكلّ معلوم . « والقمر قدّرناه منازل » أي قدّرنا مسيره منازل ، أو سيره في منازل ، وهي ثمانية وعشرون : الشّرطين ^(٣) والبطين ، والثريّا ، والدبران ، والهقعة ، و

(١) روضة الكافي : ٣٨٠ ، والجملة الأخيرة أعنى قوله « و هو من بطون الآية » من

كلام المؤلف رحمه الله .

(٢) مجمع البيان : ج ٨ ، ص ٢٢٣ .

(٣) الشرطان ، مثنى « الشرط » كوكبان على قرني الحمل ، وإلى الجانب الشمالى

منها كوكب صغير ، ومن العرب من بعده معهما فيسميها « الاشرط » ، والبطين ، مصغر البطن ثلاثة كواكب صغار مكان بطن الحمل ، وانما صغر لكونها اصغر مما يناسب شكله من البطن . والثريا ، كواكب معروفة عند اليه الحمل وقرب عنق الثور ، والدبران - بفتحين - خمسة كواكب تلو الثريا يقال انها سنام الثور ، والهقعة - كالوحدة - ، ثلاثة كواكب نيرة فوق منكبى الجوزاء ، والهقعة أيضاً كالوحدة خمسة كواكب مصطفة مكان منكب الجوزاء الايسر ، والنراع ، كوكبان نيران مكان ذراع الاسد ، والنثرة ، كوكبان مكان أنف الاسد ، والطرف - كالفلس - ، كوكبان مكان عين الاسد ، والجبهة ، اربعة كواكب مكان جبهة الاسد ، والزبرة - كالحمرة - : كوكبان نيران مكان كاهلى الاسد ، والصرفة - كالوحدة - كوكب نير يتلقاه الزبرة ، والمواء -

الهنّعة ، والذراع ، والنثرة ، والطرف ، والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والموا ،
والسماك ، والغفر ، والزباني ، والاكيل ، والقلب ، والشولة ، والنعام ، والبلدة
وسعد الذابح ، وسعد بلّح ، وسعد السعد ، وسعد الأخبية ، وفرع الدلو المقدم
وفرع الدلو المؤخر ، والرشاء ، وهو بطن الحوت ، ينزل كل ليلة في واحدة منها ،
فإذا كان في آخر منازلها وهو الذي يكون فيه قبل الاجتماع دق واستقوس حتى
عاد كالمرجون ، أي كالشمر أخ المعوج ، القديم ، العتيق . وعن الرضا عليه السلام أنه
يصير كذلك ستة أشهر ، وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في باب السنين والشهور انشاء الله .
« لا الشمس ينبغي لها ، أي يصحّ ويتسهّل لها » أن تدرك القمر ، في سرعة
سيره ، فإن ذلك يخلّ بتكوّن النبات وتعيّش الحيوان ، أوفي آثاره ومنافعه ، أو
مكانه بالنزول إلى محلّه و سلطانه فيطمس نوره « ولا الليل سابق النهار » بأن يسبقه
فيفوته ولكن يعاقبه ، وقيل : المراد بهما آيتاهما وهما نيران وبالسبق سبق القمر
إلى سلطان الشمس فيكون عكساً للأول ، وقد مرّ عن الرضا عليه السلام برواية العياشي
أن المراد به أن النهار خلق قبل الليل ، وسيأتي ما يشعر بذلك أيضاً .
« وكل » أي كلّهم ، والنون عوض المضاف إليه ، والضمير للشمس والأقمار

→ - بفتح الميم المهملة وتشديد الواو يمد و يقصر - ، خمسة كواكب يقال انها ورك الاسد
والسماك - ككتاب - ، كوكب نير مكان رجل الاسد و هو السماك الاعزل ، و هناك كوكب آخر
يسمى « السماك الراجح » ليس من منازل القمر و هو رجله الاخر ، و الغفر - كالغلس - ، ثلاثه
كواكب صفار من الميزان ، والزباني كهباري - ، كوكبان نيران على قرني العقرب ، والاكيل ،
اربعة كواكب مصطفة ، والقلب : ثلاثه كواكب في قلب العقرب ، والشولة - بفتح الشين المعجمة -
كوكبان نيران متقاربان ، و النعام ، ثمانية كواكب كانتا سرير معوج اربعه صادرة و اربعه
واردة ، و البلدة - بفتح الموحدة - : ستة كواكب من القوس ، و سعد الذابح : كوكبان نيران
بينهما مقدار ذراع ، و في قرب احدهما كوكب صغير كأنه يذبجه فسمى « الذابح » ، و سعد بلح
- كصرد - : كوكبان متقاربان زعموا أنه طلع لما قال الله تعالى « يا ارض ابلعي ماءك » ، و
سعد السعد ، كوكب منفرد نير ، و سعد الاخبية ، اربعة كواكب ، و الفرع المقدم كوكبان ، و
المؤخر اربعة كواكب ، و الرشاء - بكسر الراء - : بمعنى حبل الدلو كوكب ، على بطن الحوت .

فإن "اختلاف الأحوال يوجب تعددًا ما في الذات ، أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها ، وقد مرّ معنى السباحة . " وربّ المشارق ، قال البيضاوي : " أي مشارق الكواكب ، أو مشارق الشمس في السنة ، وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ، ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدلّ على القدرة وأبلغ في النعمة ، وما قيل إنهمائة وثمانون إنما يصحّ لو لم تختلف أوقات الانتقال ^(١) " يكون الليل على النهار ويكون النهار على الليل " أي يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلفّ عليه لفّ اللباس باللباس ، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كارتآ عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة " ألا هو العزيز ، القادر على كل " ممكن الغالب على كل شيء ، " الغفار " حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة ^(٢) .

" لتسكنوا فيه " أي لتستريحوا فيه بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدي إلى ضعف المحرّكات وهذوء الحواس " والنهار مبصراً " يبصر فيه أوبه ، وإسناد الإبصار إليه مجاز ومبالغة ، ولذلك عدل به عن التعليل إلى الحال ^(٣) .

" لا تسجدوا للشمس ولا للقمر " قال الطبرسي - ره - : " وإن كان فيهما منافع كثيرة لأنهما ليسا بخالقين " واسجدوا لله الذي خلقهن " وتأنيث الضمير لأن غير ما يعقل يجمع على لفظ التأنيث ، ولأنه في معنى الآيات " إن كنتم إيتاه تعبدون " أي إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون فاسجدوا لله دون غيره ^(٤) .

" الشمس والقمر بحسبان " أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها وهما يدلّان على عدد الشهود والسنين والأوقات عن ابن عباس وغيره ، فأُضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه . وتحقيق معناه أنهما يجريان على وتيرة واحدة وحساب بين

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٢) د د ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٣) د د ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

(٤) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٢٠ ، نقلاً بالمعنى .

متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت ، فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشيء والقمر في ثمانية وعشرين يوماً فيجريان أبداً على هذا الوجه ، و إنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار إلى غير ذلك ، فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق ^(١) .

« رب المشرقين ورب المغربين » أي مشرق الشتاء والصيف ومغربيهما ، وقيل : مشرق الشمس والقمر ومغربيهما ^(٢) . « وجعل القمر فيهن نوراً » قيل : فيه وجوه : أحدها أن المعنى : وجعل القمر نوراً في السماوات والأرض عن ابن عباس ، قال : يضيء ظهره لما يليه من السماوات و يضيء وجهه لأهل الأرض وكذلك الشمس . و ثانيها : أن معنى « فيهن » معهن ، يعني : وجعل القمر معهن أي مع خلق السماوات نوراً لأهل الأرض . و ثالثها : أن معنى « فيهن » في حيزهن ، وإن كان في واحدة منها كما تقول « إن في هذه الدور لبثراً » وإن كانت في واحدة منها ، لأن ما كان في إحداهن كان فيهن ، وكما تقول « أتيت بني تميم » وإنما أتيت بعضهم .

« وجعل الشمس سراجاً » أي مصباحاً تضيء لأهل الأرض ، فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان ^(٣) . وقال - ره - في قوله تعالى « كلاً » أي حقاً ، و قيل : معناه ليس الأمر على ما يتوهمونه « والقمر » أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه « والليل إذا دبر » قرأ نافع وحمة وحفص ويعقوب وخلف « إذ » بغير ألف « أدبر » بالألف ، والباقون « إذا » بالألف « دبر » بغير الألف ، فعلى الأول أقسم بالليل إذا ولّى و ذهب ، يقال ^(٤) دبر وأدبر عن قتادة ، وقيل : دبر إذا جاء بعد غيره وأدبر إذا ولّى مدبراً ، فعلى هذا يكون المعنى في « إذا دبر » إذا جاء الليل في أثر النهار ، وفي « إذا أدبر » إذا ولّى الليل فجاء

(١) مجمع البيان : ج ٩ ، ص ١٩٨ .

(٢) د د ج ٩ ، ص ٢٠١ .

(٣) د د ج ١٠ ، ص ٣٦٣ .

(٤) ليس في المصدر « يقال دبر وأدبر »

الصبح عقيبهِ ، وعلى القول الأول فيها ^(١) لغتان معناهما ولى وانقضى « والصبح إذا أسفر » أي أضاء وأنار ، وقيل : معناه إذا كشف الظلام وأضاء الأشخاص ، وقال قوم : التقدير في هذه الأقسام « و رب هذه الأشياء » لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى . « إنها » أي السقر التي هي النور « لا حدى الكبير » أي لا حدى العظام « والكبير » جمع الكبرى ^(٢) .

« وجعلنا نومكم سباتاً » أي راحة ودعة لأجسادكم ، أوقفنا لأعمالكم وتصرفكم إذ ليس بموت على الحقيقة ولا مخرجاً عن الحياة والإدراك « وجعلنا الليل لباساً » أي غطاءً وستره يستر كل شيء بظلمته وسواده « وجعلنا النهار معاشاً » أي مطلب معاش و مبتغاه ، أو وقت معاشكم لتتصرفوا في معاشكم « و بنينا فوقكم سباً » أي سبع سموات « شدادا محكمة أحكمنا صنعها وأوثقنا بناءها « وجعلنا سراجاً وهاجاً » يعني الشمس جعلها سبحانه سراجاً للعالم وقاداً متلاًئلاً بالنور يستضيئون به ، قال مقاتل : جعل فيه نوراً و « راً » ، والوهج مجمع النور والحر ^(٣) .

« إذا الشمس كورت » أي نهب ضوءها ونورها فأظلمت واضمحلت عن ابن عباس وغيره ، وقيل : أُلقيت ورمي بها ، وقيل : جمع ضوءها ولقيت كما تلف العمامة . « وإذا النجوم انكدرت » أي تساقطت وتناثرت ، يقال : انكدر الطائر من الهواء إذا انقض ، وقيل : تغيرت ، والأول أولى لقوله « وإذا الكواكب انتثرت » . « والليل إذا عسعس » أي [إذا] أدبر بظلامه عن علي ^(٤) ، وقيل : أقبل بظلامه وقيل : أظلم . « والصبح إذا تنفس » أي إذا أسفر وأضاء ، والمعنى : امتد ضوءه حتى يصير نهراً ^(٥) .

« والفجر » أقسم سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم ، وقيل :

(١) في المصدر ، فهما .

(٢) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٨٣ .

(٣) د د ج ١٠ ، ص ٦٢٢ .

(٤) د د ج ١٠ ، ص ٣٣٤ .

فجر ذي الحجة ، وقيل : فجر أول المحرم ، وقيل : فجر يوم النحر ، وقيل : أراد بالفجر النهار « وليل عشر » يعني العشر من ذي الحجة ، وقيل : العشر الآخر ^(١) من شهر رمضان ، وقيل : عشر موسى للثلاثين ليلة التي أتمها الله بها « والليل إذا يسر » أراد جسس الليالي ، أقسم بالليل إذا مضى بظلامه ، وقيل : إنما أضاف اليسر ^(٢) إليه لأن الليل يسير بمسير الشمس في الفلك وانتقالها من أفق إلى أفق ، وقيل : إذا يسر : إذا جاء وأقبل إلينا ويريد كل ليلة ، وقيل : إنها ليلة المزدلفة وفيها يسري الحاج من عرفة إليها ويفدي منها إلى منى ^(٣) وأصل « يسر » يسري ، حذفت الياء اكتفاءً بالكسرة تخفيفاً ولرعاية الفواصل .

« والشمس وضحيها » أقسم سبحانه بالشمس لكثرة الانتفاع بها وبضحيتها وهو امتداد ضوءها وانبساطه ، وقيل : هو النهار كله ، وقيل : حرها « والقمر إذا تليها » أي تبعها فأخذ من ضوءها وسار خلفها ، قالوا : وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور ، وقيل : تلاها ليلة الهلال وهي أول ليلة من الشهر ، وقيل : في الخامس عشر ، وقيل : في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها وتكون أمامه وهو وراءها وفي النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع « والنهار إذا جليها » أي جلى الظلمة وكشفها ، أو أبرز الشمس وأظهرها « والليل إذا يغشيها » أي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده ^(٤) .

أقول : وقد مر تأويلها في الأخبار بأن الشمس رسول الله ﷺ به أوضح الله للناس دينهم ، والقمر أمير المؤمنين عليه السلام تلا رسول الله ﷺ و نفثه بالعلم نفثا ، و الليل أئمة الجور الذين استبدوا بالأمر دون آل الرسول وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم ففشوا دين الله بالظلم والجور ، والنهار الإمام من ذرية فاطمة

(١) الاواخر (خ) .

(٢) في المصدر ، السير .

(٣) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٨٥ .

(٤) د د د ، ج ١٠ ، ص ٣٩٨ .

عليها السلام يسأل عن دين الله فيجلبه لمن سأل ، وقد مر شرحها وبيانها .

« و الضحى » قال الطبرسي - ره - : أقسم سبحانه بضوء ^(١) النهار كله من قولهم « ضحى فلان للشمس » إذا ظهر لها ، و يدل عليه قوله [سبحانه] في مقابلته « والليل إذا سجي » أي سكن واستقر ظلامه ، وقيل : المراد بالضحى أول ساعة من النهار ، وقيل : صدر النهار وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد والشتاء ^(٢) والصيف ، وقيل : معناه و رب الضحى و رب الليل إذا سجي ، وقيل : إذا سجي : إذا أعطى ^(٣) بالظلمة كل شيء ، وقيل : إذا أقبل ظلامه ^(٤) .

« رب الفلق » أي رب الصبح وخالقه ومدبره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الإصلاح فيه « من شر ما خلق » من الجن والانس و سائر الحيوانات ، وإنما سمي الصبح « فلماً » لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام ، وقيل : الفلق الموالي ، و جب في جهنم « ومن شر غاسق إذا وقب » أي و من شر الليل إذا دخل بظلامه فالمراد من شر ما يحدث في الليل من الشر والمكروه وإنما خص لأن الفساق يقدمون على الفساد بالليل ، وكذلك الهوام والسباع تؤذي فيه أكثر ^(٥) .

١ - الكافي : عن علي بن إبراهيم و عدة من أصحابه ، عن سهل بن زياد جميعاً ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي الصباح الكناني ، عن الأصمغ بن نباتة ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن للشمس ثلاثمائة وستين برجاً ، كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزّل كل يوم على برج منها فإذا غابت انتهت إلى حد بطنان العرش ، فلم تزل ساجدة إلى الغد ، ثم ترد إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها ، و إن وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض ، ولو

(١) في المصدر ، بنور النهار .

(٢) > : في الشتاء .

(٣) > ، إذا فطى .

(٤) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٥٠٤ .

(٥) > > : ج ١٠ ، ص ٥٦٨ .

كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض^(١) ومن عليها من شدة حرّها . ومعنى سجودها ما قال سبحانه و تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات و من في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » وكثير من الناس^(٢) .
توضيح : « ثلاثمائة وستين برجاً » لعل المراد بالبرج الدرجات التي تنتقل إليها بحركاتها الخاصة ، أو المدارات التي تنتقل إلى واحد منها كل يوم فيكون هذا العدد مبنياً على ما هو الشائع بين الناس من تقدير السنة به وإن لم يكن مطابقاً لشيء من حر كتي الشمس والقمر . « مثل جزيرة من جزائر العرب » أي نسبتها إلى الفلك نسبة جزيرة من الجزائر إلى الأرض ، أو الغرض التشبيه في أصل العظمة

(١) لاحتقرت (خ) .

(٢) روضة الكافي ، ١٥٧ . اقول : في سند الرواية ارسال ، لان ابا الصباح الكناني ولد بعد وفاة الاصبع بأكثر من ثلاثين سنة لانه على ما صرح به ابن داود مات بعد السبعين و المائة وهو ابن نيف و سبعين سنة ، والاصبع لم يبق إلى وقعة الطف الواقعة في سنة الستين ومع ذلك تشتمل على امور تحتاج إلى التوجيه :

منها البروج التي تنزل الشمس فيها ، ولعل المراد بها - على فرض الصدور - الدرجات التي ينقسم مدارها إليها ، و كون كل واحدة منها بمنزلة جزيرة العرب كناية عن طولها وسمعتها و لعل « جزائر العرب » من خطأ النساخ او الرواة ، فانها ليست الا شبه جزيرة واحدة .
ومنها سجود الشمس بعد غروبها عند انتهائها إلى حد بطنان العرش ، ولعله بيان تمثيلي لكيفية انقياد الشمس لامرأته تعالى من عظمتها و شدة بأسها ، ولعل تخصيص السجود بما بعد الغروب رعاية لافهام العوام حيث يصعب عليهم قبول سجودها مع ما يرون من حالها ، لكن بعد غروبها و غيبوبتها عن أعينهم يسهل عليهم تجويزه . واما « حد بطنان العرش » فالظاهر انه من تدرج التمثيل وليس المراد به نقطة خاصة حتى يتكلف لتمثيلها ، و سيأتي من العلامة المؤلف - ره - انها في جميع الاوقات خاضعة ساجدة تحت عرش الرحمن . **ومنها** ان وجه الشمس لاهل السماء وقفها لاهل الارض ، ولعله كناية عن شدة حرارتها ، ولا يمكن الاخذ بظاهرها لمنافاته مع اخبار كثيرة مضافاً إلى مخالفته مع الاصول الهيوية و سيأتي في رواية محمد بن مسلم تحت الرقم ٢٨ انها إذا بلغت الجو قلبت ظهر البطن فصار ما يلي الارض إلى السماء . هذا ما خطر بالبال والله أعلم بحقيقة الحال .

لا خصوص المقدار ، والمقصود بيان سرعة حركتها وإن كانت بطيئة بالنسبة إلى الحركة اليومية . قال الفيروز آبادي : جزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات ، أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً ومن جدّة إلى ^(١) ريف العراق عرضاً ^(٢) . « فإذا غابت » أي بالحركة اليومية « إلى حدّ بطنان العرش » أي وسطه ، ولعلّ المراد وصولها إلى دائرة نصف النهار من تحت الأرض فإنّها بحذاء أوساط العرش بالنسبة إلى أكثر المعمورة ، إذ ورد في الأخبار أن العرش محاذ للكعبة « فلم تزل ساجدة » أي مطيعة خاضعة منقادة جارية بأمره تعالى « حتى تردّ إلى مطلعها » و المراد بمطلعها ما قدّر أن تطلع منه في هذا اليوم ، أو ما طلعت فيه في السنة السابقة في مثله . و قوله « و معنى سجودها » يحتمل أن تكون من تنمّة الخبر لبيان أنّه ليس المراد بالسجود ما هو المصطلح ، و لعلّ الأظهر أنّه من كلام الكليني أو غيره من الرواة ، وسيأتي تفسير الآية في محله .

٢ - الكافي : عن عدة من أصحابه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى وأحمد بن محمد بن خالد جميعاً عن الحسن بن محبوب ، عن إبراهيم بن مهزم ، عن رجل ، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك : ملك ينادي « يا صاحب الخير أتمّ وأبشر » و ملك ينادي « يا صاحب الشرّ انزع و اقصر » و ملك ينادي « أعط منقلاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً » و ملك ينضحها ^(٣) بالماء ، ولولا ذلك اشتعلت الأرض ^(٤) . بيان : يحتمل أن يكون النضح بالماء كناية عن بثّ الأجزاء المائية في الهواء

(١) في المصدر « اطراف ريف العراق » و الريف ، ارض فيها زرع و خصب

(٢) القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(٣) ينضحه بالماء : رشه . اقول : يمكن انطباق ذلك على ما ادعاه الفلكيون من اهل المصران للشمس امطاراً غزيرة جداً تنزل عليها من السحب المحيطة بها ، و ادعى اهل الارصاد انهم رأوا بالالآت الحديثة امتداد خطوط منحنية على سطح الشمس تشبه حال نزول المطر و جريان الرياح .

(٤) لم يوجد في المصدر .

يسبب الأنهار والبحار والآبار وغيرها ، فإنه لولاها لكان تأثير الحرارة في الهواء والأرض والأبدان والأشجار والنباتات أكثر . وأقول : قال السيد الداماد في بعض ذبوره : فيما نقله رهط من المفسرين عن ابن عباس مما استفاد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى « كل يجرى لأجل مسمى » أن الشمس مائة وثمانين منزلاً في مائة وثمانين يوماً ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال تلك الأيام ومجموع تلك الأيام سنة ، وقال علامتهم المفسر الأعرج النيسابوري في تفسيره : إن صح هذا عنه فلعلمه أراد تصاعدها على دائرة نصف النهار وتنازلها منها في أيام السنة ، أو أراد نزولها في فللكها الخارج المر كزمن الأوج إلى الحضيض ثم صعودها من الحضيض إلى الأوج ، فإن لها بحسب كل جزء من تلك الأجزاء في كل يوم من تلك الأيام تعديلاً خاصاً زائداً أو ناقصاً ، ونحن نقول : ذلك تجشّم وتكلف بل أراد بمنازلها في أيام السنة مداراتها اليومية بحسب أجزاء مدارها الذي عليه طول السنة بحركتها الخاصة ، فإن ذلك المدار في سطح منطقة البروج مقاطعاً لمنطقة معدّل النهار على نقطتي الاعتدالين ، و كل جزئين من أجزائه شماليين أو جنوبيين هما متساويا البعد عن إحدى نقطتي الانقلابين ، وبعد أحدهما عن إحدى نقطتي الاعتدالين كبعد الآخر عن الأخرى ، فإنهما متّحدان في المدار اليومي فالشمس بحسب كونها في أجزاء مدارها بحركتها الخاصة تعود بالحركة الشرقية في الربع الصيفي من أرباع السنة إلى مداراتها اليومية الربيعية ، وفي الربع الشتوي إلى مداراتها اليومية الخريفية ، ففي النصف الشتوي والربيعي من السنة تعود إلى مداراتها الخريفية والصيفية ، وفي النصف الصيفي والخريفي إلى مداراتها الربيعية والشتوية فاحفظ بذلك فإنه من بدائع الصنائع الإلهية .

٣ - التوحيد والمجالس للصدوق : عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن محمد ابن جعفر الأسدي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن النوفلي ، عن السكوني عن أبي نعيم البلخي ، عن مقاتل بن حيان ، عن عبد الرحمن بن أبزي (١) ، عن

(١) بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة بعدها زاي معجمة - كذا في شرح المسلم من -

أبي ذرّ الغفاريّ ، قال : كنت آخذاً بيد النبي ﷺ ونحن تتماشى جميعاً ، فمازلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت ، فقلت : يا رسول الله أين تغيب ؟ قال : في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش ، فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، ثم تقول : يارب من أين تأمرني أن أطلع أمن مغربي أم من مطلعي ؟ فذلك قوله عزّ وجلّ « و الشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ^(١) » يعني بذلك صنع الربّ العزيز في ملكه بخلقه . قال : فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع ، قال : فتلبس تلك الحلّة كما يلبس أحدكم ثيابه . ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها . قال النبي ﷺ فكأنّي بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوء وتؤمر أن تطلع من مغربها ، فذلك قوله عزّ وجلّ « إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت » والقمر كذلك من مظلعه ومجراه في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش ، وجبرئيل يأتيه بالحلّة من نور الكرسي ، فذلك قوله عزّ وجلّ « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً » قال أبو ذرّ - ره - ثم اعتزلت مع رسول الله ﷺ فصلينا المغرب ^(٢) .

→ باب التيمم - هو عبدالرحمن بن أبزي الخزاعي مولى نافع بن عبد الحرث ، قال البخاري : له صحبة ، و قال ابن أبي داود ، تابعي .

(١) يس ، ٣٨ .

(٢) التوحيد ، ٢٠٣ . أقول : الظاهر أن مبنى البيان في هذا الخبر و أمثاله - على فرض الصدور - على التمثيل و الإشارة إلى كيفية انقياد الشمس و القمر لأمر الله تعالى ، و إلى أن ضوء الشمس يفاض عليها تدريجاً من مبدء وجودي عال و مصدر رباني شريف هو العرش و هو حلة تلبسها كما يلبس الناس ثيابهم ، و فيه إشارة إلى أن سائر الكائنات أيضاً تنال حظوظها الوجودية في كل آن من المبادئ العالية و هي عارية عندهم تسترد عند حينوته أجلها ، و يكفي لسلبها عدم الاعطاء في الآن الثاني ، كما أن الشمس و النجوم تستلب ضوءها ولا تعطى حللها فتتكدر ، قال العلامة المؤلف رحمه الله في شرح الخبر ١٣ من هذا الباب فهي - بنى الشمس - ←

بيان : قد يحمل أكثر ماورد في الخبر على الاستعارة التمثيلية والمجاز الشائع في كلام العرب والله يعلم حقائق الأمور .

٤ - تفسير علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن يسار (٢) عن معروف بن خربوذ ، عن الحكم بن المستنير ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن من الآيات التي قدرها الله للناس مما يحتاجون إليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض ، قال : وإن الله قدر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب ، ثم قدر ذلك كله على الفلك ، ثم وكل بالفلك ملكاً معه سبعون ألف ملك ، فهم يديرون الفلك فإذا أداروه دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه ، فنزلت في منازلها

→ في كل آن باعتبار امكانها مسلوقة النور والصفات والوجود بحسب ذاتها وانما تكتسب جميع ذلك من خالقها و مديرها فهي في جميع الاوقات والالمان تحت عرش الرحمن وقدرته متغيرة في امرها ساجدة خاضعة لربها - إلى ان قال - وانما اوماتك إلى بعض الاسرار ليمكنك فهم غوامض الاخبار (انتهى كلامه رفع مقامه) و لعل السرفى الفرق بين نور الشمس و نور القمر بكون الاول من العرش والثاني من نور الكرسي ان الواسطة في القمر اكثر بوحدة من الشمس هي هي ، كما أن نور الكرسي من نور الارش فتفتن . يبقى السؤال عن علته عدم بيان حقيقة حال الشمس والقمر في الطلوع والغروب وغيرهما من الاحوال ، والجواب ان بيان حقيقة هذه الامور وايضاها يتوقف على مقدمات علمية وشرائط ذهنية يعتمد التفهيم بدونها ومن المعلوم عدم وجود تلك الشرائط في ذلك الزمان وغرض النهي والائمة عليهم السلام من بيان الامور التكوينية سوق الانسان إلى الجانب الربوبي ، و هدايته إلى معرفة الله تعالى وصفاته واسمائهم بمعرفة آياته الافاقية والانفسية وإلا فتعليم الطبيعيات والفلكيات مما هو خارج عن شأن النبي و اوصيائه عليهم السلام .

(٢) لم نجد في تراجم الخاصة و العامة من يسمى « عبد الله بن يسار » وكذا « الحكم ابن المستنير » و الظاهر أنهما مصحفا « عبد الله بن سنان » و « الحكم بن المستورد » كما في سند الكافي ، ثم الظاهر ان الصحيح هو الحكم بن المستورد ، بلا دال في آخره كما في « جامع الرواة - ج ١ ، ص ٢٦٧ » قال : معروف بن خربوذ عنه عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث البحر مع الشمس في كتاب الروضة (انتهى) و على أي تقدير فلم نظفر له على مدح أو ذم في كتب الرجال .

التي قدرها الله فيها ^(١) ليومها و ليلتها و إذا كثرت ذنوب العباد و أراد الله ^(٢) أن يستعقبهم بآية من آياته أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم و الكواكب ، فيأمر الملك أو تلك السبعين الألف ^(٣) الملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه ، قال : فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي يجري الفلك فيه ، فيطمس ^(٤) ضوءها ^(٥) ويغير ^(٦) لونها ، فإذا أراد الله أن يعظم الآية طمست الشمس في البحر على ما يجب الله أن يخوف خلقه ^(٧) بالآية ، فذلك عند شدة انكساف الشمس ، وكذلك يفعل بالقمر ، فإذا أراد الله أن يخرجهما ^(٨) ويردّهما إلى مجراهما أمر الملك الموكل بالفلك أن يردّ الشمس ^(٩) إلى مجراها فيردّ الملك ^(١٠) الفلك إلى مجراه فتخرج من الماء وهي كدرة ، والقمر مثل ذلك . ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام : أما إنّه لا يفزع لهما ولا يرهّب ^(١١) إلّا من كان من شيعتنا ، فإذا كان ذلك فافزعوا إلى الله ^(١٢) وراجعوا [هـ] قال : و قال أمير المؤمنين عليه السلام : الأرض مسيرة خمسمائة عام ، الخراب منها مسيرة أربعمائة عام والعمران منها مسيرة مائة [عام] والشمس ستون فرسخاً في ستين فرسخاً ، والقمر

(١) لها (خ) .

(٢) في الفقيه ، و أحب الله .

(٣) في الكافي ، السبعين ألف ملك .

(٤) فينطمس به (خ) .

(٥) حرها (خ) كذا في الكافي .

(٦) يتغير (خ) .

(٧) في الفقيه : عباده .

(٨) في الكافي و الفقيه ، أن يجليها .

(٩) في الكافي ، ان يرد الفلك .

(١٠) د د و الفقيه : فيرد الفلك فتراجع الشمس إلى مجريها .

(١١) د د د ولا يرهّب بهاتين الايتين .

(١٢) د د : إلى الله عز وجل ثم ارجعوا إليه .

أربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً بطونهما يضيئان لأهل السماء و ظهورهما لأهل الأرض ، والكواكب كأعظم جبل على الأرض ، وخلق الشمس قبل القمر . وقال سلام بن المستنير : قلت لأبي جعفر عليه السلام لم صارت الشمس أحرّ من القمر ؟ قال : إن الله خلق الشمس من نور النار وصفوا الماء طبقة من هذا وطبقاً من هذا ، حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار ، فمن هنالك ^(١) صارت أحرّ من القمر . قلت : فالقمر ؟ قال : إن الله خلق القمر من ضوء نور النار وصفوا الماء طبقة من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء ، فمن هنالك ^(٢) صار القمر أبرد من الشمس ^(٣) .

الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن معروف بن خربوذ ، عن الحكم بن المستورد عن علي بن الحسين عليه السلام مثله - إلى قوله - فإذا كان كذلك فافزعوا إلى الله عز وجل ثم ارجعوا إليه ^(٤) .
الفقيه : عنه عليه السلام مرسل مثله ^(٥) .

(٢١١) فمن ثم (خ) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ، ٣٧٩ .

(٤) روضة الكافي ، ٨٣ .

(٥) الفقيه ، ١٤١ ، أقول ، مما اتفق عليه اصحاب الهيئة القديمة والجديدة ان الكسوف إنما يكون بحيلولة القمر بين الأرض والشمس والخسوف بحيلولة الأرض بين القمر والشمس ولا يختص الانكساف بهما بل يوجد في سائر الكواكب التي تدور حول الشمس أيضاً ، لكن كون تلك الحيلولة موجبة له لا ينفي وجود سبب آخر له أيضاً ، نعم يعد غيره سبباً غير عادي ، فلا ينقض قول الهويين في هذا الباب بالانكسافات و الانخسافات الخارقة للعادة كما لا ينقض قول الطييعيين في سببية النار للحرارة و الاحراق بصيرورتها برداً و سلاماً على إبراهيم عليه السلام فان الاسباب قد تمنع من التأثير لموانع خفية و لمعارضتها مع سبب أقوى منها ، و اما البحر المذكور في الرواية فلتفسيره وجوه يذكرها المؤلف - رحمه الله - و منها ان المراد به ظل الشمس و القمر ، و لعله اقرب الوجوه ، و السر في عدم بيان حقيقة الحال و الاكتفاء بالبيان الاستماري هو ان النفوس الضميغة انما تنقطع إلى الاسباب و اعينهم لا تنفذ منها إلى مسببها و قيومها ، فكلما اسندت الافعال إلى اسبابها المادية ازداد تعلقهم بها و انتقص توجههم إلى قيومها -

توضيح : « إن من الآيات ، كذا في الفقيه وبعض نسخ التفسير ، وفي بعضها « الأوقات ، والأول أصوب ، و في الكافي « من الأقوات ، أي أسبابها « قدّر فيه ، أي في البحر أي عليه ، ومحاذياً له ، أو جعله بحيث يمكن أن يجري الكواكب فيه عند الحاجة ، و في الكتابين « فيها » فالمراد أيضاً البحر بتأويل الآية ، ويمكن إرجاعه إلى الآيات أو إلى السماء ، « وقدّر ذلك » أي الجريان « كلكه على الفلك » أي الفلك الأعظم أو فلك الكوكب والأول أظهر ، و في الفقيه هكذا « أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك عن مجاريه قال فيأمر الملك السبعين الألف الملك أن أزيلوا الفلك - إلى قوله - في ذلك البحر الذي كان فيه الفلك » وفيهما « فإذا أراد الله أن يجعلها ويردّها إلى مجراها أمر الملك الموكل بالفلك أن يردّ الفلك إلى مجراه فبرّد الفلك وترجع الشمس إلى مجراها قال فتخرج » وفي الفقيه « أما إنّه لا يفزع للآيتين ولا يهرب إلّا من كان من شيعتنا » . قوله عنه « أن يستعتهب » أي يطلب

→ فلا بد للاطباء الالهيّين والمربين الربانيين لسوق أكثر الناس إلى ربهم وقطع توجههم عن اصنامهم من اسقاط الاسباب المادية ، وحذف الوسائط المادية ، و اسناد الافعال إلى الله تعالى بلا واسطة او بالوسائط الغيبية ، حتى تنقطع قلوبهم إلى العالم الغيبى ، وتتملق نفوسهم بالجانب الربوبى نعم الله تعالى عباد لا تشغلهم حجب الوسائط ، ولا يفرهم سراب الاسباب ، يخافون ربهم فى كل شدة ، و يفزعون إليه فى كل بلية ، يطمئنون بذكره ، و ينقطعون إليه فى جميع الشؤون و الاحوال ، و هو وليهم فى الدنيا والاخرة فاذا أحسوا بحادثه تقبل أو بلية تنزل لا يرون ملجأ إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، و هذا هو السر فى قول الامام عليه السلام « اما انه لا يفزع لهما ولا يهرب إلّا من كان من شيعتنا » مع ما نرى من رهبة سائر الناس منهما فتبصر ولا يخفى أنه ليس بالكسوف و الحسوف عند المنجمين امرين سازجين فاقدين للاهمية رأساً ، أما عند القدماء الاحكاميين فلانهم أثبتوا لها بحسب ما يدعون من التجارب تأثيرات فى العالم الارضى مذكورة فى زبرهم و تقاويمهم ، و اما عند المتأخرين من علماء الاروبه فلما يرون لهما من الموقعية الهيوية الهامة لوقوع القمر و الارض عند الكسوف و الحسوف فى امتداد جاذبه خطير و على أى تقدير فينبغى للمؤمن المستبصر عند وقوع هذه الحادثة الجوية وسائر الايات الخطيرة الانقطاع التام إلى رب السماوات و الارض و الانابه إلى قيوم الموالم الملوية و السفلية ، فهو الذى يدبر الامور و يقدرها ، و يحول الاحوال و يغيرها و هو على كل شىء قدير

عتابهم ورجوعهم أو يحلمهم على ما يوجب الرضا ، و في القاموس : العتب : الموحدة والفضب ، والعنبي : الرضا ، و استعته : أعطاه العتبي كأعته ، و طلب إليه العنبي ضد^(١) . « و إن يستعتهوا فهاهم من المعتمين » أي إن يستقبلوا ربهم لم يقلهم ، أي لم يردّهم إلى الدنيا . قوله « فيطمس ضوءها » أي بعض ضوءها ، قوله « طمست الشمس » أي كلّها أو أكثرها بحسب ما يراه في تأديبهم من المصلحة . قوله عَلَيْهِ السَّلَام « وهي كدرة » أي بعد ما كانت كدرة ، أو تبقى فيها كدورة قليلة بعد الخروج أيضاً في زمان قليل . قوله عَلَيْهِ السَّلَام « إلامن كان من شيعتنا » لأنهم يؤمنون بهذا ، وأما أكثر الخلق الذين يسندونهما إلى حركات الأفلاك فلا يرهبون لهما .

تفصيل كلام لرفع أوهام : اعلم أن الفلاسفة ذهبوا إلى أن جرم القمر مظلم كثيف صقيل يقبل من الشمس الضوء لكثافته و ينعكس عنه لصقالته ، فيكون أبدأ المضيء من جرمه الكروي أكثر من النصف بقليل ، لكون جرمه أصغر من جرم الشمس ، وقد ثبت في الأصول أنه إذا قبل الضوء كرة صغرى من كرة أعظم منها كان المضيء من الصغرى أعظم من نصفها ، و تفصل بين المضيء والمظلم دائرة قريبة من العظيمة تسمى دائرة النور ، و تفصل بين ما يصل إليه نور البصر من جرم القمر وبين ما لا يصل دائرة تسمى دائرة الرؤية ، و هي أيضاً قريبة من العظيمة لما ثبت في « ٢٤ » من مناظر اقليدس أن ما يرى من الكرة يكون أصغر من نصفها ، و هاتان الدائرتان يمكن أن تتطابقا ، وقد تتفارقان إما متوازيين ، أو متقاطعتين ، وأولاً ولا ذاك ، وقد تؤخذان عظيمتين إدلا تفاوت في الحس بين كل منهما و بين العظيمة ويجعل ما يقارب التطابق تطابقاً ، فإذا اجتمعت الشمس و القمر صار وجهه المضيء إليها والمظلم إلينا و تطابق الدائرتان وهو المحاق ، فإذا بعد عنها يسيراً تقاطعت الدائرتان على حوادٍ ومنفرجات ، فإذا بعد منها قريباً من اثنتي عشرة درجة يرى من وجهه المضيء ما وقع منه بين الدائرتين في جهة الحادتين اللتين إلى صوب الشمس وهو الهلال ، ولا تزال هذه القطعة تتزايد بتزايد البعد عن الشمس ، والحواد تتعظم

والمنفرجات تنصغر حتى يصير التقاطع بين الدائرتين على قوائم ، ويحصل التربع فيرى من الوجه المضيء نصفه ، ولا يزال يتزايد المرئي من المضيء ويتناظم انقراج الزاويتين الأولى وتين إلى وقت الاستقبال ، فتطابق الدائرتان مرة ثانية ويصير الوجه المضيء إلينا وإلى الشمس معاً وهو البدر ، ثم يقع التقارب فيعود تقاطع الدائرتين على المختلفات أولاً ثم على قوائم ثانياً وحصل التربع الثاني ، ثم يؤول الحال إلى التطابق فيعود المحاق ، وهكذا إلى ما شاء الله سبحانه .

والكسوف عندهم حالة تعرض للشمس من عدم الاستنارة والإضاءة بالنسبة إلى الإضاءة حين ما يكون من شأنها ذلك بسبب توسط القمر بينها وبين الإضاءة ، وذلك إذا وقع القمر على الخط الخارج من البصر إلى الشمس ، ويسمى ذلك بالاجتماع المرئي ، ويكون لا محالة على إحدى العقدتين : الرأس أو الذنب ، أو بقربهما بحيث لا يكون للقمر عرض مرئي بقدر مجموع نصف قطره وقطر الشمس ، فلا محالة يحول بين الشمس وبين البصر ويحجب بنصفه المظلم نورها من الناظرين بالكل وهو الكسوف الكلي ، أو البعض فالجزئي ، و لكونه حالة تعرض للشمس لا في ذاتها بل بالنسبة إلى الإضاءة جاز أن يتفق الكسوف بالنسبة إلى قوم دون قوم ، كما إذا سترت السراج بيدك بحيث يراه القوم وأنت لاتراه وأن يكون كلياً لقوم جزئياً لآخرين أو جزئياً للكل لكن على التفاوت . وأما إذا كان عرض القمر المرئي بقدر نصف مجموع القطرين فيما بين جرم القمر ومخروط شعاع الشمس فلا يكون كسوف .

وأما خسوف القمر فيكون عندهم عند استقبال الشمس إذا كان على إحدى العقدتين أو بقربها بحيث يكون عرضه أقل من مجموع نصف قطره وقطر مخروط ظل الأرض انحجبت بالأرض عن نور الشمس ، فيرى إن كان فوق الأرض على ظلامه الأصلي كلاً أو بعضاً وذلك هو الخسوف الكلي أو الجزئي ، وأما إذا كان عرضه عن منطقة البروج بقدر نصف القطرين فلا ينخسف .

إذا عرفت هذا فالكلام في هذا الخبر على وجوه . الاول : أن يقال إن هذه مقدّمات حدسية ظنية فإنّه يمكن أن تكون هذه الاختلافات لجهة أخرى كما

قال ابن هيثم في اختلاف تشكلات القمر أنه يجوز أن يكون ذلك لأن القمر كرة مضيئة نصفها دون نصف ، و أنها تدور على مركز نفسها بحركة متساوية لحركة فلكها ، فإذا كان نصفه المضيء إلينا فبدر ، أو المظلم فمحاق ، و فيما بينهما يختلف قدر ما تراه من المضيء . وأيضاً يمكن أن يكون الفاعل المختار يحدث فيه نوراً بحسب إرادته في بعض الأحيان ولا يحدث في بعضها ، فالحكم ببطلان الخبر أو تأويله غير مستقيم .

الثاني : أنه يمكن أن يكون عند حدوث تلك الأسباب يقع المرور على البحر أيضاً ويكون له أيضاً مدخل في ذلك ، و امتناع الخرق والالتئام على الأفلاك وعدم جواز الحركة المستقيمة فيها و امتناع اختلاف حرركاتها و أمثال ذلك لم يثبتوها إلا بشبهات واهية وخرافات فاسدة لا يخفى وهنها على من تأمل بالإحصاف فيها ، مع أن القول بها يوجب نفي كثير من ضروريات الدين من المعراج ، و نزول الملائكة وعروجهم ، و خرق السماوات وطيها ، وانتشار الكواكب وانكسافها في القيامة إلى غير ذلك مما صرح به في القرآن المجيد والأخبار المتواترة .

الثالث : ما ذكره الصدوق - ره - في الفقيه حيث قال : إن الذي يخبر به المنجمون فيتنفق على ما يذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء وإنما يجب الفزع فيه ^(١) إلى المساجد والصلاة لأنه آية تشبه آيات الساعة ^(٢) . و قال الشهيد - ره - في الذكري في جملة فروع أوردها في أحكام صلاة الكسوف : الرابع لوجامعت صلاة العيد بأن تجب بسبب الآيات المطلقة ، أو بالكسوفين نظراً إلى قدرة الله تعالى وإن لم يكن معتاداً على أنه قد اشتمر أن الشمس كسفت يوم عاشوراء لما قتل الحسين عليه السلام كسفةً بدت الكواكب فيها نصف النهار في مارواه البيهقي وغيره ، وقد قد منا أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم بن النبي ﷺ و روى الزبير بن بكار في كتاب الأنساب أنه توفي في العاشر من شهر ربيع الأول ، و روى الأصحاب

(١) ليس في المصدر لفظه « فيه » .

(٢) الفقيه ١٣١٠ .

أن من علامات المهدي عليه السلام كسوف الشمس في النصف الأول من شهر رمضان . إلى آخر ما قال :

واقول : رأيت في كثير من كتب الخاصة والعامة وقوع الكسوف والخسوف في يوم عاشوراء وليلته ، وروى الشيخ المفيد في الإرشاد بسنده إلى الفضل بن شاذان عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة الأزدي ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : آيتان تكونان قبل القائم عليه السلام : كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان ، و خسوف القمر في آخره . قال : قلت : يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في نصف ^(١) الشهر والقمر في آخره ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : أنا أعلم بما قلت ، إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ^(٢) ورواه في الكافي عن عدة من أصحابه ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن بدر بن الخليل الأزدي ، قال : كنت جالسا عند أبي جعفر عليه السلام فقال : آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض : تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره . فقال رجل : يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إني أعلم ما تقول ، و لكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ^(٣) والأخبار في ذلك كثيرة أوردتها في سائر المجلدات لا سيما في الثالث عشر .

الرابع : ما أوله بعض المفسرين ، وهو أن المراد بالبحر في الكسوف ظل القمر ، وفي الخسوف ظل الأرض على الاستعارة . ووجدت في بعض الكتب مناظرة لطيفة وقعت بين رجل من المدعين للإسلام يذكر هذا التأويل للخبر وبين رجل من براهمة الهند ، قال له حين سمع ذلك التأويل منه : لا يخلو من أن يكون مراد

(١) في المصدر « تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف » كما في رواية الكافي
فماي نسخة المتن يكون كلام الراوى استفهاماً عن تعجب ، و على نسخة المصدر يكون بياناً للمادة إما عن تعجب او عن توهم السهو للإمام عليه السلام .

(٢) إرشاد المفيد ١ : ٢٣٩ .

(٣) روضة الكافي ١ : ٢١٢ .

صاحب شريعته ما ذكرت أم لا ، فإن لم يكن مراده ذلك فالويل لك حيث اجترأت على الله و عليه و حملت كلامه على ما لم يرد و افتريت عليه ، وإن كان مراده ذلك فله غرض في التعبير بهذه العبارة ومصلحة في عدم التصريح بالمراد ، لقصور أفهام عامة الخلق عن فهم الحقائق ، فالويل لك أيضاً حيث نقضت غرضه و أبطلت مصلحته و هتكت سره^(١).

واقول : هذا الكلام متين وإن كان قائله على ما نقل من الكافرين ، لأن عقول العباد قاصرة عن فهم الأسباب والمسببات ، وكيفية نزول الأنكال والعقوبات ، فإذا سمعوا المنجم يخبر بوقوع الكسوف أو الخسوف في الساعة الفلانية بمقتضى حركات الأفلاك لم يخافوا عند ذلك ، ولم يفزعوا إلى ربهم ، ولم يرتدعوا به عن معصيته ، ولم يعدوه من آثار غضب الله تعالى ، لأنهم لا يعلمون أنه يمكن أن يكون الصانع القديم والقادر الحكيم لما خلق العالم ، وقدر الحركات ، وسبب الأسباب والمسببات ، وعلم بعلمه الكامل أحوالهم وأفعالهم في كل عصر وزمان ، وكل دهر وأوان ، وعلم ما يستحقون من التحذير والتنذير قدر حركات الأفلاك على وجه يطابق الخسوف والكسوف وغيرهما من الآيات بقدر ما يستحقونه بحسب أحوالهم من الإنذارات والعقوبات وهذا باب دقيق يعجز عنه أفهام أكثر الخلق . وبالجملة الحديث وإن كان خبراً واحداً غير نقي السند لكن لا يحسن الجرأة على ردّه ، وينبغي التسليم له في الجملة وإن صعب على العقل فهمه ، فإنه سبيل أبواب التسليم ، الثابتين على الصراط المستقيم .

قوله **﴿وَالْأَرْضُ مَسِيرَةٌ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ﴾** لعل المراد أنه إذا أراد إنسان أن يدور جميع الأرض ويطالع على جميع بقاعه الظاهرة والغائرة لا يكون إلا في خمسمائة سنة ، وكذا المعمور وغير المعمور إذ لو كان المراد المسير على عظمة محيطة بالأرض يكون ذلك في قليل من السنين إن كانت مساحتهم المذكورة في كتبهم حقة لأنهم قالوا مساحة

(١) كلام الهندي لا يخلو عن مناقشة ، لأن قصور أفهام عامة الخلق لا يوجب كتمان الحقائق حتى عن الخواص والمستعدين ، نعم يوجب كتمانها عن القاصرين فقط .

محيط دائرة عظيمة تقرض على الأرض ثمانية آلاف فرسخ ، فيمكن قطعه في ثلاث سنين تقريباً ، وكون الشمس ستون فرسخاً لعلّه بالفراسخ السماوية ، أو المراد أن نسبتها إلى فللكها كنسبة تلك الفراسخ إلى الأرض ، وكذا القمر ، أو المراد به العدد الكثير ، عبر هكذا تقريباً إلى فهم السائل ، وكذا المراد بكون الكواكب كأعظم جبل أن نسبة كل منها إلى السماء كنسبة أعظم جبل إلى الأرض ، كل ذلك بناءً على صحة ما ذكره أصحاب الهيئة وهو غير معلوم ، فإنهم عوّلوا في ذلك على مساحات وأرصاد تصدّى جماعة من الكفرة لتحقيقها وضبطها ، وخلق الشمس قبل القمر يدلّ على حدوثهما والله يعلم حقائق مخلوقاته ومن عرفهم تلك من حججه عليهم السلام .

٥ - الكافي: عن عدة من أصحابه ، عن سهل بن زياد ، عن عليّ بن حسان عن عليّ بن أبي النوار ، عن محمد بن مسلم ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ، لأي شيء صارت الشمس أشدّ حرارة من القمر؟ فقال : إن الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا ، حتّى إذا كانت ^(١) سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار ، فمن ثمّ صارت أشدّ حرارة من القمر . قلت : جعلت فداك والقمر ^(٢) ؟ قال : إن الله تعالى ذكره خلق القمر من ضوء نور ^(٣) النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا ، حتّى إذا كانت ^(٤) سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء ، فمن ثمّ صار القمر أبرد من الشمس ^(٥) .

العلل والخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد الأشعري ، عن عيسى بن محمد ، عن عليّ بن مهزيار ، عن عليّ بن حسان

(١) في الملل ، إذا صار .

(٢) في الخصال ، فما القمر ؟ فقال .

(٣) في الخصال ، من نور النار .

(٤) في الملل والخصال ، حتى إذا صارت .

(٥) روضة الكافي ، ٢٣١٠ .

عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم مثله ^(١) .

توضيح : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « حتى إذا كانت سبعة أطباق » يحتمل أن يكون المعنى أن الطبقة السابعة فيها من نار ، فيكون حرارتها لجهتين : لكون طبقات النار أكثر بوحدة ، و كون الطبقة العليا من النار ، و يحتمل أن يكون لباس النار طبقة ثامنة فتكون الحرارة للجهة الثانية فقط ، و كذا في القمر يحتمل الوجهين . ثم إنه يحتمل أن يكون خلقيهما من النار و الماء الحقيقيين من صفوهما و أطفئهما ، و أن يكون المراد جوهرين لطيفين مشابهي لهما في الكيفية ، ولم يثبت امتناع كون العنصريّات في الفلكيّات ببرهان ، وقد دلّ الشرع على وقوعه في مواضع شتّى .

٦ - **الاحتجاج :** روى القاسم بن معاوية عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال : لما خلق الله عزّ وجلّ القمر كتب عليه « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليّ أمير المؤمنين » و هو السواد الذي ترونه ^(٢) .

٧ - **الخصال :** عن عليّ بن أحمد بن موسى ، عن عليّ بن الحسن الهسنجانيّ عن سعد ^(٣) بن كثير بن عفير ، عن ابن لهيعة و رشيد بن سعد ، عن حريز بن عبدالله عن أبي عبدالرحمن الجبليّ ، عن عبدالله بن عمر ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مرضه

(١) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، الخصال : ١٠ .

(٢) الاحتجاج ٨٣١ اقول ، للمعنى الرواية ان نظام الكون يشهد بصحة هذه الاصول الثلاثة اما التوحيد فظاهر و اما النبوة فلان الله تعالى يهدى بها النوع الانساني إلى كماله و صلاحه ، فوجود المصالح في سائر اجزاء العالم شاهد على سنة الهية في الكون هي ايصال كل نوع إلى ما فيه صلاحه ، و ينحصر طريق ذلك في النوع الانساني بارسال الانبياء ، و اما الولاية فلانها ابقاء لآثار النبوة و اكمال للدين . و اما دلالة سواد القمر على ذلك فلانه اشبه شيء بخط تكويني على لوح صاف نير و سيأتي من العلامة المؤلف رحمه الله نظير هذا التوجيه في ذيل الحديث (١٨) من هذا الباب .

(٣) كذا ، و الصحيح « سعيد بن كثير بن عفير » كما عنوانه ابن حجر في لسان الميزان (٦ : ٥٦٢) و الخزرجي في الخلاصة (١٢٠) و ذكرانه كان من اعلم الناس بالانساب و الاخبار و المناقب و المثالب و كان أدبياً فصيحاً مات سنة (٢٢٤) .

الذي توفي فيه : ادعوا إليّ أخي . قال : فأرسلوا إلى عليّ عليه السلام فدخل ، فوليا وجوههما إلى الحائط و ردا عليهما ثوباً فأسرّ إليه و الناس محتشون وراء الباب فخرج عليّ عليه السلام فقال له رجل من الناس : أسرّ إليك نبيّ الله شيئاً ؟ قال : نعم أسرّ إليّ ألف باب في كل باب ألف باب . و قال : وعيته ؟ قال : نعم ، و عقلته . فقال : فما السواد الذي في القمر ؟ قال : إن الله عز وجل قال « و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة » قال له الرجل : عقلت يا عليّ ^(١) .

بيان : « فوليا » أي النبيّ و عليّ عليه السلام و يقال « احتوش القوم على فلان » أي جعلوه وسطهم ، و يقال « وعاه » أي حفظه ، و الظاهر أن السؤال كان عن علّة الكلف في القمر فأجاب عليه السلام بأنّه إنّما جعل فيه ذلك ليقلّ نوره و يحصل الفرق بينه و بين الشمس فيمتاز الليل من النهار كما يدلّ عليه خبر ابن سلام فالمحوى في الآية تقليل نور القمر باحداث الكلف فيه . و اعلم أنّهم اختلفوا في سبب الكلف فخيال لاحقيقة له ، و اُورّد عليه بأنّه يستحيل عادةً توافق جميع الناس في خيال واحد لاحقيقة له . و قيل : هو شبح ما ينطبع فيه من السفليات من الجبال و البحار وغيرها و زيف بأنّه لو كان كذلك لكان يختلف باختلاف القمر في قربه و بعده و انحرافه عما ينطبع فيه . و قيل : هو السواد الكائن في الوجه الآخر ، و اُورّد عليه بأنّه لو كان كذلك لم ير متفرّقا . و قيل : هو سحق النار للقمر ، و أُجيب بأنّه غير مماسّ للنار لأنّه مركوز في تدويره في ثخن حامل ، فبينه و بين النار بعد بعيد ، ولو فرض أنّه في حضيض التدوير مع كونه في حضيض الحامل لم يتصور هناك مماسة إلّا بنقطة واحدة ، و أيضاً فهو غير قابل للتسخّن عندهم فكيف ينسحق بها . و قيل : هو جزء منه لا يقبل النور كسائر أجزائه القابلة له ، و اُورّد عليه أنّه مخالف لما ذهبوا إليه من بساطة الفلكيات فيبطل جميع قواعدهم المبنية على بساطتها . و قيل : هو وجه القمر فإنّه مصوّر بصورة إنسان ، فله عينان و احجبان و أنف و فم ، و أُجيب بأنّه

لافائدة في جعل هذه الأجزاء فيه . وقيل : هو أجسام سماوية مختلفة معه في تدويره غير قابلة للإبادة حافظة لوضعها معه دائماً ، وهذا أقرب المواجه عندهم ، وكل ذلك قول بغير علم ، ولا نعلم من ذلك إلا أنه سبحانه خلقه كذلك ، والبحث عن سببه لا طائل تحته ، وسنذكر وجوهاً آخر بعد ذلك إنشاء الله .

٨ - العيون والعلل : في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي ﷺ : ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور ؟ قال : لما خلقهما الله عز وجل أطاعا ولم يعصيا شيئاً ، فأمر الله عز وجل جبرئيل أن يحوضوه القمر فمحاء ، فأثر المحو في القمر خطوطاً سوداء ، ولو أن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح لماعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ، ولا علم الصائم كم يصوم ، ولا عرف الناس عدد السنين ، وذلك قول الله عز وجل « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني لم سمي الليل ليلاً ؟ قال : لأنه يلايل الرجال من النساء ، جعله الله عز وجل ألفة ولباساً ، وذلك قول الله عز وجل « وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً » قال : صدقت يا محمد ^(١) (الخبر) .

بيان : يظهر من الخبر أن الليل مشتق من الملايلة ، وهي بمعنى المؤالفة والموافقة ، والمشهور عند اللغويين عكس ذلك ، قال الفيروز آبادي : لايلته استجرت له لليلة ، وعامله ملايلة كميأومة ^(٢) .

٩ - العلل والعيون : في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن طول الشمس والقمر وعرضها ، قال : تسعمائة فرسخ (الخبر) ^(٣) .

(١) العلل ج ٢ ، ص ١٥٥ ولم يوجد في العيون وكان لفظه « العيون » في المتن زائدة لاختصاصه باخبار الرضا عليه السلام .

(٢) القاموس ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٣) هذا الخبر مذكور في نسخة امين الضرب دون سائر النسخ . العيون ج ١ ، ص ٢٤١ -

العلل ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

١٠ - الاحتجاج : عن الأصبح : قال: سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن المحو الذي يكون في القمر ، قال عليه السلام : الله أكبر ، الله أكبر ^(١) ، رجل أهمى يسأل عن مسألة عمياء ! أما سمعت الله تعالى يقول « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ؟ » (الخبر) ^(٢) .
العباشي : عن أبي الطفيل مثله .

بيان : « عن مسألة عمياء » أي غامضة مشتبهة يصعب فهمها .

١١ - تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » يقول : الشمس سلطان النهار ، والقمر سلطان الليل ، لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل « ولا يسبق الليل النهار » يقول : لا يذهب الليل حتى يدركه النهار « وكل في فلك يسبحون » يقول : يجي ، ^(٣) وراء الفلك بالاستدارة ^(٤) .
بيان : « يجي » وراء الفلك « لعل المعنى : تابعاً لسير الفلك فكأنه وراءه .

١٢ - العيون : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن مهزيار ، عن أخيه علي ، عن أحمد بن محمد ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة أتى بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين فيقذفان بهما و بمن يعبدهما في النار ، و ذلك أنهما عبداً فرضيا ^(٥)

بيان : قال في النهاية : في حديث كعب « إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » قيل : لمّا وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله « كل في فلك يسبحون » ثم أخبر أنه يجعلهما في النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحانها صاراً كأنهما زمان

(١) في المصدر ، الله أكبر ثلاث مرات .

(٢) الاحتجاج ، ١٣٨ .

(٣) في المصدر : يجرى .

(٤) تفسير القمي : ٥٥٠ .

(٥) لم نجد هذه الرواية في العيون لكنها موجودة في اللال (٢٩٢ : ٢) و لعله من

عقيران ، حكى ذلك أبو موسى وهو كما تراه ^(١) . و قال : العقير : المنحور ^(٢) لأنهم كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه ، أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه .
 ١٣ - التفسير : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » قال : المحو في القمر ^(٣) .

١٤ - الاحتجاج : عن هشام بن الحكم ، قال : سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام عن الشمس أين تغيب ؟ قال : إن بعض العلماء ^(٤) قالوا : إذا انحدرت أسفل القبة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدةً أبدأ إلى أن تنحط إلى موضع مطلعها ، يعني أنها تغيب في عين حامية ثم تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها ، فتحير تحت العرش حتى يؤذن لها بالطلوع ، ويسلب نورها كل يوم وتتجلل نوراً آخر . قال : فخلق النهار قبل الليل ؟ قال : نعم ، خلق النهار قبل الليل ، والشمس قبل القمر والأرض قبل السماء ^(٥) (الخبر) .

بيان : قوله عليه السلام « صاعدة » أشار عليه السلام بذلك إلى أن الشمس إذا غابت عندنا تطلع على قوم آخرين ، فهي عندهم صاعدة إلى أن تصل إلى قمة الرأس عندهم وهي قمة القدم عندنا ، ثم تنحط عندهم إلى أن تصل إلى مشرقنا . و تحيرها و إذنها لعلهما كنايةتان عن أنها مسخرة للرب متحركة بقدرته ، إذا شاء حرّها و متى شاء سكّنها ، ففي كل آن من آفات حرّكتها في مطلع قوم ، و طلوعها عليهم بإذنه و قدرته سبحانه ، ولو شاء لجعلها ساكنة ، ولما كان الباقي في البقاء محتاجاً إلى المؤثر فهي في كل آن باعتبار إمكانها مسلوقة النور والصفات والوجود بحسب ذاتها ، وإنما تكتسب جميع ذلك من خالقها ومدبرها فهي في جميع الأوقات والأزمان

(١) النهاية ، ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) في المصدر : . . . أي الجزور المنحور ، يقال جمل عقير وناقة عقير ، قيل ، كانوا

إذا أرادوا الخ . النهاية ، ج ٣ ، ص ١١٤ .

(٣) تفسير القمي ، ٣٧٨ .

(٤) في المصدر ، قال ،

(٥) الاحتجاج ، ١٩٢ .

تحت عرش الرحمن وقدرته ، متحيرة في أمرها ، ساجدة خاضعة لربها ، تسأله بلسان إمكانها واقتدارها الإذن في طلوعها وغروبها ، و تكسى حلّة من نوره تعالى . و القائلون بتجدّد الأمثال يمكنهم التمسك بأمثال هذا الخبر ، لكن على ما حققناه لا دلالة لها على مذهبهم . و إنّما أومأت لك إلى بعض الأسرار ، ليتمكنك فهم غوامض الأخبار ، وقد مرّ تحقيق خلق النهار قبل الليل في الباب الأوّل .

١٥ - التوحيد : عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، و الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، و العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، و الحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ^(١) (الخبر) .

١٦ - قصص الراوندي : بالإسناد إلى الصدوق ، عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحجاج ، عن العلاء عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ موسى سأل ربه أن يعلمه زوال الشمس فوكل الله بها ملكاً فقال : يا موسى قد زالت الشمس ، فقال موسى : متى ؟ فقال : حين أخبرتك وقد سارت خمسمائة عام !

١٧ - العياشي : عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى « فمحونا آية الليل » قال : هو السواد الذي في جوف القمر .

١٨ - و منه : عن نصر بن قابوس ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : السواد الذي في القمر محمد رسول الله ^(٢) .

بيان : يحتمل أن يكون المراد أن هذا السواد لما كان من أعظم أسباب نظام العالم كما مرّ ، والعلّة الغائيّة لخلق العالم ونظامه هو عليه السلام فكانت يدلّ عليه ، أو

(١) التوحيد ، ٤٤ . وقد مرّ الخبر بعبارة في باب العرش و الكرسي تحت الرقم (٢٥)

و في باب الحجب و السراقات تحت الرقم (٥) .

(٢) قد مرّ منا بيان في ذيل الحديث (٤) فراجع .

أنه لما دلّ على حكمة الصانع و عدم تفويته ما فيه صلاح الخلق و رسالته ﷺ أعظم المصالح فهو يدلّ عليه ، مع أنه لا حاجة إلى هذه التكلّفات و يمكن حمله على الحقيقة .

١٩ - العياشي : عن جابر ، عن أبي جعفر ﷺ قال : قال أمير المؤمنين ﷺ

تغرب الشمس في عين حامية في بحر دون المدينة التي تلي المغرب يعني جابلقا .

٢٠ - كتاب النجوم للسيد بن طاووس بأسانيدِهِ إلى عمِّه بن إبراهيم النعمانيّ

في كتاب الدلائل ، عن عمِّه بن همام ، عن عمِّه بن موسى بن عبيد ، عن إبراهيم بن أحمد البقطينيّ ، قال : حدّثني ابن ذِي الْعِلْمَيْنِ ^(١) قال : كنت واقفاً بين يدي ذِي الرِياسَتَيْنِ بخراسان في مجلس المأمون وقد حضره أبو الحسن الرضا ﷺ فجري ذكر الليل والنهار و أيّهما خلق قبل ، فخاصوا في ذلك و اختلفوا ، ثمّ إنّ ذا الرِياسَتَيْنِ سأل الرضا ﷺ عن ذلك و عمّا عنده فيه ، فقال له : أتجبّ أن أُعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك ؟ فقال : أريده أو لا من جهة الحساب ، فقال : أليس تقولون إنّ طالِع الدنيا ^(٢) السرطان ، و أنّ الكواكب كانت في شرفها ؟ قال : نعم ، قال : فزحل في الميزان ، و المشتري في السرطان ، و المريخ في الجدي و الزهرة في الحوت ، و القمر في الثور ، و الشمس في وسط السماء في الحمل ، وهذا لا يكون إلّا نهاراً . قال : نعم ، فمن كتاب الله ؟ قال : قول الله عزّ وجلّ " ولا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار " ^(٣) ، أي النهار يسبقه .

قال السيد : ورويناه أيضاً بعدة أسانيد عن ابن جهور العُمِّيّ وكان عالماً فاضلاً

في كتاب الواحدة ، قال : و من مسائل ذِي الرِياسَتَيْنِ للرّضا ﷺ أنّهم تذاكروا بين يدي المأمون خلق الليل و النهار ، فبعض قال : خلق الله النهار قبل الليل ، و بعض قال : خلق الليل قبل النهار ؛ فرجعوا بالسؤال إلى أبي الحسن ﷺ فقال :

(١) في بعض النسخ : ابن ذِي الْقَلَمَيْنِ .

(٢) العالم (خ) .

(٣) يس ، ٤٠ .

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذَكَرُهُ خَلَقَ النَّهَارَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَ خَلَقَ الضِّيَاءَ قَبْلَ الظُّلْمَةِ ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَوْجَدْتُمْ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَوْجَدْتُمْ مِنَ النُّجُومِ . فَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : أَوْجَدْنَا مِنَ الْجَهْتَيْنِ جَمِيعاً . فَقَالَ : أَمَّا النُّجُومُ فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ طَالِعَ الْعَالَمِ السَّرْطَانَ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا وَالشَّمْسُ فِي بَيْتِ شَرْفِهَا فِي نِصْفِ النَّهَارِ ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى « لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ » (الْآيَةُ) .

٢١ - وَ مِنْهُ : نَقْلًا مِنْ كِتَابِ ابْنِ جَهْمٍ رَأْيُضًا بِإِسْنَادِهِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرَ وَقَالَ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنِ السَّوَادِ الَّذِي فِي الْقَمَرِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَى سَأَلَ عَنْ مَهْيَاءَ ! أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ^(١) » ، وَالسَّوَادُ الَّذِي تَرَاهُ فِي الْقَمَرِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ مِنْ نُورِ عَرْشِهِ شَمْسِينَ فَأَمَرَ جِبْرِئِيلَ فَأَمَرَ جَنَاحَهُ الَّذِي سَبَقَ مِنْ ^(٢) عِلْمِ اللَّهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَ عِدَدُ السَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ وَ الشُّهُورِ ، وَ السِّنِّينِ وَ الدَّهُورِ ، وَ الْارْتِحَالِ وَ النُّزُولِ ، وَ الْإِقْبَالِ وَ الْإِدْبَارِ ، وَ الْحِجِّ وَ الْعِمْرَةِ ، وَ مَحَلِّ الدِّينِ ، وَ أَجْرِ الْأَجِيرِ ، وَ عِدَدِ أَيَّامِ الْحَبْلِ ، وَ الْمُطْلَقَةِ ، وَ الْمَتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجَهَا ، وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

بَيَانُ : « الَّذِي » أَيُّ عَلَى الَّذِي سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ قَمَرًا ، وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ هَكَذَا عَلَى أَحَدِهِمَا لِلَّذِي سَبَقَ .

٢٢ - الْكَافِي : عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَخِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ ، عَنْ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : بَلَّغْنِي أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَقْصَرُ الْأَيَّامِ ، قَالَ : كَذَلِكَ هُوَ ، قُلْتُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْمَعُ أَرْوَاحَ الْمُشْرِكِينَ تَحْتَ عَيْنِ الشَّمْسِ ، فَإِذَا رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَذَّبَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمُشْرِكِينَ بِرُكُودِ الشَّمْسِ سَاعَةً فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَا يَكُونُ لِلشَّمْسِ رُكُودٌ

(١) الْإِسْرَاءُ ١٢٠

(٢) فِي (خ) .

رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة ، فلا يكون للشمس ركود ^(١) .

٢٣ - الاختصاص : عن محمد بن أحمد العلوي ، عن أحمد بن زياد ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي الصباح الكناني ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله « ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » ^(٢) ، (الآية) فقال : إن للشمس أربع سجديات كل يوم و ليلة : سجدة إذا صارت في طول السماء قبل أن يطلع الفجر ، قلت : بلى جعلت فداك ، قال : ذاك الفجر الكاذب ، لأن الشمس تخرج ساجدة و هي في طرف الأرض ، فإذا ارتفعت من سجودها طلع الفجر و دخل وقت الصلاة . و أمّا السجدة الثانية فإنها إذا صارت في وسط القبة و ارتفع النهار ركبت قبل الزوال ، فإذا صارت بحذاء العرش ركبت وسجدت ، فإذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبة فيدخل وقت صلاة الزوال . و أمّا السجدة الثالثة أسها إذا غابت من الأفق خرّت ساجدة ، فإذا ارتفعت من سجودها زال الليل ، كما أنها حين زالت وسط السماء دخل وقت الزوال زوال النهار ^(٣) .

بيان : السجود في الآية بمعنى غانة الخضوع و التدلل و الانقياد ، سواء كان بالإرادة و الاختيار أو بالقهر والاضطرار ، فالجمادات لما لم يكن لها اختيار وإرادة فهي كاملة في الانقياد و الخضوع لما أراد الرب تعالى منها ، فهي على الدوام في السجود

(١) فروع الكافي (طبعة دار الكتب) ج ٣ ، ص ٣١٦ - أقول ، هذه الرواية وما يشابهها من الروايات الآتية من الاخبار المتشابهة و سيأتى من العلامة المؤلف رحمه الله ان فيها جهات من الاشكال و يذكر أيضاً ما يمكن ان يقال في دفعها ، ولعل اقرب الوجوه في معنى ركود الشمس انها إذا بلغت إلى وسط السماء يرى سيرها بحسب ظاهر الحس بطيئاً جداً حتى كأنها واقفة لا حركة لها و في معنى قصر يوم الجمعة انها يوم العيد و الراحة و ما يمضى من الاوقات بالراحة و السرور يعد قصيراً ، مع ان ارواح الكفار بحسب هذه الروايات لا تمنع في هذا اليوم فيكون لهم قصيراً جداً كما أن سائر الايام تطول عليهم في الغاية .

(٢) الحج ، ١٨٠ .

(٣) الاختصاص ، ٢١٣ .

والانقياد للمعبود ، و التسبيح والتقديس له سبحانه بلسان الذلّ والإمكان والافتقار
و كذا الحيوانات العجم ، و أمّا ذوو العقول فلمّا كانوا ذوي إرادة واختيار فهم
من جهة الإمكان والافتقار والانقياد للأمور التكوينية كالجمادات في السجود و
التسبيح ، ومن حيث الأمور الإرادية والتكليفية منقسمون بقسمين : منهم الملائكة
وهم جميعاً معصومون ساجدون منقادون من تلك الجهة أيضاً ، و لعلّ المراد بقوله
« من في السماوات والأرض » هم ^(١) و أمّا الناس فهم قسمان : قسم مطيعون
من تلك الجهة أيضاً ، و منهم عاصون من تلك الجهة و إن كانوا مطيعين من الجهة
الأخرى ، فلم يثأّت منهم غاية ما يمكن منهم من الانقياد ، فلذا قسّمهم سبحانه إلى
قسمين فقال « و كثير من الناس و كثير حقّ عليه العذاب ^(٢) » ، فإذا حققت
الآية هكذا لم تحتج إلى ما تكلفه المفسّرون من التقديرات والتأويلات وسيأتي
بعض ما ذكره في هذا المقام . و أمّا الخبر فلعله كان ثلاث سجّادات أو سقط
الرابع من النسخ ، و لعله بعد زوال الليل إلى وقت الطلوع ، أو قبل زوال الليل
كما في النهار ، و إنّما خصّ عليه السلام السجود بهذه الأوقات لأنّه عنده
الأوقات تظهر للناس انقيادها لله ، لأنّها تتحوّل من حالة معروفة إلى حالة أخرى
و يظهر تغيير تامّ في أوضاعها ، وأيضاً إنّها أوقات معينة يترصّدها الناس لصلواتهم
وصيامهم و سائر عباداتهم ومعاملاتهم ، و أيضاً لما كان هبوطها وانحدارها وأفولها
من علامات إمكانها وحدوثها كما قال الخليل عليه السلام « لا أحبّ الآفلين » خصّ
السجود بتلك الأحوال ، أو بما يشرف عليها والله يعلم أسرار الآيات والأخبار ، و
حججه الأبرار عليهم السلام .

٢٤ - الاختصاص : قال الصادق عليه السلام : إذا كان عند غروب الشمس و كلّ
الله بها ملكاً ينادي « أيّها الناس أقبلوا على ربّكم ، فإن ما قلّ و كفى خير ممّا كثر

(١) ظاهر الآية الشريفة سجود عامة من في السماوات والأرض لا خصوص الملائكة فقط

و على هذا فحمل السجود فيها على السجود التكويني الذي يعم جميع الخلق أولى .

(٢) الحج : ١٨ .

و ألهي ، و ملك موكل بالشمس عند طولها ينادي « يا ابن آدم لدلموت ، و ابن للخراب ، و اجع للفناء ^(١) » .

٢٥ - كتاب الغارات : لإبراهيم الثقفي " رفعه إلى أبي عمران الكندري " قال : سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن السواد الذي في جوف القمر ، قال : إن الله عز وجل يقول « و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل ^(٢) » ، السواد الذي في جوف القمر . قال : فكم بين المشرق و المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس تطلع من مطلعها فتأتي مغربها ، من حدثك غير ذلك كذبك .

٢٦ - العلل : لمحمد بن علي بن إبراهيم ، قال العالم عليه السلام : علّة رد الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام و ما طلعت على أهل الأرض كلهم أنه جلّ الله السماء بالقيام إلا الموضع الذي كان فيه أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه ، فإنه جلّاه حتى طلعت عليهم . قال : والعلّة في قصر يوم الجمعة أن الله يجمع الأرواح أرواح الكفار و المشرّكين فيعدّ بهم تحت عين الشمس إلا يوم الجمعة ، فإنه ليس للشمس ركود ولا يعتدّ بالكفار لفضل يوم الجمعة .

٢٧ - تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى « حتى عاد كالعرجون القديم » قال : العرجون طلع النخل ، و هو مثل الهلال في أوّل طلوعه . قال : و حدثني أبي ، عن داود بن محمد النهدي ^(٣) قال : دخل أبو سعيد المكاربي على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له : أبلغ من قدرك أن تدّعي مادّعي أبوك ؟ فقال له الرضا عليه السلام مالك أطفأ الله نورك و أدخل الفقر بيتك ؟ ! أما علمت أن الله أوحى إلى عمران أنني واهب لك ذكراً فوهب له مريم . و وهب لمريم عيسى ، فعيسى من مريم و مريم من عيسى و مريم و عيسى ^(٤) واحد ، و أنا من أبي ، و أبي منّي ، و أنا و أبي شيء واحد . فقال له

(١) الاختصاص : ٢٣٣ .

(٢) الاسراء : ١٢ .

(٣) في المصدر ، الفهدى .

(٤) > و مريم و عيسى شيء واحد .

أبوسعيد : فأسألك عن مسألة ؟ قال : سل ولا إخالك تقبل مني و لست من غنمي و لكن هاتها . فقال له : ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك له قديم فهو حر^(١) لوجه الله ؟ قال : نعم ، ما كان لسنة أشهر فهو قديم و هو حر^(٢) ، لأن الله يقول « و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم^(٣) » ، فما كان لسنة أشهر فهو قديم و هو حر^(٤) ، قال : فخرج من عنده و افتقر و ذهب بصره ثم مات لعنه الله و ليس عنده مبيت ليلة^(٥) .

بيان : هذا التفسير للعرجون غريب لم أره في غير هذا الكتاب ، ولا يناسب وصفه بالقديم أيضاً . و في القاموس : الطلع من النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان ، أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها^(٦) . و أبو سعيد كان من الواقعة و كان ينكر إمامة الرضا عليه السلام و إطفاء النور كناية عن ذهاب العز أو ذهاب نور البصر و لعل جوابه عليه السلام مبني على أن الواقعة كانوا متمسكين بما روي عن الصادق عليه السلام أن القائم عليه السلام من ولدي ، فأجاب عن استدلالهم بأن ولد الولد أيضاً ولد ، ولو سلم كونه مجازاً فعلاقة المجاز هنا قوية للاتحاد في الكمالات والأنوار و في القاموس خال الشيء خيلولة : ظنه ، و تقول في مستقبله : إخاله - بكسر الألف - و يفتح في لقيته^(٧) . قوله « و لست من غنمي » أي ممن يقول بامامتي و من شيعتي « و ليس عنده مبيت ليلة » أي قوت ليلة .

٢٨ - الفقيه : بإسناده عن محمد بن مسلم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن ركود الشمس فقال : يا محمد ، ما أصغر جنتك و أعضل مسألتك ! و إنك لأهل للجواب إن الشمس إذا طلعت جذبها سبعون ألف ملك بعد أن أخذ بكل شعاع^(٨) منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب و دافع ، حتى إذا بلغت الجو و جازت

(١) يس ٣٩ .

(٢) تفسير على بن ابراهيم : ٥٥١ .

(٣) القاموس : ج ٣ ، ص ٥٩ .

(٤) > ج ٣ ، ص ٣٧٢ .

(٥) شعبة (خ) .

الكوة قلبها ملك النور ظهر البطن ، فصار ما يلي الأرض إلى السماء و بلغ شعاعها تخوم الأرض ^(١) فعند ذلك نادى الملائكة « سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدنّ وكبره تكبيراً » فقالت ^(٢) له : جعلت فداك اُحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس ؟ فقال : نعم ، حافظ عليه كما تحافظ على عينك ^(٣) فاذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبحون الله في فلك الجوّ إلى أن تغيب ^(٤) .

٢٩ - و سئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تر كد كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود ؟ قال : لأن الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيّق الأيام ، فقليل له : ولم جعله أضيّق الأيام ؟ قال : لأنّه لا يعذب المشركين في ذلك اليوم لحرمة عنده ^(٥) .

بيان : « الركود » السكون و الثبات « ما أصغر جنتك ؟ » تعجب من أن الإنسان مع هذا الصغر يطلب فهم معاني الأمور ودقائقها ، أو تأديب له بأنّه لا ينبغي له أن يتكلّف علم مالم يؤمر بعلمه . و قال في النهاية : أصل العضل المنع و الشدة ، يقال « أعضل بي الأمر » إذا ضاقت عليك فيه الحيل ، و منه حديث عمر « أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن » و روي « معضلة » أراد المسألة الصعبة أو الخطّة الضيقة المخارج من الأعضاء أو التعضيل ، و يريد بأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٦) « بعد أن أخذ » ليس في بعض النسخ « بعد أن » وعلى التقديرين يحتمل أن يكون خمسة آلاف من جملة السبعين أو غيرهم ، و إن كان الثاني على

(١) في المصدر : العرش .

(٢) « فقال له » وهو المناسب لسياق الكلام .

(٣) عينك (خ) .

(٤) من لا يحضره الفقيه ، ٦٠ .

(٥) من لا يحضره الفقيه ، ٦٠ .

(٦) النهاية : ج ٣ ، ص ١٠٣ .

النسخة الاولى أظهر « من بين جاذب و دافع » على الاول يكون المعنى أن هؤلاء السبعين مردّون من بين جاذب يجذبها قدّامها ، ودافع يدفعها من خلفها ، ومنقسمون إليهما ، أو الشمس كائنة بين جاذب ودافع من تلك السبعين ، فالمراد بالجذب أوّلاً ما يصير سبباً للحركة أعمّ من أن يكون بالجذب أو الدفع ، أو يكون نسبة الجذب إلى الجميع على المجاز ، و على الثاني فالمعنى أن الشمس واقعة بين جاذب من سبعين ألف ملك ، و دافع من خمسة آلاف ، وعلى الوجهين يصحّ أن يكون المراد بحركة الجذب الحركة اليومية السريعة على خلاف التوالي التابعة لحركة الفلك الأطلس التي يحصل اليوم و الليل منها ، و بحركة الدفع حركة الفلك الرابع الذي فيه الشمس على التوالي البروج وهي بطيئة تقطع بها في كل سنة دورة ، فالمعنى أن الشمس إذا طلعت جذبها الملائكة السبعون ألقاً إلى المغرب بالحركة اليومية مع أنه أخذ بكل شعاع منها أو بمكان كل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة تدفعها إلى جانب المشرق بالحركة الخاصة ، فتسير الشمس بقدر فضل ما بين الحركتين « حتّى إذا بلغت الجو » أي وسط السماء مجازاً ، وفي الأصل ما بين السماء والأرض « و جازت الكوّة » في بعض النسخ بدون التاء ، و في القاموس : الكوّة و يضمّ و الكو : الخرق في الحائط ، أو التذكير للكبير و التأنيث للصغير ، و الجمع : كوى و كوا ^(١) (انتهى) أي خرجت أشعة الشمس من الكوى المشرقيّة ، و ذلك عند قرب الزوال ، و ربما يؤوّل الكوّة بدائرة نصف النهار على الاستعارة « قلبها ملك النور » ربما يؤوّل ذلك بأنّه لما كانت الشمس صاعدة كان الجانب الذي منها يلي المشرق تحت الجانب الغربي منها ، فإذا جازت نصف النهار و انحدرت صار الأمر بالعكس ، و صار ما كان يلي الأرض أي الجانب الشرقي إلى السماء أي إلى جهة الفوق ، فلذا نسب إليه القلب ، ولا يخفى أنّه على هذا يصير الكلام قليل الجدوى مع أن ظاهره غير ممتنع . و التخوم : جمع التخّم و هو منتهى كل قرية و أرض ، و لعل المراد بفلك الجوّ جوّ الفلك ، أي ما بين السماء الرابعة و الخامسة .

ثم إنه يرد الإشكال على هذه الأخبار من وجوه : **الاول** أن ركود الشمس حقيقة مخالفة لما يشهد به الحس من عدم التفاوت في أجزاء النهار وقطع قسي مدارات الشمس و **الثاني** أن الشمس في كل آن في نصف النهار لقوم ، فيلزم سكون الشمس دائماً . **الثالث** أن التفاوت بين يوم الجمعة وغيره أيضاً مما يشهد الحس بخلافه **الرابع** أن حرارة الشمس ليس باعتبار جرمه حتى يقع تعذيب أرواح المشركين بتقريبهم من عين الشمس ، بل باعتبار انعكاس الأشعة عن الأجسام الكثيفة ، ولذا كلما بعد عن الأرض كان تأثير الحرارة فيه أخف .

ويمكن الجواب عن الأول والثالث بأنه يمكن أن يكون الركود قليلاً لا يظهر في الآلات التي تعرف بها الساعات ، ولا يمكن الحكم على التوسع والعواشر وأقل منها على اليقين ، وإنما مبناها على التخمين . وعن الثاني بأنه يمكن أن يكون المراد نصف نهار موضع خاص كمكة أو المدينة أو قبة الأرض ، وأورد عليه بأنه يلزم أن يقع الركود في البلاد الأخرى في الضحى أو في العصر ولا يلتزمه أحد . وعن الرابع بأنه يمكن أن يكون للشمس حرارتان : حرارة من جهة الجرم وأخرى من جهة الانعكاس ، وما قيل من أن الفلكيات لا تقبل تلك الكيفيات لم يثبت بدليل قاطع . وربما يؤول الركود بوجهين : **الاول** أنه عند القرب من نصف النهار يحس بحركة^(١) الشمس في غاية البطء ، فكأنه ساكن فأطلق الركود عليه مجازاً ، أو بأنه يعدم الظل عند الزوال في بعض البلاد فلا حركة للظل حينئذ فركود الشمس ركود ظله ، وما قيل من أن المراد ركود الظل بناء على ما تقرّر من أن بين كل حركتين مستقيمتين سكون فلا بد من سكون بين زيادة الظل ونقصانه فلا يخفى بعد حمل الركود على مثل ذلك جداً ، مع أن نسبة الحركة إلى الظل مجاز ، بل هو إيجاد لبعض أجزاء الظل وإعدام له ، وعلى تقدير كونه حقيقة فليست بحركة مستقيمة . **الثاني** أنه لما كانت أيام الراحة عند الناس سريعة الانقضاء وأيام الشدة طويلة ، فيوم الجمعة عند المشركين قصيرة لعدم تعذيبهم عند

زوال الشمس فيه ، و سائر الأيام طويلة عندهم لتعذيبهم عند زواله ، فالمراد بقول السائل في الخبر الثاني « كيف تركد ؟ » ما معنى ركودها ، فأجاب عليه السلام بأن المراد هذا الركود والضيق المجازيان . وربما يحمل ضيق الجمعة وقصره على أن أعمال المؤمنين فيه كثيرة لا يسع اليوم لها ، فكأنه لا تركد فيه الشمس . ولا يخفى بعد هذه الوجوه كلها ، و الأولى في أمثال ذلك عدم الخوض فيها و التسليم لها بأي معنى صدرت عنهم عليه السلام على تقدير صحتها ، فإنها من متشابهات الأخبار و معضلات الآثار ، ولا يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم .

٣٠ - الفقيه : بسنده الصحيح عن حريز بن عبدالله ، أنه قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسأله رجل فقال له : جعلت فداك ، إن الشمس تنقض ثم تركد ساعة من قبل أن تزول ؟ فقال : إنها تؤامر : أتزول أم لا تزول ^(١) .

بيان : انقضاء الطائر هويها ليقع ، و هذا أسرع ما يكون من طيرانه ، و المراد هنا سرعة حركة الشمس عند الصعود ، و ركودها ببطء حر كنها . و المؤامرة إمّا من الملائكة الموكلين بها ، أو هي استعارة تمثيلية شَبَّهت حالة الشمس في سرعتها عند الصعود و ركودها ثم إسرائها في الهبوط بمن أتى سلطاناً قاهراً ثم أمره هل يذهب إلى حاجة أخرى أم لا ، و الغرض هنا ليس محض الاستعارة بل بيان أن جميع المخلوقات مقهورة بقهره سبحانه ، مسخرة لأمره ، و كل ما يقع منها بتقديره و تدبيره تعالى .

٣١ - الفقيه : عن الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى أوحى إلى موسى ابن عمران عليه السلام أن أخرج عظام يوسف عليه السلام من مصر و وعدة طلوع القمر ، فأبطأ طلوع القمر عليه فسأل عمن يعلم موضعه ، فقيل له : هنا عجوز تعلم علمه ، فبعث إليها فأتى بعجوز مقعدة عمياء ، فقال : تعرفين ^(٢) قبر يوسف ؟ قالت : نعم ، قال : فأخبريني بموضعه ، قالت : لا أفعل حتى تعطيني خصالاً : تطلق رجلي ، و تعيد

(١) من لا يحضره الفقيه ١ : ٦٠

(٢) في المصدر : أتعرفين .

إليّ بصري ، و تردّ إليّ شبابي ، و تجعلني معك في الجنة . فكبر ذلك على موسى عليه السلام ، فأوحى الله عزّ و جلّ إليه : إنّما تعطي عليّ فأعطاها ما سألت ، ففعل فدلّته على قبر يوسف عليه السلام فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر ، فلمّا أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام ^(١) .

أقول : قد مرّ نقلاً عن العيون عن الرضا عليه السلام أنّه قال : احتبس القمر عن بني إسرائيل ، فأوحى الله عزّ و جلّ إلى موسى عليه السلام أن أخرج عظام يوسف من مصر و وعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه ، فسأل موسى عليه السلام عنّ يعلم موضعه . وساق الخبر كما مرّ .

بيان : يدلّ ردّاً على الفلاسفة على جواز الاختلاف في حركة الفلكيات ، و منعها عن الحركة باذن خالق الأرضين و السماوات .

٣٢ - المتهجد : روى محمد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : بلغني أنّ يوم الجمعة أقصر الأيام . قال : كذلك هو ، قلت : جعلت فداك ، كيف ذاك ؟ قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله يجمع أرواح المشرّكين تحت عين الشمس ، فإذا كدّرت الشمس عذّبت أرواح المشرّكين بر كود الشمس فإذا كان يوم الجمعة رفع عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة ، فلا يكون للشمس ركود ^(٢) .

٣٣ - توحيد المفضل : فكّر يا مفضل في مقادير النهار و الليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق ، فصار منتهى كلّ واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك ^(٣) أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان و نبات ؟ أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة ، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لودام لها ضوء النهار ، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل و الحركة ، و كان ذلك سيهلكها

(١) من لا يحضره الفقيه ، ٥١ .

(٢) قد مر الخبر مسنداً عن الكافي تحت الرقم (٢٢) من هذا الباب .

(٣) يعنى فى معظم المعمورة ، و إلا ففى البلاد القطبية يطول النهار إلى ستة أشهر .

أجمع و يؤدّيها إلى التلف . و أمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار و وهج الشمس حتّى يجفّ و يحترق ، و كذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة و التصرف في طلب المعاش حتّى تموت جوعاً ، و تخمد الحرارة الطبعيّة من النبات حتّى يعفن و يفسد ، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس .

اعتبر بهذا الحرّ و البرد كيف يتعاوران العالم ، و يتصرّفان هذا التصرف من الزيادة و النقصان و الاعتدال لا قامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ، و ما فيها من المصالح ، ثمّ هما بعدد باغ الأبدان التي عليها بقاؤها و فيها صلاحها ، فإنّه لولا الحرّ و البرد و تداولهما الأبدان لفسدت و أخوت و انتكحت . فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج و الترسل ، فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء ، و الآخر يزيد مثل ذلك حتّى ينهي كلّ واحد منهما منتهاه في الزيادة و النقصان ، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة لأضرّ ذلك بالأبدان و أسقمها كما أنّ أحدكم لو خرج من حمام حارّ إلى موضع البرودة لضرّه ذلك و أسقم بدنه ، فلم يجعل الله عزّ وجلّ هذا الرّسل^(١) في الحرّ و البرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجأة ؟ ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر^(٢) المفاجأة لولا التدبير في ذلك ؟ فإنّ زعم زاعم أنّ هذا الترسل في دخول الحرّ و البرد إنّما يكون لا بطاء مسير الشمس في الارتفاع و الانحطاط سئل عن العلّة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها و انحطاطها ، فإنّ اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلّة في ذلك ، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول حتّى استقرّ على العمد و التدبير . لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية المرّة تنضج فتلين و تعذب حتّى يتفكّك بها رطوبة و يابسة ، و لولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا و يريع الريع الكثير الذي يتسرع للقوت و ما يرد في الأرض للبذر ، أفلا ترى ما في الحرّ و البرد

(١) الترسل (خ) .

(٢) ضرر (خ) .

من عظيم الفناء والمنفعة ، و كلاهما مع غنائها والمنفعة فيه يؤلم الأبدان و يمضنها
و في ذلك عبرة لمن فكّر ، و دلالة على أنّه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم و
ما فيه .

توضيح : قوله ﷺ « لا يجاوز ذلك » أي في معظم المعمورة ، وفي المصباح :
خوت الدار: خلت من أهلها ، وخوت الإبل تخوية : خمست بطونها ، وقال الفيروز-
آبادي : خوت الدار تهدمت ، و النجوم خيتاً أعملت فلم تمطر كأخوت و خوت
و قال : المنتكث المهزول ، و قال : الترسل الرفق والتؤدة (انتهى) قوله ﷺ
« ببعد ما بين المشرقين » أي المشرق والمغرب كناية عن عظم الدائرة التي يقطع
عليها البروج ، أو مشرق الصيف والشتاء ، والأول أظهر . قوله ﷺ « الجاسية »
أي الصلبة « حتى يتشكك بها » أي يتمتع بها ، والريع : النماء والزيادة ، و قال
الجوهري : أمضني الجرح إمضاضاً إذا أوجعك ، وفيه لغة أخرى : مضني الجرح
ولم يعرفها الأصمعي^(١) .

٣٤ - توحيد المفضل : قال : قال الصادق ﷺ : فإن قالوا فلم يختلف فيه
أي في ذاته تعالى وصفاته ؟ قيل لهم : لقصر الأفهام عن مدى عظمتها ، و تعدّيها
أقدارها في طلب معرفته ، و أنّها تروم الإحاطة به و هي تمعز عن ذلك و ما دونه
فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ، و
لذلك كثرت الأقاويل فيها ، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها ، فقال بعضهم :
هو فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج و الشعاع ، و قال آخرون : هو
سحابة ، و قال آخرون : هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم و يرسل عليه شعاعها
و قال آخرون : هو صفو لطيف ينغمد من ماء بحر ، و قال آخرون : هو أجزاء كثيرة
مجمعة من النار ، و قال آخرون : هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع .
ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم : هي بمنزلة صفيحة عريضة ، و قال آخرون : هي
كالكرة المدحرجة ، و كذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنّها مثل الأرض

سواء ، و قال آخرون : بل هي أقل من ذلك ، و قال آخرون : بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة ، و قال أصحاب الهندسة : هي أضعاف الأرض مائة و سبعون مرة ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها ، و إذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر و يدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس و استتر عن الوهم ١٩

بيان : أقول : لعل ما ذكره عليه السلام من قول أصحاب الهندسة قول بعض قدمائهم ، مع أنه قريب من المشهور كما عرفت ، والاختلاف بين قدمائهم ومتأخريهم في أشباه ذلك كثير .

٣٥ - توحيد المفضل : قال : قال الصادق عليه السلام فكريا مفضل في طلوع الشمس و غروبها لا قامة دولتي النهار و الليل ، فلو لا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معاشهم ، و يتصرفون في أمورهم ، و الدنيا مظلمة عليهم و لم يكونوا يتنهون بالعيش مع فقدهم لذات النور و روحه ، و الإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره ، و الزيادة في شرحه ، بل تأمل المنفعة في غروبها ، فلو لا غروبها لم يكن للناس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء و الراحة ، لسكون أبدانهم ، و هجوم حواسهم ، و انبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ، ثم كان الحرص سيحملهم من مداومة العمل و مطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم ، فإن كثيراً من الناس لو لا جنوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء و لا قرار ، حرصاً على الكسب و الجمع و الادخار ، ثم كانت الأرض تستحمي ^(١) بدوام الشمس بضياءها ^(٢) و تحمي كل ما عليها من حيوان و نبات ، فقد رها الله بحكمته و تدبيره تطلع وقتاً و تغرب وقتاً ، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا و يقرؤا ، فصار

(١) تستحى (خ) .

(٢) وضياؤها (خ) .

النور و الظلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه .
 ثمّ فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس و انحطاطها لا إقامة هذه الأزمنة الأربعة
 من السنة و ما في ذلك من التدبير و المصلحة ، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر
 و النبات ، فيتولّد فيهما موادّ الثمار ، ويستكثف الهواء ، فينشأ منه السحاب و المطر
 و تشتدّ أبدان الحيوان و تقوى . و في الربيع تنحرك و تظهر الموادّ المتولّدة في
 الشتاء ، فيطلع النبات ، و تنور الأشجار ، و يهيج الحيوان للسفاد . و في الصيف
 يحترق الهواء ، فتنضج الثمار ، و تتحلّل فضول الأبدان ، و يجفّ وجه الأرض فتنبأ
 للبناء و الأعمال . و في الخريف يصفو الهواء ، و يرتفع الأمراض ، و تصحّ الأبدان
 و يمتدّ الليل و يمكن فيه بعض الأعمال لطوله ، و يطيب الهواء فيه إلى مصلح أخرى
 لو قصّصت لذكرها لطلّ فيها الكلام .

فكّر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لا إقامة دور السنة و ما في
 ذلك من التدبير ، فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة : الشتاء ، و الربيع
 و الصيف ، و الخريف ، و يستوفى فيها على التمام ، و في هذا المقدار من دوران الشمس
 تدرك الغلات و الثمار . و تنتهي إلى غاياتها ، ثمّ تعود فيستأنف النشو و النمو ، ألا
 ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل ، فبالسنة وأخواتها يكال
 الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت و عصر من غابر الأيام ، و
 بها يحسب الناس الأعمار و الأوقات الموقّعة للديون و الإجازات و المعاملات و غير
 ذلك من أمورهم ، و بمسير الشمس تكمل السنة و يقوم حساب الزمان على الصحة
 انظر إلى شروقها على العالم كيف دبّر أن يكون ، فإنّها لو كانت تبزغ في موضع
 من السماء فثقف لا تعدوه لما وصل شعاعها و منفعتها إلى كثير من الجهات ، لأنّ
 الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها ، فجعلت تطلع في أوّل النهار من المشرق
 فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ، ثمّ لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتّى
 تنتهي إلى المغرب ، فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النهار ، فلا يبقى موضع من
 المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة منها ، و الإرب التي قدرّت له ، ولو تخلّفت

مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم ؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء ؟ أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصار تجري على مجاريها ، لا تعتل ولا تتخلف عن مواعيقتها لصالح العالم وما فيه بقاءه ؟ استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة ^(١) تستعملها العامة في معرفة الشهور ، ولا يقوم عليه حساب السنة ، لأن دوره لا يستوفي الأربعة ، ونشوء الثمار و تصرمها ، و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس و سنيها ، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء و مرة بالصيف . فكّر في إنارته في ظلمة الليل و الإرب في ذلك ، فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة لهذه الحيوان و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها ، فلا يمكن فيه شيء من العمل ، لأنّه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصّي الأعمال بالنهار ، أو لشدة الحرّ و إفراطه ، فيعمل ^(٢) في ضوء القمر أعمالاً شتّى ، كحراث الأرض ، و ضرب اللبن . و قطع الخشب و ما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك ، و أنساً للسائرين و جعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ، و نقص مع ذلك من نور الشمس و ضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار ، و يمتنعوا من الهدوء و القرار ، فيهلكهم ذلك ، و في تصرف القمر خاصّة في مهله ^(٣) و محاقه ، و زيادته ، و نقصانه ، و كسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصروف له هذا التصريف لصالح العالم ما يعتبر فيه المعتبرون .

بيان : الدولة - بالفتح و الضم - : انقلاب الزمان ، و دالت الأيّام : دارت والله يداولها بين الناس . و هدد - كمنع - هداً و هدهواً : سكن ، و يقال : نكيت في العدو نكاية إذا قتلت فيهم و جرحت ، و جثم الإنسان و الطائر و النعام يجثم جثماً

(١) جليبه (ظ) .

(٢) فيعملون (خ) .

(٣) في مهله (خ) .

وجنوماً : لزم مكانه لم يبرح ، و المراد جنومهم في الليل ، و التظاهر : التعاون ، و نور الشجر أي أخرج نوره ، و حدم النار شدة احتراقها ، و التقصّي : بلوغ أقصى الشيء و نهايته ، و الغابر : الباقي و الماضي و المراد هنا الثاني ، و بزغت الشمس بزوغاً : شرقت ، أو البزوغ ابتداء الطلوع ، و قال الجوهري : اعتلّ عليه^(١) واعتلّه إذا اعتاقه عن أمر (انتهى) ، و ليلة داجية أي مظلمة .

٣٦ - الصحيفة السجادية : صلوات الله على من ألهمها : كان من دعائه عليه السلام إذا نظر إلى الهلال : أيها الخلق المطيع الدائب السريع ، المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير ، آمنت بمن نور بك الظلم ، وأوضح بك البُهم ، وجعلك آية من آيات ملكه ، و علامة من علامات سلطانه ، وامتهنك بالزيادة و النقصان ، و الطلوع و الأفول ، و الإثارة و الكسوف ، في كل ذلك أنت له مطيع ، و إلى إرادته سريع ، سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك ، وألطف ما صنع في شأنك ! جعلك مفتاح شهر حادث ، لأمر حادث - إلى آخر الدعاء .

تنوير : اعلم أن الهلال إنما سمي هلالاً لجريان عادتهم برفع الأصوات عند رؤيته من الإلهال و هو رفع الصوت ، وقد اضطربوا في تحديد الوقت الذي يسمّى فيه بهذا الاسم ، فقال في الصحاح : الهلال أوّل ليلة و الثانية و الثالثة ثم هو قمر^(٢) و زاد صاحب القاموس فقال : الهلال غرة القمر ، أو لليلتين ، أو إلى ثلاث أو إلى سبع ، و الميلتين من آخر الشهر : ست و عشرين ، و سبع و عشرين ، و في غير ذلك قمر^(٣) . و قال في مجمع البيان : اختلفوا في أنه إلى كم يسمّى هلالاً و متى يسمّى قمراً ، فقال بعضهم : يسمّى هلالاً لليلتين من الشهر ، ثم لا يسمّى هلالاً إلى أن يعود في الشهر الثاني . و قال آخرون : يسمّى هلالاً ثلاث ليال ، ثم يسمّى قمراً . و قال آخرون^(٤) : يسمّى هلالاً حتى

(١) في المصدر ، اعتل عليه بعله . . . الصحاح ، ج ٥ ، ص ١٧٧٤

(٢) الصحاح : ج ٥ ، ص ١٨٥١ .

(٣) القاموس ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

(٤) في المصدر : قال بعضهم .

يحجر ، و تحجيره أن يستدير بخط^(١) دقيق ، وهذا قول الأصمعي ، و قال بعضهم : يسمّى هلالاً حتى يبهروضؤه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون في الليلة السابعة^(٢) (انتهى) و قالوا : إنما يسمّى بعد الهلال قمرأ لبياضه ، فإن القمر هو الأبيض و قيل : لأنّه يقمر الكواكب أي يغلبها بزيادة النور ، و يسمّى في الليلة الرابعة عشر بدرأ . قال في الصحاح : سمي بذلك لمبادرته الشمس في الطلوع كأنّه يعجلها المغيب ، و يقال : سمي لنمامه^(٣) (انتهى) أي تشبيهاً له بالبدر الكاملة ، وهي عشرة آلاف درهم . قال الشيخ البهائي - ره - يمدّ : وقت الدعاء بامتداد وقت التسمية هلالاً ، و الأولى عدم تأخيرها عن الأولى عملاً بالمتيقّن المتفق عليه لغة و عرفاً ، فإن لم يتيسّر فن الثانية لقول أهل اللغة بالامتداد إليها ، فإن فاتت فن الثالثة لقول كثير منهم بأنّها آخر لياليه .

و أمّا ما ذكره صاحب القاموس و شيخنا أبو علي - ره - من إطلاق الهلال عليه إلى السابعة فهو خلاف المشهور لغة و عرفاً ، و كأنّه مجاز من قبيل إطلاقه عليه في الليلتين الأخيرتين - ثمّ قال : - ولو قيل بامتداد ذلك إلى ثلاث ليال لم يكن بعيداً ، فلو نذر قراءة دعاء الهلال عند رؤيته و قلنا بالمجازيّة فيما فوق الثلاث لم تجب عليه القراءة برؤيته فيما فوقها عملاً للمطلق على الحقيقة ، وهل تشرع ؟ الظاهر نعم إن رآه في تتمّة السبع ، رعاية لجانب الاحتياط . فأما فيما فوقها فلا ، لأنّه تشرع . ولو رآه يوم الثلاثين فلا وجوب على الظاهر ، لعدم تسميته حينئذ هلالاً . قوله **عَلَيْهَا** « أيها الخلق المطيع » الخلق في الأصل مصدر بمعنى الإبداع و التقدير ، ثمّ استعمل بمعنى المخلوق كالرزق بمعنى المرزوق ، و إطاعته كناية عن تأتّي كلّ ما أرادته سبحانه فيه ، تشبيهاً بإطاعة العبد لمولاه « الدائب السريع » يقال : دأب فلان في عمله أي جدّ و تعب ، و جاء في تفسير قوله تعالى « وسخر لكم

(١) في المصدر ، بخطه دقيقة .

(٢) مجمع البيان : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٣) الصحاح ، ج ٢ ، ص ٥٨٧ .

الشمس والقمر دائبين^(١) ، أي مستمرّين في عملهما على عادة مقرّرة جارية . قال الشيخ البهائي - ره - وصفه ﷺ القمر بالسرعة ، ربما يعطي بحسب الظاهر أن يكون المراد سرعته باعتبار حركته الذاتية التي يدور بها على نفسه ، وتحرك جميع الكواكب بهذه الحركة مما قال به جم غفير من أساطين الحكماء ، وهو يقتضي كون المحو المرئي في وجه القمر شيئاً غير ثابت في جرمه ، وإلا لتبدّل وضعه كما قاله سلطان المحققين في شرح الإشارات . والأظهر أن ما وصفه به ﷺ من السرعة إنّما هو باعتبار حركته العرضيّة التي يتوسّط فلکه ، فإن تلك الحركة على تقدير وجودها غير محسوسة ولا معروفة ، والحمل على المحسوس المتعارف أولى ، و سرعة حركة القمر بالنسبة إلى سائر الكواكب أمّا الثابت فظاهر ، لكون حركتها من أبطأ الحركات ، حتّى أن القدماء لم يدركوها ، وأمّا السيارات فلا أن زحل يتمّ الدورة في ثلاثين سنة ، والمشتري في اثنتي عشرة سنة ، والمريخ في سنة وعشرة أشهر ونصف ، وكلاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب من سنة ، وأمّا القمر فيتمّ الدورة في قريب من ثمانية وعشرين يوماً ، ولا يبعد أن يكون وصفه ﷺ القمر بالسرعة باعتبار حركته المحسوسة ، على أنها ذاتيّة له بناء على تجويز كون بعض حركات السيارات في أفلاكها من قبيل حركة الحيتان في الماء كما ذهب إليه جماعة ويؤيده ظاهر قوله تعالى « كل في فلك يسبحون »^(٢) ، ودعوى امتناع الخرق [والالتزام] على الأفلاك لم تقتزن بالثبوت ، وما لفقه الفلاسفة لإثباتها أو هن من بيت العنكبوت ، لا بثنائه على عدم قبول الفلك بأجزائها الحركة المستقيمة ، ودون ثبوته خرق القتاد ، والتنزيل الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها ، وما ثبت من معراج نبينا ﷺ بجسده المقدّس إلى السماء السابعة فصاعداً شاهد بانخراقها .

« المتردّد في منازل التقدير » أي السائر في المنازل التي قدرها الله تعالى لها

(١) إبراهيم ، ٣٣ .

(٢) يس ، ٣٠ .

إشارة إلى قوله تعالى «و القمر قد رناه منازل»^(١) ، وهي المنازل الثمانية والعشرون التي يقطعها في كل شهر بحركته الخاصة ، فيرى كل ليلة نازلاً بقرب واحد منها قال نصير الملّة والدين - ره - في التذكرة : «و أمّا منازل القمر فهي من الكواكب القريبة من منطقة البروج ، جعلها العرب علامات الأقسام الثمانية والعشرين التي قسمت المنطقة بها ، لتكون مطابقة لعدد أيام دور القمر . و قال الخفري في شرحه والمراد من المنزل المسافة التي يقطعها القمر في يوم بليلته ، و منازل القمر عند [أهل] الهند سبعة وعشرون يوماً بليلته وثلث ، فخذفوا الثلث لكونه أقل من النصف كما هو عادة أهل التنجيم ، و أمّا عند العرب فهي ثمانية وعشرون ، لأنّهم تمّموا الثلث واحداً كما قال البعض ، بل لأنّه لما كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلة مختلفة الأوائل ولوقوعها في وسط الصيف تارة وفي وسط الشتاء أخرى احتاجوا إلى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتّى يشغلوا في استقبال كل فصل منها بما يهمهم فيه ، فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضع له من الشمس في قريب من الثلاثين يوماً ، و يختفي في آخر الشهر ليلتين أو أكثر أو أقل ، فأسقطوا يومين من الثلاثين فبقي ثمانية وعشرون ، وهو الزمان الواقع في الأغلب بين رؤيته بالعشيات في أول الشهر و رؤيته بالغدوات في آخره ، فقسّموا دور الفلك عليه ، فكان كل منزل اثنتي عشرة درجة وإحدى و خمسين دقيقة تقريباً ، أي ستّة أسباع درجة فنصيب كل برج منزلان و ثلث ، ثم وجدوا الشمس تقطع كل منزل في ثلاثة عشر يوماً بالتقريب ، فصار المنازل في ثلاثمائة وأربعة وستين يوماً ، لكن عود الشمس إلى كل منزل إنّما يكون في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً فزادوا يوماً في أيام منازل غفر ، وقد يحتاج إلى زيادة يومين للكبيسة حتّى تصير أيامه خمسة عشر و يكون انقضاء أيام السنة الشمسية مع انقضاء أيام المنازل و رجوع الأمر إلى منزل جعل مبدءاً . ثم إنّهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة ممّا يقارب ممر القمر أو يحاذيه ، فيرى كل ليلة نازلاً بقرب أحدها

فإن سترها يقال « كفضه فكافحه » أي واجهه فغلبه ولا يتفاعل به ، وإن لم يستره يقال « عدل القمر » ويتفاعل به ، وإذا أسرع القمر في سيره فقد يغلي منزلاً في الوسط ، وإذا أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل ، أول ليلتين في أوله و آخرهما في آخره ، وقد يرى في بعض الليالي بين منزلين ، وما يقال في المشهور إن الظاهر من المنازل في كل ليلة يكون أربعة عشر و كذا الخفي ، وأنه إذا طلع منزل غاب رقبه وهو الخامس عشر من الطالع ظاهر الفساد ، لأنها ليست على نفس المنطقة ولا أبعاد ما بينهما ^(١) متساوية ، و لهذا قد يكون الظاهر ستة عشر أو سبعة عشر . و يمكن أن يقال : إن مرادهم من المنازل نفس المنازل لا علاماتها ، وحيث يصح الحكمان المذكوران ، وبمثل ما ذكر يعلم فساد ما هو المشهور أيضاً من أن ستة بروج ظاهرة وستة خفية ، فإنه أيضاً إنما يصح بمقتضى الحساب في نفس البروج لا بحسب صورها من الثوابت ، لأنها لا تقسم المنطقة على سواء بحيث ينطبق أول صورة كل برج على أوله و آخرها على آخره ، ولعل مرادهم بذلك أن نصف البروج نفسها ظاهرة لا أن نصف صورها ظاهرة ، فيندفع الخلل عن هذا القول أيضاً ، و العرب تسمي خروج المنزل من ضياء الفجر طلوعه و غروب رقبه وقت الصبح سقوطه ، و تسمي المنازل التي يكون طلوعها في مواسم المطر « الأنواء » و رقباءها إذا طلعت في غير مواسم المطر « البوارح » والأربعة الشمالية التي أولها الشرطين و آخرها السماك « شامية » و الباقية التي أولها الغفر و آخرها بطن الحوت « يمانية » (انتهى) .

و قال الشيخ البهائي - ره - : الظاهر أن مراده ^(٢) بتردد القمر في منازل التقدير عوده إليها في الشهر اللاحق بعد قطعه إيائها في السابق ، فتكون كلمة « في » بمعنى « إلى » و يمكن أن تبقى على معناها الأصلي بجعل المنازل ظرفاً للتردد فإن حركته التي يقطع بها تلك المنازل لما كانت مركبة من شرقية و غربية جعل كأنه لتحرّكه فيها بالحركتين المختلفتين متردد يقدم رجلاً و يؤخر أخرى

(١) ما بينها (خ) .

وَأَمَّا عَلَى رَأْيٍ مَنْ يَمْنَعُ جَوَازَ قِيَامِ الْحَرَكَتَيْنِ الْمُخْتَلِفَتَيْنِ بِالْجِسْمِ ، وَيَرَى أَنَّ لِلنَّمْلَةِ الْمُتَحَرِّكِهٖ بِخِلَافِ حَرَكَةِ الرَّحَى سَكُونًا حَالٌ حَرَكَتُهَا فَتَشْبِيهُهُ بِالْمُنْرَدِّ أَظْهَرَ .
 « الْمُنْصَرِّفُ فِي فَلَكَ التَّدْبِيرِ » التَّصْرِيفُ : التَّقْلِبُ ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ تَقْلِبَاتِهِ وَتَغْيِيرَاتِهِ بِتَدْبِيرِ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ وَ الْفَلَكَ مَجْرَى الْكَوَاكِبِ سَمِّيَ بِهِ تَشْبِيهًا بِفَلَكَ الْمَغْزَلِ فِي الْأَسْتَدَارَةِ وَ الدُّورَانِ . قَالَ أَبُو رِيحَانٍ : إِنَّ الْعَرَبَ وَ الْفَرَسَ سَلَكُوا فِي تَسْمِيَةِ السَّمَاءِ مَسْلَكًا وَاحِدًا ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي السَّمَاءِ فَلَكًا تَشْبِيهًا لَهَا بِفَلَكَ الدُّوَلَابِ ، وَ الْفَرَسَ سَمَّوْهَا بِلَقَبَتِهِمْ « آسْمَان » تَشْبِيهًا لَهَا بِالرَّحَى ، فَإِنَّ « آس » هُوَ الرَّحَى بِلِسَانِهِمْ وَ « مَان » دَالٌّ عَلَى التَّشْبِيهِ (انْتَهَى) .

وَقَالَ الشَّيْخُ الْبَهَائِيُّ - رَه - : الْمُرَادُ بِفَلَكَ التَّدْبِيرِ أَقْرَبُ الْأَفْلَاقِ التَّسَعِ إِلَى عَالَمِ الْعُنَاصِرِ ، أَيْ الْفَلَكَ الَّذِي يَتَدَبَّرُ بَعْضُ مَصَالِحِ عَالَمِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « فَالْمُدَبَّرَاتِ أَمْرًا » ^(١) ، أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْأَفْلَاقَ وَ هُوَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الطَّبْرَسِيُّ - رَه - وَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ الْمَجَازِ كَمَا يَسْمَى مَا يَقْطَعُ بِهِ الشَّيْءُ قَاطِعًا ، وَرَبَّمَا يَوْجَدُ فِي بَعْضِ النُّسخِ « الْمُنْصَرِّفُ فِي فَلَكَ التَّدْوِيرِ » وَ هُوَ صَحِيحٌ أَيْضًا وَ إِنْ كَانَتْ النُّسخَةُ الْأُولَى أَصَحَّ ، وَ الْمُرَادُ بِهِ رَابِعُ أَفْلَاقِ الْقَمَرِ وَ هُوَ الْفَلَكَ الْغَيْرُ الْمَحِيطُ بِالْأَرْضِ ، الْمُرْكُوزُ فِيهِ ، الْمُتَحَرِّكُ أَسْفَلُهُ عَلَى تَوَالِي الْبُرُوجِ وَ أَعْلَاهُ بِخِلَافِهِ مُخَالَفًا لِسَائِرِ تَدَاوِيرِ السِّيَارَةِ كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَ عَشْرَةِ دَرَجَةٍ وَ ثَلَاثَ دَقَائِقَ وَ أَرْبَعًا وَ خَمْسِينَ ثَانِيَةً ، وَ هُوَ مُرْكُوزٌ فِي ثَخَنٍ ثَالِثٍ أَفْلَاقِهِ الْمُسَمَّى بِالْحَامِلِ ، الْمُبَاعَدُ مَرْكَزِهِ عَنْ مَرْكَزِ الْعَالَمِ بِعَشْرِ دَرَجٍ ، الْمُتَحَرِّكُ عَلَى التَّوَالِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعًا وَ عَشْرِينَ دَرَجَةً ، وَ اثْنَيْنِ وَ عَشْرِينَ دَقِيقَةً ، وَ ثَلَاثَ وَ خَمْسِينَ ثَانِيَةً ، وَ هُوَ وَاقِعٌ فِي ثَخَنٍ ثَانِيٍّ أَفْلَاقِهِ الْمُسَمَّى بِالْمَائِلِ ، الْمَوَافِقُ مَرْكَزُهُ مَرْكَزَ الْعَالَمِ ، الْمَاسُّ مَقْعَرُهُ بِمَجْدَبِ النَّارِ ، الْفَاضِلُ عَنِ الْحَامِلِ الْمَوَافِقُ لَهُ فِي مِيلِ مَنْطِقَتِهِ عَنْ مَنْطِقَةِ الْبُرُوجِ بِمَتَمِّينَ مُتَدَرِّجِي الرِّقَّةِ إِلَى نَقْطَتِي الْأَوْجِ وَ الْحَضِيضِ الْمُتَحَرِّكِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي كُلِّ يَوْمٍ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً ، وَ تِسْعَ دَقَائِقَ ، وَ سَبْعَ

ثوان ، وهو واقع في جوف أول أفلاكه المسمى بالجوزهر ، الموافق مركزه مركز العالم ومنطقته منطقة البروج ، المماسّ محدّ به مقعرٌ ممثل عطارد ، المنحرف كالثاني كل يوم ثلاث دقائق وإحدى عشرة ثانية - ثم قال : - ولا يبعد أن تكون الإضافة في فلك التدبير من قبيل إضافة الظرف إلى المظروف ، كقولهم « مجلس الحكم » و « دار القضاء » أي الفلك الذي هو مكان التدبير ومحلّه ، نظراً إلى أن ملائكة سماء الدنيا يدبّرون أمر العالم السفلي فيه ، أو إلى أن كلاً من السيارات السبع يدبّر في فلكها أمراً هي مسخرة له بأمر خالقها ومبدعها ، كما ذكره جماعة من المفسّرين في تفسير قوله تعالى « فالمدبّرات أمراً ^(١) » ويمكن أن يراد بفلك التدبير مجموع الأفلاك الجزئية يتدبّر بها الأحوال المنسوبة إلى القمر بأسرها ، وينضبط بها الأمور المتعلقة به بأجمعها ، حتّى تشابه حامله حول مركز العالم ، ومحاذاة قطر تدويره نقطة سواء إلى غير ذلك ، وتلك الأفلاك الجزئية هي الأربعة السالفة مع ما زيد عليها لحلّ دينك الإشكالين ، ومع ما لعلّه يحتاج إليه أيضاً في انتظام بعض أموره وأحواله التي ربما لم يطّلع عليها الراصدون في أرصادهم ، وإنّما يطّلع عليها المؤيّدون بنور الإمامة والولاية ، وحينئذ يراد بالتدبير التدبير الصادر عن الفلك نفسه ، ويكون اللّام فيه للعهد الخارجي ، أي التدبير الكامل الذي ينتظم به جميع تلك الأمور ، ولا يبعد أن يراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبّره القمر نفسه ، نظراً إلى ما ذهب إليه طائفة من أن كلّ واحد من السيارات السبع مدبّر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان قال سلطان المحقّقين في شرح الإشارات : ذهب فريق إلى أن كلّ كوكب منها ينزل مع أفلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة تتعلّق بالكوكب أوّل تعلّقها وبأفلاكه بواسطة الكوكب ، كما تتعلّق نفس الحيوان بقلبه أوّلاً وبأعضائه الباقية بعد ذلك ، فالقوة المحركة منبعثة عن الكوكب الذي هو كالقلب في أفلاكه التي هي كالجوارح والأعضاء الباقية (انتهى كلامه زيد إكرامه) ويمكن أن يكون هذا هو معنى ما أثبتته له ^(٢) من التصرف في الفلك

والله أعلم بمقاصد أوليائه سلام الله عليهم أجمعين (انتهى) .

و أقول : يمكن أن يكون في الكلام استعارة كما يقال « بيت العز » و « دار الشرف » تشبيهاً للتدبير بفلك هو مدبره ، وهذا النوع من الكلام شائع عند العرب والعجم . ثم قال - ره - : خطابه ﷺ للقمر و نداؤه له و وصفه بالطاعة و الجّد و التعب و التردد في المنازل و التصرف في الفلك ربما يعطي بظاهره كونه ذا حياة و إدراك ، و لا استبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى ، إلا أنه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل ، أو نقلي ساطع لا يقبل التأويل ، نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعر به ، و قد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى « كل في فلك يسبحون ^(١) » ، فإن الواو والنون لا يستعملان حقيقة لغير العقلاء ، و قد أطبق الطبيعيون على أن الأفلak بأجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها و أكثرهم على أن غرضها من حرركاتها نيل التشبه بجنابه و التقرب إليه جل شأنه ، و بعضهم على أن حرركاتها لورود الشوارق القدسيّة عليها آناً فآناً ، فهي من قبيل هزة الطرب و الرقص الحاصل من شدة السرور و الفرح ، و ذهب جم غفير منهم إلى أنه لا ميت في شيء من الكواكب أيضاً حتّى أثبتوا لكل واحد منها نفساً عليحدة تحرّكه حركة مستديرة على نفسه ، و ابن سينا في الشفاء مال إلى هذا القول و رجّحه ، و حكم به في النمط الخامس من الإشارات ، و لو قال به قائل لم يكن مجازاً ، و كلام ابن سينا وأمثاله و إن لم يكن حجة يركن إليها الديانيون في أمثال هذه المطالب إلا أنه يصلح للتأييد ، و لم يرد في الشريعة المطهرة على الصانع بها أفضل الصلوات و أكمل التسليمات ما ينافي هذا القول ، و لا قام دليل عقلي على بطلانه ، و إذا جاز أن يكون لمثل البعوضة والنملة فمادونهما حياة فأي مانع من أن يكون لتلك الأجرام الشريفة أيضاً ذلك ؟ و قد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوساً مجردة و نطقاً ، و جعلوا قوله تعالى « و إن من شيء إلا يسبح بحمده ^(٢) » محمولاً على ظاهره ، و ليس غرضنا

(١) يس : ٣٠ .

(٢) الاسراء : ٣٣ .

من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك ، بل كسر سورة استبعاد المصرّين على إنكاره وردّه ، و تسكين صولة المشنّعين على من قال به أو جوزه (انتهى كلامه - ره -)

و أقول : هذا الترجيح الذي أبداه - ره - في لباس الاحتمال والتجويز مناف لسياق أكثر الآيات و الأخبار الواردة في أحوال الكواكب و الأفلاك و مسيرها و حرركاتها ، و الإشارات التي تمسّك بها ظاهر من سياقها أنّها من قبيل المجازات و الاستعارات الشائعة في كلام البلغاء بل في أكثر المحاورات ، فإنّهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء و غرضهم تفهيم غيرها ، كما في هذا الخطاب ، و خطاب شهر رمضان و وداعه ، و خطاب البيت ، و المخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى ، و الغرض إظهار نعمه تعالى و شكره عليها ، ولم أر أحداً من المتكلمين من فرق المسلمين قال بذلك إلّا بعض المتأخّرين الذين يقلّدون الفلاسفة في عقائدهم ، و يوافقون المسلمين فيما لا يضرّ بمقاصدهم . قال السيّد المرتضى - ره - في كتاب الفرر و الدرر : قد دلّت الدلالة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك وما فيه من شمس و قمر و نجوم غير متحرّك لنفسه ولا طبعه على ما يهدي به القوم ، و أنّ الله تعالى هو المحرّك له و المتصرّف باختياره فيه ، و قال - ره - في موضع آخر : لاختلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب ، فإنّها مسخرة مدبّرة مصرّفة ، و ذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة كما سيأتي في باب النجوم .

« آمّنت بمن نور ربك الظلم و أوضح بك البهم و جعلك آية من آيات ملكه و علامة من علامات سلطانه ، النور و الضوء مترادفان لغة ، و قد تسمّى تلك الكيفية إن كانت من ذات الشيء ضوءاً ، و إن كانت مستفادة من غيره نوراً ، و عليه جرى قوله تعالى « جعل الشمس ضياءً و القمر نوراً ^(١) » ، و الظلم جمع ظلمة و تجمع على ظلمات أيضاً ، و هي عدم الضوء عمّا من شأنه أن يكون مضيئاً ، و البهم كصرد جمع بهمة - بالضم - و هي ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً و على الفهم إن

كان معقولاً ، و الآية : العلامة ، و السلطان : مصدر بمعنى الغلبة و التسلط ، و قد يجيء بمعنى الحجّة و الدليل لتسلطه على القلب و أخذه بعنانه . قال البهائي - ره - لمّا افتتح عليه السلام الدعاء بخطاب القمر و ذكر أوصافه أراد أن يذكر جملاً أخرى من أحواله ، ناقلاً للكلام من أسلوب إلى آخر كما هودأب البلغاء من تلوين الكلام و جعل تلك الجمل مع تضمّنها لخطاب القمر و ذكر أحواله موشحة بذكر الله سبحانه و الثناء عليه جلّ شأنه ، تحاشياً عن أن يتمادى به الكلام ، خالياً عن ذكر المفضل المنعم ^(١) ، معبراً عن المنعم به جلّ شأنه بالموصول ، ليجعل الصلة مشعرة ببعض أحوال القمر ، ويعطف عليها الأحوال الأخرى ، فتتلاهم جلّ الكلام ، ولا يخرج عن الغرض المسوق له من بيان تلك الأوصاف والأحوال ، واللام في الظلم للاستفراق أعني العرفي منه لا الحقيقي ، و المراد الظلم المتعارف تنويرها بالقمر من قبيل « جمع الأمير الصاغة » و يمكن جعله للعهد الخارجي ، و الحق أن لام الاستفراق العرفي ليست شيئاً وراء لام العهد الخارجي ، فإن المعروف بها هو حصّة معينة من الجنس أيضاً ، غايته أن التعيين فيها نشأ من العرف . و النكير في قوله « آية » يمكن أن يكون للنوعية كما في قوله تعالى « و على أبصارهم غشاوة ^(٢) » والأظهر أن يجعل للتعظيم ، و احتمال التحقير ضعيف كما لا يخفى ثم قال - ره - : الباء في قوله عليه السلام « نوربك الظلم » إمّا للسببية أو للآلة ، ثم إن جعلنا الضوء عرضاً قائماً بالجسم كما هو مذهب أكثر الحكماء و مخنار سلطان المحققين - ره - في التجريد فالتركيب من قبيل « سوّدت الشيء و بيّضته » أي صيرته متصفاً بالسواد والبياض و إن جعلناه جسماً كما هو مذهب القدماء من أنه أجسام صغار شقافة تنفصل عن الماضي و تتصل بالمستضي ^(٣) فالتركيب من قبيل « لبنته و تمرته » أي صيرته ذالبن أو تمر ، و هذا القول و إن كان مستبعداً بحسب الظاهر إلا أن إبطاله لا يخلو

(١) المنعم ، صيغة مبالغة من « انعم » على خلاف القياس .

(٢) البقرة : ٧ .

(٣) و هو أيضاً مذهب علماء الفيزياء من أهل العصر .

من إشكال كما أن إثباته كذلك . و لعلمه ﷺ أراد بالظلم في قوله «نو ربك الظلم» الأهمية المظلمة لا الظلمات أنفسها ، فإنها لا تتصف بالنور ، و تجوز كونه ﷺ أراد ذلك مبني على أن الهواء تكتيف بالضوء ، وهو مختلف فيه ، فالذين جعلوا اللون شرطاً في التكتيف بالضوء منعوا منه ، و يجوز أن يريد بالظلم الأجسام المظلمة سوى الهواء ، و هذا أحسن لاستغنائه عن تجشّم الاستدلال على قبول الهواء للضوء ، وسلامته عن شوب الخلاف ، و يمكن أن يكون مراده ﷺ بتنوير الظلم إعدامها باحداث الضوء في محالها ، و هذا يبتني على القول بأن الظلمة كيفية وجودية كما ذهب إليه جماعة ، و هذا الرأي و إن كان الأكثر على بطلانه إلا أن دلائلهم على إبطاله ليست بتلك القوة ، فهو باق على أصل الإمكان ، إلا أن يزود عنه قاطع البرهان فلو جوز مجوز احتمال كونه أحد محامل كلامه ﷺ لم يكن في ذلك حرج .

« و امتنك بالزيادة و النقصان و الطلوع و الأفول و الإثارة و الكسوف ، المهنة - بفتح الميم و كسر ها و إسكان الهاء - : الخدمة و الذل و المشقة ، و الماهن : الخادم ، و امتنه : استعمله في المهنة ، و طلوع الكوكب : ظهوره فوق الأفق أو من تحت شعاع الشمس ، و أفوله : غروبه تحتها ، و الكسوف : زوال الضوء عن الشمس أو القمر للمعارض المخصوص ، و قد يفسر الكسوف بحجب القمر ضوء الشمس عنا أو حجب الأرض ضوء الشمس عنه ، و هو تفسير للشيء بسببه . و قال جماعة من أهل اللغة : الأحسن أن يقال في زوال ضوء الشمس كسوف و في زوال ضوء القمر خسوف فإن صح ما قالوه فلعله ﷺ أراد بالكسوف زوال الضوء المشترك بين الشمس والقمر لا المختص بالقمر و هو الخسوف ليكون خلاف الأحسن ، و لا يخفى أن امتنان القمر حاصل بسبب كثف الشمس أيضاً ، فإنه هو الساتر لها ، ولما كان شمول الكسوف للخسوف أشهر من العكس اختاره ﷺ - ثم قال - أراد ﷺ بالزيادة و النقصان زيادة نور القمر و نقصانه بحسب ما يظهر للحس ، لا أن الزيادة و النقصان حاصلان له في الواقع ، لأن الأزيد من نصفه منير دائماً كما بين في محله ، و أما زيادته في الاجتماع و نقصانه في الاستقبال كما هو شأن الكرة الصغيرة المستتيرة من الكبيرة

حالي القرب والبعد فليس الكلام فيهما ، إنما الكلام في الزيادة والنقصان المستبين عن البعد و القرب المدد كين بالحس ، و ربما يترأى لبعض الأفهام من ظاهر قوله عليه السلام « و امتنك بالزيادة والنقصان » أن زيادة نور القمر و نقصانه المحسوسين واقعان بحسب الحقيقة ، و حاصلان في نفس الأمر كما هو معتقد كثير من الناس و هذا و إن كان ممكناً نظراً إلى قدرة الله تعالى على أن يحدث في جرمه أول الشهر شيئاً يسيراً من النور و يزيده على التدريج إلى أن يصير بداراً ، ثم يسلبه عنه شيئاً فشيئاً إلى المحاق ، إلا أن محل كلامه ﷺ على ما هو متفق عليه بين أساطين علماء الهيئة حتى عدّ من الحدسيات أليق و أولى ، وهم مع قطع النظر عما أوجب تحدّسهم بذلك إنما اقتبسوا هذا العلم من أصحاب الوحي سلام الله عليهم كشيث ﷺ المدعو على لسانهم بهرمس ، وقد نقل جماعة من المفسرين منهم الشيخ الطبرسي - ره - عند تفسير قوله تعالى « و اذكر في الكتاب إدريس - الآية (١) - » أن علم الهيئة كان معجزة له إلى آخر ما ذكره في ذلك (٢) . ثم قال - ره - : لا يخفى أن حكمهم بأن نور القمر مستفاد من الشمس ليس مستنداً إلى مجرد ما يشاهد من اختلاف تشكّلاته النورية بقربه و بعده عن الشمس ، فإن هذا وحده لا يوجب ذلك الحكم قطعاً ، بل لابدّ مع ذلك من ضمّ أمور آخر ، كحصول الخسوف عند توسط الأرض بينه و بين الشمس ، إلى غير ذلك من الأمارات التي يوجب اجتماعها ذلك الحكم ، لجواز أن يكون نصفه مضيئاً من ذاته و نصفه مظلماً ، و يدور على نفسه كحركة فلكه ، فإذا تحرك بعد المحاق يسيراً رأيناه هلالاً ، و يزداد فنراه بداراً ثم يميل نصفه المظلم شيئاً فشيئاً إلى أن يؤول إلى المحاق . ثم أفاد - ره - : لعلك تقول عند ملاحظة قوله « و امتنك بالزيادة والنقصان » أن حصول الامتحان للقمر بنقصان نوره ظاهر . فما معنى حصول الامتحان له بزيادة النور؟ فأقول : فيه وجهان : الاول أنه كان أحد وجهيه مستنيراً بالشمس دائماً ، و كانت زيادة نوره إنما هي

(١) مريم ، ٥٤ .

(٢) مجمع البيان : ج ٦ ، ص ٥١٩ .

بحسب إحساسنا فقط ، وقد سخره الأمر الإلهي لأن يتحرك في النصف الأول من الشهر على نهج لا يزيد به المنير منه في كل ليلة إلا شيئاً يسيراً لا يستطيع أن يتخطاه ولا يقدر على أن يتمده ، أثبت عليه السلام له الامتحان بسبب إذلاله ، و تسخيره للزيادة على هذا الوجه المقرر ، و النهج الخاص ، وقد شبه بعضهم حال القمر في ظهور القدر المرئي منه شيئاً فشيئاً في النصف الأول من الشهر إلى أن يصير بديراً ، ثم استتاره شيئاً فشيئاً في النصف الثاني إلى أن يختفي بما إذا أمر السيد عبده بأن لا يكشف النقاب عن وجهه للمناظرين إلا على التدريج شيئاً فشيئاً في مدة معينة ، وأنه متى انكشف وجهه بأجمعه فليبادر في الحال إلى ستره وإرخاء النقاب عليه شيئاً فشيئاً إلى أن يختفي بأجمعه عن الأبصار . **الوجه الثاني** أن يكون مراده عليه السلام الامتحان بمجموع الزيادة والنقصان ، أعني التغير من حال إلى حال ، و عدم البقاء على شكل واحد و لعل هذا الوجه أقرب ، و هو جار فيما نسبته عليه السلام إليه من الطلوع و الأفول و الإثارة و الكسوف ، و يمكن أن يوجه امتحانه بالإثارة بوجه آخر ، و هو أن يراد بها إعطاؤه النور للغير كوجه الأرض مثلاً لا اتصافه هو بالنور ، فإن الإثارة و الإضاءة كما جاء في اللغة لازمين جاء متعديين أيضاً ، فحينئذ ينبغي أن يراد بالكسوف كسفه للشمس لينتم المقلبة ، و يصير المعنى : امتنك بأن تفيض النور على الغير تارة و تسلبه عنه أخرى ، ولو أريد المعنى الشامل للكسوف أو نفس الكسوف أيضاً لم يكن فيه بعد والله أعلم .

ثم قال - ر - لما كانت الشمس ملازمة لمنطقة البروج وكانت أعظم من الأرض كان المستنير بأشعتها أعظم من نصفها و المظلم أقل ، و حصل مخروط مؤلف من قطعتين يرسم إحديهما من الخطوط الشعاعية الواصلة بين الشمس و سطح الأرض ، ويسمى مخروط النور و المخروط العظيم ، و الأخرى من ظل الأرض و تسمى مخروط الظل و المخروط الصغير ، و يحيط به طبقة يشوبها ضوء مع بياض يسير ، ثم طبقة أخرى يشوبها مع ضوء يسير حمرة ، و هذه الطبقات الثلاث تظهر للبصر في المشرق من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس بهذا الترتيب و بعكسه بعد غروبها في المغرب ، و قاعدة

المخروط العظيم على كرة الشمس منصفة بمنطقة البروج ، و سهمه في سطحها ، و ينتهي رأسه في أفلاك الزهرة عند كون الشمس في الأوج ، و فيما دونه في ما دونها و قاعدة المخروط الصغير صغيرة على وجه الأرض هي الفصل المشترك بين المنير منها و المظلم ، و هذان المخروطان يتحركان على سطح الأرض كأنهما جبلان شامخان يدوران حولها على التبادل : أحدهما أبيض ساطع ، و الآخر أسود حالك عليه ملابس متلونة ، و يتحرك الأبيض من المشرق إلى المغرب وهو النهار لمن هو تحته و الأسود بالعكس وهو الليل لمن هو تحته ، فتبارك الله أحسن الخالقين و إذا توهّمتما سطحاً كريئاً مركزه مركز العالم يمرّ بمركز القمر و بالمخروط الصغير فالدائرة الحادثة منه على جرم القمر تسمى صفحة القمر ، و الحادثة على سطح المخروط دائرة الظل و مركزها على منطقة البروج . فإذا عرفت هذا فإذا لاقى القمر مخروط الظل في الاستقبال و وقعت صفحته كلها أو بعضها في دائرة الظل انقطعت الأشعة الشمسية عنه كلاً أو بعضاً و هو الخسوف الكلي أو الجزئي^(١) و لكون غاية عرض القمر - وهي خمسة أجزاء - أعظم من مجموع نصف قطري صفحته و دائرة الظل لم ينخسف في كل استقبال ، بل إذا كان عديم العرض ، أو كان عرضه و هو بعد مركزه عن مركز دائرة الظل أقل من نصفيهما^(٢) إذ لو كان

(١) قال سلطان المحققين في التذكرة وشارحه الخفري ، ان كل عرض القمر أكثر من نصف قطري صفحته وقطر دائرة الظل لم يقع للقمر خسوف ، و ان كان عرض القمر مساوياً لهما ماس القمر الظل ولم يقع له حينئذ أيضاً خسوف ، و ان كان أقل منهما وكان مساوياً لنصف قطر دائرة الظل مرت دائرة الظل بمركز صفحة القمر وانخسف نصف قطره ، و ان كان أكثر من نصف قطر دائرة الظل انخسف من القمر أقل من نصف قطره ، و ان كان مساوياً نصف قطر الظل نصف قطر صفحة القمر انخسف القمر كله و ماس سطحه دائرة الظل فلم يكن له مكث ، و ان كان أكثر من ذلك الفضل انخسف من القمر أكثر من نصف قطره ، و ان كان أقل من ذلك أيضاً انخسف القمر كله ومكث بحسب ما يقع في الظل غاية المكث ، هذا انما يكون اذا كان مركز القمر في إحدى المقديتين اذ لم يكن حينئذ له عرض (منه طاب ثراه) .

(٢) نصفهما (خ) .

مساوياً لهما ماسّ القمر محيط دائرة الظلّ من خارج على نقطة في جهة عرضه ولم ينخسف ، وإن كان أكثر فبطريق أولى ، أمّا إن كان العرض أقلّ من النصفين انخسف أقلّ من نصف قطره إن كان ذلك العرض أكثر من نصف قطر دائرة الظلّ ، ونصف قطره إن كان مساوياً له ، لمرور دائرة الظلّ بمرکز الصفحة حينئذ ، وأكثر منه إن كان أقلّ منه وأكثر من فضل نصف قطر دائرة الظلّ على نصف قطر القمر ، وكلّه غير ما كثر إن كان مساوياً لفضل نصف قطر دائرة الظلّ على نصف قطر القمر لمماسّة القمر محيط الظلّ من داخل على نقطة في جهة عرضه ، وما كئناً بحسب ما يقع في دائرة الظلّ إن كان أقلّ من هذا الفضل ، وغاية المكث إذا كان عديم العرض وأول الخسوف يشبه أثراً دخانياً ، ثمّ يزداد تراكمًا بازدياد توغل القمر في الظلّ ، فإن كان عرضه أقلّ من عشر دقائق كان لونه أسود حالكاً ، وإلى عشرين فأسود ضارباً إلى خضرة ، وإلى ثلاثين فألى حمرة ، وإلى أربعين فألى صفرة ، وإلى خمسين فأغبر ، وإلى ستين فأشهب ، وابتداء الانجلاء من شرقيّ القمر ، كما أن ابتداء الخسوف كذلك .

ثمّ اعلم أن الأحوال المشهورة الحاصلة للقمر كثيرة ، فبعضها يشاركه فيه سائر الكواكب كالإتارة والطلوع والافول ونحوها ، وهي كثيرة ولا حاجة داعية إلى ضبطها ، وبعضها أمور تختصّ به ولا توجد في غيره من الكواكب ، وقد اعتنى أهل الهيئة بالبحث عنها ، وأشهرها ستة : سرعة الحركة ، واختلاف تشكّلاته النورية ، واكتسابه النور من الشمس ، وخسوفه بحيلولة الأرض بينها ، وحجبه لنورها بالكسف لها ، وتفاوت أجزاء صفحاته في النور وهو المسمّى بالمحو . وهذه الأحوال الستة يمكن فهمها من كلامه ﷺ بعضها بالتصريح وبعضها بالتلويح أمّا سرعة حركته واختلاف تشكّلاته فظاهر ، وأمّا كسفه الشمس وخسوفه فلما مرّ من حمل الكسوف في كلامه ﷺ على ما يشمل الأمرين معاً ، وأمّا اكتسابه النور من الشمس فللدلالة اختلاف التشكّلات مع الخسوف عليه ، فهذه الأمور الخمسة يفهم من كلامه ﷺ على هذا النهج ، وبقي الأمر السادس أعني تفاوت أجزائه في

النور ، فإنّ في إشعار كلامه ﷺ به نوع خفاء ، ويمكن أن يوصى ، إليه قوله ﷺ « و امتنك بالزيادة والنقصان » فإنّ المراد زيادة النور ونقصانه ، ولامعنى لتفاوت أجزائه في النور إلّا زيادته في بعض و نقصانه في بعض آخر كما لا يخفى ، فقد تضمن كلامه ﷺ مجموع تلك الأحوال الستة المختصة بالقمر ، وقدم الكلام في الأربعة الأولى منها ، وبقي الكلام في الأخيرتين ، فنقول : أمّا الكسوف فهو ذهاب الضوء عن جرم الشمس في الحسن كلاً أو بعضاً ، لستر القمر وجهها الموجه لنا كلاً أو بعضاً ، و ذلك عند كونها بحيث يمرّ خطّ خارج من البصر بهما ، إمّا مع اتّحاد موضعيهما المرئيين ، أو كان البعد بينهما أقلّ من مجموع نصفَي قطريهما ، فلو تساويا ماسّها ولا كسف ، و إن زاد الأوّل فبالأولى ، فإن وقع مركزاهما على الخطّ المزكور كسفها كلّها بلا مكث إن كان قطراهما متساويين حسّاً ، و مع مكث إن كان قطرها أصغر ، و بقي منها حلقة نورانية إن كان قطرها أعظم ، و إن لم يقع على ذلك الخطّ كسف منها بعضها أبداً ، إلّا إذا كان قطره أعظم حسّاً ، فقد يكسفها حينئذ كلاً ، و ربما تبقى منها حلقة نورانية مختلفة الثخن أو قطعة نعلية إن كان قطره أصغر . و لما كان الكسوف غير عارض للشمس لذاتها بل بالقياس إلى رؤيتها بحسب كيفية توسط القمر بينها وبين الأبصار أمكن وقوعه في بقعة دون أخرى مع كون الشمس فوق أفقهما ، و كونه في إحديهما كلياً أو أكثر و في الأخرى جزئياً أو أقلّ ، و ابتداء الكسوف من غربي الشمس كما أنّ ابتداء الانجلاء كذلك .

ثمّ قال - ره - : و أمّا محو القمر وهي الظلمة المحسوسة في صفحته فأمره ملتبس و الآراء فيه متشعبة ، و الأقوال متخالفة ، و أذكر منها خمسة : الأول أنّها آثار وجه المظلم تأدّت إلى وجهه المضيء . و أورد عليه أنّه لو كان كذلك لكانت أطرافه أشدّ ظلمة و أوساطه أشدّ ضوء . الثاني أنّه أجرام مختلفة مركوزة مع القمر في تدويره غير قابلة للإبادة بالتساوي ، و هو مختار سلطان المحقّقين - ره - في التذكرة و أورد عليه أنّ ما يتوسط بينه و بين الشمس من تلك الأجرام و كذا بيننا و بينه في كلّ زمان و وضع شيء آخر لتحريك التدوير على نفسه ، فكيف يرى دائماً على

نهج واحد غير مختلف ؟ وقد يعتذر له بأن التفاوت المذكور لا يحس به في صفحة القمر لصغرهما وبعد المسافة . الثالث أن الأشعة تنعكس إليه من البحر المحيط أو كرة البخار لصقالتهمما انعكاساً بيتناً ، ولاتنعكس لذلك من سطح الربع المكشوف لخشونته ، فيكون المستنير من وجهه بالأشعة النافذة إليه على الاستقامة ، والأشعة المنعكسة تبعاً أضوء من المستنير بالأشعة المستقيمة والمنعكسة من الربع المكشوف وهذا مختار صاحب التحفة . وأورد عليه أن ثبات الانعكاس دائماً على نهج واحد مع اختلاف أوضاع الأشياء المنعكس عنها من البخار والجبال في جانبي المشرق والمغرب مستحيل . واعدله بما اعتذر لأستاذة - ره . - الرابع أن سطح القمر لما كان صقيلاً كالمراة والناظر يرى فيه صورة البحار ، والقدر المكشوف من الأرض وفيه عمارات وغياض وجبال ، وفي البحار مراكب وجزائر مختلفة الأشكال ، وكلها تظهر للناظر أشباحها في صفحة القمر ، ولا يميز بينها لبعدها ، ولا يحس منها إلا بخيال ، وكما لا يرى مواضع الأشباح في المرايا مضئية فكذلك لا ترى تلك المواضع فيه برآقة أو أنه ترى صورة العمارات والغياض والجبال مظلمة كما هي عليه في الليل ، و صورة البحار مضئية ، أو بالعكس ، فإن صورتي الأرض والماء منطبعتان فيه ، كما أن الأرض لكثافتها تقبل ضوء الشمس أكثر مما يقبله الماء للطافته ، فكذا صورتاهما وهذا الوجه مختار الفاضل النيسابوري في شرح التذكرة ، ومال إليه أستاذنا المحقق البرجندي في شرح التذكرة أيضاً ، والإيراد والاعتذار كما سبق . الخامس أن أجراماً صغيرة نيّرة مركوزة في جرم الشمس أو في فلكها الخارج المركز بحيث تكون متوسطة دائماً بين الشمس والقمر ، وهي مانعة من وقوع شعاع الشمس على مواضع المحو من القمر ، وإنما قلنا نيّرة لأنها لو كانت مظلمة فيرى المحو على وجه الشمس ، والمراد أنها نيّرة نوراً أقل من نور بقية أجزاء الشمس ، وهذا الوجه للمدقق الخفري . وأقول : فيه نظر ، فإن تلك الأجرام إن كانت صغيرة جداً تلاقت الخطوط الخارجة من حولها إلى القمر بالقرب منها ، ولم يصل ظلها إليه ، وإن كان لها مقدار يعتد به بحيث يصل ظلها إلى جرم القمر فوصوله إلى

سطح الأرض في بعض الأوقات كوقت الاستقبال أولى ، فكان ينبغي أن يظهر على سطح الأرض كما يظهر ظل الغيم ونحوه ، و ليس فليس والله أعلم بحقائق الأمور .
ثم قال - قدس الله لطيفه - : ما مرّ من أن اكتساب النور من الشمس مختصّ بالقمر لا يشاركه فيه غيره من الكواكب هو المشهور ، و عليه الجمهور ، فإنهم مطبقون على أن أنوار ماعداء من الكواكب ذاتية غير مكتسبة من الشمس ، و استدّلوا على ذلك بأنّها لو استفادت النور من الشمس لظهر فيه التشكّلات البدرية و الهلالية بالبعد والقرب منها كما في القمر ، هكذا أورد صاحب التحفة فيها و في نهاية الإدراك . و أقول : فيه نظر ، فإنّ القائل باستفادتها النور من الشمس ليس عليه أن يقول بأنّ المستضيء منها إنّما هو وجهها المقابل للشمس فقط ، يلزمه اختلاف تشكّلاته كالقمر بل له أن يقول بنقوذ الضوء في أعماقها كالقطعة من البلّور مثلاً إذا وقع عليها ضوء الشمس ، فإنّ الناظر إليها من جميع الجهات يبصرها مضيئة بأجمعها فتبصر .

ثمّ إنّ صاحب التحفة أورد على الدليل المذكور أن اختلاف التشكّلات إنّما يلزم في السفليتين لافي بقية الكواكب التي فوق الشمس ، لكون وجهها المقابل لنا هو المقابل للشمس بخلاف القمر ، فيمكن أن يستفيد النور منها ولا يظهر فيها التشكّلات الهلالية بالقرب من الشمس ، وما يقال من أنّه يلزم انخسافها في مقابلات الشمس مدفوع بأنّ ظلّ الأرض لا يصل إلى أفلاكها . ثمّ إنّّه أجاب عن هذا الإيراد بأنّ تلك الكواكب إذا كانت على سمت الرأس غير قابلة للشمس ولا مقارنة لها لم يكن وجهها المقابل لنا هو المقابل لها بل بعضه . ويلزم اختلاف التشكّلات الهلالية .
ثمّ قال : فإن قيل : إنّما لا يرى شيء منها هلالياً لخفاء طرفيه لصغر حجم الكواكب في المنظر و هو ظهوره من البعد المتفاوت مستديراً . قلنا : لو كان كذلك لرؤي الكوكب في قرب الشمس أصغر منه في بعدها .

هذا كلامه ، و أقول : فيه نظر ، لأنّ للخصم أن يقول : إنّما يلزم ذلك لو وقعت دائرة الرؤية فيها مقاطعة لدائرة النور ، ولم لا يجوز أن لا يقع أبداً إلّا داخلها ، إمّا موازية لها إذا كان الكوكب على سمت الرأس في مقابلة الشمس ، أو

غير موازية إمّا مماسة لها كما لعلّه يتفق في التربيع ، أو غير مماسة كما في غيره ؟ ولا يندفع هذا إلّا إذا ثبت تقاطع الدائرتين على سطح الكوكب كما في القمر و دون ثبوته خרט القتاد . و يمكن تقرير النظر بوجه آخر بأن يقال : قرب الكواكب من الشمس على نحوين : قرب كثير يوجب ظهور الصغر للحس ، و قرب قليل لا يوجب ذلك ، والأوّل لا يكون إلّا إذا كانت الشمس تحت الأفق و كان الكوكب قريباً من الأفق ، فلم لا يجوز أن يكون الكوكب حال القرب أصغر لكن تراكم البخار جبر ذلك الصغر فلم ير أصغر لذلك ؟ ثمّ إنّ الذي مازال يختلج بخاطري أنّ القول بعدم الفرق بين القمر و سائر الكواكب في أنّ أنوار الجميع مستعادة من الشمس غير بعيد عن الصواب ، وقد ذهب إلى هذا جماعة من أساطين الحكماء و وافقهم الشيخ السهروردي حيث قال في الهياكل : إنّ الشمس قاهر العنق رئيس السماء ، فاعل النهار ، صاحب المعائب ، عظيم الهيبة ، الذي يعطي جميع الأجرام ضوءها ، ولا يأخذ منها هذا كلامه ، وقد ذهب الشيخ العارف محيي الدين أيضاً إلى هذا القول ، وصرّح به في الفتوحات المكيّة ، و وافقه جمع من الصوفيّة والله أعلم بحقائق الأشياء (انتهى) (١) .

« سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك وألطف ما صنع في شأنك » سبحان : مصدر كغفران بمعنى التنزيه عن النقائص ، ولا يستعمل إلّا محذوف الفعل منصوباً على المصدرية ، فسبحان الله معناه تنزيه الله ، كأنّه قيل : أسبّحه سبحاناً وأبرّئه عمّا لا يليق بعزّ جلاله براءة . قال الشيخ الطبرسي - ره - : إنّّه صار في الشرع علماً

(١) القول بكون نور السيارات مكتسباً من الشمس موافق للفرضية المؤيدة في الهيئة الحديثة ، و كذلك القول في سائر المنظومات الشمسية لكن القول بأن جميع الكواكب اعم من السيارات والثوابت تكتسب النور من هذه الشمس فبعيد عن الصواب ، ومخالف لما عليه المتأخرون من الفلكيين ، بل لما يدل من الاخبار على وجود شمس اخرى غير شمسنا هذه ، الا أن يؤول كلامهم بإرادة الجنس من الشمس دون الشخص فتأمل وأما نور الشمس و حرارتها فمن القوة الموجودة في ذراتها ، ويحصلان بالانشعاع وانكسار الذرات وتبدل المادة قوة على اصطلاح علم الفيزيا ، وعلى هذا يتناقض وزنها شيئاً بالانشعاع ، و قالوا في شمس عالمنا إنّهُ ينقص من وزنها في كل ثانية اربعة ملايين طن والله العالم .

لأعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا هو سبحانه ، ولذلك لا يجوز أن يستعمل في غيره تعالى ، وإن كان منزهاً عن النقائص . و إلى كلامه هذا ينظر ما قاله بعض الأعلام من أن بالتنزيه المستفاد من سبحانه الله ثلاثة أنواع : تنزيه الذات عن نقص المكان الذي هو منبع السوء ، و تنزيه الصفات عن وصمة الحدوث بل عن كونها مغائرة للذات المقدسة وزائدة عليها ، وتنزيه الأفعال عن القبح والبعث بل عن كونها جالبة إليه تعالى نقعاً أو دافعة عنه سبحانه ضرراً كأفعال العباد . و « ما » في قوله عليه السلام « ما أعجب » إما موصولة ، أو موصوفة ، أو استفهامية ، على الخلاف المشهور في ما التعجبية ، و هي مبتدأة والماضي بعدها صلتها أوصفتها على الأولين والخبر محذوف أي الذي أو شيء صيره عجباً أمر عظيم ، أو كونها هو الخبر على الأخير ، و « ما » في « ما دبّر » مفعول أعجب ، وهي كالأولى على الأولين ، والعائد المفعول محذوف ، والأمر والشأن مترادفان .

« جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث » فصل هذه الجملة مما قبلها للاختلاف خبراً وإنشاءً مع كون السابقة لاجل لها من الإعراب ، والشهر مأخوذ من الشهرة يقال : شهرت الشيء شهراً أي أظهرته وكشفته ، وشهرت السيف : أخرجه من الغلاف وتشبيهه الشهر في النفس بالبيت المفعول استعارة بالكناية ، وإثبات المفتاح له استعارة تخيلية ، ولا يخفى لطافة تشبيه الهلال بالمفتاح . والجار في قوله ﷺ « لأمر حادث » يتعلق بحادث السابق ، أي حدوث ذلك الشهر وتجده لأمر حادث مجدّد ويجوز تعلّقه بجعل ، وتنكير « أمر » للإبهام وعدم التعيّن ، أي أمر مبهم علينا حاله كما قالوه في قوله تعالى « أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم ^(١) » ، إن المراد أرضاً منكورة مجهولة .

وأقول : يحتمل أن يكون المراد بالأمر الحادث ما ينط بالشهور من المصالح الدينية ، كالحج والصوم والعدد وسائر العبادات المتعلقة بها ، والدينيّة كالمعاملات والديون وسائر الأمور المر بوطءها . وقال الشيخ المتقدم - ره - : جعله ﷺ مدخول

ما التمجيدية فعلاً دالاً على التعجب بجوهره ، ينبىء عن شدة تعجبه ﷺ من حال القمر وما دبّره الله سبحانه فيه و في أفلاكه بلطائف صنعه و حكمته ، وهكذا كل من هو أشدّ اطلاعاً على دقائق الحكم المودعة في مصنوعات الله سبحانه فهو أشدّ تعجباً منها ، وأكثر استعظماً لها ، ومعلوم أن ما بلغ إليه علمه ﷺ من عجائب صنعه جلّ وعلا ، ودقائق حكمته في خلق القمر ، و نضد أفلاكه ، و ربطه ماربطه به من مصالح العالم السفلي ، و غير ذلك فوق ما بلغ إليه [علم] أصحاب الأرصاد و من يحذو حذوهم من الحكماء الراسخين بأضعاف مضاعفة ، مع أن الذي اطلع عليه هؤلاء من أحواله و كيفية أفلاكه وما عرفوه ممّا يرتبط به من أمور هذا العالم أمور كثيرة يحار فيها ذواللبّ لسليم قائلاً : ربنا ما خلقت هذا باطلاً . و تلك الأمور ثلاثة أنواع : الاول ما يتعلق بكيفية أفلاكه وعددها ونضدها وما يلزمه من حرّاتها من الخسوف واختلاف التشكلات وتشابه حركة حامله حول مركز العالم لاهول مركزه ، ومحاذاة قطر تدويره نقطة سوى مركز العالم ، إلى غير ذلك ممّا هو مشروح في كتب الهيئة . الثاني ما يرتبط بنوره من التغيرات في بعض الأجسام العنصرية كزيادة الرطوبات في الأبدان بزيادته ، ونقصانها بنقصانه ، وحصول البحارين للأمراض ، وزيادة مياه البحار والينابيع زيادة بيّنة في كل يوم من النصف الأوّل من الشهر ، ثم أخذها في النقصان يوماً فيوماً في النصف الأخير منه ، وزيادة أدمغة الحيوانات وألبانها بزيادة النور ، ونقصانها بنقصانه ، وكذلك زيادة البقول والثمار نمواً و نضجاً عند زيادة نوره ، حتّى أن المزاولين لها يسمعون صوتاً من القشّاء والقرع والبطيخ عند تمدّده وقت زيادة النور ، وكأبلاء نور القمر الكتّان ، وصبغه بعض الثمار إلى غير ذلك من الأمور التي تشهد به التجربة . قالوا : وإنما اختصّ القمر بزيادة ما يربط به من أمثال هذه الأمور بين سائر الكواكب لأنّه أقرب إلى عالم العناصر منها ، ولأنّه مع قربهِ أسرع حركة فيمتزج نوره بأنوار جميع الكواكب ، ونوره أقوى من نورها فيشار كها شركة غالب عليها فيما يربط بنورها من المصالح بالذن خالقها ومبدعها جلّ شأنه . الثالث ما يتعلق به من السعادة والنحوسة ، وما يرتبط به من الأمور التي هو

علامة على حصولها في هذا العالم ، كما ذكره الديانيون من المنجمين ، ووردت ببعضه الشريعة المطهرة على الصانع بها أفضل التسليمات ، كما رواه الكليني - ره - عن الصادق عليه السلام « من سافر أو تزوج والقمر في العقرب لم ير الحسنى ^(١) » ، وعن الكاظم عليه السلام « من تزوج ^(٢) في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد ^(٣) » ، وكما رواه الشيخ عن الباقر عليه السلام « أن النبي صلى الله عليه وآله بات ليلة عند بعض نساءه فانكسف القمر في تلك الليلة فلم يكن ^(٤) فيها شيء » ، فقالت له زوجته : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي كل هذا البغض . فقال لها : ويحك ، هذا الحادث في السماء فكرهت أن أتحدث . وفي آخر الحديث ما يدل على أن المجامع في تلك الليلة إن رزق من جماعه ولداً وقد سمع بهذا الحديث لا يرى ما يجب .

أقول : تتمّة الدعاء سيأتي شرحها في مقام آخر أنسب من هذا المقام إن شاء الله تعالى .

٣٧ - **الصحيفة السجادية** صلوات الله على من ألهمها : الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً وأمداً ممدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه ، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات النعب ، و نهضات النصب ، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومناحه ، فيكون ذلك لهم بهاماً وقوةً ولينالوا به لذةً وشهوةً ، و خلق لهم النهار مبصراً ليبتهقوا فيه من فضله ، وليتسببوا إلى رزقه ، ويسرحوا في أرضه ، طالباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم ، ودرك الآجل في آخرهم ، بكل ذلك يصلح شأنهم ، و يبلو أخبارهم ، و ينظر كيفهم في أوقات طاعته ، ومنازل فروضه ، ومواقع أحكامه ، ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ، ويجزي

(١) روضة الكافي ، ٢٧٥ .

(٢) في المصدر : من أنى أهله في محاق الشهر .

(٣) فروع الكافي : ٢٩٩ .

(٤) فلم يكن منه (ط) .

الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ . اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ لَنَا مِنَ الْإِصْبَاحِ ، وَنَمَتْنَا [به] مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ، وَبَصَّرْتَنَا [به] مِنْ مَطَالِبِ الْأَقْوَاتِ ، وَوَقَيْتَنَا [فِيهِ] مِنْ طَوَارِقِ الْآفَاتِ - إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ - .

بيان : « خلق الليل والنهار بقوته » الخلق يكون بمعنى الإيجاد ، وبمعنى التقدير ، وكل منهما هنا مناسب ، والجمع بينهما أيضاً ممكن ، وخلقه تعالى الليل والنهار بخلق الشمس مضيئة غاية الإضاءة بحيث يغلب نورها نور سائر الكواكب و بخلق الهواء مظلماً في نفسه قابلاً للإضاءة : و بخلق الأرض كثيفة قابلة للإضاءة بحيث تنعكس منها الأشعة ، وجعل الشمس متحركة حول الأرض ، فبطولوعها أو ظهور علامتها البيئنة يحصل النهار ، وبغروبها أودهاب هزتها المشرقية يحصل الليل وتقدير الليل لتقدمه شراً و عرفاً كما عرفت ، أو لتقدم الظلمة على النور لكونها عدمية أو شبيهة بالعدم ، أو للتأسي بالقرآن في أكثر مواضعه « وميز بينهما بقدرته » أي جعل كل واحد منهما ممتازاً عن الآخر من حيث الصورة و من حيث الخواص والآثار ، وقيل : معناه أن الله تعالى لما قدر لكل يوم و ليلة من أيام السنة الشمسية و لياليها في كل بقعة من بقاع الأرض زماناً معيناً لا يزيد ولا ينقص أبداً فلا يدخل أحدهما في الآخر ، بأن يدخل الليل في النهار قبل تمامه وبالعكس ، فيمتاز كل واحد منهما عن الآخر ، أي لا يختلط أحدهما بالآخر . لكن يمكن الاستفادة هذا المعنى من الفقرة الآتية ، والقدرة صفة نفسانية من شأنها الإيجاد و الإحداث بها على وجه يتصور ممن قامت به الفعل بدلاً عن الترك ، و الترك بدلاً عن الفعل والقوة تطلق على القدرة ، و على حالة يصح أن تصدر عن صاحبها أفعال شاقة وقد تطلق على حالة تكون مصدراً لحدوث أمر أو سبباً له كالقوى الناطقة و النامية و الباصرة و السامعة و أمثالها . والباء في الموضعين للاستعانة ، أو للملازمة و جعل لكل واحد منهما حداً محدوداً و أمداً ممدوداً ، حد الشيء منقطعه و منتهاه ، و الحد الحاجز بين الشيئين ، و المحدود المعين أو المميز عن غيره ، و الأمد يطلق على الغاية و على الزمان الممتد ، و الممدود المبسوط الممتد . و في بعض النسخ « موقوتاً »

و هو قريب من المحدود ، و الأظهر « ممدوداً » و جعل الأمد بمعنى الامتداد ليكون تأسيساً .

« يولج كل واحد منهما في صاحبه و يولج صاحبه فيه » الإيلاج : الإيدخال وقد عرفت أن الإيلاج كل واحد منهما في الآخر معنيين : أحدهما يرجع إلى مجيء الليل بعد النهار و مجيء النهار بعد الليل ، و ثانيهما يرجع إلى زيادة كل منهما و نقصان الآخر ، و يرد في خصوص هذه العبارة إشكال ، و هو أن الزيادة و النقص في كل منهما يستفاد من الفقرة الأولى ، فأني فائدة في الفقرة الثانية ؟ و أُجيب عنه بوجوه : الاول ما ذكره الشيخ البهائي - ره - : حيث قال : مراده التنبيه على أمر مستغرب ، و هو حصول الزيادة و النقصان معاً في كل من الليل و النهار في وقت واحد ، و ذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الاستواء و الجنوبية عنه سواء كانت مسكونة أولاً ، فإن صيف الشمالية شتاء الجنوبية و بالعكس ، فزيادة النهار و نقصانه واقعان في وقت واحد ، لكن في بقعتين ، و كذا زيادة الليل و نقصانه ولو لم يصرح عليه السلام بقوله « و يولج صاحبه فيه » لم يحصل التنبيه على ذلك ، بل كان الظاهر من كلامه عليه السلام وقوع زيادة النهار في وقت و نقصانه في آخر ، و كذا الليل كما هو محسوس معروف بين الخاص و العام ، فالواو في قوله « و يولج صاحبه فيه » و او الحال باضمار مبتدأ كما هو المشهور بين النحاة (انتهى) .

و أقول : إنما قدّر المبتدأ لأن الجملة الحالية إذا كانت مضارعاً مثبتاً يكون بالضمير وحده ، فإذا أضمّر المبتدأ تصير جملة اسمية و الاسمية الحالية تكون بالواو و الضمير أو بالواو وحدها ، و قيل : لا حاجة إلى تكلف الحالية بل مع العطف أيضاً يستقيم هذا المعنى ، فكأنه قال : كما يولج نهار النصف الأوّل من السنة في لياليها و ليالي النصف الثاني في نهارها يولج أيضاً ليالي النصف الأوّل في نهارها و نهار النصف الثاني في لياليها ، و ذلك في الأفق المقابل ، لأنّه يصير ثمة قوس الليل قوس النهار و بالعكس ، فالليل الذي يلج عندنا في النهار هو بعينه نهار ثمة يلج في الليل ، و هذا الاعتبار أغرب و أبعد مما اعتبر أولاً ، و هو أن البقاع الجنوبية أمرها

على العكس باعتبار النصفين مطلقاً من غير اعتبار كل يوم و ليل بعينه (انتهى)
وأقول : هذا المعنى إلى الحالية أحوج من الأول و إن كان يستقيم المعنيان بدونهما
الثاني ما قيل : إن الجملة الأولى تدل على أن كلا منهما مولج في صاحبه ، و
الثانية على أن كلا منهما مولج فيه صاحبه ، و هذا معنى آخر غير الأول ، و هو
و إن كان لازماً للأول إلا أن النصريح بما علم ضمناً للاهتمام و المبالغة أمر شائع
ذائع ، خصوصاً فيما كان أمراً عظيماً فيه قوام العالم و نظامه ، فإن الليل و النهار
من ضروريات مصالح هذا العالم ، و آيتان دالتان على وحدة الله سبحانه و كمال
قدرته ، و لهذا كرر الله هذا المعنى في كتابه العزيز بلفظ الإيلاج و غيره . **الثالث**
أن يكون التكرار للإشعار بتكرار هذا الأمر و استمراره ، كما يقال لهذا المعنى
« يفعل فلان و يفعل ، و يعطي و يعطي » و هذا وجه وجيه . **الرابع** ما قيل : إن
دلالة إيلاج كل منهما في صاحبه على إيلاج صاحبه فيه من الخارج لا من اللفظ
فإننا إذا علمنا في الخارج أن ليس لليل صاحب إلا النهار و للنهار صاحب إلا الليل
علمنا من قوله « يولج كل واحد منهما في صاحبه » إيلاج الصاحب أيضاً فيه ، و أمّا
بالنسبة إلى اللفظ فلا دلالة له أصلاً ، فإننا إذا قلنا يولج الليل في صاحبه و يولج
النهار في صاحبه ولم يعلم من الخارج أن صاحبهما ماذا فلا يعلم إيلاج صاحبه فيه
البتة و نحتاج إلى ذكره و ترك العطف للاستثناف ، أو الحالية المقدرة ، و العدول
إلى المضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي .

« بتقدير منه للعباد » الباء للسببية أو الملابس و الأول أظهر ، و التنكير
للتفخيم . « فيما يغذوهم به » الظرف متعلق بتقدير ، أي جعل الله الخلق و التمييز
و الإيلاج لتقدير عظيم في الشيء الذي يغذوهم به ، كما مر أن تعاقب الليل و النهار
و اختلاف الفصول مما له مدخل عظيم في حصول الأغذية للعباد و ينشئهم عليه ،
عطف على « يغذوهم » أي له مدخل في نشوئهم و نموهم كما مر ذكره « فخلق لهم
الليل » الفاء للترتيب الذكري ، و هو عطف المفصل على المجرى « ليسكنوا فيه
من حركات التعب و نهضات النصب » الإضافة من إضافة السبب إلى المسبب ، أي

من فوائد الليل أن يسكنوا أي يستقروا ويستريحوا من الحركات الواقعة في النهار لتحصيل المعاش وغيره الموجبة للتعب، والنهضات - بالتحريك - : جمع نهضة - يسكون الهاء - وهي المرة من « نهض ينهض نهضاً و نهوضاً » أي قام ، أي القيامات للأمور الشاقة ، والترددات البدنية ، و الأفعال القلبية الواقعة في النهار التي هي سبب النصب - بالتحريك - أي الإعياء والعجز ، ويروى « بهظات » بالباء الموحدة والظاء المعجمة « من بهظه الأمر أو الحمل ، كمنع أي غلبه و ثقل عليه ، و لعلهما إشارتان إلى قوله تعالى « وجعل الليل سكناً ^(١) » .

« وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومناحه » إشارة إلى قوله تعالى « وجعلنا الليل لباساً ^(٢) » ، وقد مرّ تفسيره ، وقال الزمخشري ، « أي يستريحون عن العيون إذا أردتم هرباً من عدو » ، أو بياتاً له ، أو إخفاء ما لا تحبّون الاطلاع عليه من كثير من الأمور ويفهم منه معنى آخر وهو أنه تعالى لما جعل الليل سبباً لأن يلبس العباد لباس الراحة والنوم فكأنه لباس ، وشبه الراحة والمنام - وهو مصدر ميمي بمعنى النوم - باللباس ، من حيث إن كل واحد منهما يغشاهم ويشتمل عليهم كاللباس كما قال تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ^(٣) » وإضافة الراحة و المنام إلى ضمير الليل للاختصاص بمعنى اللام ، أي الراحة و المنام المختصين بالليل ، ويظهر من كلام ابن الحاجب أنه بمعنى « في » و أنكره أكثر المحققين ، و الظاهر أن « في » قوله « من راحته » للتبعية ، لبيان أنه لم يخلق الليل لبصر فواجميعه في الاستراحة و المنام بل ليستريحوا في بعضه ويعبدوه في بعضه ، وقيل « من » للابتداء ، لأن اللبس يبتدئ من جهة الراحة كما قال تعالى « يحلّون فيها من أساور من ذهب ^(٤) » بأن يكون « من راحته » صفة لموصوف محذوف يدلّ عليه « يلبسوا » أي ليلبسوا ثوباً من راحته

(١) الانعام ، ٩٦ .

(٢) النبأ : ١٠ .

(٣) النحل ، ١١٢ .

(٤) الكهف ، ٣١ .

أي الثوب الذي هو راحته ، ولا يخفى أن ما ذكرنا أظهر ، فيكون عطف على « يلبسوا » والتفريع بالفاء لبيان أن لبس الراحة والمنام سبب للجمام والقوة ، و الجمام - بالفتح - ، الراحة بعد التعب ، يقال : جَمَّ الفرس جِماماً أي ذهب إعياؤه .
« ولينالوا به » أي يصيبوا بلبس لباس الراحة « لذّة » وهي إدراك الملائم من حيث إنّه ملائم « وشهوة » وهي مصدر شبه كرضي أي أحبّه ورغب فيه كاشتهاه وتشهّاه والحاصل : ليصيبوا بسبب ذلك ما يلتذّون به ويشتهونه ، أو المراد بهما الحاصل بالمصدر ، ولا يبعد أن يكون المراد لذّة النوم وشهوة الجماع ، ويحتمل التعميم فيهما . « وخلق لهم النهار » عطف على « خلق لهم الليل » « مبصراً » إسناد للفعل إلى الظرف « ليبتقوا » أي ليطلبوا فيه شيئاً « من فضل الله » والمراد به نعم الله مطلقاً لا الرزق فقط ، وإن فسّر به قوله تعالى « وابتغوا من فضل الله ^(١) » لأن طلب الرزق مذکور بعد ذلك في قوله ^{عليه السلام} « وليتسبّبوا إلى رزقه » فذكره بعده من باب ذكر الخاص بعد العام للاهتمام بشأنه ، أي ليتوصلوا و يطلبوا سبباً من الأسباب المعهودة المشروعة إلى تحصيل رزقه ، أو ليصيروا سبباً واسطة في تحصيله كما قال في مقام آخر « تسبّبت بلطفك الأسباب » .

« و يسرحوا في أرضه » يقال : سرحت الدابة - كمنع - سروحاً : سامت و سرحتها سروحاً : أسمتها و رعيتها ، يتعدّى ولا يتعدّى ، والمراد هنا الأوّل . شبه ^{عليه السلام} سيرهم في الأرض سفراً و حضراً بلا عائق كيف شاؤوا آكلين ما اشتهاوا وشاربين ما شاؤوا بسير الدابة في الأرض وسومها « طلباً » مفعول له لقوله « يسرحوا » وما قبله من الفعلين ، وما قيل من أنّه متعلّق بخلق الليل وخلق النهار أي طلب الله تعالى من خلقهما فوائد لعباده فلا يخفى بعده « لما فيه نيل العاجل » أي وصولهم إلى النفع العاجل أي الحاضر « من دنياهم » بيان للعاجل ، وفي بعض النسخ « في دنياهم » فهو متعلّق بالنيل . و الدرك : اللحق والوصول ، والآجل : خلاف العاجل « في أخريهم » متعلّق بالدرك أو صفة للآجل ، أي النفع الآجل الكائن في أخريهم ، و

الأخرى : تأنيث الآخر ، أي الدار الأخرى غير الدنيا أو الأخيرة « بكل ذلك ، متعلق بـ يصلح » وهو حال أي يصلح الله بكل من الليل والنهار وسائر الأمور المذكورة « شأنهم » هو بالهمز وقد يخفف : الأمر والحال ، أي أمورهم بحسب العاجل والآجل « و يبلو أخبارهم » قال الزمخشري في قوله تعالى « و لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين و نبلوا أخباركم »^(١) أي ما يحكى عنكم وما يخبر به من أعمالكم لنعلم حسنها من قبيحها ، لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح (انتهى) ومعنى « يبلو » يختبر أي يعاملهم معاملة المختبر . « و ينظر كيف هم في أوقات طاعته » أي كيف يصنعون في الأوقات التي وقتها لطاعتهم هل يطيعون أو يعصون « ومنازل فروضه » أي أوقات فروض الله تعالى التي فرضها على العباد ، فالمراد المنازل التي ينزل فيها الفروض ، أو منازل المكلف ، وهي منسوبة إلى الفروض لحصول الفرض عندها ، أو هو من إضافة المشبهة به إلى المشبهة كالجين الماء تشبيهاً للفروض بالمنازل التي ينزلها المسافر ، حيث إن المسافر في سفره ينتظر المنزل قبل وصوله إليه و يتشوق له ، و إذا وصل إليه يفرح به و يفعل فيه ما ينبغي أن يفعل ويأنس به ، فينبغي للمكلف أن يكون بالنسبة إلى ما فرض الله عليه كذلك ، وعلى التقادير من قبيل ذكر الخاص بعد العام للاهتمام ، إذ الطاعة أعم من الفرض بمعانيه . و يحتمل أن يراد بأوقات الطاعة العبادات الموقفة ، و بمنازل الفروض غير الموقفة ، أو بالعكس ، والأحكام : أعم منهما لشمولها للخمسة ، و إن كان شمولها للمباح لا يخلو من تكلف ، بأن يقال : ينظر كيف هم فيه هل يعتقدونه مباحاً أم يبتدعون تحريره أو غير ذلك ، مع أنه يمكن جعل المباحات طاعات بالنيات كما سيأتي بيانه في محله . والمراد بمواقع الأحكام الأمور التي تتعلق بها وهي أفعال المكلفين ، أو الأزمنة والأحوال التي تعرض فيها « ليجزي الذين أسأؤا » متعلق بما قبله من الأفعال الثلاثة ، أي إنما فعل تلك الأمور ليجزي الذين أسأؤا أي عملوا السيئة « بما عملوا » أي بعقاب ما عملوا ، أو بمثل ما عملوا ، أو بسببه « و يجزي

الذين أحسنوا ، أي فعلوا الأفعال الحسنة « بالحسنى » أي بالمشوبة الحسنى ، أو بأحسن من أفعالهم وجزائها ، أو بسبب الفعلة الحسنى ، فالبا، في الموضوعين إمّا للصلة أو للسببية فالظرفان متعلقان بالجزاء ، وتعلقهما بأساؤوا وأحسنوا كما توهم بعيد وأوسط التقادير الثلاثة المتقدمة أظهر ، لدلالته على جزاء السيئة بالمثل والحسنة بأضعافها .

« اللهم » أصله يا الله ، حذف حرف النداء و عوض عنه الميم المشددة « فلك الحمد » لمآجده سبحانه على خلق مطلق الليل والنهار حمده تعالى على خصوص اليوم الذي هو فيه والنعم التي اشتمل عليها ، و تقديم الظرف للحصر « على ما فلفت » أي شقت « لنا » أي لا نتفاعنا « من الإصباح » وهو في الأصل مصدر « أصبح » أي دخل في الصباح ، سمي به الصبح « و متعتنا به » أي على ما صيرتنا ذوي تمتع و انتفاع بسببه « من ضوء النهار » الإضافة بتقدير اللام أو بيانية « و بصرتنا » أي على ما جعلتنا مبصرين له وبصراء به بسبب النهار « من مطالب الأقوات » بالإضافة البيانية أو اللامية ، أي المواضع التي يطلب منها القوت ، و الأفعال التي هي مظنة حصوله والقوت : ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام « و وقيتنا » أي وعلى ما وقيتنا وحفظتنا منه في ذلك الصبح « من طوارق الآفات » بالإضافة البيانية أو إضافة الصفة إلى الموصوف ، والطارق في الأصل من يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً ، و يستعمل غالباً في الشرور الواقعة بالليل وقديعاً بما يشمل ما يقع بالنهار أيضاً ، فالمراد هنا آفات البارحة أو مطلقاً . ثم اعلم أن لفظة « ما » الظاهرة في الفقرة الأولى والمقدرة فيما بعدها من الجمل الثلاث موصولة ، و ضمير « به » المذكور في الجملتين والمقدر في غيرهما عائداً إليها ، و « من » في المواضع الأربعة لبيان الموصول ، ويمكن أن تكون « ما » مصدرية في الجميع أو في سوى الأولى ، و الضمائر راجعة إلى الإصباح أو فلقه فيكون « من » في قوله « من مطالب » بمعنى الباء كما في قوله تعالى « ينظرون من طرف خفي »^(١) ثم الحمد في الفقرة الثانية يشمل العميان أيضاً فانهم

يتمتعون بضوء النهار ، لاشتغال البصراء بالمهمات و الحوائج و من جملتها حوائج الأضرء ، وأمّا الثالثة فإن كان التبصير فيها من إِبصار العين فهو لغيرهم ، و إن كان من البصيرة فيشملمهم ، وهذا يؤيد حمله على الأخير . وأمّا شرح تتمّة الدعاء فموضعه الفرائد الطريفة .

٣٨ - الدر المنثور : عن عبد الله بن مغفل ^(١) . قال : قال رسول الله ﷺ :
 إنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال : يامعشر الحواريين ! الصلاة جامعة . فخرج الحواريون في هيئة العبادة ، قد تضرعت البطون ، وغارت العيون ، واصفرت الألوان ، فسار بهم عيسى عليه السلام إلى فلاة من الأرض ، فقام على رأس جرثومة فحمد الله و أثنى عليه ثم أنشأ يتلو عليهم من ^(٢) آيات الله و حكمته فقال : يامعشر الحواريين ! اسمعوا ما أقول لكم ، إنّني لأجد في كتاب الله المنزل الذي أنزله ^(٣) الله في الإنجيل أشياء معلومة فاعملوا بها ، قالوا : يا روح الله وما هي ؟ قال : خلق الليل لثلاث خصال ، و خلق النهار لسبع خصال ، فمن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه ، خلق الليل لتسكن فيه العروق الفاترة التي أتعبت في نهارك ، و تستغفر لذنبك الذي كسبته بالنهار ^(٤) ثم لاتعود فيه ، و تقف فيه فنوت الصابرين ، فثلث تنام ، و ثلث تقوم ، و ثلث تضرع ^(٥) إلى ربك ، فهذا

(١) عبد الله بن مغفل - بمعجمة وفاء كمظم - هو عبد الله بن مغفل بن عبد غنم - وقيل عبد نهم - بن عفيف ابن اسحم المزني قال في اسد الغابة (٣ ، ٢٦٤) كان من اصحاب الشجرة يكنى أباسعيد ، وقيل أبو عبد الرحمن ، و قيل أبو زياد ، سكن المدينة ثم تحول الى البصرة وابتنى بها داراً قرب الجامع ، وكان من البكائين الذين أنزل الله عز وجل فيهم « ولاعلى الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لأجدا ما أحملكم عليه ولوا وأعنيهم . تفيض من الدمع - الاية - » ، وكان أحد المشرة الذين بعثهم عمر الى البصرة يفقهون الناس (انتهى) توفي بالبصرة سنة (٥٩) وقيل سنة (٦٠) أيام أماراة ابن زياد بالبصرة ، وصلى عليه ابو برزة الاسلمي بوصيه منه بذلك .

(٢) في المصدر ، آيات الله .

(٣) في المصدر ، انزل الله .

(٤) في المصدر ، في النهار .

(٥) في المصدر ، تتضرع .

ماخلق له الليل . و خلق النهار لتؤدّي فيه الصلاة المفروضة التي عنها تسأل و بها تخاطب^(١) ، و تبرّ والديك ، و أن تضرب في الأرض تبتي المعيشة معيشة يومك و أن تعودوا فيه ولياً لله كيما يتعمّدكم الله برحمته ، و أن تشيعوا فيه جنازة كيما تتقلبوا مغفوراً لكم ، و أن تأمروا بمعروف ، و أن تنهوا عن منكر ، فهو ذروة الإيمان وقوام الدين ، و أن تجاهدوا في سبيل الله تراحوا إبراهيم خليل الرحمن في قبته ، و من مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الحصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماء عند مليك مقتدر^(٢) .

بيان : قال في النهاية : فيه : كانت في المسجد جراثيم أي كان فيها أما كن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أوطین^(٣) .

٣٩ - الدر المنثور : عن ابن مسعود ، في قوله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك^(٤) » قال : طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين ، ثم قرأ « و جمع الشمس والقمر^(٥) » .

٤ - و عن حذيفة قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال : تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين ، فيقوم الذين كانوا يصلّون فيها فيعملون كما كانوا يعملون والنجوم مكانها لا تسري ، ثم يأتون فرشهم فيرقدون حتى تكل جنوبهم ، ثم يقومون فيصلّون حتى ينطاول عليهم الليل فيفزع الناس فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذا هي طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم . و روى مثله عن قتادة^(٦) .

(١) في المصدر ، تحاسب .

(٢) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٥٦ .

(٣) النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٤) الانعام : ١٥٨ .

(٥) القيامة : ٩ - الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٥٧ .

(٦) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٧ . وعبارة المصدر مضطربة والظاهران عبارة المتنيتين

٤١ - و عن ابن عباس و في روايته : آية تلمكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال (١) .

٤٢ - و عن أبي ذر - ره - قال : كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار عليه برذعة (٢) أوقطيفة وذاك عند غروب الشمس ، فقال : يا باذر أنتدري أين تغيب هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تغرب في عين حائمة (٣) تنطلق حتى تحرق لربها ساجدة تحت العرش ، فإذا حان خروجها أذن لها فتخرج فتطلع ، فإذا أراد الله أن يطلعها من حيث تغرب حبسها فتقول : يا رب إن مسيرى بعيد ، فيقول لها اطلعي من حيث غربت ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (٤) .

٤٣ - وعن عبدالله بن أوفى (٥) ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لياثين على الناس ليلة بقدر ثلاث ليال من لياثيكم هذه ، فإذا كان ذلك يعرفها المصلون يقوم أحدكم (٦) فيقرأ حزبه ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ، ثم يقوم فبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم في بعض فقالوا : ما هذا : فيفزعون إلى المساجد فإذاهم بالشمس قد طلعت من مغربها ، فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت

(١) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٥٨ .

(٢) البرذعة : بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الذال المعجمة والعين المهملة - قال في الصحاح (٣ - ١١٨٤) هو المجلس الذي يلقي تحت الرحل ، و قال في المنجد ، البرذعة - بالذال المهملة - والبرذعة - بالمعجمة - كساء يلقي على ظهر الدابة .

(٣) في المصدر : حمئة

(٤) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٥) كذا ، والصحيح « عبدالله بن أبي أوفى » أبو إبراهيم صحابي وابن صحابي ، واسم أبيه علقمة بن خالد بن الحارث بن أسيد الاسلمي ، قال في تهذيب الاسماء ، شهد بيعة الرضوان وخير وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل بالمدينة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تحول إلى الكوفة وهو آخر من بقى من الصحابة بالكوفة (انتهى) مات سنة (٨٤) و قيل (٨٧) .

(٦) في المصدر « أحدهم » وهو الصحيح .

في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها ، وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها ^(١) .
 ٤٤ - وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال : إن الشمس و القمر و النجوم
 خلقن من نور العرش ^(٢) .

٤٥ - وعن السدي ^(٣) في قوله تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
 نوراً » ^(٤) قال : لم يجعل الشمس كهيئة القمر لكي ^(٥) يعرف الليل من النهار ، و
 هو قوله « فمحونا آية الليل » ^(٦) الآية ^(٧) .

٤٦ - وعن ابن عباس قال : وجوههما إلى السماوات ، و أقفيتهما إلى
 الأرض ^(٨) ،

٤٧ - وعن أبي ذر - ره - قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب
 الشمس ، فقال : يا باذر ^(٩) أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال :
 إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن في الرجوع ، فيؤذن لها ، فذلك قوله
 « والشمس تجري لمستقر لها » ^(١٠) .

٤٨ - وعن ابن عباس أنه كان يقرأ « لامستقر لها » ^(١١) .

٤٩ - وعن ابن عباس « رب المشرقين و رب المغربين » ^(١٢) قال : للشمس
 مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء . و مطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها

(١) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

(٢) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٣) بضم السين وتشديد الدال المهملتين ، منسوب الى سدة مسجد الكوفة .

(٤) يونس ، ٥١ .

(٥) في المصدر : كي .

(٦) الاسراء : ١٢ .

(٧) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٩) في المصدر ، يا باذر .

(١٠) يس ، ٣٨ .

(١١) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٢٦٣ .

(١٢) الرحمن : ١٧ .

في الشتاء وغير مغربها في الشتاء^(١) .

٥٠ - وفي رواية أخرى عنه قال: مشرق الفجر^(٢) ومشرق الشمس، ومغرب

الشمس ومغرب الشفق^(٣) .

٥١ - و عنه أيضاً في قوله تعالى « فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب » قال :

للشمس كل يوم مطلع تطلع فيه^(٤) و مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالأندلس و غير مغربها بالأندلس^(٥) .

٥٢ - وعن عكرمة قال : هي المنازل التي تجري فيها الشمس والقمر^(٦) .

٥٣ - وعن ابن عباس في قوله « و جعل القمر فيهنّ نوراً^(٧) » قال : وجهه يضيئ السماوات و ظهره يضيئ الأرض^(٨) .

٥٤ - وعن شهر بن حوشب قال : اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص و كعب الأحبار وقد كان بينهما بعض العتب ، فتعاتبا فذهب ذلك ، فقال عبد الله بن عمرو للكعب : سلمي عما شئت فلا تسألني عن شيء ، إلا أخبرتك بتصديق قلبي من القرآن ! فقال له : رأيت ضوء الشمس و القمر أهو في السماوات السبع كما هو في الأرض ؟ قال : نعم ، ألم تروا إلى قول الله « خلق سبع سماوات طباقاً و جعل القمر فيهنّ نوراً^(٩) » .

٥٥ - وعن ابن عباس قال : وجهه في السماء إلى العرش وقفاه إلى الأرض^(١٠) .

٥٦ - وعن عكرمة قال : إنّه يضيئ نور القمر فيهنّ كلّهنّ ، كما لو كان سبع

(١) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١٤٢ .

(٢) في المصدر ، مشرق النجم ومشرق الشفق « وربّ المغربين » قال مغرب ...

(٣) منه (خ) .

(٤) (٥) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦٧ .

(٧) نوح ، ١٦٠ .

(٨) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦٨ .

(٩) (١٠) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٦٩ .

زجاجات أسفل منهن شهاب أضأ كلهن ، فكذلك نور القمر في السماوات كلهن لصفائهن^(١) .

٥٧ - وعن ابن عباس في قوله « وجعل القمر فيهن نوراً ، قال : خلق فيهن حين خلقهن ضياء لأهل الأرض ، وليس في السماء من ضوئه شيء^(٢) .

٥٨ - وعن عطاء في قوله « وجمع الشمس والقمر » قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان^(٣) فيكون نار الله الكبرى^(٤) .

٥٩ - وعن ابن جريح قال : كوّرا يوم القيامة^(٥) .

٦٠ - العلل و العيون : في خبر الشامي عن الرضا عليه السلام أنه سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فكان فيما سألته أن سألته عن أول ما خلق الله تعالى قال : خلق النور ، وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما ، قال : تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ^(٦) .

بيان : أقول تمامه في كتاب الاحتجاج ، وقال السيد الداماد - ره - بعد إيراد الخبر بتمامه : إنما هذه السؤالات عن أشياء وجدها السائلون من أهل الكتاب في الكتب السماوية المنزلة على أنبيائهم ، فامتحنوا بها أمير المؤمنين عليه السلام واختبروا بها علمه بالكتب الإلهية والصحف السماوية ، وقوله عليه السلام « أول ما خلق الله النور ، المعني به الجوهر المفارق الذي هو أول الأنوار العقلية كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله « أول ما خلق الله العقل » وأما قوله عليه السلام « تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ » قال : المعني به مكعب تسعمائة فرسخ أي سبعمائة ألف ألف فرسخ وتسعة وعشرون ألف فرسخ المجتمع من ضرب تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ثم ضرب تسعمائة فرسخ في مربعها الحاصل من ضربها في نفسها أي في ثمانمائة ألف فرسخ وعشرة

(١ و ٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٦٩

(٣) في المصدر ، فيذفان في البحر .

(٤ و ٥) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٨٨ .

(٦) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، العيون : ج ١ ، ص ٢٤٠ .

آلاف فرسخ - والذي رماه بطول الشمس وعرضها المتساويين هو مساحة جميع سطحها المستدير المحيط بجرمها ، وكذلك ما يرام بطول القمر وعرضه وليعلم أن ما نالته الحكماء التعليميون ببراينهم وأرصادهم وحصلته العلماء الرياضيون بحسبهم وحساباتهم في مقادير الأبعاد والأجرام قد اختلف مذاهبهم فيه اختلافاً كثيراً ، وذلك إما لاختلافات في الآلات الرصدية ، أو لخلل وزلل في نصبها في مناصبها اللائقة ، وإما لمساومات قلّ ما تخلو عنها حسابات الحاسبين ، ومساومات قلّ ما تعرف عنها أرصاد الراصدين ، فلذلك كلّه ما قد اختلف أحكام الأرصاد ، وعزّ ما يتفق رصدان متفقان وبالجملة فاذ قد أقرّت الجماهير أن بحث الأوائل أوفى فاعلم أن بطليموس ومن في طبقته من الأوائل وجدوا بأرصادهم حصّة درجة واحدة من الدائرة العظمى تقع على سطح الأرض اثنين وعشرين فرسخاً وتسع فرسخ ، فحكموا أن ثلاثمائة وستين درجة وهي محيط الدائرة العظمى الأرضية ثمانية آلاف فرسخ ، وقد بين أرشميدس في مقالته في مساحة الدائرة أن محيط كلّ دائرة كمجموع ثلاثه أمثال قطر ها وسبع قطرها على التقريب ، فيكون مقدار قطر الأرض ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً ، وقد بين فيها أيضاً أن مسطح نصف القطر في نصف المحيط مساو لتكسير الدائرة ، فتستبين بقوة الخامس والعشرين من أولى كتاب الكرة و الأسطوانة لأرشميدس أن السطح الذي يحيط به قطر الكرة في المحيط أعظم دائرة تقع فيها مساو للسطح المحيط بالكرة ، فإذا ضربت القطر في محيط الدائرة العظمى حصل تكسير سطح الأرض وهو عشرون ألف ألف فرسخ وثلاثمائة وثلاثة وستون ألف فرسخ وستمائة وستة وثلاثون فرسخاً وأربعة أجزاء من أحد عشر جزء من فرسخ ، ووجدوا قطر الأرض مثل قطر جرم القمر ثلاث مرّات وخمسي مرّة فيكون مقدار جرم قطر القمر سبعمائة فرسخ وسبعة وأربعين فرسخاً بالتقريب فمحيط دائرة عظمى قمرية ألفان وثلاثمائة فرسخ واحد وأربعون فرسخاً ونصف فرسخ على التقريب ، فمساحة جميع سطح القمر ألف ألف فرسخ وسبعمائة ألف فرسخ وثلاثة وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة فرسخ وخمسة وأربعون فرسخاً ، ووجدوا قطر

جرم الشمس خمسة أمثال ونصف مثل لقطر الأرض ، إذا كانوا وجدوا قطر الشمس بنسبته إلى قطر الأرض كمجموع ثمانية عشر جزء وأربعة أخماس جزء بالنسبة إلى مجموع ثلاثة أجزاء وخمسي جزء ، فخرج لهم من بعد القسمة خمسة ونصف ، فمقدار قطر الشمس أربعة عشر ألف فرسخ إلا فرسخين ونصف فرسخ ، فمحيط دائرة عظمى على جرم الشمس أربعة : أربعون ألف فرسخ تقريباً قريباً من التحقيق على ذلك التقدير . فمساحة سطح جرم الشمس بناءً على ذلك ستمائة ألف ألف فرسخ وستة عشر ألف ألف فرسخ ، ومجموع مساحة سطح الشمس والقمر جميعاً ستمائة ألف ألف فرسخ وسبعة عشر ألف ألف فرسخ وسبعمائة ألف فرسخ وثلاثة وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة فرسخ وخمسة وأربعون فرسخاً ، واستخرجوا بحسبهم على ما قد استحصلته أرساذهم أن من الأرض إلى بعد الشمس الأوسط ألف ألف فرسخ وسبعة وثلاثين ألف فرسخ وثلثمائة فرسخ وأحداً وثمانين فرسخاً بالتقريب ، وأن الشمس مائة وستة وستون مثلاً وربع وثمان مثل للأرض وستة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون مثلاً للقمر ، وأن الأرض تسعة وثلثون مثلاً وربع مثل للقمر . وقال قطب فلك التحصيل والتحقيق من العلماء المشهورة الجمهورية في طبيعيات كتاب «درة الناج» ، أن الحكيم الفاضل مؤيد الدين العرضي حقق الأمر تحقيقاً لم يسبقه إليه أحد ولم يلحقه أحد ، و فيما نقل عنه أن جرم الشمس مائة وسبعة وستون مثلاً لجرم الأرض ، وجرم الأرض أربعون مثلاً لجرم القمر ، ثم إن هؤلاء الراصدين الحاسبين جعلوا البعد الأبعد لكل كوكب البعد الأقرب للكوكب الذي فوقه ، وكان من الواجب أن يجعل بعد محدب كل فلك بعد مقعر الفلك الذي فوقه ، لكنهم لم يعتبروا أنصاف أقطار الكواكب وثنج جوزهر القمر وما يبقى من متم عطارد بين أقرب أبعاده ومقعر فلكه ، إذ لم يكن غرضهم الأصلي إلا الاطلاع على عظم هذه الأجرام الشريفة على الإجمال ، ليعلم أن قدرة مبدعها جلّت عظمتها على أقصى غايات الكمال ، لاستثبات معرفتها للذهن البشري على طباق مافي العين ، فإن عقول الحكماء وأفهام العقلاء لاتصادف ولا تلقى إلا راجعة عن ذلك بخفتي حنين

فلذلك تراهم يتساهلون كثيراً في الحساب مع أن إهمال ثانية واحدة يفضي إلى التباعد بمراحل عن الصواب ، ولقد أورد عليهم أن المسافة على مافي المجسطي وما في مرتبته بين محدب الفلك المائل للقمر ومقدّر فلك الشمس ليست تُسح تخني فلك الزهرة وعطار فضلاً من أن يسعها ما بين محدب جوزهر القمر ومقدّر فلك الشمس والحق أن ذلك إنما نشأ من المساهلة في الحساب بإهمال الكسور وما يسير مسيره ويجري مجراه ، فالراصد الفاضل الحاسب المهندس الكاشاني قد تشمّر محل الإشكال في رسالة « سلم السماء » باستئناف الحساب على سبيل الاستقصاء من غير إهمال الثواني بل الثوانث ، و أورد قطر جرم القمر على أنه سبعمائة وأحد و ثلاثون فرسخاً ، و الصواب فيه ما أثبتناه ، وقطر الشمس سبعة عشر ألف و خمسمائة و ثمانية و ثلاثين فرسخاً على أنه سبعة أمثال قطر الأرض إلّا عشر مثل تقريباً ، والذي يوجه الاستقصاء أنه مثل قطر الأرض ستّ مرّات وخمسة أسداس مرّة ونصف عشر مرّة ، و جرم القمر على أنه كجزء من اثنين وأربعين جزء و سدس جزء من الأرض ، و الأحقّ فيه استبدال خمس مكان سدس . و جرم الشمس على أنها ثلاثمائة و ستّة و عشرون مثلاً للأرض ، والأحقّ في ذلك و خمس مثل أيضاً تقريباً . و إذا علم ذلك فليعلم أن ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في جواب سؤال الشامي : إنما هو على مطابقة الشائع المعتبر الذي اعتبرته الأوائل من الحكماء اليونانيين ، ثم استمرّ شيوعاً و استقرّ اعتباراً في العصور والدهور إلى هذه السنين الأخيرة ، لكنّه لم يتساهل في الحساب ولم يهمل اعتبار الكسور ، فعمله عليه السلام اعتبر قطر الأرض أكثر ممّا هو المشهور بشيء يسير ، أو أنه عليه السلام اعتبر قطر الشمس ستّة أمثال قطر الأرض كثمانية عشر بالنسبة إلى خمسة ، و هم قد اعتبروه بالنسبة إليه كثمانية عشر جزء و أربعة أخماس جزء بالنسبة إلى ثلاثة أجزاء وخمسين جزء ، وبالجمله على ما قاله عليه السلام يجب أن يؤخذ قطر الشمس على أنه خمسة عشر ألفاً و مائتا فرسخ تقريباً ، و محيط دائرة عظمى شمسيّة على أنه سبعة و أربعون ألفاً و سبعمائة فرسخ وأحد وسبعون فرسخاً ونصف

فرسخ تقريباً ليس هو على البعد من التحقيق ، فإذن يكون مجموع مضروب قطرها في محيط عظامها و هو مساحة جميع سطحها ما آتيناك في مساحة جميع سطح القمر مساوياً لمكعب تسعمائة فرسخ على التقريب القريب من التحقيق جداً والله سبحانه أعلم بأسرار كلام عبده ووليّه ، وأخي رسوله و وصيّّه ، و باب علمه وعيبة حكمته ، ولو رام رائم أن يتعرف سبيل الجواب على الاستقصاء الذي تولاه الراصد الحاسب الكاشي على سبيل التقريب قيل له ألف في تسعمائة ثم في حاصل الضرب .

وأقول : ذهب بخفّي حنين مثل سائر في خيبة الإنسان عما يرجوه . و قال الجوهري : قال ابن السكيت عن أبي اليقظان كان حنين رجلاً شديداً ادّعى على أسد بن هاشم بن عبد مناف ، فأتى عبد المطلب وعليه خفّان أحمران ، فقال : يا عم أنا ابن أسد بن هاشم ، فقال عبد المطلب : لا وثياب هاشم ! ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع . فقالوا « ذهب حنين بخفيّه » فصار مثلاً ، و قال غيره : هو اسم « إسكاف » من أهل الحيرة ، ساومه أعرابي بخفين فلم يشتره ، فغاضه ذلك وعلق أحد الخفين في طريقه ، فتقدّم فطرح الآخر وكمن له ، و جاء الأعرابي فرأى أحد الخفين فقال : ما أشبه هذا بخفّ حنين ! لو كان معه آخر لاشتريته . فتقدّم فرأى الخف الثاني مطروحاً في الطريق ، فنزل وعقل بعيره ورجع إلى الأول ، فذهب الإسكاف براحلته وجاء إلى الحي بخفّي حنين .



١٠

﴿ باب ﴾

﴿ علم النجوم و العمل به و حال المنجمين ﴾

الآيات :

الصفات : فنظر نظرة في النجوم فقال إنني سقيم ^(١) .

تفسير : استشكل السيد المرتضى - ره - في كتاب « تنزيه الأنبياء » في هذه الآية بوجهين : أحدهما أنه حكى عن نبيه النظر في النجوم ، و عندكم أن الذي يفعله المنجمون في ذلك ضلال . و الآخر قوله « إنني سقيم » و ذلك كذب . ثم أجاب بوجوه :

الاول : أن إبراهيم عليه السلام كانت به علة تأتية في أوقات مخصوصة ، فلمّا دعوه إلى الخروج معهم نظر إلى النجوم ليعرف منها قرب نوبة علته ، فقال إنني سقيم وأراد أنه حضر وقت العلة و زمان نوبتها ، و شارفت الدخول فيها ، و قد تسمي العرب المشارف للشئ باسم الداخل فيه ، كما قال تعالى « إنك ميت و إنهم ميّتون » ^(٢) .

فان قيل : لو أراد ما ذكرتموه لقال فنظر إلى النجوم . لأن لفظة « في » لا تستعمل إلا فيمن ينظر كما ينظر المنجم .

قلنا : حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، قال سبحانه « ولا صلبنكم في جذوع النخل » ^(٣) و إنما أراد على جذوعها .

الثاني : أنه يجوز أن يكون الله أعلمه بالوحي أنه سيمحنه بالمرض في وقت مستقبل ، و إن لم يكن قد جرت بذلك المرض عادته ، وجعل تعالى العلامة على ذلك

(١) الصفات ، ٨٨ .

(٢) الزمر : ٣٠ .

(٣) الاعراف ، ١٢٣ -

ظاهراً له من قبل النجوم ، إمّا لطلوع نجم على وجه مخصوص أو اقترانه بآخر ، فلمّا نظر إبراهيم عليه السلام في الأمانة التي نصبت له من النجوم قال إنّي سقيم تصديقاً لما أخبره الله تعالى .

الثالث : ما قاله قوم في ذلك أن من كان آخر أمره الموت فهو سقيم ، وهذا لأن تشبيه الحياة المفضية إلى الموت بالسقم من أحسن التشبيه .

الرابع : أن يكون قوله إنّي سقيم معناه أنّي سقيم القلب أو الرأي ، خوفاً من إصرار قومه على عبادة الأصنام ، وهي لا تسمع ولا تبصر ، ويكون قوله « فنظر نظرة في النجوم » على هذا معناه أنّه نظر و فكر في أنّها محدثة مدبرة مصرفة ، و عجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حين يعبدونها و يجوز أيضاً أن يكون قوله « فنظر نظرة في النجوم » معناه أنّه شخص ببصره إلى السماء كما يفعل المفكر المتأمل ، فإنّه ربما أشرق إلى الأرض وربما نظر إلى السماء استعانة على فكره وقد قيل : إنّ النجوم ههنا نجوم النبت ، لأنّه يقال لكل ما خرج من الأرض و غيرها وطلع : أنّه ناجم و نجم ، ويقال للجميع نجوم ، و يقولون : نجم قرن الطي و نجم ثدي المرأة ، و على هذا الوجه يكون إنّما نظر في حال الفكر و الإطراق إلى الأرض ، فرأى ما نجم منها و قيل أيضاً إنّّه أراد بالنجوم ما نجم له من رأيه و ظهر له بعد أن لم يكن ظاهراً ، وهذا و إن كان يحتمله الكلام فالظاهر بخلافه ، لأنّ الإطلاق في قول القائل « نجوم » لا يفهم من ظاهره إلّا نجوم السماء دون نجوم الأرض و نجوم الرأي ، وقال أبو مسلم الإصفهاني : إنّ معنى قوله « فنظر نظرة في النجوم » أراد في القمر والشمس لما ظن أنّهما آلهة في حال مهلة النظر على ما قصّه الله تعالى من قصته في سورة الأنعام ، و لما استدلّ بأفولها و غروبها على أنّها محدثة غير قديمة ولا آلهة ، و أراد بقوله « إنّي سقيم » أنّي لست على يقين من الأمر ولا شفاء من العلم ، وقد يسمّى الشك بأنّه سقم كما يسمّى العلم بأنّه شفاء . ثمّ اعترض عليه بأنّه مخالف لسياق الآيات (انتهى ملخص كلامه) .

و أقول : يمكن أن يقال إنّ حرمة النظر في النجوم على الأنبياء والأئمة

العلمين بها حق العلم غير مسلم ، وإنما يحرم على غيرهم لعدم إحاطتهم بذلك و نقص علمهم كما ستعرف عند شرح الأخبار .

١ - الاحتجاج : عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه ، فردّ أبو عبد الله عليه السلام . فقال له : مرحباً يا سعد . فقال له الرجل : بهذا الاسم سمّيتني أمّي ، و ما أقلّ من يعرفني به . فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت يا سعد المولى ، فقال الرجل : جعلت فداك بهذا ^(١) كنت ألقّب . فقال أبو عبد الله عليه السلام : لاخير في اللقب ، إن الله تبارك و تعالى يقول في كتابه « ولا تنازوا بالألقاب بنسب الاسم الفسوق بعد الايمان ^(٢) » ما صناعتك يا سعد ؟ فقال : جعلت فداك أنا من ^(٣) أهل بيت ننظر في النجوم ، لا يقال إن باليمن أحداً أعلم بالنجوم منّا . فقال أبو عبد الله عليه السلام : فكم ضوء المشتري ^(٤) على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ^(٥) فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الاب ، فقال اليماني : لا أدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت في قولك لا أدري فما زحل عندكم في النجوم ؟ فقال اليماني : نجم نحس ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : لا تقل هذا ، فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام و هو نجم الأوصياء عليهم السلام و هو النجم الثاقب الذي قال الله في كتابه . فقال اليماني : فما معنى الثاقب ؟ فقال : إن مطلعته في

(١) في المصدر ، بهذا اللقب .

(٢) الحجرات : ١١ .

(٣) في المصدر ، إنا أهل بيت .

(٤) في المصدر ، فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة ؟

(٥) في المصدر ، فكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة ؟ قال اليماني ، لا أدري

قال أبو عبد الله صدقت .

السماء السابعة ، فإنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السماء الدنيا ، فمن ثمّ سمّاه الله النجم الثاقب ، ثمّ قال : يا أخا العرب ! عندكم عالم ؟ قال اليماني : نعم جعلت فداك ، إنّ باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم ! فقال أبو عبد الله عليه السلام : وما يبلغ من علم علمهم ؟ قال ^(١) اليماني : إنّ عالمهم ليزجر الطير و يقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحدث المجدّد فقال أبو عبد الله عليه السلام : فإنّ عالم المدينة أعلم من عالم اليمن قال اليماني : وما يبلغ من علم عالم المدينة ؟ قال عليه السلام : إنّ علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الأثر ولا يزجر الطير و يعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً ، و اثني عشر برّاً و اثني عشر بحراً ، و اثني عشر عالماً ! فقال له اليماني : ما ظننت أنّ أحداً يعلم هذا و ما يدري ما كنهه قال : ثمّ قام اليماني ^(٢) .

ايضاح : « لا خير في اللقب » أي في الألقاب الرديّة ، و ذكره عليه السلام كان لبيان الإعجاز ، أو المنهيّ عنه التنايز بها أو لا ، فأما بعد الاشتهاق فلا بأس للتعريف و غيره . « هاجت الإبل » أي للسفاد ، قال الجوهري : الهائج الفحل الذي يشتبه بالضراب ^(٣) (انتهى) و زجر الطير : الحكم بصياحها و طيرانها على الحوادث تفوّلاً و تشوّماً ، قال الجزري : الزجر للطير هو التيمّن و التشوّم [بها و التّفوّل] بطيرانها كالسائح و البارح و هو نوع من الكهانة و العيافة ^(٤) (انتهى) و المراد بقفو الأثر إمّا ما كان شائعاً عند العرب من الاستدلال برؤية أثر القدم على تعيين الذهاب و أنّه إلى أين ذهب كما فعلوا ليلة الغار ، أو الاستدلال بالعلامات والآثار والأوضاع الفلكيّة على الحوادث ، وقوله « في ساعة واحدة مسيرة شهر » أي يحكم في ساعة واحدة بتلك الأمور على حدوث الحوادث في مسافة و ناحية تكون مسيرة

(١) في المصدر ، فقال .

(٢) الاحتجاج : ١٩٣ .

(٣) الصحاح : ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(٤) النهاية ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

شهر . قوله ﷺ « إلى أن لا يقفوا الاثر » أي لا يحتاج في علمه بالحوادث إلى تلك الأمور ، بل يعلم في لحظة واحدة بما أعطاه الله من العلم ما يقع فيما تطلع عليه الشمس وتقطعه ، وهي مقدار اثني عشر برجاً في السماء في يوم ، أو أصل البروج في سنة واثني عشر نوعاً من أنواع البراري و بحراً من أنواع البحور ، واثني عشر عالماً من أصناف الخلق كما مرّ و منها جابلقا و جابر سا ، فلظة « ما » زائدة ، و يحتمل أن يكون المراد يعلم ما يحدث في اللحظة الواحدة في جميع تلك العوالم ، و يـ نمل أن يكون « يقطع » بالياء ، أي يقطع العالم تلك العوالم بعلمه ، أو بطي الأرض كما سيأتي .

٢ - الاحتجاج : عن سعيد بن جبیر ، قال : استقبل أمير المؤمنين ﷺ دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهئة : يا أمير المؤمنين ! تناحست النجوم الطالعات و تناحست السعود بالنحوس ، و إذا كان مثل هذا اليوم و جب على الحكيم الاختفاء و يومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كو كيان ، و انقذ من برجك النيران ، و ليس الحرب لك بمكان ! فقال أمير المؤمنين ﷺ و يحك يادهقان المنبىء بالآثار ، المحذر من الأقدار ، ما قصة صاحب الميزان و قصة صاحب السرطان ؟ و كم المطالع من الأسد و الساعات من (١) المحرّكات ؟ و كم بين السراي و الداراي ؟ قال : سأنظر و أوماً بيده إلى كمنه و أخرج منه أسطراً لا بآ ينظر فيه فتبسّم ﷺ فقال : أتدري ما حدث البارحة ؟ وقع بيت بالصين ، و انفرج برج ماجين ، و سقط سور سرانديب و انهزم بطريق الروم بأرمينية ، و فقد ديتان اليهود بأيلة ، و هاج النمل بوادي النمل و هلك ملك إفريقية ، أكنت عالماً بهذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : البارحة سعد سبعون ألف عالم ، و ولد في كل عالم سبعون ألفاً ، و الليلة يموت مثلهم و هذا منهم ، و أوماً بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي ، و كان جاسوساً للخوارج في عسكر أمير المؤمنين ﷺ فظن الملعون أنه يقول « خذوه » فأخذ بتفسد فمات ، فخر الدهقان ساجداً ، فقال أمير المؤمنين ﷺ ألم أروك من عين التوفيق ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين

فقال ^(١) : أنا وصاحبي لا شرقي ^(٢) ولا غربي ، نحن ناشئة القطب ، وأعلام الفلك أما قولك « انقده من برجك النيران » فكان الواجب ^(٣) أن تحكم به لي لا علي أما نوره وضياؤه فعندي ، وأما حريقه ولهبه فذهب ^(٤) عني ، فهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسباً ^(٥) .

بيان : « ما قصة صاحب الميزان » أي الكواكب التي الآن في برج الميزان أو الكواكب المتعلقة بتلك البرج المناسبة لها ، وكذا صاحب السرطان « وكم المطالع من الأسد » أي كم طلع من ذلك البرج الآن ؟ « والساعات » أي كم مضى من الساعات من طلوع سائر المتحرّكات ، ولعل المراد بالسراي الكواكب الخفية ، تشبيهاً لها بالسريّة ، والداري الكواكب الكبيرة المضيئة أو اصطلاحاً في الكواكب لا يعرفها المنجمون ، والغرض أنه لو كان هذا العلم حقاً فثمة يمكن الحكم به بعد الإحاطة بجميع أوضاع الكواكب وأحوالها وخواصها في كل آن وزمان ، والمنجمون لم يرصدوا من الكواكب إلا أقلها ، ومناطق أحكامهم أوضاع السيارات فقط مع عدم إحاطتهم بأحوال تلك أيضاً ، ثم نبّه عليه السلام على عدم إحاطته بذلك العلم ، وأعدم كفايته للعلم بالحوادث بكثير من الأمور الحادثة . وفي القاموس : البطريق ككبريت القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ^(٦) (انتهى) وديان اليهود عالمهم ، وفي بعض النسخ بالنون جمع « دن » وهو الحب العظيم ، وصاحبي أي النبي ﷺ « لا شرقي ولا غربي » إيماء إلى قوله سبحانه « لا شرقية ولا غربية » ^(٧) والغرض : لسنا كسائر الناس

(١) في المصدر ، فقال امير المؤمنين عليه السلام .

(٢) > لا شرقيون ولا غربيون .

(٣) > فكان الواجب عليك .

(٤) > فذهاب .

(٥) الاحتجاج : ١٢٥ .

(٦) القاموس ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

(٧) النور ، ٣٥ .

حتى تحكم علينا بأحكامهم كالنجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء والأشراف فإننا فوق ذلك كله «نحن ناشئة القطب» أي الفرقة الناشئة المنسوبة إلى القطب . أي حقيقة لثباتهم واستقرارهم في درجات العز والكمال ، أو كناية عن أنهم عليهم السلام غير منسوين إلى الفلك والكواكب ، بل هي منسوبة إليهم وسعادتها بسببهم ، وأنهم قطب الفلك ، إذ الفلك يدور ببركتهم ، وهم أعلام الفلك بهم يتزيّن ويتبرك ويسعد . ثم ألزم عليه السلام عليه في قوله «انقذ من برجك النيران» بأن للنار جهنم : جهة نور ، وجهة إحراق ، فنورها لنا وإحراقها على عدونا ، و يحتمل أن يكون المراد به أن الله يدفع ضررها عنا بتوسلنا به تعالى وتوكلنا عليه «فهذه مسألة عميقة» أي كوننا ممتازين عن سائر الخلق في الأحكام ، أو كون النيران خيراً لنا وشرّاً لعدونا ، أو أن التوسل والدعاء يدفع النحوس والبلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومك وحسابك ، و يبطل جميع ما تظن من ذلك .

٣ - الاحتجاج : عن هشام بن الحكم ، قال سأل الزنديق أباعبد الله عليه السلام فقال : ما تقول فيمن زعم أن هذا التدبير الذي يظهر في هذا ^(١) العالم تدبير النجوم السبعة ؟ قال عليه السلام : يحتاجون إلى دليل أن هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك ، وتدور حيث دارت ، متعبة لا تقتر ، وسائرة لا تقف . ثم قال : وإن كل نجم منها موكل مدبر ، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين ، فلو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال . قال : فما تقول في علم النجوم ؟ قال : هو علم قلت منافع وكثرت مضراته ، لأنه لا يدفع به المقدور ولا يتقى به المحذور ، إن أخبر المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز من القضاء ، وإن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله ، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه ، والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه أنه يردّ قضاء الله عن خلقه (الخبر) ^(٢) .

٤ - مجالس الصدوق : عن محمد بن علي ماجيلويه ، عن محمد بن أبي القاسم

(١) في المصدر : في العالم .

(٢) الاحتجاج ، ١٩١ .

عن محمد بن عليّ القرشيّ عن نصر بن مزاحم ، عن عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحرر ، قال : لما أراد الله أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجّم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ولم ذاك ؟ قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضرّ شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت وظهرت وأصبحت كلّما طلبت ! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : تدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم أنثى ! قال : إن حسبت علمت : قال له أمير المؤمنين عليه السلام : من صدّقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن ، قال الله تعالى « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأيّ أرض تموت » إن الله عليم خبير ^(١) ، ما كان محمد عليه السلام يدعي ما دّعت ، أنزع أم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء و الساعة التي من سار فيها حاق به الضر ؟ ! من صدّقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عزّ وجلّ في ذلك الوجه ، وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه ، وينبغي له أن يوليكَ الحمد دون ربّه عزّ وجلّ فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله ندّاً وضدّاً . ثمّ قال عليه السلام : اللهم لا طير إلّا طيرك ، ولا ضير إلّا ضيرك ، ولا خير إلّا خيرك ، ولا إلّه غيرك . بل نكذبك ونخالقك ونسير في الساعة التي نهيت عنها .

بيان : « فقال له » روي أنّ هذا القائل كان عفيف بن قيس أخا الأشعث ، و كان يتعاطى علم النجوم . ويقال « ظفر بمطلوبه » كفرح أي فاز . « أنزع » أي تقول وأكثر ما يستعمل في الباطل والحديث الذي لامستد له « و حاق به الأمر » أي لزمه ونزل به ، والضرّ - بالضم - : سوء الحال « من صدّقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن » لا دعائه العلم الذي أخبر الله سبحانه أنّه مخصّ به ، إذ ظاهر قوله تعالى « عنده » الاختصاص . فإن قيل : فقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام بالخمسة المذكورة في الآية في مواطن كثيرة فكيف ذلك ؟ قلنا : المراد أنّه لا يعلمها أحد بغير

تعليمه سبحانه ، وما أخبروه من ذلك فإِنَّمَا كَانَ بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ أَوَّالَتَعْلَمُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِي عَلَّمَهُ بِالْوَحْيِ . لا يقال : علم النجوم أيضاً من هذا القبيل لما سيأتي من الأخبار الدالة على أن له أصلاً وأنه مما علَّمه الله أنبياءه فكيف يكون تصديق المنجّم تكذيباً للقرآن ؟ لأننا نقول : الذي سيظهر من الأخبار أن نوعاً من هذا العلم حقّ يعلمه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام و أما أن مافي أيدي الناس من ذلك فلا كما سنبينه .

« أن يوليئك الحمد » على بناء الإفعال أو التفعيل ، أي يقرّبك من الحمد من الولي بمعنى القرب ، أو من قولهم « ولله الأمر عمل كذا » أي قلّده إياه ، أي يجعلك ولياً للحمد وأهلاً له ، أو من قولهم « أوليته معروفاً » أي أنعمت عليه . « لا طير إلا طيرك » الطير من الطيرة وهي التشوّم بالشيء ، أي لا تأثير للطيرة إلا طيرك أي قضاؤك و قدرك على المشاكلة ، ويدلّ على أن ضرر النجوم من جهة الطيرة ، و الضير : الضرر .

٦ - **الخصال** : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفّار عن العباس بن معروف عن الحسن بن عليّ بن فضال ، عن ظريف ^(١) بن ناصح عن أبي الحصين ^(٢) ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال : عند إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر ^(٣) .

بيان : يومئذ إلى أن الإيمان بالنجوم متضمّن للتكذيب بالقدر .

٦ - **الخصال** : عن أبيه ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن أبي الحسين الفارسيّ ، عن سليمان بن جعفر البصريّ ، عن عبد الله بن الحسين بن

(١) ظريف - بالطاء المعجمة وزان شريف - ابن ناصح بإيعاك الأكفان ، عده الشيخ من أصحاب الباقر عليه السلام ويوجد له الرواية عن الصادق عليها السلام أيضاً ، قال النجاشي (١٥٦) أصله كوفى نشأ ببغداد وكان ثقة في حديثه صدوقاً ، له كتب عنه ابنه الحسن .

(٢) في المصدر ، عن أبي الحصين .

(٣) الخصال : ٣٠ .

زيد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عن علي بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ : أربعة لا تزال في أمتي إلى يوم القيامة . الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب . والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . وإن النائحة إذالم تنب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب (١) .

بيان : الاستسقاء بالنجوم اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في نزول المطر .

٧ - الخصال : عن إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمارة ، عن سالم بن سالم وأبي عروبة معاً ، عن أبي الخطاب ، عن هارون بن مسلم ، عن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن الحسين بن علي بن الحسين قال : نهى رسول الله ﷺ عن خصال - إلى أن قال : - وعن النظر في النجوم (٢) .

ومنه : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الصفار ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن نصر (٣) بن قابوس ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : المنجم ملعون ، والكاهن ملعون ، والساحر ملعون ، والمغنيّة ملعونة ، ومن آواها وأكل كسبها ملعون . وقال عليه السلام : المنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار .

قال الصدوق - ره - : المنجم الملعون هو الذي يقول بقدوم الفلك ولا يقول بمفلكه وخالفه عز وجل (٤) .

٨ - البصائر : عن محمد بن عبد الله بن أحمد الرازي ، عن إسماعيل بن موسى

(١) الخصال ، ١٠٥ .

(٢) الخصال ، ٣٥ .

(٣) هو نصر بن قابوس اللخمي - بفتح اللام - القابوسي الكوفي ، عنه الشيخ من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، وقال النجاشي (٣٣٣) : روى عن أبي عبد الله و أبي إبراهيم و أبي الحسن الرضا عليهما السلام وكان دأمنزلة عندهم ، وقال الشيخ في كتاب النبية : وكان وكيلاً لأبي عبد الله عليه السلام عشرين سنة ولم يعلم أنه وكيل وكان خيراً فاضلاً ، و قال المفيد في الارشاد ، انه من خاصة الكاظم عليه السلام ومن ثقاته ومن اهل الورع والعلم والفقه من شيعته

(٤) الخصال ، ١٢٠ .

عن أبيه ، عن جده ، عن عمه عبد الصمد بن علي ، قال : دخل رجل على علي بن الحسين عليهما السلام فقال له علي بن الحسين : من أنت ؟ قال : أنا منجم ، قال : فأنت عراف ، قال : فنظر إليه ثم قال : هل أدلك على رجل قدمر مذخلت علينا في أربع عشر عاماً كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات لم يتحرك من مكانه ؟ قال : من هو ؟ قال : أنا ، وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما أدّخرت في بيتك .

بيان : قال في النهاية : فيه من أتى عرافاً أو كاهناً ، أراد بالعراف المنجم أو الحازي ^(١) الذي يدّعي علم الغيب وقد استأثر الله به ^(٢) (انتهى) وقال الطيبي في شرح المشكوة : هو قسم من الكهّان يستدل على معرفة المسروق والمضالة بكلام أو فعل أو حالة .

٩ - البصائر : عن محمد بن الحسين ، عن علي بن سعدان ^(٣) ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمير بن ^(٤) أبان الكلبي ، عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حيث دخل عليه رجل من علماء أهل اليمن ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا يمانى أفبكم علماء ؟ قال : نعم ، قال : فأني شيء يبلغ من علم علمائكم ؟ قال : إنه ليسير في ليلة واحدة مسيرة شهرين ، يزجر الطير ، ويقفو الآثار فقال له : فعالم المدينة أعلم من عالمكم ؟ قال : فأني شيء يبلغ من علم عالمكم بالمدينة ؟ قال : إنه يسير في صباح واحد مسيرة سنة كالشمس ^(٥) إذا أُمّرت ، إنها اليوم غير مأمورة ولكن إذا أُمّرت تقطع اثني عشر شمساً ، واثنى عشر قمراً واثنى عشر مشرقاً ، واثنى

(١) الحازي ، بالزاي وزان القاضى هو الذى يخمن الاشياء ويقدرها بظنه من خارج ومنجم وكاهن ، وقال فى الصحاح (٢٣١٢) الحازى الذى ينظر فى الاعضاء وفى خيلان الوجه يتكهن .
(٢) النهاية ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

(٣) كذا ، والظاهر انه مصنف « موسى بن سعدان » الحنات الكوفى واه اعلم .

(٤) كذا ، والصحيح « عمر بن أبان » قال النجاشى (٢١٩) عمر بن أبان الكلبي ابو- حفص مولى كوفى ثقة روى عن ابي عبداه عليه السلام ، وقال فى ترجمه ابنه اسماعيل ، روى ابو- عمر ، عن ابي عبداه وابى الحسن عليهما السلام .

(٥) للشمس (خ) .

عشر مغرباً ، واثنى عشر برّاً ، واثنى عشر بحرأ ، واثنى عشر عالماً قال ، فما بقي في يدي اليمانيّ فما درى ما يقول ، وكفّ أبو عبد الله عليه السلام .

١٠- ومنه : عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ^(١) ، عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن ، فقال له : يا أخا أهل اليمن عندكم علماء ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ من علم عالمكم ؟ قال : يسير في ليلة مسيرة شهرين ، يزجر الطير ، و يقفوا الأثر ! فقال أبو عبد الله عليه السلام : عالم المدينة أعلم من عالمكم ! قال : فما بلغ من علم عالم المدينة ؟ قال : يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا ، ما يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس ! قال : فيعرفونكم ؟ قال : نعم ، ما افترض عليهم إلّا ولايتنا والبراءة من عدوّنا .

١١ - المحاسن : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن سفيان بن عمر قال : كنت أنظر في النجوم فأعرفها وأعرف الطالع فيدخلني من ذلك ، فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال : إذا وقع في نفسك شيء فصدّق على أول مسكين ثم امض ، فإن الله عزّ وجلّ يدفع ^(٢) عنك ^(٣) .

بيان : « فيدخلني من ذلك » أي همّ أو حالة تمنعني عن التوجّه إلى عمل ، لما أطنّ من نحوسة الساعة ، ويدلّ على أن أثر نحس الكواكب والأوضاع أو تأثير التطيّر بها يزول بالصدقة .

١٢ - رسالة الاستخارات : للسيد بن طاووس قال : ذكر الشيخ الفاضل محمد بن عليّ بن محمد في كتاب له في العمل ما هذا الفظه : دعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام تقول له

(١) الظاهر انه منصور بن حازم البجلي ، وقال النجاشي (٣٢٣) منصور بن حازم ابو- ايوب البجلي كوفي ثقة عين صدوق من جملة اصحابنا وفقهائهم ، روى عن ابي عبد الله و ابي الحسن موسى عليهما السلام ، له كتب منها « اصول الشرائع » لطيف (انتهى) .

(٢) يرفع (خ) .

(٣) المحاسن ٣٣٩ .

بعد فراغك من صلاة الاستخارة تقول : اللهم إنك خلقت أقواماً يلجؤون إلى مطالع النجوم لأوقات حركاتهم وسكونهم و تصرفهم و عقدتهم و خلقتني أبرأ إليك من اللجأ إليها و من طلب الاختيارات بها ، و أتيقن أنك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها و لم تسهل له السبيل إلى تحصيل أفاعيلها ، و أنك قادر على نقلها في مداراتها في مسيرها على السعود العامة و الخاصة إلى النحوس ، و من النحوس الشاملة و المفردة إلى السعود ، لأنك تمحو ما تشاء و تثبت و عندك أم الكتاب ، و لأنها خلق من خلقتك ، و صنعة من صنعك ، و ما أسعدت من اعتمد على مخلوق مثله ، و استمد الاختيار لنفسه ، و هم أولئك ، و لا أشقيت من اعتمد على الخالق الذي أنت هو ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، و أسألك بما تملكه و تقدر عليه ، و أنت به مليء و عنه غني و إليه غير محتاج ، و به غير مكترث ، من الخيرة الجامعة للسلامة و العافية و الغنيمة لعبدك - إلى آخر الدعاء - . و قد أوردناه في أبواب الاستخارات .

بيان : « و عقدهم » أي عزمهم أو إيقاعهم العقود . و في النهاية : المليء بالهمز الثقة الغني ، و قد أولع الناس بترك الهمز و تشديد الياء ^(١) . و قال : ما أكرهت به أي ما أبالي .

١٣- النجوم : روينا بإسنادنا إلى الشيخ السعيد محمد بن رستم بن جرير الطبري الإمامي ^(٢) ، عن الحسين بن عبد الله الجرمي ، و محمد بن هارون التلعكبري ، عن محمد بن أحمد بن محروم ، عن أحمد بن القاسم ، عن يحيى بن عبد الرحمن ، عن علي بن صالح بن حي الكوفي ، عن زياد بن المنذر ، عن قيس بن سعد ، قال : كنت كثيراً أسأير أمير المؤمنين عليه السلام إذا سار إلى وجهه من الوجوه ، فلمّا قصد أهل النهروان

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص ١٠٥

(٢) كذا ، و الصحيح « محمد بن جرير بن رستم » و هو ابن جرير الطبري الشيعي منسوب إلى « طبرستان » و هي المعروفة الآن بـ «مازندران» من أعظم علمائنا الإمامية في المائة الرابعة ، صاحب كتاب « دلائل الإمامة » و « الايضاح » و « المسترشد » قال النجاشي (٢٩١) ، محمد بن جرير بن رستم الطبري الاملي ابو جعفر جليل من اصحابنا كثير العلم ، حسن الكلام ثقة في الحديث .

و صرنا بالمدائن و كنت يومئذ مسائراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن من دهاقينهم معهم براذين^(١) قد جاؤوا بها هدية^(٢) إليه فقبلها ، و كان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى « سرفيل » وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى و ترجع إلى قوله فيما سلف ، فلماً بصر بأمر المؤمنين عليهم السلام قال له : يا أمير المؤمنين لتراجع مما قصدت ! قال : و لم ذاك يا دهقان ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! تناحست النجوم الطوالع ، فنحس أصحاب السعود ، و سعد أصحاب النحوس ، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس ، و إن يومك هذا يوم مميت ، قد اقترن فيه كوكبان قتالان ، و شرف فيه بهرام في برج الميزان ، و اتقدت من برجك النيران و ليس الحرب لك بمكان . فنبهتم أمير المؤمنين عليهم السلام ثم قال أيها الدهقان المنبئ بالخبايا ، و المحذر من الأقدار ، ما نزل البارحة في آخر الميزان ؟ و أي نجم حل في السرطان ؟ قال : سأنظر ذلك ، واستخرج من كمة أسطرلاباً وتقويماً ، قال له أمير المؤمنين عليهم السلام : أنت مسير الجاريات ؟ قال : لا ، قال : فأنت تقضي على الثابتات ؟ قال : لا ، قال : فأخبرني عن طول الأسد و تباعده من المطالع والمراجع وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ قال : لأعلم لي بذلك . قال فما بين السراي^(٣) إلى الداري ؟ و ما بين الساعات إلى المعجرات ؟ و كم قد شعاع المبدعات ؟ و كم تحصل الفجر في القدوات ؟ قال : لأعلم لي بذلك ، قال : فهل علمت يا دهقان أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين ، و انقلب برج ماجين ، و احترق دور بالزنج ، و طفق جب سرانديب ، و تهدم حصن الأندلس ، و هاج نمل الشيخ ، و انهزم مراق الهندي ، و فقد ديان اليهود بأيلة ، و هدم بطريق الروم برومية ، و همي راعب صمورية ، و سقطت شرفات القسطنطينية أفعالاً أنت بهذه الحوادث وما الذي أحدثها شرقياً أو غربياً من الفلك ؟ قال : لأعلم لي بذلك

(١) براذين : جمع « برزون » بكسر الباء الموحدة و فتح الدال المعجمة داه العمل

الثقيلة .

(٢) الهدية كالمطية .

(٣) السواري (خ) .

قال : وبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب ؟ وبأيها تنحس من تنحس ؟ قال :
لاعلم لي بذلك ، قال : فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً ، في كل عالم
سبعون عالماً ، منهم في البر ، ومنهم في البحر ، وبعض في الجبال ، وبعض في الغياض
وبعض في العمران ، وما الذي أسعدهم ؟ قال : لاعلم لي بذلك ، قال : يادهقان :
أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الفسق ، وظهر تلالؤ
شعاع المريخ وتشريقه في السحر ، و قدسار فاتصل جرمه بجرم تربع القمر ^(١)
وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم و الليلة و يموت
مثلهم - وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال - : ويموت هذا ، فإنه منهم
فلما قال ذلك ظن الرجل أنه قال خذوه ، فأخذه شيء بقلبه ، و تكسرت نفسه
في صدره ، فمات لوقته. فقال ^(٢) : يادهقان ألم أرك غير التقدير في غاية التصوير ؟
قال : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : يادهقان ! أنا مخبرك أنني وصحبي. هؤلاء لاشريقون
ولا غريبون ، إنما نحن ناشئة القطب ، وما زعمت أن البارحة انقذ من برجي
النيران فقد كان يجب أن تحكم معلمي ، لأن نوره وضياءه عندي ، فلهبه ذاهب عني
يادهقان هذه قضية عيص ^(٣) ، فاحسبها وولدها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار .

(١) قال بعض علماء العصر ما حاصله أن هذا الكلام يدل على بطلان الفرضية البطلمية
حيث إن الظاهر منه امكان اقتراب الكواكب بعضها من بعض واتصال جرم المريخ بتربع القمر
وهو مستحيل على تلك الفرضية ، لان كل واحد من الكواكب بناء عليها مركوز في قمتن فلك
من الافلاك لايتحرك من مكانه ولايتغير وضعه الا بتبع فلكه ، و الافلاك كرات متداخلة كطبقات
البصل لايتغير شيء منها عن مكانه ، وفلك القمر هو الفلك الاول وفلك المريخ هو الفلك الخامس
وبينهما ثلاثة افلاك فيستحيل اقتراب احدهما من الآخر واما على مبانى الهيئة الجديدة فالارض
احد السيارات ، واقرّب الكواكب منها هو المريخ ، والقمر يدور حول الارض ، ومدار الجميع
على الشكل البيضي المستطيل ، ومدار الارض في داخل مدار المريخ ، وعلى هذا يمكن للمريخ
ان يقترب من القمر في بعض الاوضاع بحيث يتوهم اتصالهما من شدة قربهما وعند ذلك يكون
المريخ في غاية التلالؤ ، لكونه في اقرب نقطة من الارض ومن الشمس أيضاً ، ومن هنا يظهر
سرجله اخرى من كلامه عليه السلام وهي هذه « وظهر تلالؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر » .
(٢) عويس (خ) .

قال : لو علمت ذلك لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة و مضى أمير المؤمنين عليه السلام فهزم أهل النهروان وقتلهم ، وعاد بالغنيمة والظفر . فقال الدهقان : ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا ، هذا علم مادته من السماء .

١٤ - أقول : وروى السيد الخبر أيضاً عن الأصم بن نباتة ، قال : لما رحل أمير المؤمنين عليه السلام من « نهر بين »^(١) أتينا النهروان وقد قطع جسرهما وسمرت سفنها فنزل - صلى الله على محمد وعليه - وقد سرح الجيش إلى جسر بوران ومعه رجل من أصحابه ، وقد شك في قتال الخوارج ، فأذأ برجل يركض فلماً رأى أمير المؤمنين عليه السلام قال : البشري يا أمير المؤمنين ! قال له : وما بشارك ؟ قال : لمّا بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر بين ولّوا هاربين . قال علي عليه السلام : أنت رأيتم حين ولّوا ؟ قال : نعم ، قال علي عليه السلام : كلاً والله لا عبروا النهروان ولا تجاوزوا الأنثلات ولا النخيلات حتى يقتلهم الله على يدي ، عهد معهود ، وقدر مقدور ، ولا يقتلون منّا عشرة ، ولا ينجو منهم عشرة ، إذ أقبل عليه رجل من الفرس يقتدى برأيه في حساب النجوم لمعرفة الطوالع والمراجع ، وتقويم القطب في الفلك ، و معرفته بالحساب والضرب والجبر والمقابلة وتاريخ السندباد وغير ذلك ، وهو الدهقان ، فلماً بصر بأمر المؤمنين عليه السلام نزل عن فرسه وسلم عليه فقال له : أيها الأمير ! لترجعنّهما قصدت إليه - وكان اسم الدهقان « سرفيل سوار » وكان دهقاناً من دهاقين المدائن - فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ولم يا سرفيل سوار ؟ قال : تناحست النجوم الطالعات ، و تباعدت النجوم الناحسات ، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء والقيود ، و يومك هذا مميت يقلّب فيه رجمان ، وانكشفت فيه الميزان ، واقتدح من برجك النيران ، و ليس الحرب لك بمكان . قال له أمير المؤمنين عليه السلام : أخبرني يادهقان عن قصة الميزان ، و في أي مجرى كان برج السرطان ؟ قال : سأنظرك في ذلك ، ثم ضرب يده إلى كمنه فأخرج منها زيجاً وأصطرباً ، فتبسّم أمير المؤمنين

(١) نهر بين - بفتح النون وكسر الباء - طسوج من سواد بغداد ، وهو الآن قرية بظاهرها

(من مراد الاطلاع) .

عليه السلام ثم قال له: يادهقان ! أنت مسير الثابتات ؟ قال : لا ، قال : فأنت تقضي على الحادثات ؟ قال : لا ، قال له : يادهقان ! فمأساة الأسد من الفلك ؟ وما له من المطالع والمراجع ؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ قال : لأعلم لي أيها الأمير قال : فعلى أي الكواكب تقضي على القطب ؟ وما هي الساعات المتحرّكات ؟ وكم قدر الساعات المدبرات ؟ وكم تحصل المقدّرات ؟ قال : لأعلم لي بذلك ، قال له : يادهقان ! إن صحّ لك علمك [علمت] أن البارحة انقلب بيت في الصين وانقلب بيتانسين^(١) واحترقت دور الزنج ، وانحطم منار الهند ، وقطع جبّ سرانديب ، وهلك ملك إفريقية ، وانقضّ حصن أندلس ، وهاج نمل الشيخ ، وفقد ديّان اليهود ، وجذم شطرنج الرومي بأرمينية ، وعناب عمورية^(٢) ، وسقطت شرافات القسطنطينية ، وهاجت سباع البحر واثبة على أهلها ، ورجعت رجال النوبة المراجيح ، والتفت الزرق مع الفيلة ، وطار الوحش إلى العلقين ، وهاجت الحيتان في الأخضرين ، واضطربت الوحوش بالأنقلين ، أفأنت عليم بهذه الحوادث وما أحدثها من الفلك شرقية أو غربية ؟ ومن أيّ برج سعد صاحب النحس ؟ و أيّ برج انتحس صاحب السعد ؟ قال الدهقان : لأعلم لي بذلك ، قال : فهل ذلك علمك أن اليوم فيه سعد سبعون عالماً ، في كلّ عالم سبعون ألف عالم ، منهم في البحر ، ومنهم في البرّ ، ومنهم في الجبال ، ومنهم في السهل والغياض والخراب والعمران ؟ فأبن لنا ما الذي من الفلك أسعدهم ؟ قال الدهقان : لأعلم لي بذلك ، قال له : يادهقان ! أطسك حكمت على اقتران المشتري بزحل حين لاحاك في الغسق قد شارفها واتصل جرمه بجرم القمر ، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلّهم مولدون في يوم واحد ومائة ألف من البشر يموتون الليلة وغداً ، وهذا منهم - وأوماً بيده إلى سعد

(١) انسين (خ) .

(٢) العمورية - يفتح العين وتشديد الميم - : بلدة من بلاد الروم ، غزاه المعتصم ففتحها وكان من اعظم فتوح الاسلام ، والعمورية أيضاً بلدة على شاطئ العاصى فيها آبار خراب ولها دخل وافر (مراد الاطلاع) .

ابن مسعود الحارثي* وكان في عسكره جاسوساً للخوارج - فظن* أن* علياً عليه السلام يقول خذوا هذا ، فقبض على فؤاده فمات في وقته . فقال علي عليه السلام : لم أرك عين التوفيق ، أنا وأصحابي هؤلاء لاشركيون ولاغربيون ، إنما نحن ناشئة القطب ، و أعلام الفلك ، وأما ما زممت أن* البارحة اقتدح من برجني النيران ، فقد يجب عليك أن تحكم به لي ، لأن* ضيائه ونوره عندي ، ولهبه وحريقه ذاهب عني ، فهذه قضية عميقة ، فاحسبها إن كنت حاسباً ، واعرفها إن كنت عارفاً بالأكوار والأدوار ، ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل* فصلة في هذه الأجمة وكانت عن يمينه أجمة قصب ، فتشهد الدهقان وقال: يا مولاي! الذي فهم إبراهيم وموسى وعيسى وتحمداً عليه السلام مفهمهم^(١) مفهمكمها يأمر المؤمنين ، فهو والله^(٢) المشار إليه ، ولا أثر بعد عين ، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن* تحمداً عبده ورسوله ، وأنتك الإمام والوصي المفترض الطاعة .

بيان : أكثر السؤالات المذكورة في الرواية على تقدير صحتها وضبطها بمبنية على اصطلاحات معرفتها مختصة بهم عليه السلام أوردها عليه السلام لبيان عجزه وجهله وعدم إحاطة علمه بما لا بد منه في هذا العلم . « وكم تحصل الفجر في الغدوات ، يحتمل أن يكون المراد به زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فإن ذلك يختلف في الفصول « و طفع جب* سرنديب « أي امتلأ وارتفع ، ومنه « سكران طافح ، و الشيخ : نبت معروف ، و يحتمل أن يكون المراد هنا الوادي الذي هومنبته ، و العمورية ماء للنصارى يغمسون فيه أولادهم^(٣) « وما الذي أحدثها ، أي بزعمك « شريقها ، أي الكواكب « لم أرك غير التقدير ، بكسر الغين وفتح الياء أي التغيرات الناشئة من تقديرات الله تعالى ، وفي بعض النسخ « عين التقدير ، أي أصله

(١) ما فهمهم (ظ) .

(٢) كذا ، لكن يظهر من البيان الاتي أن الصحيح « فهو الله ، بلاواو .

(٣) الماء الذي ذكره - رحمه الله - هو المعمورية ، والظاهر ان « العمورية » في الرواية بالراء دون الدال وهي بلدة بالروم .

« هذه قضية عيص ، بالإضافة أي أصل ، في القاموس : العيص - بالكسر - : الأصل ^(١) .
و في بعض النسخ « عويصة » أي صعبة شديدة « وولدها » بصيغة الأمر وتشديد اللام
أي استنتج منها ، و العمورية - مشددة الميم - : بلد بالروم ، ولعل المراد بالعب
الماء العظيم ، وبعثرة طفياته و كثرته ، والمراجيح : الحلما ^(٢) ، والزرق كسگر
طائر صياد ، ذكره الفيروزبادي ^(٣) . وفي حياة الحيوان : طائر يصاد به بين الباز
والباشق ، وقيل هو الباز الأبيض (انتهى) والفيلة بكسر الفاء وفتح الفاء جمع الفيل .
« فهو الله » أي مفهّمك الله « المشار إليه » بالدلائل والآيات « ولا أثر بعد عين » أي
لا أطلب الآثار والدلائل والأخبار على حقيقتك بعد ما عاينت .

أقول : وكان في الخبرين فيما عندنا من النسخ تصحيقات كثيرة تركناها كما
وجدنا .

١٥ - النجوم : رويت بعدة طرق إلى يونس بن عبد الرحمن في جامعه الصغير
بإسناده قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم
ما هو ؟ فقال : هو علم من علم الأنبياء . قال : فقلت : كان علي بن أبي طالب عليه السلام
يعلمه ؟ فقال : كان أعلم الناس به .

١٦ - ومنه : نقلاً من أصل من أصول أصحابنا اسمه « كتاب التجميل »
بإسناده عن جميل عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام عن ذكره قال : كان قد علم نبوة
نوح عليه السلام بالنجوم .

بيان : لعل من ذكره من باب الإرسال من أحد الرواة ، وضمير قال للإمام
عليه السلام ، و « علم » بصيغة المعلوم و المعنى أنه عليه السلام أخبر بأن فلاناً قد علم
نبوة نوح بالنجوم ، ويحتمل أن يكون الإرسال من الإمام ، وضمير « قال » عائداً
إلى من ذكره ، و « علم » على بناء المجهول ، وعلى الثاني ليس الإخبار من كلامه

(١) القاموس : ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٢) كذا ، وقال الجوهري (الصحاح ، ج ١ ، ص ٣٦٤) راجحته فرجحته ، أي كنت أرزن
منه ، وقوم مراجيح في العلم (انتهى) فلي تأمل في ما ذكر في المتن من التفسير

(٣) القاموس : ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

عليه السلام والظاهر أنه من تصحيف النسخ وقوله «عمن ذكره» كان مقدماً على قوله «عن أبي جعفر عليه السلام» و«علم» على بناء المجهول.

١٧ - النجوم : وجدت في كتاب عتيق عن عطاء قال : قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : هل كان للنجوم أصل ؟ قال : نعم ، نبي من الأنبياء قال له قومه : إننا لا نؤمن بك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله ، فأوحى الله عز وجل إلى غمامة فأمطرتهم ، واستنقع^(١) حول الجبل ماءً صاف ، ثم أوحى الله عز وجل إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء ، ثم أوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار ، وكان أحدهم يعلم متى^(٢) يموت ومتى يمرض ، ومن ذا الذي يولد له ومن ذا الذي لا يولد له ، فبقوا كذلك برهة من دهرهم ، ثم إن داود عليه السلام قاتلهم على الكفر ، فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضره أجله ، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم ، فكان يقتل من أصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد ! فقال داود عليه السلام : رب أقاتل على طاعتك ، ويقا تل هؤلاء على معصيتك ، يقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عز وجل : إنني كنت علمتهم بدء الخلق وآجاله ، وإنما أخرجوا إليك من لم يحضره أجله ، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم ، فمن ثم يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد . قال داود عليه السلام : يارب على ماذا علمتهم ؟ قال : على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار . قال : فدعا الله عز وجل فحبس الشمس عليهم ، فزاد النهار واختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم . وقال علي عليه السلام : فمن ثم كره النظر في علم النجوم .

١٨ - الدر المنثور : قال : قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : هل كان للنجوم أصل ؟ قال : نعم ، كان نبي من الأنبياء يقال له «يوشع بن نون» فقال له قومه

(١) استنقع الماء : اجتمع .

(٢) من يموت (خ)

- وساق إلى قوله - ثم أوحى الله إلى يوشع بن نون أن يرتقي - إلى آخر الخبر - (١).
 بيان : « أن تجري في ذلك الماء » يمكن أن يكون المراد جريان عكس الكواكب فيها ، فيكون الماء كالزيج لهم لاستعلام مقدار الحركات ، أو خلق الله للكواكب أمثالا فأجراها في الماء على قدر حركة أصلها في السماء أوصغرها وأنزلها وأجراها فيه . وفي القاموس : البرهة - ويضم - : الزمان الطويل أو أعم^(٢) (انتهى)
 « فمن ثم كره » أي من أجل أن الحساب اختلط فلا يمكنهم الحكم الواقعي على الكواكب وحركاتها فيكذبون ، أو من جهة أنه يصير سببا لترك الأمور الضرورية بسبب علمهم بما يترتب عليه ، والخبر ضعيف عامي ، وفيه إشكال آخر وهو أنهم لو كانوا بحسب تقدير الله تعالى وأحكام النجوم من الخارجين فلم يخرجوا؟ ولولم يكونوا فلم يكن ترك خروجهم بسبب ذلك^(٣) ، وهذا من المسائل القامضة من فروع مسألة القضاء والقدر ، والعقل قاصر عن فهمها .

١٩ - النجوم : وأمادالة النجوم على إبراهيم عليه السلام فقد روى صاحب كتاب التجمّل أن آزر أبا إبراهيم كان منجّماً لنمرود ، ولم يكن يصدر إلا عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود : لقد رأيت في النجوم عجباً ! قال : وما هو ؟ قال : رأيت مولوداً يولد في زماننا يكون هلاكنا على يديه ، ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به . قال : فتعجب من ذلك ، ثم قال : هل حملت به النساء بعد؟ قال : لا ، فتحجب الرجال عن النساء ولم يدع امرأة إلا جعلها في المدينة ، ولا يخلص إليها بعلمها . قال : فوقع آزر على أهله ، فحملت بابراهيم ، فظن أنه صاحبه فأرسل إلى قواهل ذلك الزمان - وكن أعلم الناس بالجنين ولا يكون في الرحم شي إلا عرفنه و علمن به - فنظرن فألزم ما في الرحم الظهر ، فقلن : ما نرى في

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥ .

(٢) القاموس : ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٣) لامنافاة بين كونهم بحسب القضاء المحتوم من غير الخارجين و كون ترك الخروج مسبباً عن علمهم بالنجوم ، فان القضاء ليس في عرض سائر الاسباب .

بطنها شيئاً . قال : و كان مما أوتي من العلم أن المولود سيحرق بالنار ، ولم يؤت علماً أن الله سينجيه منها .

أقول : (١) و رويت هذا الحديث عن إبراهيم الخزاز عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام من أصل قرئ على هارون بن موسى التلعكبري - ره - وقد روى هذا الحديث علي بن إبراهيم في كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرواية (٢) و رواه أيضاً أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه ، و رواه أيضاً سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب قصص الأنبياء ، و رواه الثعلبي في تفسيره و غيره من العلماء . و ممن أخبر بالمنجّمون عن نبوته و رسالته موسى بن عمران عليه السلام و قد تضمنت كتب التواريخ و غيرها من المصنّفات ما يغني عن ذكر جميع الروايات فمن ذلك ما رواه الثعلبي في كتاب العرائس في المجالس فقال : إن فرعون رأى في منامه أن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط و تركت بني إسرائيل ، فدعا فرعون السحرة و الكهنة والمعبرين و المنجمين و سألهم عن رؤياه ، فقالوا له : إنه يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك ، و يغلبك على سلطانك ، ويخرجك و قومك من أرضك ، و يذل دينك ، و قد أظلك زمانه الذي يولد فيه . ثم ذكروا ولادة موسى عليه السلام و ما صنع فرعون في قتل ذكور الأولاد ، و ليس في ذكر ذلك ههنا ما يليق بالمراد . و ذكر حكم المنجمين بولادة موسى عليه السلام و نبوته الزمخشري في كتاب « الكشف » و روى حديث دلالة النجوم على ولادة موسى عليه السلام و هب بن منبه في الجزء الأول من كتاب « المبتد » بأبسط من رواية الثعلبي ، و ذكر أبو جعفر بن بابويه في كتاب النبوة في باب سياقه حديث عيسى بن مريم عليه السلام فقال ما هذا لفظه : و قد علمنا [عظماء] علماء المجوس زائرين معظمين لأمر ابنها ، و قالوا : إننا قوم ننظر في النجوم ، فلما ولد

(١) من كلام السيد بن طاووس رحمه الله .

(٢) تفسير القمي ١٩٤٠ .

ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك ، فنظرنا فيه فإذا ملكه ملك نبوة لا يزول عنه ولا يفارقه حتى يرفعه إلى السماء فيجاور ربه عز وجل ما كانت الدنيا مكانها ثم يصير إلى ملك هو أطول وأبقى مما كان فيه ، فخرجنا من قبل المشرق حتى رفطنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلعاً عليه من فوقه ، فبذلك عرفنا موضعه وقد أهدينا له هدية جعلناها له قرباناً لم يقرّب مثله لأحد قط ، وذلك أننا وجدنا هذا القربان يشبه أمره ، وهو الذهب والمرّ واللبان ، لأنّ الذهب سيّد المتاع كلّه وكذلك ابنك هو سيّد الناس ما كان حياً ، ولأنّ المرّ جبار الجراحات والجنون والعاهات كلّها ، ولأنّ اللبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره ، وكذلك ابنك يرفعه الله عز وجل إلى السماء وليس يرفع من أهل زمانه غيره .

٢٠ - ووجدت في كتاب دلائل النبوة جمع أبي القاسم الحسين بن محمد السكوني روى عن محمد بن علي بن الحسين ، عن الحسن بن عبد الله بن غانم ، عن هناد ، عن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن صالح بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن أسعد ، عن ابن مسيّب^(١) عن حسان بن ثابت ، قال : إنني والله لغلّام يفعاء ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كلّ ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أكمة يشرب يصرخ : يا معشر اليهود فلماً اجتمعوا قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة . ووجدت كتاباً عندنا الآن اسمه كتاب « البد الصيني » عمله « كشيئا » ملك الهند يذكر فيه تفصيل دلالة النجوم على نبوة نبيّنا محمد ﷺ^(٢) .

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي ، قال النووي في تهذيب الاسماء (١ ، ٢١٩) و أبوه المسيّب وجده حزن صحابيّان أسلما يوم فتح مكة (انتهى) ذكر في تراجم العامة مقروناً بالثناء والمدح ، لكن الخاصة اختلفوا فيه ، فروى الكشي عن الكاظم عليه السلام انه من حوارى السجّاد ، و روى الكليني (الكافي ، ج ١ ، ص ٣٧٢) عن إسحاق بن جبر قال قال أبو عبد الله عليه السلام ، كان سعيد بن المسيّب والقاسم بن محمد بن أبي بكر و أبو خالد الكاهلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام لكن اشتهر عنه انه رغب عن الصلوة على جنازة علي ابن الحسين عليه السلام و أن له فتاوى مخالفة لمذهب أهل البيت ، لكن من الممكن أن ذلك منه كان للتقية واهه المالم .

(٢) انتهى كلام السيد رحمه الله .

أقول : قد أوردنا ما ذكره السيد من أمر هرقل و كسرى ، و اطلاعهما

من جهة النجوم على نبوة نبينا ﷺ في باب البشائر به و باب مولده .

ثم قال : و أمّا دلالة النجوم على ظهور المسلمين على ملوك الفرس فالأخبار

يمكن أن يكون بها كثيرة في التواريخ الكبيرة ، فمن ذلك ما ذكره الطبري في

تاريخه فقال : ولما أمر يزيد جرد رستم بالخروج من ساباط بعث إلي أخيه بنجومن

الكتاب الأول زاد فيه : فإن السمكة قد كدّرت الماء ، و إن النعائم قد حبست

و حسنت الزهرة ، فاعتدل الميزان ، و ذهب بهرام ، و لأرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون

علينا ، و سيولون على ما يلينا ، و إن أشد ما رأيت أن الملك قال لتسيرن إليهم

أو لأسيرن إليهم أنا بنفسي و أنا سائر إليهم . قال : و كان الذي جرأ يزيد جرد

على إرسال رستم غلام جابان منجم كسرى ، و كان من أهل فرات بادقلي

فأرسل إليه فقال : ما ترى في مسير رستم و حرب العرب ، فخافه على الصدق فكذبه

و كان رستم يعلم نحواً من علم ذلك المنجم ، فنقل عليه مسيره ، و خفّ على الملك

لما غرّه به و قال : إنني أحب أن تخبرني بشيء أراه أطمئن له إلى قولك . فقال

الغلام لدر بالهندي : سلني مسألة فقال : أيها الملك يقبل طائر فيقع على أيوانك

فيقع منه شيء في فيه ههنا - و خط دائرة - فقال العبد ، صدق ، و الطائر غراب ، و

الذي في فيه درهم ، و بلغ جابان أن الملك طلبه فأقبل حتّى دخل عليه فسأله عمّا

قال غلامه فحسبه فقال صدق ولم يصب هو عقق و الذي في فيه درهم ، فيقع منه على

هذا المكان و كذب دربا ، ينزو الدرهم فيستقر ههنا ، و دور دائرة أخرى . فما

قاموا حتّى وقع على الشرافات عقق ، فسقط منه درهم في الخط الأول ، فنزا

فاستقر في الخط الآخر ، و نافر الهندي جابان حيث خطاه ، فأتى ببقرة تتوج

فقال الهندي : سخلتها غراء سوداء ، فقال جابان : كذبت ، بل سوداء سفعاء . فنحرت

البقرة و استخرجت سخلتها فأذا ذنبها أبيض ، فقال جابان : من ههنا أتى دربا ، و

شجّعاه على إخراج رستم فأمضاه . ثم قال الطبري مامعناه : أن جابان كتب إلى

من يشفق عليه من العسكر يأمره بالدخول مع العرب فيما يريدون ، و أخبره أن

ملك الفرس ذهب ، فقبل منه وكان الأمر كما اقتضاه دلالة النجوم من ظهور العرب على الفرس .

اقول : ثم ذكر دلالة النجوم على إمامة القائم عليه السلام وولادته على ما أوردها في باب ولادته عليه السلام .

بيان : قال في القاموس : العقق طائر أبلق بسواد و بياض ، صوته ^(١) العين والقاف ^(٢) . و قال : أنتجت الفرس : حان نتاجها فهي نتوج لا منتج ^(٣) . و قال : سفع الشيء : أعلمه و رسمه ، و السفع - بالضم - : السواد تضرب إلى الحمرة ^(٤) و في النهاية : السفعة نوع من السواد مع لون آخر ^(٥) .

٢١ - الكافي : عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن أسباط ، عن عبد الرحمن بن سيابة ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، إن الناس يقولون إن النجوم لا يحل النظر فيها ، و هو ^(٦) يعجبني ، فإن كانت تضرب بديني فلا حاجة لي في شيء يضرب بديني ، و إن كانت لا تضرب بديني فوالله إنني لأشتهيها وأشتهي النظر فيها . فقال : ليس كما يقولون لا تضرب بدينك . ثم قال : إنكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك ، و قلبه لا ينتفع به ، تحسبون على طالع القمر ، ثم قال : أتدري كم بين المشتري و الزهرة من دقيقة ؟ قلت : لا والله ، قال : أفأنتدري كم بين الزهرة و بين القمر من دقيقة ؟ قلت : لا والله ، قال أفأنتدري كم بين الشمس و بين السكينة ^(٧) من دقيقة ؟ قلت :

(١) في المصدر : يشبه صوته .

(٢) القاموس ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

(٣) د ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٤) د ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

(٥) في المصدر ، السفعة نوع من السواد ليس بالكثير ، و قيل هو سواد مع لون آخر -

النهاية ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٦) في المصدر ، و هي تعجبنى .

(٧) السنبلة (خ) .

لا والله ، ما سمعته من أحد من المنجمين قط^(١) . قال : أفندري كم بين السكينة^(٢) و بين اللوح المحفوظ من دقيقة ؟ قلت : لا^(٣) ما سمعته من منجم قط^(٤) ، قال : ما بين كل واحد منهما إلى صاحبه ستين^(٥) أو تسعين دقيقة - شك عبد الرحمن - ثم قال : يا عبد الرحمن ! هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف القصة التي في وسط الأجمة ، و عدد ما عن يمينها ، و عدد ما عن يسارها ، و عدد ما خلفها ، و عدد ما أمامها ، حتى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة^(٦) .

النجوم : با سنده عن الكليني^(٧) مثله ، ثم قال السيد : و روى هذا الحديث أصحابنا في المصنفات والأصول ، ورواه محمد بن أبي عبد الله في أماليه ، و رواه محمد بن يحيى^(٨) أخو مقلس ، عن حماد بن عثمان .

بيان : « تحسبون على طالع القمر » يظهر منه أنه كان مدار أحكام هؤلاء على حركات القمر و أوضاعه ، و كانوا لا يلتفتون إلى أوضاع سائر الكواكب « كم بين المشتري و الزهرة » أي بحسب الدرجات و الأوضاع الحاصلة من الحركات ، أو بعد فلك أحدهما عن الآخر ، و الأول أظهر « و بين السكينة » هو اسم كوكب غير معروف عند المنجمين له مدخل في الأحكام ، و في بعض النسخ « السنبلة » و الأول أنسب بقوله « ما سمعته من منجم » .

٢٢ - النجوم : با سنده عن الكليني^(٩) في كتاب تعبير الرؤيا ، با سنده عن محمد بن سام ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قوم يقولون النجوم أصح من الرؤيا ، و

(١) السنبلة (خ) .

(٢) في المصدر ، لا واه .

(٣) ستون أو سبعون .

(٤) روضة الكافي : ١٩٥ .

(٥) في بعض النسخ « محمد بن عيسى » و الظاهر انه تصحيف ، لعدم ذكر « محمد بن عيسى أخو مقلس » في الرجال ، قال النجاشي : محمد بن يحيى الخثعمي كوفي ثقة روى عن أبي عبد الله عليه السلام و قال الشيخ في الاستبصار (ج ٢ ، ص ٣٠٥ من طبعة النجف الأخيرة) ، هو عامي .

ذلك كانت صحيحة حين لم يرد الشمس على يوشع بن نون ، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما رد الله عز وجل الشمس عليهما ضل فيها علوم علماء النجوم .

٢٣ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ابن صالح ، ممن أخبره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل عن النجوم فقال : ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب و أهل بيت من الهند ^(١) .

النجوم : بإسناده عن الكليني مثله ، و زاد في آخره « أولاد وصي إدريس عليه السلام » ثم قال : و روينا هذا الحديث بإسناده إلى ابن أبي عمير من أصله عن أبي عبدالله عليه السلام .

بيان : « أهل بيت من العرب » أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ولا يدل على جواز النظر فيه و العمل به ، بل على خلافهما أدل ، لأن علم أكثر الخلق به ناقص فيكون حكمهم به قولاً بغير علم .

٢٤ - الكافي : عن أحمد بن محمد و علي بن محمد جميعاً ، عن علي بن الحسن الميثمي ^(٢) عن محمد بن خطاب الواسطي ، عن يونس بن عبدالرحمن ، عن أحمد بن عمر الحلبي ، عن حماد الأزدي ، عن هشام الخفاف ، قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : كيف بصرك بالنجوم ؟ قال : قلت : ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني ؟ فقال : كيف دوران الفلك عندكم ؟ قال : فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها ، قال : فقال لي : إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات نعش و الجدي و الفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة ؟ قال : قلت : هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره ، فقال لي : كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها ؟ قال : قلت : هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره ، قال : سبحان الله ! فأسقطتم نجماً بأسره ^(٣) ! فعلى ما تحسبون ؟ ثم قال : فكم الزهرة

(١) روضه الكافي : ٣٣٠ .

(٢) في المصدر ، التيمي .

(٣) هذا تصريح بعدم انحصار السيارات في ما كان مشهوراً عند قدماء الهويين .

من القمر جزءاً في ضوءه ؟ قال : فقلت : هذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل ، قال : فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوءها ؟ قال : قلت : ما أعرف هذا ، قال : صدقت ثم قال : فما بال العسكرين يلتقيان ، في هذا حاسب ، وفي هذا حاسب ، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ^(١) ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر ، فأين كانت النجوم ؟ قال : فقلت : لا والله ، ما أعلم ذلك قال : فقال : صدقت ، إن أصل الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم ^(٢) .

بيان : « فأدرتها » لعلّه زعم أن حركة الفلك في جميع المواضع رحوية « ما بال العسكرين » هذا دليل تام على خطأ المنجمين ، فإن ملكين إذا تقابلا و كان لكل منهما منجم فإنهما يختاران لهما ساعة واحدة ، و يحكم كل منهما صاحبه بالظفر ، مع أنه يظهر أحدهما وينهزم الآخر ، وذلك لعدم إحاطتهم بارتباط النجوم بالأشخاص فإنه يمكن أن يكون لكل نجم مناسبة لشخص من الأشخاص يكون سعادته أو علوه علامة لقلبته ، أو يقال كما أن لتأثير الفواعل مدخلا في حدوث الحوادث فكذا لاستعداد القوابل مدخل فيه ، وهم على تقدير إحاطة علمهم بالأول لم يحط علمهم بالثاني كما قاله ابن سينا ، و سيأتي تفصيله في قصة هاروت و ماروت . فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق » يمكن أن يكون إشارة إلى الأول ، كما أن المنجمين يعتبرون طالع المولود في الأحكام ، أو إلى الثاني بأن يكون المراد بمواليدهم خصوصيات موادهم و استعداداتهم و قابلياتهم و أسباب ولادتهم ، و هذا علم لا يمكن الإحاطة به إلا بالوحي أو الإلهام من الخالق الحكيم ، و يمكن أن يكون المراد به أن من أحاط بذلك العلم يعلم به جميع مواليد الخلق ، و لما لم يعلم المنجمون جميع ذلك ظهر أنهم لا يحيطون به علماً ، و على التقادير ظاهره حقيقة هذا العلم ، و عدم جواز النظر فيه لسائر الخلق ، لعدم إحاطتهم به وتضمنته القول بما لا يعلم - والله يعلم - .

(١) في المصدر : بالظفر ، و يحسب هذا لصاحبه بالظفر .

(٢) روضة الكافي ، ٣٥١ .

٢٥ - النجوم : وجدت في كتاب « نوادر الحكمة » تأليف محمد بن أحمد بن يحيى ابن عمران بن عبدالله القمي رواه عن الرضا عليه السلام قال : قال أبو الحسن عليه السلام للحسن ابن سهل : كيف حسابك للنجوم ؟ فقال : ما بقي منها شيء إلا وقد تعلمته . فقال أبو الحسن عليه السلام : كم لنور الشمس على نور القمر فضل درجة ؟ و كم لنور القمر على نور المشتري فضل درجة ؟ و كم لنور المشتري على نور الزهرة فضل درجة ؟ فقال : لأدري ، فقال : ليس في يدك شيء ، هذا أيسر !
بيان : أي هذا أيسر شيء من هذا العلم .

٢٦ - النجوم : وجدت في كتاب مسائل الصباح بن نصر الهندي لمولانا علي ابن موسى الرضا عليه السلام رواية أبي العباس بن نوح وأبي عبدالله محمد بن أحمد الصفواني من أصل كتاب عتيق لنا الآن ربما كان قد كتب في حياتهما بالإسناد المتصل فيه عن الريان بن الصلت ، وذكر اجتماع العلماء بحضرة المأمون وظهور حجته عليه السلام على جميع العلماء وحضور الصباح بن نصر الهندي عند مولانا الرضا عليه السلام وسؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه : هو علم في أصل صحيح ذكروا أن أول من تكلم في النجوم إدريس عليه السلام ، و كان ذوالقرنين بها ماهراً ، وأصل هذا العلم من عند الله عز وجل ، ويقال : إن الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل ، فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل ، فلم يستكملوا ذلك ، فأتى بلد الهند فعلم رجلاً منهم ، فممن هناك صار علم النجوم بها (١) . و قد قال قوم : هو علم من علم الأنبياء ، خصّوا به لأسباب شتى ، فلم يستدرك المنجمون الدقيق (٢) منها ، فشابوا الحق بالكذب . هذا آخر لفظ مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام في هذه الرواية الجليلة الإسناد ، وقوله عليه السلام حجة على العباد ، وقوله عليه السلام « ذكروا » و « يقال » فإن عاداته عليه السلام عند التقيّة من المخالفين والعامّة

(١) الظاهر انه عليه السلام نقل هذا الكلام لمصلحه في نقله للتصديق بصحته .

(٢) الدقيقه فيها (ح) .

يقول نحو هذا الكلام ، وتارة يقول « كان أبي يقول » وتارة « روي »^(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

بيان : أقول : يحتمل أن يكون تصحيحه عليه السلام وإثباته لعلم النجوم تقيّة لولوع المأمون بهذا العلم ورغبته إليه ، فلذا عبّر عليه السلام بهذه العبارات ، وفي أكثر الأعصار المنجمون مقرّبون عند السلاطين ، والناس ينتقون منهم ، مع أنّه غير صريح في جواز التعليم والتعلّم والعمل به .

٢٧ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن سليمان بن خالد ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحرّ والبرد ممّن^(٢) يكونان ؟ فقال لي : يا أبا أيوب ، إنّ المريخ كوكب حارّ وزحل كوكب بارد فإذا بدأ المريخ في الارتفاع انحطّ زحل ، وذلك في الربيع ، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع المريخ درجة انحطّ زحل درجة ثلاثة أشهر حتّى ينتهي المريخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط ، فيجلو المريخ فلذلك يشتدّ الحرّ ، فإذا كان في آخر الصيف وأوان^(٣) الخريف بدأ زحل في الارتفاع وبدأ المريخ في الهبوط ، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع زحل درجة انحطّ المريخ درجة حتّى ينتهي المريخ في الهبوط وينتهي زحل في الارتفاع ، فيجلو زحل وذلك في أوّل^(٤) الشتاء و آخر الصيف^(٥) فلذلك يشتدّ البرد ، وكلّما ارتفع هذا هبط هذا وكلّما هبط هذا ارتفع هذا ، فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر ، وإذا كان في الشتاء يوم حارّ فالفعل في ذلك للشمس ، هذا تقدير العزيز العليم ، وأنا عبد ربّ العالمين^(٦) .

(١) يروي (خ) .

(٢) في المصدر ، مما يكونان .

(٣) في المصدر ، واول الخريف .

(٤) اوان (خ) .

(٥) في المصدر ، الخريف .

(٦) روضة الكافي ، ٣٠٦ .

بيان : اشكل على الناظرين في هذا الخبر حله من جهة أن حركتي زحل والمرّيخ الخاصتين غير متوافقتين ولا مطابقتين لحركة الشمس و الفصول الحاصلة منها بوجه ، و يخطر بالبال حلّ يمكن حمل الخبر عليه ليندفع الإشكال ، وهو أن يكون حرارة أحد الكوكبين وبرودة الآخر بالخاصية لا بالكيفية من قبيل التأثيرات الناقصة التي تنسب إلى أوضاع الكواكب ، ويكون لكل منهما تدوير ، ويكون ارتفاع المرّيخ في تدويره إمّا مؤثراً ناقصاً أو علامة لزيادة الحرارة ويكون ارتفاعه عند انحطاط زحل بحركة تدويره و انحطاطه مؤثراً ناقصاً أو علامة لضعف البرودة فلذا يصير الهواء في الصيف حاراً وفي الشتاء بعكس ذلك ، ولم يدل دليل على امتناعه كما أنهم يقولون في القمر : إن قوته و ارتفاعه مؤثر و علامة لزيادة البرد والرطوبات ، وقد أثبتوا أفلاكاً كثيرة جزئية لكل من السيارات لضبط الحركات ومع ذلك يرد عليهم ما لا يمكنهم حله ، فلاضير في أن نثبت فلكا آخر لتصحبح الخبر المنسوب إلى الإمام عليه السلام .

قوله « فيجلو المرّيخ » كذا في أكثر نسخ الكافي ، وهو إمّا من الجلاء بمعنى الخروج والمفارقة عن المكان ، أي يأخذ في الارتفاع ، أو من الجلاء بمعنى الوضوح والانكشاف ، و في بعض نسخه « فيعلو » في الموضعين ، وفي كتاب النجوم « فيلحق » فيهما ، ولهما وجه قريب . ولعل قوله عليه السلام « وأنا عبد رب العالمين » لحضور بعض الغلاة في ذلك المجلس ، قال ذلك رداً عليهم ، وقيل : أوّل الكلام مبنية على زعم المنجمين من تأثير الكواكب ، ورد ذلك آخرأ بقوله عليه السلام « هذا تقدير العزيز العليم » وحاصله أن المنجمين يعدّون الشمس والمرّيخ حارّين يابسين وزحل بارداً يابساً ، و القمر بارداً رطباً ، وغرضهم أن تأثيرها في السفليات كذلك ، وتخصيص المرّيخ وزحل بالذكر لكونهما من العلوية وهي أشرف عندهم . والمراد بارتفاع مرّيخ وانحطاط زحل حسن حال الأوّل وسوء حال الثاني بزعمهم ، إذ الشمس من أوّل الحمل كلما ازداد ارتفاعاً في الآفاق المائلة الشمالية اشتدّ حرارة الهواء ، فارتفع مانع تأثير المرّيخ وقوي تأثيره وضعف تأثير زحل ، وكذا العكس .

٢٨ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي بصير ^(١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن آزر أبا إبراهيم كان منجماً لنمرود ، ولم يكن يصدر إلا عن أمره ، فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود : لقد رأيت عجباً ! قال : وما هو ؟ قال : رأيت مولوداً يولد في أرضنا يكون هلاكنا على يديه ، ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به . قال : فتعجب من ذلك وقال : هل حملت به النساء ؟ قال : لا ، قال فحجب النساء عن الرجال فلم يدعوا امرأة إلا جعلها في المدينة لا يخلطن ^(٢) بعلها ، ووقع آزر على أهله ^(٣) وعلقت بإبراهيم عليه السلام فظن أنه صاحبه ، فأرسلوا ^(٤) إلى نساء من القوايل في ذلك الزمان لا يكون في الرحم شيء إلا علمن به ، فنظرن فألزم الله عز وجل ما في الرحم ^(٥) الظهر ، فقلن : ما نرى في بطنها شيئاً . وكان فيما أوتي من الهمم أنه سيحرق في ^(٦) النار ولم يؤت علم أن الله تبارك وتعالى سينجيها منها (الخبر) ^(٧) .

٢٩ - الكافي : عن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن علي بن عثمان ، عن أبي عبد الله المدائني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق نجباً في الفلك السابع ، فخلقه من ماء بارد ، و سائر النجوم السبعة الجاريات من ماء حار ، وهو نجم الأنبياء والأوصياء ، وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها ، و يأمر بافتراش التراب ^(٨) ، وتوسد اللبن

(١) كذا في نسخ البحار ، وفي المصدر « هشام بن سالم عن أبي أيوب الخزاز عن أبي بصير » وعلى التقديرين لا إرسال في السند لأن طبقة هشام وأبي أيوب وأبي بصير واحدة فيمكن رواية هشام عن أبي بصير بلا واسطة وبواسطة أبي أيوب

(٢) في المصدر ، لا يخلص إليها بعلها .

(٣) في المصدر ، بأهله .

(٤) في المصدر : فأرسل .

(٥) في المصدر ، إلى الظهر .

(٦) في المصدر : وبعض النسخ : بالنار .

(٧) روضه الكافي ، ٣٦٦ .

(٨) الثرى (خ) .

ولباس الخشن ، وأكل الجشب ، وما خلق الله نعماً أقرب إلى الله منه ^(١) .

بيان : يدل الخبر على أن المنجمين قد أخطؤوا في طبائع الكواكب ، ومن ينسبونه إليها ، وفي سعداها ونحسها ، يأمر بالخروج من الدنيا ، لعل المراد أن من ينسب إليه هكذا حاله ، أو من كان هذا الكوكب طالع ولادته يكون كذلك ، أو أن المنسوين إلى هذا الكوكب يأمرن بذلك .

أقول : فعلى الأول يمكن أن يقال لا تنافي بين ما ذكره المنجمون وبين ما ورد في الخبر ، لأن نحوسته بالنظر إلى أغراض أهل الدنيا وما يطلبون من عز الدنيا وفخرها وزخرفها ، وسعادته بالنظر إلى أغراض أهل الآخرة وما يطلبون من ترك الدنيا ولذاتها وشهواتها فتدبر .

٣٠ - النجوم : روى معاوية بن حكيم ، عن محمد بن زياد ، عن محمد بن يحيى الخثعمي ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم حق هي ؟ قال لي : نعم ، فقلت له : و في الأرض من يعلمها ؟ قال : نعم ، و في الأرض من يعلمها . قال السيد : و رويناه با سنادنا إلى محمد بن يحيى الخثعمي من غير كتاب معاوية بن حكيم .

٣١ - و رويناه با سنادنا عن معاوية بن حكيم في كتاب أصله حديثاً آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : في السماء أربعة نجوم ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب ، و أهل بيت من الهند ، يعرفون منها نجماً واحداً فبذلك قام حسابهم .

٣٢ - المناقب لابن شهر اشوب : عن أبي بصير ، قال : رأيت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم ، فلمّا خرج من عنده قلت له : هذا علم له أصل ؟ قال : نعم ، قلت : حدثني عنه ، قال : احدثك عنه بالسعد ولا احدثك بالنحس ، إن الله جل اسم فرض صلوة الفجر لأوّل ساعة فهو فرض وهي سعد ، و فرض الظهر لسبع ساعات وهو فرض وهي سعد ، و جعل العصر لتسع ساعات وهو فرض وهي سعد ، و [جعل] المغرب لأوّل ساعة من الليل وهو فرض وهي سعد ، والعنمة لثلاث ساعات وهو فرض وهي سعد .

بيان : لعل غرضه عليه السلام أن ذلك العلم له أصل ، لكن لا ينبغي لك أن تطلب منه إلا قدر ما تعلم به أوقات الفرائض ، أو المعنى أن أوقات الفرائض لها سعادة لوقوع عبادة الله فيها .

٣٣ - النجوم : روينا بأسانيد عن الحسين بن عبيد الله الفضائري ، و نقلته من خطه من الجزء الثاني من كتاب الدلائل تأليف عبد الله بن جعفر الحميري بإسناده عن بياع السابري ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن لي في النظرة في النجوم لذّة ، و هي معيبة عند الناس ، فإن كان فيها إثم تركت ذلك ، و إن لم يكن فيها إثم فإن لي فيها لذّة . قال : فقال : تعدّ الطوالع ؟ قلت : نعم ، فعددتها له فقال : كم تسقي الشمس القمر من نورها ؟ قلت : هذا شيء لم أسمع قط ، وقال : و كم تسقي الزهرة الشمس من نورها ؟ قلت : ولا هذا ، قال : فكم تسقي الشمس من اللوح المحفوظ من نوره ؟ قلت : و هذا شيء ما أسمع قط ، قال : فقال : هذا شيء إذا علمه الرجل عرف أوسط قصبة في الأجمة . ثم قال : ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش و أهل بيت من الهند .

٣٤ - و منه : وجدت في كتاب عتيق اسمه كتاب « التجلّ » قال أبو أحمد عن حفص بن البختري ، قال : ذكرت النجوم عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : ما يعلمها إلا أهل بيت بالهند و أهل بيت من العرب .

٣٥ - و في الكتاب المذكور أيضاً عن محمد و هارون ابني أبي سهل ، و كتبنا إلى أبي عبد الله عليه السلام أن أبانا وجدنا كنا ينظران في النجوم ، فهل يحلّ النظر فيها ؟ قال نعم .

٣٦ - و فيه : أيضاً أنهما كتبنا إليه : نحن ولد بني نوبخت المنجم ، و قد كتبنا كتبنا إليك هل يحلّ النظر فيها ؟ فكتبت : نعم ، و المنجمون يختلفون في صفة الفلك ، فبعضهم يقول : إن الفلك فيه النجوم و الشمس و القمر ، معلق بالسماء ، و هو دون السماء ، و هو الذي يدور بالنجوم و الشمس و القمر و السماء فإنها لا تتحرك و لا تدور ، و يقولون : دوران الفلك تحت الأرض ، و إن الشمس تدور مع الفلك

تحت الأرض ، [و] تغيب في المغرب تحت الأرض ، و تطلع بالفداة من المشرق .
فكتب : نعم ، مالم يخرج من التوحيد .

٣٧ - و من الكتاب المذكور : أبو محمد ، عن الحسن بن عمر ، عن أبيه ^(١)
عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى « في يوم نحس مستمر » قال : كان القمر منحوساً
بزحل .

بيان : « معلق بالسماء » أي الفلك معلق بالسماء ، و لعل مرادهم بالسماء
الفلك التاسع ، و بعدم حركتها أنها لا تتحرك بالحركات الخاصة للكواكب ، و
قولهم « دوران الفلك تحت الأرض » يحتمل الخاصة واليومية و الأعم ، و غرضهم
أن الكواكب كما تتحرك تبعاً للأفلاك فوق الأرض فكذا تتحرك تحتها ، و قولهم
« و إن الشمس تدور مع الفلك » أي بالحركة اليومية ، هذا ما خطر بالبال في
تأويله ، و ظاهره أن الأفلاك غير السماوات ، و لعله كان مذهباً لجماعة كما
ذهب إليه الكراچكي حيث قال في كنز الفوائد : اعلم أن الأرض على هيئة الكرة
و الهواء يحيط بها من كل جهة ، و الأفلاك تحيط بالجميع إحاطة استدارة ، وهي
طبقات بعضها يحيط ببعض ، فمنها سبعة تختص بالنيرين و الكواكب الخمسة التي
تسمى « المتحيرة » فالنيران هما الشمس والقمر ، والخمسة هي : زحل ، والمشتري
و المريخ ، و الزهرة ، و عطارد ، فلكل واحد منها فلك يختص به من هذه السبعة
فلك زحل أعلاها ، و فلك القمر أقربها من الأرض ، و فلك الشمس في وسطها ، و

(١) هو عمر بن يزيد بياع السابري ، قال النجاشي (٢١٧) عمر بن محمد بن يزيد
ابو الاسود بياع السابري مولى ثقيف كوفي ثقة جليل احد من كان ينفذ في كل سنة ، روى عن
أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام و روى الكشي عن محمد بن غداقر عنه قال : قال لي
أبو عبدالله عليه السلام ، يا ابن يزيد ، انت والله منا اهل البيت . قلت له : جعلت فداك ، من آل
محمد ؟ قال ، اى والله من انفسهم ؟ قلت ، من انفسهم ؟ قال ، اى والله من انفسهم يا عمر ! أما
تقرأ كتاب الله عز و جل ، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي و الذين آمنوا والله
ولى المؤمنين ؟

تحت فلك زحل فلك المشتري ، ثم المريخ ، و فوق القمر فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة ، و يحيط بهذه الأفلاك السبعة فلك الكواكب الثابتة ، وهي جميع ما يرى في السماء غير ما ذكرنا . ثم الفلك المحيط الأعظم المحرك جميع هذه الأفلاك ، ثم السماوات السبع تحيط بالأفلاك ، و هي مساكن الأملاك و من رفعه الله تعالى إلى سمائه من أنبيائه و حججه ﷺ (انتهى) و هذا قول غريب لم أربه قائلًا غيره ، و مخالفته لظاهر الآية أكثر من القول المشهور .

« فكتب نعم » أي يحلّ النظر فيها « مالم يخرج من النوحيد » أي مالم ينته إلى القول بتأثير الكواكب و أنها شريكة في الخلق و التدبير للرب سبحانه ، و الظاهر أن المراد بالنظر في النجوم هنا علم الهيئة و التفكر في كيفية دوران الكواكب و الأفلاك و قدر حرركاتها و أشباه ذلك ، لا استخراج الأحكام و الإخبار عن الحوادث .

٣٦ - النجوم : من كتاب « نزهة الكرام و بستان العوام » تأليف محمد بن الحسين بن الحسن السراوي ، و هذا الكتاب خطّه بالعجميّة تكلفنا من نقله إلى العربيّة ، فذكر في أواخر المجلّد الثاني منه ما هذا لفظ من أعربه : و روي أن هارون الرشيد بعث إلى موسى بن جعفر ﷺ فأحضره ، فلمّا حضر عنده قال : إنّ الناس ينسبونكم يا بني فاطمة إلى علم النجوم ، و أنّ معرفتكم بها معرفة جيّدة و فقهاء العامّة يقولون إنّ رسول الله ﷺ قال : إذا ذكروا في أصحابي فاسكتوا و إذا ذكروا القدر فاسكتوا ، و إذا ذكروا النجوم فاسكتوا ، و أمير المؤمنين ﷺ كان أعلم الخلائق بعلم النجوم ، و أولاده و ذرّيّته الذين تقول الشيعة بامتهم كانوا عارفين بها . فقال له الكاظم ﷺ : هذا حديث ضعيف و إسناده مطعون فيه ، والله تبارك و تعالى قد مدح النجوم ، و لولا أنّ النجوم صحيحة ما مدحها الله عزّ و جلّ و الأنبياء ﷺ كانوا عالّمين بها و قد قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الرحمن ﷺ « و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين (١) »

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ « فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ^(١) » فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِعِلْمِ النُّجُومِ مَا نَظَرَ فِيهَا وَمَا قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ، وَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَعْلَمَ أَهْلَ زَمَانِهِ بِالنُّجُومِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَقْسَمَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ، وَ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ « وَ النَّازِعَاتُ غَرَقَا - إِلَى قَوْلِهِ - فَالْمَدْبَرَاتُ أَمْرًا » وَيَعْنِي بِذَلِكَ اثْنِي عَشَرَ بَرَجًا وَ سَبْعَةَ سَيَّارَاتٍ ، وَ الَّذِي يَظْهَرُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ، وَ بَعْدَ عِلْمِ الْقُرْآنِ مَا يَكُونُ أَشْرَفُ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ ، وَ هُوَ عِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَوْصِيَاءِ وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ « وَ عَلَامَاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ^(٢) » وَ نَحْنُ نَعْرِفُ هَذَا الْعِلْمَ وَ مَا نَذْكُرُهُ . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ : بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا مُوسَى هَذَا الْعِلْمُ لَا تَظْهَرُوهُ عِنْدَ الْجِبَالِ وَ عَوَامِّ النَّاسِ حَتَّى لَا يَشْتَعَبُوا عَلَيْكَ ، وَ نَفْسُ الْعَوَامِّ بِهِ وَ غَطَّ هَذَا الْعِلْمُ وَارْجِعْ إِلَى حَرَمِ جَدِّكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ هَارُونَ : وَ قَدْ بَقِيَ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَخْبِرْنِي بِهَا ! فَقَالَ لَهُ : سَلْ ، فَقَالَ لَهُ : بِحَقِّ الْقَبْرِ وَ الْمُنْبِرِ وَ بِحَقِّ قَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبِرْنِي أَنْتَ تَمُوتُ قَبْلِي أَوْ أَنَا أَمُوتُ قَبْلَكَ ؟ لَأَنْتَ تَعْرِفُ هَذَا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : آمَنْتُ حَتَّى أُخْبِرَكَ . فَقَالَ : لَكَ الْأَمَانُ . فَقَالَ : أَنَا أَمُوتُ قَبْلَكَ وَ مَا كَذَبْتُ وَلَا أَكْذِبُ وَ وَفَاتِي قَرِيبٌ .

أَقُولُ : تَمَامُهُ فِي أَبْوَابِ تَارِيخِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

٣٧ - وَ مِنْهُ : قَالَ : وَ جَدْتُ فِي كِتَابِ عَنِيْقٍ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ جَمِيعٍ قَالَ : إِنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عِكْرَمَةَ عَنْ حِسَابِ النُّجُومِ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَخْبِرَهُ قَالَ عِكْرَمَةُ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : عِلْمُ عَجْزِ النَّاسِ عَنْهُ ، وَ دَدْتُ أَنْتِي عِلْمَتُهُ .

٣٨ - وَ مِنْهُ : نَقَلًا مِنْ كِتَابِ رِبْعِ الْأَبْرَارِ لِلزُّمَخْشَرِيِّ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ جَمِيعٍ قَالَ : رَأَيْتُ عِكْرَمَةَ سَأَلَ رَجُلًا عَنْ عِلْمِ النُّجُومِ وَ الرَّجُلُ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَخْبِرَهُ ، فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : عِلْمُ عَجْزِ النَّاسِ عَنْهُ ، وَلَوْ دَدْتُ أَنْتِي عِلْمَتُهُ .

(١) الصافات ٨٩٠ .

(٢) النحل ١٦٠ .

٣٩ - وأيضاً فيه : عن ابن عباس : علم من علم النبوة ، وليتني كنت أحسنه .
 ٤٠ - ومنه : قال : رويت عن محمد بن النجار في المجلد الحادي والعشرين من تذييله على تاريخ الخطيب في ترجمة علي بن طراد باسناده إلى (١) عكرمة قال : قيل لابن عباس : إن ههنا رجلاً يهودياً يتكهن ، قال : فبعث إليه ابن عباس فجاء ، فقال : يا يهودي بلغني أنك تخبر بالغيب ، فقال اليهودي : أما الغيب فلا يعلم إلا الله ، ولكن إن شئت أخبرتك . قال : هات ، قال : ألك ابن عشر سنين يختلف إلى الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : فإنه يأتي غداً محموراً من الكتاب ، ويموت يوم عاشره ، وأما أنت فلا تخرج من الدنيا حتى يذهب بصرك . قال : هذا أخبرتني عن ابني و عن نفسي ، فأخبرني عن نفسك . قال : أموت رأس السنة . قال عكرمة فجاء ابن ابن عباس من الكتاب محموراً ومات يوم عاشره ، فلما كان رأس السنة قال ابن عباس : يا عكرمة انظر ما فعل اليهودي . فأتيت أهله ، فقالوا : مات أمس فما خرج ابن عباس من الدنيا حتى ذهب بصره .

بيان : « الكتاب » بضم الكاف وتشديد التاء الكتبه و يطلق على المكتب تسمية للمحل باسم الحال .

٤١ - النجوم : نقلاً من كتاب ربيع الأبرار عن علي بن أبي طالب : من اقتبس علماً من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به إيماناً ويقيناً ، ثم تلا « إن في اختلاف الليل والنهار (٢) » .

٤٢ - وقال فيه أيضاً : عن ميمون بن مهران : إياكم والتكذيب بالنجوم فإنه علم من علوم النبوة .

و فيه أيضاً عن علي بن أبي طالب : يكره أن يسافر الرجل أو يتزوج في محاق الشهر ، وإذا كان القمر في المقرب .

٤٣ - و ذكر الخطيب في تاريخ بغداد حديثاً أسنده إلى تميم بن الحارث

(١) عن (خ) .

(٢) يونس ١٠٤ .

عن أبيه ، عن عليّ عليه السلام : أنه يكره أن يتزوج الرجل أو يسافر إذا كان القمر في محاق الشهر أو العقرب .

٤٤ - وفي كتاب ربيع الأبرار : فيما رواه عن مولانا عليّ عليه السلام : ويُروى أن رجلاً قال : إنني أريد الخروج في تجارة لي وذلك في محاق الشهر . فقال : أتريد أن يمحق الله تجارتك ؟ تستقبل هلال الشهر بالخروج .

٤٥ - وفيه أيضاً : كان علماء بني إسرائيل يسترون من العلوم علمين : علم النجوم ، و علم الطب . فلا يعلمونهما أولادهم لحاجة الملوك إليهما ، لئلا يكون سبباً في صحبة الملوك و الدنو منهم ، فيضمحل دينهم .

٤٦ - ومنه روى عبدالله بن الصلت في كتاب التواقيع من أصول الأخبار قال : حملت الكتاب و هو الذي نقلته من العراق ، قال : كتب معقلة بن إسحاق إلى عليّ بن جعفر رقعة يعلمه فيها أن المنجم كتب ميلاده ، و وقّت عمره وقتاً ، و قد قارب ذلك الوقت ، و خاف على نفسه ، فأحب أن يسأله أن يدلّه على عمل يعمل به يتقرب به إلى الله عزّ وجلّ ، فأوصل عليّ بن جعفر رقعة ^(١) بعينها كتبها ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، متّعني الله بك ، قرأت رقعة [فلان] فأصابني والله ما أخرجني إلى بعض لائمتك ، سبحان الله أنت تعلم حاله منّا [حقّاً] و من طاعتنا و أمورنا ، فما منعك من نقل الخبر إلينا لنستقبل الأمر ببعض السهولة أو جعلته ^(٢) أنه رأى رؤياً في منامه ، أو بلغ سنّ إليه ، أو أنكر شيئاً من نفسه كان يدرك بها حاجته ، و كان الأمر يخفّ وقوعه ، و يسهل خطبه ، و يحتسب هذه الأمور عند الله بالأمس نذكره في اللفظة ^(٣) بأن ليس أحد يصلح لها غيره و اعتمادنا عليه على ما تعلم ، نحمد الله كثيراً ، ونسأله الاستمتاع بنعمته ، وبأصلح الموالي وأحسن الأعوان عوناً و برحمته و مغفرته ، مر فلاناً - لا فجعنا الله به - بما يقدر عليه من الصيام على

(١) رقعة (خ) .

(٢) أو أدخلته (خ) .

(٣) في المظلة فانه (خ) .

ما أصف : إمّا كلّ يوم ، أو يوماً و يوماً لا ، أو ثلاثة في الشهر ، ولا يحلو كلّ يوم أو يومين من صدقة على ستين مسكيناً ، أو ما يحرقه عليه النية ^(١) و ما جرى و تمّ ، و يستعمل نفسه في صلوة الليل و النهار استعمالاً شديداً ، و كذلك في الاستغفار و قراءة القرآن و ذكر الله تعالى و الاعتراف في القنوت بذنوبه ، و يستغفر الله منها و يجعل أبواباً في الصدقة و العتق عن أشياء يسمها ^(٢) من ذنوبه ، و يخالص نيته في اعتقاد الحقّ ، و يصل رحمه ، و ينشر الخير فيها ، و نرجو أن ينفعه مكانه منّا ، و ما وهب الله من رضا عنه و حمدنا إياه ، فلقد والله ساءني أمره فهو ، ما أصف ، على أنّه أرجو أن يزيد الله في عمره ، و يبطل قول المنجمّ ، فما أطلع الله على الغيب و الحمد لله .

وقد رأيت هذا الحديث في كتاب التوقيعات لعبدالله بن جعفر الحميري - ره -
قد رواه عن أحمد بن محمد بن عيسى بإسناده إلى الكاظم عليه السلام .

بيان : النسخة كانت في هذه الرواية سقيمة جداً ، ولم نجدها في مكان آخر
نصلحها به ، فتركتها كما كانت .

٤٧ - النجوم : روى محمد بن خالد البرقيّ في قصص الأنبياء فقال ما هذا لفظه : عبدالله بن سنان ، عن عمار بن أبي معاوية ، قال : و فتحت مدائن الشام على يد يوشع بن نون حتّى انتهى إلى البلقاء : فلقوا بها رجلاً يقال له « بالق » به سميت البلقاء ، فجعلوا يخرجون يقاتلونه لا يقتل منهم رجل ، فسأل ذلك فقيل : إنّ في مدينته امرأة منجمّة تستقبل الشمس بفرجها ، ثمّ تحسب ثمّ يعرض عليها الخيل فلا يخرج يومئذ رجل حضر أجله . فصلى يوشع بن نون ركعتين و دعا ربّه أن يؤخّر الشمس ، فاضطرب عليها الحساب فقالت لبالق : انظر ما يعرضون عليك فأعطهم ، فإنّ حسابي قد اختلط عليّ . قال : فتصفّحي الخيل فاخرجي ، فإنّه

(١) النسبة (خ) .

(٢) يملؤها (خ) .

لا يكون إلا بقتال ، قال : فتصفحت ^(١) و اخرجت ، فقتلوا قتلاً لم يقتله قوم فسألوا يوشع الصلح ، فأبى حتى يدفع إليه المرأة ، فأبى بالقأن يدفعها ، فقالت : ادفعني إليه ، فصالحها و دفعها إليه . فقالت : هل تجد فيما أوحى إلي صاحبك قتل النساء ؟ قال : لا ، قالت : أليس إنتما تدعونني إلى دينك ؟ قال : بلى ، قالت : فأنتي قد دخلت في دينك . هذا آخر لفظه في حديثه .

بيان : « تستقبل الشمس بفرجها » أي تواجهها لتعلم مقدار حر كتها ، وهذه العبارة شائعة وقعت في مواضع ، منها ما ورد فيما يتشأم به المسافرين و المرأة الشهطاء تلقي فرجها « أي تواجهها .

٤٨ - نوادر الراوندي : بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام قال : كانت أرض بيني وبين رجل ، فأراد قسمتها وكان الرجل صاحب نجوم فنظر إلى الساعة التي فيها السعود فخرج فيها ، و نظر إلى الساعة التي فيها النحوس فبعث إلى أبي ، فلما اقتسما الأرض خرج خير السهمين لأبي ، فجعل صاحب النجوم يتعجب ، فقال له أبي : مالك ؟ فأخبره الخبر ، فقال له أبي : فهلاً أدلك على خير مما صنعت ؟ إذا أصبحت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم ، و إذا أمسيت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة .

٤٩ - دعوات الراوندي : عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كانت أرض بين أبي و بين رجل فأراد قسمتها - و ذكر نحوه - و قال عليه السلام : في علم النجوم عندنا معرفة المؤمن من الكافر .

بيان : لعلمه عليه السلام قال ذلك عند ذكر علم النجوم لبيان إحاطة علمه بما يدعيه المنجمون وبغيره ، لا أنه عليه السلام كان يعرف ذلك من النجوم ، مع أنه يحمل ذلك أيضاً لبيان قصور علمهم وعدم إحاطتهم به ، فإنهم لا يدعون علم أمثال ذلك من جهة النجوم .

٥٠ - الاحتجاج و النهج : من كلام له قاله لبعض أصحابه لما عزم على

المسير إلى الخوارج فقال له : يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظهر بمرادك من طريق علم النجوم ، فقال ﷺ : أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صُرف عنه السوء ، و تخوَّف (١) الساعة التي من سار فيها حاق به الضر ؟ فمن صدّقك (٢) بهذا فقد كذب القرآن ، واستغنى عن الاستعانة (٣) بالله [تعالى] في نيل المحبوب و دفع المكروه ، وتبغني في قواك للعامل بأمرك أن يوليَّك الحمد دون ربّه ، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النقع و أمن فيها الضر . ثم أقبل ﷺ على الناس فقال : أيها الناس ! إيّاكم وتعلّم النجوم إلا ما يهتدى به في برّ أو بحر ، فإنّها تدعو إلى الكهانة ، المنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، و الساحر كالكافر ، و الكافر في النار . سيروا على اسم الله و عونّه (٤) .

بيان : « فمن صدّقك بهذا ، كأنّه أسقط السيّد من الرواية شيئاً كما هو دأبه ، و قد مرّ تمامه . و على ما تقدّم هذا إشارة إلى علم ما في بطن الدابة ، وإن لم يكن سقط هنا شيء ، فيحتمل أن يكون إشارة إلى دعواه علم الساعتين المنافي لقوله عزّ وجلّ » و ما تدري نفس ما ذا تكسب غداً (٥) « و لقوله سبحانه » قل لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب إلا الله (٦) « و قوله جلّ و علا » و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو (٧) « و ما أفاد مثل هذا المعنى ، ويمكن حمل الكلام على وجه آخر و هو أن قول المنجم بأنّ صرف السوء و نزول الضرّ تابع للساعة ، سواء قال بأنّ الأوضاع العلوية مؤثرة تامّة في السفليات و لا يجوز تخلف الآثار عنها ، أو قال

(١) في النهج : من الساعة .

(٢) د ، د ، صدق .

(٣) د ، د ، الاعاةة :

(٤) الاحتجاج ، ١٢٥ ، النهج ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٥) لقمان ، ٣٤ .

(٦) النمل : ٦٥ .

(٧) الانعام : ٥٩ .

بأنها مؤثرات ناقصة و لكن باقي المؤثرات أمور لا ينطرق إليها التغير ، أو قال
بأنها علامات تدل على وقوع الحوادث حتماً فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنه
سبحانه يمجو ما يشاء و يثبت ، و أنه يقبض و يبسط و يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد
و لم يفرغ من الأمر ، و هو تعالى كل يوم في شأن ، و الظاهر من أحوال المنجمين
السابقين و كلماتهم جلهم بل كلهم أنهم لا يقولون بالتخلف و وقوعاً أو إمكاناً ، فيكون
تصديقهم مخالفاً لتصديق القرآن و ما علم من الدين و الايمان من هذا الوجه ، ولو
كان منهم من يقول بجواز التخلف و وقوعه بقدره الله و اختياره ، و أنه نزول نجوسة
الساعات بالتوكل و الدعاء و النوسل و التصديق ، و ينقلب السعد نحساً و النحس
سعداً ، و بأن الحوادث لا يعلم وقوعها إلا إذا علم أن الله سبحانه لم تتعلق حكمته
بتبديل أحكامها كان كلامه ﷺ مخصوصاً بمن لم يكن كذلك ، فالمراد بقوله « صرف
عنه السوء و حاق به الضر » أي حتماً . قوله ﷺ « في قولك » أي على قولك أو
بسبب قولك ، أو هي للظرفية المجازية « إلا ما يهتدى به » إشارة إلى قوله سبحانه
« و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر » (١) .

و الكهانة - بالفتح - : مصدر قولك كهن بالضم أي صار كاهناً ، و يقال كهن
يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابة إذا تكهن ، و الحرفة الكهانة بالكسر ، وهي
عمل يوجب طاعة بعض الجان له بحيث يأتيه بالأخبار الغائبة ، و هو قريب من
السحر . قيل : قد كان في العرب كهنة كشق و سطيح و غيرهما ، فهنهم من يزعم
أن له تابعا من الجن و رؤيتاً يلقي إليه الأخبار ، و منهم من كان يزعم أنه يعرف
الأمور بمقدّمات و أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو
حاله و هذا يخصونه باسم العراف ، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق و مكان
الضالة و نحوهما . و دعوة علم النجوم إلى الكهانة إما لأنه ينجر أمر المنجم إلى
الرغبة في تعلّم الكهانة و التكبّب به ، أو ادّعاء ما يدّعيه الكاهن . و السحر قيل :

هو كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام و عزائم و نحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ومنه عقد الرجل عن زوجته ، و إلقاء البغضاء بين الناس ، ومنه استخدام الملائكة و الجنّ و استنزال الشياطين في كشف الغائبات و علاج المصاب ، و استحضارهم و تلبّسهم ببدن صبيّ أو امرأة و كشف الغائب على لسانه (انتهى) و الظاهر أنّه لا يختصّ بالضرر ، و سيأتي بعض تحقيقه في باب هاروت و ماروت ، و تمام تحقيقه في باب الكبائر . و وجه الشبه في تشبيه المنجمّ بالكاهن إمّا الاشتراك في الإخبار عن الغائبات ، أو في الكذب و الإخبار بالظنّ و التخمين والاستناد إلى الأمارات الضعيفة و المناسبات السخيفة ، أو في العدول و الانحراف عن سبيل الحقّ و التمسك في نيل المطالب و درك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة ، و صدّهم عن التوسّل إلى الله تعالى بالدعاء و الصدقة و سائر أصناف الطاعة ، أو في البعد عن المغفرة و الرحمة . و يجري بعض هذه الوجوه في التشبيّهين الأخيرين ، و المشبّه به في التشبيّهات أقوى ، و نتيجة الجميع دخول النار . و يمكن أن يكون قوله « و الكافر في النار » إشارة إلى وجه الشبه ، و إن كان بعيداً ، و المراد إمّا الخلود أو الدخول و الأخير أظهر ، و إن كان تحقّقه في الكافر في ضمن الخلود .

و قال ابن ميثم - ره - في شرح هذا الكلام منه عليه السلام : اعلم أن الذي يلوح من سرّ نهي الحكمة النبويّة عن تعلّم^(١) النجوم أمران : أحدهما اشتغال متعلّميها^(٢) بها ، و اعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب و الأوقات ، و الاشتغال بالفزع إليه و إلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى الله تعالى ، و الففلة عن الرجوع إليه فيما يهيم من الأحوال و قد علمت أن ذلك يضادّ مطلوب الشارع ، إذ كان غرضه ليس إلا دوام التفات الخلق إلى الله ، و تذكّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه . الثاني أن الأحكام النجومية إخبارات عن أمور ، و هي تشبه الاطلاع على الأمور الغيبية ، و أكثر الخلق من

(١) تعلّم (خ) .

(٢) متعلّميها (خ) .

العوام^١ أو النساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والإخبار به ، فكان تعلم تلك الأحكام والحكم بها سبباً لضلal كثير من الخلق ، و موهناً لاعتقاداتهم في المعجزات ، إذ الإخبار عن الكائنات منها ، وكذا في عظمة بارئهم ويشككهم في عموم صدق قوله تعالى « قل لا يعلم من في السماوات ومن في الأرض الغيب إلا الله^(١) » ، و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو^(٢) » ، وقوله « إن الله عنده علم الساعة^(٣) » - الآية - ، فالمنجم إذا حكم لنفسه بأنه يصيب كذا فقد ادعى أن نفسه تعلم ما تكسب غداً وبأي أرض تموت ، وذلك عين التكذيب للقرآن ، و كأن هذين الوجيين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها ، و أما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الأحكام فبيانها أن أهل النظر إما متكلمون فإما معتزلة أو أشعرية ، أما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على أحد الأمرين أحدهما أن الشريعة كذّبه و عندهم أن كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي^٢ و إن لم يعلم عين ذلك الوجه ، والثاني مناقشة في ضبطه لأسباب ما أخبر عنه من كون أو فساد ، و أما الأشعرية فهم وإن قالوا لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى وزعم بعضهم أنهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب ، إلا أنه لا مانع على مذهبه أن يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم أو حر كنه علامة على كون كائن أو فساده ، و ذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدة ، فيرجعون أيضاً إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما أخبر عنه و مناقشته في ذلك ، و أما الحكماء فاعلم أنه قد ثبت في أصولهم أن كل كائن فاسد في هذا العالم فلا بد له من أسباب أربعة : فاعلي^٣ و مادي^٤ ، و صوري^٥ ، و غائي^٦ ، أما السبب الفاعلي القريب فالحركات السماوية و الذي هو أسبق منها فالمحرك لها إلى أن ينتهي إلى الجود الإلهي المعطي لكل قابل ما يستحقه ، و أما سببه المادي فهو القابل لصورته ، و تنتهي القوابل إلى

(١) النمل ، ٦٥ .

(٢) الانعام ، ٥٩ .

(٣) لقمان ، ٣٤ .

القابل الأول ، و هو مادة العناصر المشتركة بينها ، و أمّا الصوري فصورته التي تقبلها مادته ، و أمّا الفائي فهي التي لأجلها وجد ، أمّا الحركات السماوية فإنّ من الكائنات ما يحتاج في كونه إلى دورة واحدة للفلك ، ومنها ما يحتاج إلى بعض دورة ، و منها ما يحتاج إلى جملة من أدواره و اتصالاته ، و أمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضاً أنّ قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين له ، و ذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه ، وهكذا قبل كل [صورة] صورة معدة لحصول الصورة بعدها ، و كل صورة منها أيضاً يستند إلى الاتصالات و الحركات الفلكية ، و لكل استعداد معين زمان معين و حركة معينة و اتصال معين يخصه لا يفي بدركها القوة البشرية ، إذا عرفت ذلك فنقول : الأحكام النجومية إمّا أن تكون جزئية أو كلية ، أمّا الجزئية فإن يحكم مثلاً بأنّ هذا الإنسان يكون من حاله كذا و كذا ، و ظاهر أنّ مثل هذا الحكم لا سبيل له إلى معرفته إذ العلم به إنّما هو من جهة أسبابه ، أمّا الفاعلية فإن يعلم أنّ الدورة المعيّنة أو الاتصال المعين سبب لملك هذا الرجل البلد المعين مثلاً ، و أنّه لا سبب فاعلي لذلك إلّا هو ، و الأول باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتصال أو هو مع غيره ، أقصى ما في الباب أن يقال : إنّما كانت هذه الدورة و هذا الاتصال سبباً لهذا الكائن لأنّها كانت سبباً لمثله في الوقت الفلاني ، لكن هذا أيضاً باطل ، لأنّ كونها سبباً للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلقاً دورة و اتصالاً ، بل لعلمه أن يكون لخصوصية كونها تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد ، و حينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون حادث ، لأنّ المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها و الثاني أيضاً باطل ، لأنّ العقل يجزم بأنّه لا اطلاع له على أنّه لا مقتضي لذلك الكائن من الأسباب الفاعلة إلّا الاتصال المعين ، و كيف وقد ثبت أنّ من الكائنات ما يفتقر إلى أكثر من اتصال واحد و دورة واحدة أو أقل ، و أمّا القابلية فإن يعلم أنّ المادة قد استعدت لقبول مثل هذا الكائن ، و استجمعت جميع شرائط قبوله الزمانية و المكانية و السماوية و الأرضية ، و ظاهر أنّ الإحاطة بذلك غير ممكنة للإنسان .

و أمّا أحكامهم الكلية فكان [كما] يقال كلما حصلت الدورة الفلانية كان كذا ، فالمنجم إنما يحكم بذلك الحكم عن جزئيات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها منكرّة ، ولذلك يعدلون إذا حقق القول عليهم إلى دعوى التجربة ، وقد علمت أن التجربة تعود إلى تكرر مشاهدات يضبطها الحس ، والعقل يحصل منها حكماً كلياً كحكمه بأن كل نار محرقة ، فإنه لما أمكن للعقل استنبات الاحراق بواسطة الحس أمكنه الجزم الكلي بذلك ، فأما التشكّلات الفلكية والاتّصالات الكوكبية المقنضية لكون ما يكون ، فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت ، وإن جاز أن يكون تشكّلات و عودات متقاربة الأحوال و متشابهة إلا أنه لا يمكن للإنسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت ، و ذلك أن حساب المنجم مبني على قسمة الزمان بالشهور و الأيام و الساعات و الدرج و الدقائق و أجزاءها ، و تقسيم الحركة بأزائها و رفع بينهما نسبة عددية ، و كل هذه أمور غير حقيقية و إنما تؤخذ على سبيل التقريب ، أقصى ما في الباب أن التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة ، لكنّه يشبه أن يظهر في المدد المتباعدة ، و مع ظهور التفاوت في الأسباب كيف يمكن دعوى التجربة و حصول العلم الكلي الثابت الذي لا يتغيّر باستمرار أثرها على وتيرة واحدة ؟

ثم لو سلمنا أنه لا يظهر تفاوت أصلاً إلا أن العلم يعود تلك الدورة لا يقتضي بمجرد العلم بعود الأثر السابق ، لتوقف العلم بذلك على عود أمثال الأسباب الباقية للأثر السابق من الاستعداد و سائر أسبابه العلوية و السفلية ، وعلى ضبطها فإن العلم التجريبي إنما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها و تكررها ، و كل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية إلى ضبطه ، فكيف يمكن دعوى التجربة ؟

ثم قال : و اعلم أن الذي ذكرناه ليس إلا بيان أن الأصول التي يبنى عليها الأحكاميون أحكامهم و ما يخبرون به في المستقبل أصول غير موثوق بها ، فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الأحكام و الجزم بها ، و هذا لا ينافي كون تلك القواعد مهيّدة بالتقريب ، كقسمة الزمان و حركة الفلك و السنة و الشهر و اليوم مأخوذاً عنها

حساب يبني عليه مصالح إما دينية كمعرفة أوقات العبادات كالصوم والحج ونحوهما أو دنيوية كآجال المدائيات وسائر المعاملات ، وكمعرفة الفصول الأربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة والسفر وأسباب المعاش ، وكذلك معرفة قوانين تقريبيه من أوضاع الكواكب وحرركاتها يهتدي بقصدها وعلى سمتها المسافرون في بر أو بحر ، فإن ذلك القدر منها غير محرم ، بل لعله من الأمور المستحبة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفاصد التي تشتمل عليها الأحكام كما سبق ولذلك امتن الله تعالى على عباده بخلق الكواكب في قوله « هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر »^(١) ، وقوله « لتعلموا عدد السنين والحساب »^(٢) .

أقول : وروى ابن أبي الحديد هذه الرواية [بوجه آخر] أبسط مما أورده السيد -ره- نقلاً من كتاب صفين لابن ديزيل مراسلاً قال : عزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحرورية ، وكان في أصحابه منجم ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة ، وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار ، فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضر شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت فقال له علي عليه السلام : أتدري ما في بطن فرسي هذا أذكر أم أنثى ؟ قال : إن حسبت علمت ، فقال عليه السلام : فمن صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن ، قال الله تعالى « إن الله عنده علم الساعة - الآية »^(٣) . ثم قال عليه السلام : إن محمداً صلى الله عليه وآله ما كان يدعي علم ما ادّعت علمه ، أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ؟ فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل وعز في صرف المكروه عنه ، وينبغي للموقن بأمرك أن يولييك الحمد دون الله جل جلاله ، لأنك

(١) الانعام : ٩٧ .

(٢) يونس : ٥ .

(٣) لقمان : ٣٣ .

بزمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، و صرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدّاً و ندّاً ، اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا صير إلا صيرك ، ولا إله غيرك ثم قال : بل نخالف و نسير في الساعة التي نهيتنا ، ثم أقبل على الناس فقال : أيّها الناس ! إيّاكم و التعلّم للنجوم ، إلّا ما يهتدى به في ظلمات البرّ و البحر ، إنّما المنجم كالكاهن ، و الكاهن كالكافر ، و الكافر في النار . أما والله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لا خلدنك السجن أبداً ما بقيت ، و لا حرّ منك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاء عنه المنجم فظفر بأهل النهر ، و ظهر عليهم ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس سار في الساعة التي أمر بها المنجم و ظفر و ظهر ، أما إنّه ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى و قيصر . أيّها الناس توكلوا على الله و ثقوا به ، فإنّه يكفي من سواه .

و أقول : قال السيّد الجليل عليّ بن طاووس - ره - في كتاب النجوم بعد ما أورد هذه الرواية نقلاً من النهج : إنني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمد بن بابويه - ره - حديث المنجم الذي عرض لمولانا عليّ بن أبي القاسم عند مسيره إلى النهران مسنداً عن محمد بن عليّ ما جيلويه ، عن عمه محمد بن أبي القاسم ، عن محمد بن عليّ القرشيّ ، عن نصر بن مزاحم المقرئ ، عن عمر ابن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبدالله بن عوف بن الأحمر ، قال : لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهران أتاه منجم ثم ذكر حديثه ، فأقول : إن في هذا الحديث عدّة رجال لا يعمل علماء أهل البيت عليه السلام على روايتهم ، و يمنع من يجوز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و شهادتهم ، و فيهم عمر بن سعد ابن أبي وقاص مقاتل الحسين عليه السلام ، فإن أخباره و رواياته مهجورة ، ولا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه ، ثم طعن في الرواية بأنّها لو كانت صحيحة لكان عليه السلام قد حكم في هذا على صاحبه الذي قد شهد مصنف نهج البلاغة أنّه من

أصحابه أيضاً بأحكام الكفار ، إمّا بكونه مرتدّاً عن الفطرة فيقتله في الحال ، أو برّدّة عن غير الفطرة فيتوبه ، أو يمتنع من التوبة فيقتل ، لأنّ الرواية قد تضمّنت أنّ المنجم كالكافر ، أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة ، لأنّ الرواية تضمّنت أنّه كالكاهن و الساحر ، وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنّه حكم على هذا المنجم أحكام الكفار ولا السحرة ولا الكهنة ولا أبعده ولا عزّره ، بل قال : سيروا على اسم الله ، و المنجم من جملتهم لأنّه صاحبه ، وهذا يدلّك على تباعد الرواية من صحّة النقل ، أو يكون لها تأويل غير ظاهرها موافق للعقل .

ثمّ قال : وبما نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الراوي فيها « إنّ من صدّقك فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله » و نعلم أنّ الطلائع للحروب يدلّون على السلامة من هجوم الجيوش و كثير من النحوس و يشترّون بالسلامة ، و ما ألزم من ذلك أن يولّيهما الحمد دون ربهما .

ثمّ إننا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعوّذ من أهل الكهانة والسحرة ، فلو كان المنجم مثلهم كان قد تضمّن بعض الأدعية التعوّذ منه ، و ما عرفنا في الأدعية التعوّذ من النجوم و المنجم إلى وقتنا هذا ، و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنّ الدعوات تضمّن كثير منها و غيرها من صفات النبي ﷺ أنّه لم يكن كاهناً ولا ساحراً ، و ما وجدنا إلى الآن ولا كان عالماً بالنجوم ، فلو كان المنجم كالكاهن و الساحر ما كان يبعد أن يتضمّن بعض الروايات والدعوات في ذكر الصفات (انتهى) .

واقول : أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصة و العامة ولذا أورده السيّد في النهج ، إذ دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين ، وضعف سند الرواية التي أورده الصدوق - ر - لا يدلّ على ضعف سائر الأسانيد ، و هو بن سعد الذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الذي كان محارب الحسين عليه السلام كما يظهر من كتابه كتاب الصفيين الذي عندنا فإنّ أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرجل ، وفي كثير من المواضع « عمرو » مكان « عمر » ولم يكن الملعون من جملة

رواة الحديث وحلة الأخبار ، حتى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة ، وأيضاً رواية نصر عنه بعيد جداً ، فإن نصرأ كان من أصحاب الباقر عليه السلام و الملعون لم يبق بعد شهادة الحسين عليه السلام إلا قليلاً ، والشواهد على كونه غير ، كثيرة لاتخفى على المتدرب في الأخبار ، العارف بأحوال الرجال ، وهذا من السيد -ه- غريب ، وأما قوله أنه عليه السلام لم يحكم بكفر المنجم فيرد عليه أن الظاهر من التشبيه بالكافر أنه ليس بكافر ، وإنما يدل على اشتراكه معه في بعض الصفات لافي جميع الأحكام حتى يقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة ، على أنه عليه السلام لم يشبهه بالكافر بل بالمشبّه بالكافر ، وأما قوله ولا أبده ولا عزّه ، ففيه أنه قدظهر مما رواه ابن أبي الحديد الإيعاد بالحبس المؤبد ، و النحر من العطاء ، ولم يعلم أنه أصر المنجم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتى يستحق تعزيراً أو نكلاً ، وعدم اشمال رواية السيد على هذه الزيادة لايدل على عدمها ، فإن عادة السيد الاقتصار على ما اختاره من كلامه عليه السلام بزعمه لاستيفاء النقل والرواية ، مع أن عدم النقل في مثل هذا لايدل على العدم ؛ و كونه من أصحابه وبينهم لايدل على كونه مرضياً ، فإن جيشه عليه السلام كان مشتملاً على كثير من الخوارج والمنافقين كالأشعث أخي هذا المنجم على ما ذكره السيد و غيره أنه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين ومثير أكثر الفتن و أما قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بين ، فإن ما يهدي إليه الطلائع ونحوهم ليست أموراً يترتب عليها صرف سوء ونيل المحبوب حتماً ، بل يتوقف على اجتماع أمور كوجود الشرائط وارتفاع الموانع ، وكل ذلك لايتيسر الظفر بها إلا بفضل مسبب الأسباب ، بخلاف ما دّعا المنجم من أن الظفر يترتب حتماً على الخروج في الساعة التي اختاره وأما عدم التعوذ من النجوم والمنجم فلا أن المنجم إنما يعود ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر والكاهن فإنه يترتب منهما ضرر كثير على الناس ، مع أن الدعاء الذي رواه السيد في كتاب الاستخارات وأوردناه في هذا الباب يتضمن البراءة إلى الله من اللجأ إلى العمل بالنجوم وطلب الاختيارات منها وأما عدم وصف النبي صلى الله عليه وآله بأنه لم يكن منجماً لأن الكفار إنما كانوا يصفونه

صلى الله عليه وآله بالسحر والكهانة والشعر ، فورد براءته عنها ردّاً عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنجوم ، مع أنه كان عالماً بالحق من علم النجوم وكان من فضائله .
٥١ - المكارم : في الحديث أنه نهى عن الحجامة في الأربعاء إذا كانت الشمس في العقرب ^(١) .

٥٢ - الذهبية : عن الرضا عليه السلام : أعلم أن جماعهن والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل ، وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر .
بيان : لعله قال ذلك موافقاً لرأي المأمون ، ولما اشتهر في ذلك الزمان كما أشعر عليه السلام به في تلك الرسالة .

٥٣ - الصحيح : في حرز الجواد عليه السلام : وينبغي أن لا يكون طلوع القمر في برج العقرب .

٥٤ - التهذيب : عن محمد بن علي بن محبوب ، عن أحمد بن الحسن بن علي بن علي بن يعقوب الهاشمي ، عن مروان بن مسلم ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كسوف الشمس أشد على الناس والبهائم .

بيان : هذا مما يوهم أن لآحوالها وأوضاعها تأثيراً في بعض الأشياء ، ويمكن أن يكون المعنى أنه علامة غضب الله عليهم ، أو أنهم يفرعون لذلك لحدوث الظلمة في غير وقتها .

٥٥ - نوادر علي بن أسباط : عن إبراهيم بن محمد بن حمران ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من سافر أوتزوج والقمر في العقرب لم ير الحسنى .
الكافي : عن عتبة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن علي بن أسباط عن إبراهيم بن حمران عن أبيه مثله ^(٢) .

بيان : الظاهر أن المراد بكون القمر في العقرب هنا كونه محاذياً لكواكبه كما هودأب العرب في البوادي وغيرها ، إذ لم يكن عندهم ضوابط البروج والانتقالات

(١) مكارم الاخلاق : ج ١ ، ص ٨٣ .

(٢) روضة الكافي : ٢٧٥ .

إليها والاستخراجات الشائعة في تلك الأزمان . ولم يكن دأبهم عليه السلام إحالة الناس في الأحكام التي تحتاج إليها عامة الخلق على ما لا يعرفه إلا الآحاد من العلماء لاسيما إذا لم يكن شائعا في تلك الأزمنة عند العلماء أيضاً ، و الكواكب الثابتة والأشكال التي سميت البروج بها قد انتقلت في زماننا عن البروج التي عينوها بمقدار برج تقريباً ، فالعقرب في مكان القوس ، فظهر أن ما وقع في الشريعة أيضاً لا يوافق قواعدهم المقررة عندهم .

٥٦ - الخصال : عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن علي بن الحسين السعدابادي ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه وغيره ، عن محمد بن سليمان الصنعاني ، عن إبراهيم بن الفضل ، عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه ، فرد عليه السلام فقال (١) له : مرحباً بك يا سعد ! فقال له الرجل : بهذا الاسم سمّيتني أمي وما أقل من يعرفني به . فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت يا سعد المولى ! فقال الرجل : جعلت فداك ، بهذا كنت القلب . فقال له أبو عبد الله عليه السلام : لا خير في القلب ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه « ولا تنازوا بالألقاب بس اسم الفسوق بعد الإيمان (٢) » ما صنعتك (٣) يا سعد ؟ فقال : جعلت فداك ، أنا من أهل بيت ننظر في النجوم ، لا نقول إن باليمن [أحداً] أعلم بالنجوم منا . فقال أبو عبد الله عليه السلام : فأسألك ؟ فقال اليماني : سل عما أحببت من النجوم ، فإني أجيبك عن ذلك بعلم . فقال أبو عبد الله عليه السلام : كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليماني : لأدري ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة ؟ فقال اليماني : لأدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة ؟ فقال اليماني : لأدري ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فما اسم النجم الذي

(١) في المصدر ، وقال له .

(٢) الحجرات : ١١ .

(٣) في المصدر : ما صنعتك ؟

إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليماني: "لأدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت في قولك لأدري، فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليماني: "نجم نحس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: مه! لا تقولن هذا، فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء وهو النجم الثاقب الذي قال الله عز وجل في كتابه. قال اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: "إن مطلعته في السماء السابعة، وإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سمّاه الله عز وجل النجم الثاقب. يا أبا أهل اليمن عندكم علماء؟ فقال اليماني: "نعم جعلت فداك، إن باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: وما يبلغ من علم عالمهم؟ فقال له اليماني: "إن عالمهم ليزجر الطير ويقفوا الأثر في الساعة الواحدة مسيرة شهر للراكب المجّد! فقال أبو عبد الله عليه السلام (١) "إن علم عالم المدينة ينتهي إلى حيث لا يقفوا الأثر ويزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً، واثني عشر برّاً واثني عشر بحرّاً، واثني عشر عالماً! قال: فقال له اليماني: جعلت فداك، ما ظننت أن أحداً يعلم هذا أويديري ما كنهه! ثم قام اليماني فخرج (٢).

النجوم: قال السيّد - ره -: وجدت في كتاب عتيق تأليف علي بن عبد العزيز النيسابوري، عن علي بن أحمد، عن إبراهيم بن الفضل، عن أبان بن تغلب. و ذكر نحوه إلا أن فيه «سعيد» مكان «سعد» في المواضع، «والمزني» مكان «المولي»، وفيه «فما اسم النجوم التي إذا طلعت هاجت الإبل؟ قال: لأدري، قال: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر إلى آخر الخبر، ثم قال السيّد - ره -: ورويت هذا الحديث بأسانيد إلى أبان من كتاب عبد الله ابن القاسم الحضرمي.

٥٧ - الكافي: عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان

(١) في المصدر، فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن، فقال اليماني، وما بلغ من علم

عالم المدينة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام.

(٢) الخصال، ٨٦.

ابن عيسى، عن أبي إسحاق الجرجاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدة من ليال وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطيء بإدارته، فطالت أيامهم ولياليهم وسنينهم ^(١) وشهورهم، وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرعه بإدارته، فقصرت لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفي له عز وجل بعدد الليالي والشهور ^(٢).

بيان: قد مرّ الكلام في مثله.

٥٨ - الكافي: عن محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، وعدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، جميعاً عن علي بن حسان، عن علي بن عطية الزيات، عن معلّى بن خنيس، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحق هي؟ فقال: نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأخذ رجلاً من العجم فعلمه النجوم حتى ظن أنه قد بلغ، ثم قال له: انظر أين المشتري، فقال: ما أراه في الفلك وما أدري أين هو، قال: فنحاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتى ظن أنه قد بلغ، و قال: انظر إلى المشتري أين هو، فقال: إن حسابي ليدلّ على أنك أنت المشتري، وقال: ^(٣) فشقق شقّة فمات: و ورث علمه أهله فالعلم هناك ^(٤).

بيان: «في صورة رجل»، لعل المراد على تقدير صحة الخبر أن الله تعالى

(١) وسنوهم (خ).

(٢) روضة الكافي، ٢٧١.

(٣) في المصدر، قال وشقق.

(٤) روضة الكافي، ٣٣٠. أقول، على فرض صدور الرواية يحتمل أن يكون الامام عليه

السلام حكى هذه الاحدثة عن قول غيره لمصلحة، فزعم بعض الرواة انها حكاه عن الواقع فرواها عنه. ويؤيده ما مر في الحديث (٢٦) من هذا الباب عن الرضا عليه السلام انه قال للصباح بن نصر الهندي: اصل هذا العلم من عند الله عز وجل، ويقال: ان الله بعث النجم الذي يقال له المشتري.. الخ.

جعله في هذا الوقت ذا روح وحياة وعلم و بعنه إلى الأرض ، لئلا ينافي ماسياتي من إجماع المسلمين على عدم حياة الأجسام الفلكية وشعورها، وأما أنه كيف صار صغيراً بحيث وسعه الأرض و حضر عند الرجل فيمكن أن يكون على التكاثف ، أو على إعدام بعض الأجزاء، سوى الأجزاء الأصلية التي بها تشخص الكوكب، ثم إيجاد تلك الأجزاء و إعادتها ، كما أن الشخص تتبدل أجزاؤه من أول العمر إلى آخره وتشخصه محفوظ بالأجزاء الأصلية . « وورث علمه أهله » أي كتبه وما علمهم قبل موته، والخبر يدل على أن لهذا العلم أصلاً ولا يدل على جواز النظر فيه وبعليمه و تعلمه و استخراج الأحكام منه لسائر الخلق ، و لعله يكون فتنة كقصّة هاروت و ماروت .

٥٩ - الفقيه : بسنده الحسن عن عبد الملك بن أعين . قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني قد ابتليت بهذا العلم ، فأريد الحاجة ، فإذا نظرت إلي الطالع و رأيت الطالع الشرّ جلست ولم أذهب فيها ، و إذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة ، فقال لي : تقضي ؟ قلت : نعم ، قال : أحرق كتبك (١) .
دعوات الراوندي : عن عبد الملك مثله .

بيان : قوله « تقضي » على بناء المعلوم ، أي تحكم بالحوادث وتخبر بالأمور الآتية أو الغائبة ، أو تحكم بأن للنجوم تأثيراً ، أو أن ذلك الطالع أثر ، أو على بناء المجهول أي إذا ذهبت في الطالع الخير تقضي حاجتك و تعتقد ذلك ، والأول عندي أظهر . وهذا خبر معتبر يدل - على أظهر الوجوه - على أن الإخبار بأحكام النجوم والاعتناء بسعادة النجوم والطوالع محرّم يجب الاحتراز عنه .

٦٠ - الفقيه : روي عن ابن أبي عمير أنه قال : كنت أنظر في النجوم وأعرفها و أعرف الطالع فدخلني من ذلك شيء ، فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال : إذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على أول مسكين ثم امض ، فإن

الله عز وجل يدفع عنك (١).

النجوم : نقلاً من الفقيه عن ابن أبي عمير مثله ، ثم قال السيد - ره - : وروينا هذا الحديث أيضاً من كتاب التجمّل عن محمد بن أذينة عن ابن أبي عمير و ذكر نحوه ، ثم قال : لو لم يكن في الشيعة عارف بالنجوم إلا محمد بن أبي عمير لكان حجة في صحته وإباحتها ، لأنّه من خواص الأئمة والحجج ، في مذاهبها وروايتها (٢).

بيان : أقول : روى هذا الخبر البرقي في المحاسن ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن سفيان بن مهران ، فظهر أنّ العارف بالنجوم لم يكن ابن أبي عمير بل رجلاً مجهول الحال ، و وقع سقط من نسخ الفقيه ، ولو سلم فجوابه عليه السلام يدلّ على أنّه لما كان ابتلي بهذا العلم و كان في نفسه من ذلك شيء علمه عليه السلام ما يدفع ذلك من الصدقة كما يدفع به الطيرة التي لأصل لها ، ولم يكن ابن أبي عمير - رحمه الله - معصوماً حتّى يكون فعله حجة .

٦١ - **دلائل الإمامة للطبري** و كتاب النجوم عن عبدالله بن محمد البلوي عن حماد بن زيد المدني ، عن إبراهيم بن سعيد و محمد بن مسعر ، عن محمد بن إسحاق صاحب المغازي ، عن عطاء بن يسار ، عن عبدالله بن عباس ، قال : مرّت بالحسن بن علي عليه السلام بقرة فقال : هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرة في جبهتها ورأس ذنبها أبيض فانطلقنا مع القصاب حتّى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها ، فقلنا له : أوليس الله عز وجل يقول « و يعلم ما في الأرحام » فكيف علمت ؟ قال : إنّنا نعلم المخزون المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد و ذريته عليهم السلام .

بيان : يدلّ على أنّه ليس للمنجمين وأمثالهم علم بأمثال ذلك .

٦٢ - **الكافي :** بسند فيه إرسال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان بيني و بين رجل قسمة أرض ، وكان الرجل صاحب نجوم ، وكان يتوخّى ساعة السعود فيخرج

(١) الفقيه ، ٢٢٢ .

(٢) رواياتها (خ) .

فيها ، وأخرج أنا في ساعة النحوس ، فاقسمنا فخرج لي خير القسمين ، فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى ثم قال : مارأيت كالיום قط ؟ قلت : ويل الآخر ، ماذا ؟ قال : إنني صاحب النجوم ^(١) ، أخرجتك في ساحة النحوس و خرجت أنا في ساعة السعد ، ثم قسمنا فخرج لك خير القسمين . فقلت : ألا أحدئك بحديث حدثني به أبي عليه السلام ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : من سره أن يدفع الله عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه ، و من أحب أن يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته . و إنني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم ^(٢) .

بيان : يدل على أنه لو كانت لها نحوسة فهي تندفع بالصدقة ، وأنه لا ينبغي مراعاتها بل ينبغي التوسل في دفع أمثال ذلك بما ورد عن المعصومين عليهم السلام من الدعاء والتصدق والتوكل وأمثاله .

٦٣ - معاني الاخبار : عن القطان ، عن ابن زكريا ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن عبدالله بن الفضل ، عن أبيه ، عن أبي خالد الكابلي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : الذنوب التي تظلم الهواء السحر والكهانة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر (الخبر) ^(٣) .

بيان : ظلمة الهواء كناية عن التحير في الأمور ، أو شدة البلية وظهور آثار غضب الله في الجو .

٦٤ - النجوم : روى الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في كتاب العرائس : إنما سميت إدريس لكثرة درسه للمكتب وصحف آدم وشيث ، وكان أوّل من خط بالقلم ، وأوّل من خاط الثياب ، و لبس المخيط ، و أوّل من نظر في علم النجوم والحساب .

(١) في المصدر : نجوم .

(٢) فروع الكافي ج ٣ ، ص ٦ .

(٣) معاني الاخبار : ٢٧١ .

قال السيد - ره - : وذكر علي بن المرتضى في كتاب « ديوان النسب » فيما حكاه عن التورثية أن إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من حسب حساب النجوم . قال : ورأيت في رسالة أبي إسحاق الطرسوسي إلى عبد الله بن مالك في باب معرفة أصل العلم ما هذا لفظه : إن الله تبارك وتعالى أهب آدم من الجنة ، وعرفه علم كل شيء ، فكان مما عرفه النجوم والطب . قال : ووجدت في كتاب « المنتخب » من طريق أصحابنا في دعاء كل يوم من رجب « ومعلم إدريس عدد النجوم والحساب والسنين والشهور والأزمان » وذكر عبد الله بن محمد بن طاهر في كتاب « لطائف المعارف » : أول من أظهر علم النجوم ودل على تركيب و قدر مسير الكواكب وكشف عن وجوه تأثيرها هرمس .

٦٥ - الدر المنثور : عن قتادة ، قال : إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوماً للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد فال رأيه وأخطأ حفظه وأضاع نصيبه وتكلم^(١) ما لا علم له به ، وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة : من أعرس بنجم كذا وكذا [كان كذا وكذا] ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود ، والطويل والقصير ، والحسن والدميم ، ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء^(٢) .

٦٦ - وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ، ثم انتهوا^(٣) .

٦٧ - وعن مجاهد ، قال : لا بأس أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البر والبحر ، ويتعلم منازل القمر^(٤) .

٦٨ - وعن حميد الشامي ، قال : النجوم هي علم آدم عليه السلام^(٥) .

(١) في المصدر « تكلف » وهو الصواب .

(٢) (٥ - ٢) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٣٣ .

٦٩ - وعن الحسن بن صالح قال : سمعت عن ابن عباس أنه قال : ذلك علم ضيعة الناس النجوم ^(١) .

٧٠ - وعن عكرمة أنه سأل رجلاً عن حساب النجوم ، وجعل الرجل يتحرج أن يخبره ، فقال عكرمة سمعت ابن عباس يقول علم عجز الناس عنه ، وددت أني علمته ^(٢) قال الخطيب مر ده الضرب المباح الذي كانت العرب تختص به .

٦٩ - و عن عبدالله بن حفص قال : خصت العرب بخصال : بالكهانة ، و القيافة ، والعيافة ، والنجوم ، والحساب ، فهمد الاسلام الكهانة و ثبت الباقي بعد ذلك ^(٣) .

٧٠ - و عن القرطبي قال : والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء من نجم و لكن يتبعون الكهنة و يتخذون النجوم علة ^(٤) .

٧١ - و عن سمرة بن جندب ، أنه خطب فذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : أما بعد فإن ناساً يزعمون أن كسوف الشمس و كسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مواضعها ملوت رجال عظماء من أهل الأرض ، و إنهم قد كذبوا و لكنها آيات من آيات الله يعتبر بها عباده ، لينظر ما يحدث له منهم توبة ^(٥) .

٧٢ - و عن علي بن أبي طالب قال : نهاني رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم ، و أمرني بإسباع ، يطهور ^(٦) .

٧٣ - و عن أبي هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم ^(٧) .

٧٤ - وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا

(١) الدر المنثور ج ٣ ، ص ٣٤ .

(٢) الدر المنثور ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٣) د د ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٤) د د ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٥) د د ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٦) د د ج ٣ ، ص ٣٥ .

- و إذا ذكر القدر فأمسكوا ، و إذا ذكرت النجوم فأمسكوا ^(١) .
- ٧٥ - و عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أخاف على أمتي خصلتين : تكذيباً بالقدر ، و تصديقاً بالنجوم . و في لفظ : و حذقاً بالنجوم ^(٢) .
- ٧٦ - و عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد ^(٣) .
- ٧٧ - و عن ابن عباس قال : إن قوماً ينظرون في النجوم ، و يحسبون أباجاد ، و ما أرى للذين يفعلون ذلك من خلاق ^(٤) .
- ٧٨ - و عن ميمون بن مهران قال : قلت لابن عباس : أوصني ، قال : اوصيك بتقوى الله ، و إيتاك و علم النجوم ، فإنه يدعو إلى الكهانة ^(٥) .
- ٧٩ - و عن الحسن بن علي ^(٦) قال : لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر دعا بقوسه فاتكأ على سيمتها ، و حمد الله و ذكر ما فتح الله عليه و نصره ، و نهى عن خصال : عن مهر البغي ، و عن خاتم الذهب ، و عن المياثر الحمر ، و عن لبس الثياب النسجي ، و عن ثمن الكلب ، و عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، و عن ^(٦) الصرف الذهب بالذهب و الفضة بالفضة [و] بينهما فضل ، و عن النظر في النجوم ^(٧) .
- ٨٠ - و عن مكحول قال : قال ابن عباس : لا تعلم النجوم ، فإنها تدعو إلى الكهانة ^(٨) .
- ٨١ - و عن العباس بن عبدالمطلب قال : قال رسول الله : لقد طهر الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلهم النجوم ^(٩) .
- ٨٢ - و عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إن متعلم حروف أبي جاد ليرى في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة ^(١٠) .

(١ - ٥) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٦) كذا في نسخ البحار و المصدر .

(٧٩) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٣٥ و ٣٦ .

(١٠٩) (١٠٩) ، ، ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

بيان : قال الفيروز آبادي « فال رأيه » أخطأ و ضعف . وقال : عفت الطير أعيفها عيافة زجرتها ، و هو أن يعتبر بأسمائها و مساقتها و أنوائها فيتسعد أو يتشأم و العائف المتكهن بالطير أو غيرها^(١) . وفي النهاية : الميثرة من مراكب المعجم تعمل من حرير أو ديباج ، و تتخذ كالفراش الصغير ، و تحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته على الرحال فوق الجمال ، و يدخل فيه مياثر السروج^(٢) . وقال : فيه أنه نهى عن لبس القسي ، هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على ساحل^(٣) البحر قريباً من تنيس يقال لها « القس » بفتح القاف و بعض أهل الحديث يكسرها ، و قيل : أصل القسي « القزّي » بالزاي منسوب إلى القز و هو ضرب من الأبريسم ، فأبدل من الزاي سيناً ، و قيل : منسوب إلى القس ، و هو الصقيع لبياضه^(٤) . و الصقيع : الساقط من السماء بالليل كأنه ثلج .

تذييل جليل و تفصيل جميل - نذكر فيه أقوال بعض أجلاء أصحابنا-رضوان الله عليهم- في حكم النظر في علم النجوم ، و الاعتقاد به ، و الإخبار عن الحوادث بسببه ، و رعاية الساعات المسمودة والمنحوسة بزعمهم ، و القول بتأثيرها ، ثم نذكر ما ظهر لنا من الأخبار السابقة في جميع ذلك .

قال الشيخ السعيد المفيد -ره- في كتاب المقالات على ما نقل عنه السيد بن طاووس -ره- في كتاب « فرج المهموم بمعرفة علم النجوم » و إن لم نجد فيما عندنا من نسخه حيث قال : أقول إن الشمس و القمر و سائر النجوم أجسام نارية لاهية لها ولا موت ولا تميز ، خلقها الله تعالى لينتفع بها عباده ، و جعلها زينة لسماواته ، و آيات من آياته ، كما قال سبحانه « هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق » يفصل

(١) القاموس ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

(٢) النهاية : ج ٤ ، ص ١٩٣ ،

(٣) في المصدر ، شاطئ البحر .

(٤) النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

الآيات لقوم يعلمون^(١) » وقال تعالى « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون^(٢) » وقال تعالى « وعلامات وبالنجم هم يهتدون^(٣) » وقال تعالى « وزينا السماء الدنيا بمصابيح^(٤) » فأما الأحكام على الكائنات بدلائلها أو الكلام على مدلول حرركاتها فإن العقل لا يمنع منه ، ولنا ندفن أن يكون الله تعالى أعلمه بعض أنبيائه ، وجعله علماً له على صدقه غير أننا لا نقطع عليه ولا نعتقد استمراره في الناس إلى هذه الغاية ، وأما ما نجده من أحكام المنجمين في هذا الوقت وإصابة بعضهم فيه فإنه لا ينكر أن يكون ذلك بضرب من التجربة وبديل عادة ، وقد تختلف أحياناً ويخطئ المعتمد عليه كثيراً ولا يصح إصابته فيه أبداً ، لأنه ليس بجار مجرى دلائل العقول ، ولا براهين الكتاب وأخبار الرسول ﷺ ، وهذا مذهب جمهور متكلمي أهل العدل ، وإليه ذهب بنونوبخت^(٥) من الإمامية ، وأبو القاسم وأبو علي من المعتزلة (انتهى) .

وقال الشيخ محمد بن الحسين الكيدري في شرح نهج البلاغة في تهجين أحكام النجوم : كيف يمكن أن يكون الإنسان يعرف الحوادث وأسبابها في الحال حتى

(١) يونس : ٥ .

(٢) الانعام : ٩٧ .

(٣) النحل : ١٦ .

(٤) فصلت : ١٢ .

(٥) آل نوبخت طائفة كبيرة خرج منهم جماعات كثيرة من العلماء والادباء والمنجمين والفلاسفة والمتكلمين والكتاب والحكام والأمراء ، وكانت لهم مكانة وتقدم في دوله بنى العباس ، وأصلهم من الفرس وأول من أسلم منهم جدهم « نوبخت » وهو من عشيرة « كيوين كودرز » وكان منجماً لأبي جعفر المنصور خصيصاً به ، فلما ضعف عن صحبة المنصور أقام مقامه ابنه « أبا سهل » وهو الذي ينتهي إليه سلسلة هذه الطائفة ، وله عشرة أولاد كان لاثنتين منهم ذرية كثيرة مشهورة وهما : اسحاق واسماعيل ومن ينسب إلى هذه الطائفة الشيخ الاجل أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي أحد السفراء الارمن في النجف الصغرى . وآل نوبخت معروفون بولاية علي وولده عليهم السلام

يعرف المسبب في المستقبل كما في الجزر والمد ، و من ادعى أنه يعرف أسباب الكائنات فمقدّماته ليست برهانية وإنما هي تجريبية أو شعرية أو خطابية مؤلفة من المشهورات في الظاهر أو المقبولات و المظنونات ، ومع ذلك فلا يمكن أن يتعرّض إلا لجنس من أجناس الأسباب ، و هو تعرّض بعض الأسباب العلوية ، ولا يمكنه أن يتعرّض لجميع الأسباب السماوية والقوابل ، و إذا تغيّرت القوابل عن أحوالها تغيّرت أثر الفاعل فيها ، فإن النار في الحطب اليابس مؤثرة تأثيراً لا تؤثر في الرماد و كذا معرفة بقائها على استعداد القبول شرط ، و يمكن أن يكون للقوابل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب و المسببات إلا الله تعالى . و أيضاً فإن المنجم يحكم على مفردات الكواكب ولا يحكم على جميعها بمتزجة ، و كما أن أحكام مفردات الترياق و سائر المعاجين غير أحكام المركّب الذي حصلت له صورة نوعيّة كذاك حكم الكواكب المركوزة في الأفلاك غير حكم أفرادها ، و إذا لم يمكن للمنجم الحكم إلا على المفردات كان الحكم ناقصاً غير موثوق به . ثم إنه ربما يحصل التوأمان في غشاء فيكشف عنهما فإذا فيه صبيان حيّان ، و على قوانين الأحكاميتين يجب أن يكونا مثليين في الصورة و العمر و الحركات ، حتّى لا يجوز أن يختلفا في شي . من الأشياء ، ولا يجوز أن يسكت أحدهما في وقت كلام الآخر ، ولا يقوم في وقت قعود الآخر ، ولا ينام في وقت لا ينام فيه الآخر ، و إذا دخلا بيتاً فيه باب ضيق فلا يمكنهما الدخول فإنه لا بدّ ههنا من التقدّم و التأخّر ، ولا يجوز أن يمسه إنسان أحدهما دون الآخر ، ولا يجوز أن يكون في التزويج امرأة أحدهما غير امرأة الآخر ولا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر في الأرض ، و هذا ممّا لا يخفى فساد و أيضاً فإن الحكم الكلّي عند أكثرهم يغلب الجزئي ، ألا ترى أن طالع ناحية أو بلد إذا كان فاسداً فإنه لا يفيد عطية الكدخدأ لإنسان ، فكيف يعتمد على الطوالع و الاختيارات مع نفي العلم بالكلّيات ؟ و من شنيع قولهم أنهم يقولون إذا ولد للملك في حال ولد لسوقي ولد ، فإن الكواكب تدلّ لابن الملك بخلاف ما تدلّ لابن السوقي مع اتفاقهما في كمية العمر ، لأن هيلاجهما و كدخداهما

لا يختلفان ، فإذا جاز أن تكون دلالة النجوم مختلفة في سعادة هذين الولدين فما أنكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضاً مختلفة ؟ واختلفوا في تقويم الكواكب باختلاف الزيجات ، ولا برهان على فساد بعضها و صواب بعضها ، فربما يوجد في تقويم الشمس من التفاوت خمس درج ، و تختلف درج الطوالع و بروج التحاويل بسبب ذلك فنفسد الأحكام .

ثم أورد عليهم كثيراً من الاختلافات و النفاضات لانطيل الكلام بإيرادها . و قال الشيخ إبراهيم بن نوبخت في كتاب « الياقوت » : قول المنجمين يبطله قدم الصانع و اشتراط اختياره ، و يلزم عليهم أن لا يسقر الفعل على حال من الأحوال ، و قول أهل الطبائع يبطل بمثل ذلك .

و قال العلامة - ره - في شرحه : اختلف قول المنجمين على قسمين : أحدهما قول من قال إن الكواكب السبعة حية مختارة ، و الثاني قول من قال إنها موجبة و القولان باطلان ، أمّا الأول فلاّنها أجسام محدثة فلا تكون آلهة ، و لاّنها محتاجة إلى محدث غير جسم فلا بدّ من القول بالصانع . و أمّا الثاني فلاّن الكواكب المعيّنة كالمرّيخ مثلاً إذا كان مقتضياً للحرب لزم دوام وقوع الهرج و المرج في العالم ، و أن لا يستقرّ أفعالهم على حال من الأحوال ، و لمّا كان ذلك باطلاً كان ما ذكره باطلاً^(١) . و أمّا القائلون بالطبائع الذين يسندون الأفعال إلى مجرد الطبيعة فيبطل قولهم بمثل ذلك أيضاً ، فإنّ الطبيعة قوّة جسمانيّة و كلّ جسم محدث فكلّ قوّة حالة فهي محدثة فتفتقر إلى محدث غير طبيعته ، و إلّا لزم النسلسل ، فلا بدّ من القول بالصانع سبحانه و تعالى .

و قال السيّد الشريف المرتضى - ره - في كتاب « الفرر و الدرر » في أجوبة

(١) يمكن المناقشة في هذا الكلام بأن المنجم لا يقول بكون المريخ بذاته يقتضى وقوع الحرب في الارض دائماً بل عند تحقق وضع خاص له و حصول شرائط معينة في الارض مضافاً إلى ان اقتضاءه لذلك لا يوجب وقوعه دائماً ، لان المقتضى انما يؤثر إذا لم يمنع عن تأثيره مانع

المسائل السالّية ، حين سئل - ره - : ما القول فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث و يضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم ؟ و ما المانع من أن تؤثر الكواكب على حدّ تأثير الشمس الأدمة فينا ؟ و إن كان تأثير الكواكب مستحيلاً فما المانع من أن تكون التأثيرات من فعل الله تعالى بمجرى العادة عند طلوع هذه الكواكب أو انتقالها ؟ فلينعّم ببيان ذلك ، فإنّ الأنفس إليه متشوّقة ، و كيف تقول إنّ المنجمون حادسون مع أنّه لا يفسد من أقوالهم إلّا القليل ؟ حتّى أنّهم يخبرون بالكسوف و وقته و مقداره فلا تكون إلّا على ما أخبروا به ، فأبى فرق بين إخبارهم بحصول هذا التأثير في هذا الجسم و بين حصول تأثيرها في أجسامنا ؟

الجواب : اعلم أنّ المنجمين يذهبون إلى أنّ الكواكب تفعل في الأرض و من عليها أفعالاً يسندونها إلى طباعها ، و ما فيهم [من] أحد يذهب إلى أنّ الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل عند قرب بعضها من بعض أو بعده أفعالاً من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير في ذلك ، و من ادّعى هذا المذهب الآن منهم فهو قائل بخلاف ما ذهبت القدماء في ذلك ، و متجمل بهذا المذهب عند أهل الإسلام و متقرّب إليهم بأظهاره ، و ليس هذا بقول لأحد ممّن تقدّم ، و كان الذي كان يجوز أن يكون صحيحاً - و إن دلّ الدليل على فساده - لا يذهبون إليه ، و إنّما يذهبون إلى المحال الذي لا يمكن صحته . وقد فرغ المتكلمون من الكلام في أنّ الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلة ، و تكلمنا نحن أيضاً في مواضع على ذلك ، و بيّنا بطلان الطبائع الذين يهذون بذكرها و إضافة الأفعال إليها ، و بيّنا أنّ الفاعل لا بدّ أن يكون حياً قادراً ، و قد علمنا أنّ الكواكب ليست بهذه الصفة ، و كيف تفعل و ما يصحّح الأفعال مفقود فيها ؟ و قد سطر المتكلمون طرقاً كثيرة في أنّها ليست بحية ولا قادرة أكثرها معترض ، و أشفّ ما قيل في ذلك أنّ الحياة معلوم أنّ الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفيها ولا تثبت معها ، و معلوم أنّ حرارة الشمس أشدّ و أقوى من حرارة النار بكثير ، لأنّ الذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار ، و ما كان بهذه الصفة من الحرارة

يستحيل كونه حياً ، وأقوى من ذلك كله في نفي كون الفلك و ما فيه من شمس وقمر و كوكب أحياء ، السمع و الإجماع و أنه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب ، وأنها مسخرة مدبرة مصرفة و ذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة ، وإذا قطعنا على نفي الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة . و على أننا قد سلمنا لهم استظهاراً في الحجة أنها قادرة ، قلنا : إن الجسم و إن كان قادراً فإنه لا يجوز أن يفعل في غيره إلا على سبيل التوليد ، و لابد من وصلة بين الفاعل و المفعول فيه ، و الكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بينها و بيننا ، فكيف تكون فاعلة فينا ؟ فإن ادعى أن الوصلة بينناهي الهواء ، فالهواء أو لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة و حمل الأثقال ثم لو كان الهواء آلة تحرّكنا بها الكواكب لوجب أن نحس بذلك و نعلم أن الهواء يحرّكنا و يصرفنا كما نعلم في غيرنا من الأجسام إذا حرّكناه بآلة ، على أن في الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة ولا يتولد عن سبب كالإرادات و الاعتقادات و أشياء كثيرة ، فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا و هي لا تصح أن يكون مخترعة للأفعال ، لأن الجسم لا يجوز أن يكون قادراً إلا بقدرة ، والقدرة لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال ، فأما الأدمة فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجوهنا و أبداننا ، و إنما الله تعالى هو المؤثر لها و فاعلها بتوسط حرارة الشمس ، كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار و الهاشم لما يهشمه الحجر بثقله و حرارة الشمس مسوذة للأجسام من جهة معقولة مفهومة ، كما أن النار تحرق الأجسام على وجه معقول ، فأثير للكواكب فينا يجري هذا المجرى في تمييزه و العلم بصحته فليشر إليه ، فإن ذلك مما لا قدرة عليه (١) .

(١) إن كان المراد أن كل تأثير في الإنسان من كل مؤثر يجب أن يكون على وجه يعقله فلي المدعى اثبات هذه الكلية ، و هي غير بينة ولا مبينة . و إن كان المراد الإنكار على من يدعى تأثير الكواكب على هذا الوجه فله وجه ، لكنه لا يدفع إمكانه .

و مما يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة فينا و مصرفة لنا أن ذلك يقتضي سقوط الأمر و النهي و الذمّ عنا و نكون معذورين في كلّ إساءة تقع منا و نجنيها بأيدينا ، و غير مشكورين على شيء من الإحسان و الإفضال ، و كلّ شيء نفسد به قول المجبّرة فهو مفسد لهذا المذهب . و أمّا الوجه الآخر هو أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالاً مخصوصة عند طلوع الكوكب أو غروبه و اتّصاله أو مفارقه ، و قد بينّا أن ذلك ليس بمذهب المنجمين البتّة وإنّما يتحمّلون الآن بالتظاهر به و أنّه قد كان جائزاً أن يُجري الله تعالى العادة بذلك لكن لا طريق إلى العلم بأنّ ذلك قد وقع و ثبت ، و من أين لنا بأنّ الله تعالى قد أجرى العادة بأن يكون زحل أو المريخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً ، وأنّ المشتري إذا كان كذلك كان سعداً ؟ و أيّ سمع مقطوع به جاء بذلك ؟ و أيّ نبيّ خبر به ، و استقيد من جهته ؟ فإن عوّلوا في ذلك على التجربة بأنّا جرّبنا ذلك و من كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة ، وإذا لم يكن موجباً و جب أن يكون معناداً قلنا : و من سلّم لكم صحّة هذه التجربة و انتظامها و اطّرادها ؟ و قد رأينا خطاءكم أكثر من صوابكم فيها ، و صدقكم أقلّ من كذبكم ، فالأنا نسبتم الصحّة إذا اتّفقت منكم إلى الاتّفاق الذي يقع من المخمّن و المرجّم ، فقد رأينا من يصيب من هؤلاء أكثر ممّن يخطئ ، و هو على غير أصل معتمد ولا قاعدة صحيحة . فإذا قلتم : سبب خطاء المنجم زلل دخل عليه في أخذ الطالع أو تسيّر الكواكب ، قلنا : ولم لا كانت إصابته سببها التخمين ؟ و إنّما كان يصحّ لكم هذا التأويل و التخريج لو كان على صحّة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجم ، فأما إذا كان دليل صحّة الأحكام الإصابة فالأنا كان دليل فسادها الخطاء ؟ فما أحدهما في المقابلة إلّا كصاحبه . و ممّا أفحم ^(١) به القائلون بصحّة الأحكام ولم يتحصّل منهم عنه جواب أن قبل لهم في شيء بعينه : خذوا الطالع و احكموها هل يؤخذ أو يترك ؟ فإن حكموا

(١) أمهم ، أسكتهم بالحجة في خصومة و غيرها .

إِذَا أَخَذَ أَوْ التَّرِكَ خُولَفُوا وَ فَعَلَ خِلَافَ مَا خَبَّرُوا بِهِ . وَ قَدْ أَعْضَلْتَهُمْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَ اعْتَذَرُوا عَنْهَا بِأَعْذَارٍ مُلَفَّقَةٍ لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ سَمْعُهَا بَعْدَهَا مِنَ الصَّوَابِ ، فَقَالُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ : يَجِبُ أَنْ يَكْتُبَ هَذَا الْمُبْتَلَى بِهَا مَا يَرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ أَوْ يَخْبِرَ بِهِ غَيْرَهُ فَإِنَّمَا نَخْرُجُ مَا قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ . وَ هَذَا التَّعْلِيلُ مِنْهُمْ بَاطِلٌ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ النَّظَرُ فِي النُّجُومِ يَدُلُّ عَلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي مِنْ جَمَلَتِهَا مَا يَخْتَارُهُ أَحَدُنَا مِنْ أَخْذِ هَذَا الشَّيْءِ أَوْ تَرْكِهِ فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ أَنْ يُطَوَّى ذَلِكَ فَلَا يَخْبِرَ بِهِ وَلَا يَكْتُبَهُ حَتَّى يَقُولَ الْمُنَجِّمُ مَا عِنْدَهُ وَ بَيْنَ أَنْ يَخْبِرَ بِهِ وَ يَكْتُبَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ وَ إِنَّمَا فَرَعُوا إِلَى الْكِتَابَةِ وَ مَا يَجْرِي مَجْرَاهَا حَتَّى لَا يَخَالَفَ الْمُنَجِّمُ فِيمَا يَذْكُرُهُ وَ يَحْكُمُ بِهِ مِنْ أَخْذِ أَوْ تَرْكِ ، وَلَوْ كَانَتْ الْأَحْكَامُ صَحِيحَةً وَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى الْكَائِنَاتِ لَوَجِبَ أَنْ يَعْرِفَ الْمُنَجِّمُ مَا اخْتَارَهُ مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَلَوْ نَزَلْنَا تَحْتَ حُكْمِهِمْ وَ كَتَبْنَا مَا نَرِيدُ أَنْ نَفْعَلَهُ لَمَّا وَجَدْنَا إِصَابَتَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَقَلَّ مِنْ خَطَائِهِمْ ، وَلَمْ يَزِيدُوا فِيهِ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ الْمَخْمُومُ الْمَارِجُّ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي طَالِعٍ وَلَا غَارِبٍ وَلَا رُجُوعٍ إِلَى أَصْلِ وَ إِلَّا فَالْبَلَوَى بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ .

وَ كَانَ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ بَلِ الْوُزَرَاءِ مِمَّنْ كَانَ فَاضِلًا فِي الْأَدَبِ وَ الْكِتَابَةِ وَ مُشْغُوفًا بِالنُّجُومِ عَامِلًا عَلَيْهَا قَالَ لِي يَوْمًا - وَ قَدْ جَرَى حَدِيثٌ يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ النُّجُومِ وَ رَأَى مِنْ مَخَائِلِي التَّعَجُّبَ مِمَّنْ يَتَشَاغَلُ بِذَلِكَ وَ يَفْنِي زَمَانَهُ بِهِ - : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فِي نَفْسِي ، فَقُلْتَ : سَلْ عَمَّا بَدَاكَ ، قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَنِي هَلْ بَلَغَ بِكَ التَّكْذِيبُ بِأَحْكَامِ النُّجُومِ إِلَى أَنْ لَا تَخْتَارَ يَوْمًا لِسَفَرٍ وَ لِبَسِ ثَوْبَ جَدِيدٍ وَ تَوَجَّهَ فِي حَاجَةٍ ؟ فَقُلْتَ : قَدْ بَلَغْتَ إِلَى ذَلِكَ - وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ - وَ زِيَادَةُ عَلَيْهِ ، وَ مَا فِي دَارِي تَقْوِيمٍ ، وَلَا أَنْظُرُ فِيهِ ، وَ مَا رَأَيْتُ مَعَ ذَلِكَ إِلَّا خَيْرًا . ثُمَّ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ فَقُلْتَ : نَدَعُ مَا يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ أَحْكَامِ النُّجُومِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى ظَنٍّ دَقِيقٍ وَ رُويَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَ هُنَا شَيْءٌ قَرِيبٌ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ عَلَتْ طَبَقَتُهُ فِي الْفَهْمِ أَوْ انْخَفَضَتْ ، خَبَّرَنِي لَوْ فَرَضْنَا جَادَّةً مُسْلُوكَةً وَ طَرِيقًا يَمْشِي فِيهِ النَّاسُ لَيْلًا وَ نَهَارًا ، وَ فِي مَحْجَّتِهِ آبَارٌ مُتَقَارِبَةٌ ، وَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَ بَعْضِ طَرِيقٍ يَحْتَاجُ سَالِكُهُ إِلَى تَأَمُّلٍ وَ تَوَقُّفٍ حَتَّى يَنْخَلُصَ مِنَ السَّقُوطِ فِي بَعْضِ

تلك الآبار، هل يجوز أن تكون سلامة من يمشي في هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي فيه من البصراء - وقد فرضنا أنه لا يخلو طرفة عين من المشاة فيه بصراء وعميان - ؟ وهل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان ، أو سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء ؟ فقال : هذا ممّا لا يجوز ، بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان ، ولا يجوز في مثل هذا التقارب . فقلت : إذا كان هذا محالاً فأحيلوا نظيره و ما لا فرق بينه وبينه ، وأنتم تجيزون شبيه ما ذكرنا و عديله ، لأنّ البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم و يميزون سعداءها و نحسها ، و يتوقّون بهذه المعرفة مضارّ الزمان و يتخطّونها ، و يعتمدون منافعه و يقصدونها ، و مثال العميان كلّ من لا يحسن تعلّم النجوم ولا يلتفت إليه من الفهماء و الفقهاء ، و أهل الديانات و العبادات ، ثمّ سائر العوامّ و الأعراب و الأكراد و هم أضعاف أضعاف من يراعي عدد النجوم . و مثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي يمضي عليه الخلق أجمعون ، و مثال آباره مصائبه و نوائبه و محنه ، و قد كان يجب لو صحّ العلم بالنجوم و أحكامها أن تكون سلامة المنجمين أكثر و مصائبهم أقلّ لأنّهم يتوقّون المحن لعلمهم بها قبل كونها ، و تكون محن كلّ من ذكرناه من الطبقات الكثيرة أوفر و أظهر ، حتّى تكون السلامة هي الطريقة الغريبة ، و قد علمنا خلاف ذلك و أنّ السلامة أو المحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة . فقال : ربما اتّفق مثل ذلك ، فقلت له ، فيجب أن نصدّق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بأنّ سلامة العميان كسلامة البصراء و نقول : لعلّ ذلك اتّفق ، و بعدُ فإنّ الاتّفاق لا يستمرّ بل ينقطع ، وهذا الذي ذكرناه مستمرّ غير منقطع . فلم يكن عنده عذر صحيح .

و ممّا يفسد مذهب المنجمين و يدلّ على أنّ ما لعلّه يتّفق لهم من الإصابة على غير أصل أنّا قد شاهدنا جماعة من الزّرافين الذين لا يعرفون شيئاً من علم النجوم ولا نظروا قطّ في شيء منه يصيبون فيما يحكمون به إصابات مستطرفة ، و قد كان المعروف بالشمرانيّ الذي شاهدناه و هو لا يحسن أن يأخذ الأسطرلاب للطالع ، ولا

نظر قطّ في زيج ولا تقويم ، غير أنّه زكيّ حاضر الجواب فطن بالزرق معروف به كثير الإصابة و بلوغ الغاية فيما يخرج من الأسرار ، و لقد اجتمع يوماً بين يدي جماعة كانوا عندي ، و كنّا قد اعتزنا جهة نقصدها لبعض الأغراض ، فسأله أحدنا ممّا نحن بصدده ، فابتدأه من غير أخذ طالع ولا نظر في تقويم ، فأخبرنا بالجهة التي أردنا قصدنا ، ثمّ عدل إلى كلّ واحد من الجماعة فأخبره عن كثير من تفصيل أمره و أغراضه ، حتّى قال لأحدهم : و أنت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء يوصله إليك ، و قلبك به متعلّق ، وفي كمّك شيء ممّا يدلّ على هذا ، وقد انقضت حاجتك و انتجت . و جذب يده إلى كمّته فاستخرج ما فيه ! فاستحى ذلك الرجل و جهم و منع من الوقوف على ما في كمّته بجهد ، فلم ينفعه ذلك و أعان الحاضرون على إخراج ما في كمّته لما أحسّوا بالإصابة من الزرق ، فأخرج من كمّته رقاع كثيرة في جملتها صكّ على دار الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت ، فعجبنا ممّا اتّفق من إصابته مع بُعد من صناعة النجوم . و كان لنا صديق يقول أبداً : من أدلّ دليل على بطلان أحكام النجوم إصابة الشعراني^(١) .

و جرى يوماً مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث ، فقال : عند المنجمين إنّ السبب في إصابة من لا يعلم شيئاً من علم النجوم أن مولده و ما يتولّاه و يقتضيه كواكبه اقتضى له ذلك . فقلت له : لعلّ بطلميوس و كلّ عالم من عامّة المنجمين

(١) غاية ما يثبت بهذا و نظائره أن طريق الكشف عما يقع في الأرض من الحوادث لا ينحصر في علم النجوم ، فليس للمنجم إذا وقع ما أخبر بوقوعه أن يحتج علينا بذلك ، فمن الممكن أن يكون ذلك مستنداً إلى حدسه أو إلى شيء آخر غير النجوم لكن لا يثبت بذلك بطلان قول المنجمين بأن أوضاع الكواكب تدلّ على وقوع الكائنات الأرضية فان القول بدلائلها عليها لا يستلزم القول بعدم وجود دليل و كاشف غيرها يدلّ على ذلك ، حتّى يبطل بأمثال هذه الوقائع ، و إلا فلينقض بما أخبر به الأنبياء والأولياء عليهم السلام من المنبيات ، بل بما يخبر به الكهنة و اصحاب تسخير الأرواح و الجن و امثالهم . مضافاً إلى أن السيد - ره - يدعى أن جميع المنجمين يقولون بتأثير الكواكب استقلالاً ، و من البديهي أن الكاشف غير المؤثر ، و أن دلاله غيرها على وقوع شيء من الحوادث و حصول العلم به من غير جهتها لا تنافي كونها مؤثرة

و مصيب في أحكامه عليها إنما سبب إصابته مولده و ما يقتضيه كواكبه من غير علم و لافهم ، فلا يجب أن يستدل بالإصابة على العلم إذ كانت تقع من جاهل و يكون سببها المولد ، و إذا كانت الإصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث و لعب لا يحتاج إليه ، لأن المولد إن اقتضى الإصابة أو الخطأ فالتعلم لا ينفع و تركه لا يضر ، و هذه علّة تسري إلى كل صنعة ، حتى يلزم أن يكون كل شاعر مفلق و صانع حاذق ، و ناسج للديباج موق لا علم له بتلك الصناعة ، و إنما اتفقت الصنعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده ، و ما يلزم على هذا من الجهالات لا يحصى . و اعلم أن النعب بعلم مراكز الكواكب و أبعادها وأشكالها و تسيراتها متى لم يكن ثمرته العلم بالأحكام و الاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له ولا غرض فيه ، لأنه لا فائدة في أن يعلم ذلك كله و يختص نفس العلم به ، و ما يجري الاطلاع على ذلك إذا لم تتعد المعرفة إلى العلم بالأحكام إلا مجرى العلم بعدد الحصى و كيل النوى و معرفة أطوال الجبال و أوزانها ، و كما أن العناء في تعرف ذلك عبث و سفة لا يجدي نفعاً فكذلك العلم بشكل الفلك و تسيرات كواكبها و أبعادها و المعرفة بزمان قطع كل كوكب للفلك و تفاصيلها فيه ، و ماشقي القوم بهذا الشأن و أفنوا أعمارهم إلتقديرهم أنه يفضي إلى معرفة الأحكام ، فلا تغتر بقول من يقول منهم : إنما ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة ، و لطيف ما فيها من الأعاجيب فإن ذلك تجمّل منهم و تقرب إلى أهل الإسلام ، و لولا أن غرضهم معرفة الأحكام لما تعنّوا بشيء من ذلك كله ، و لا كانت فيه فائدة ، و لا منه عائدة . و من أدل الدليل على بطلان أحكام النجوم أننا قد علمنا أن من جملة معجزات الأنبياء ﷺ الإخبار عن الغيوب ، و عدّ ذلك خارقاً للعادات كاحياء الميت و إبراء الأكمه و الأبرص و لو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن ما ذكرناه معجزاً و لا خارقاً للعادات ^(١) فكيف يشتهه على مسلم بطلان أحكام النجوم و قد أجمع المسلمون قديماً

(١) الفرق بين ما يخبر به النبي اعجازاً و بين ما يخبر به الكاهن او المنجم او من يجري مجراهما ان اخبار النبي ليس بسبب عادي يمكن تعاطيه لغيره ، بل بسبب غيبي و وحى الهى ، و اما اخبار الكهنة و امثالهم فانما هو عن طريق عادي يمكن سلوكه لغيرهم أيضاً .

و حديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم و بطلان أحكامهم ، ومعلوم من دين الرسول ﷺ ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون و الإضرار عليهم و التعجيز لهم ، و في الروايات عنه ﷺ من ذلك ما لا يحصى كثرة و كذا عن علماء أهل بيته ﷺ و خيار أصحابه ، فما زالوا يبرؤون من مذاهب المنجمين ويعدونها ضلالاً و محالاً ، و ما اشتهر هذه الشهرة في دين الإسلام كيف يفتر^(١) بخلافه منتسب إلى الملة ، و مصل^٢ إلى القبلة ؟ فأما إصابتهم في الإخبار عن الكسوفات و ما مضى في أثناء المسألة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في أجسامنا ، فالفرق بين الأمرين أن الكسوفات و اقترانات الكواكب و انفصالها طريقة الحساب و تسيّر الكواكب ، وله أصول صحيحة ، و قواعد سديدة ، و ليس كذلك ما يدعيه من تأثيرات الكواكب في الخير و الشر^٣ ، و النفع و الضر^٤ ، ولو لم يكن في الفرق بين الأمرين إلا الإصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات و ما يجري مجراها ، فلا يكاد يبين فيها خطأ البتة^٥ ، وإن الخطأ المجهود الدائم إنما هو في الأحكام الباقية ، حتى أن الصواب هو العزيز فيها و ما يتفق لعله فيها من الإصابة قد يتفق من المخمّن أكثر منه ، فحمل أحد الأمرين على الآخر بهت و قلة دين (انتهى كلامه ضاعف الله إنعامه) .

و نقل عنه السيّد بن طاووس - ره - أنه كتب في أجوبة بعض ما سئل عنه : قلنا إن الذي جاء بعلم النجوم من الأنبياء هو إدريس عليه السلام و إنما علم من جهته على الحدّ الذي ذكرناه و نعلم أنه لا يجوز كونها دلالة إلا على هذا الوجه فقط لأن الشيء إنما يدلّ على هذا الحدّ أو على الوجه الذي يدلّ الدليل العقلي عليه ، و قد بيّنا تعذّر ذلك في النجوم ، فلم يبق إلا ما ذكرناه ، و القطع على أن كيفية دلالتها معلوم الآن غير ممكن ، لأن شريعة إدريس عليه السلام و ما علم من قبله كالمندرس فلا نعلم الحال فيه ، فإن كان بعض تلك العلوم قد بقي محفوظاً عند قوم

(١) بفتى (خ) .

تناقلوه و تداولوه لم يمنع أن يكون معلوماً لهم إذا اتصل التواتر ، وإن لم يكن كذلك لم يمنع أن يكون العلم به وإن بطل و زال أن يكون أمارة يقتضي غالب الظن عند كثير منهم ، وهذا هو الأقرب فيما يتمسك به أهل النجوم ، لأنهم إذا تدبّرت أحوالهم وجدتهم غير واثقين بما يحكمون ، وإنما يتقدّم أحدهم في ذلك العلم كتقدّم الطبيب في الطب ، فكما أن علوم الطب مبنية على الأمارات التي تقتضيها التجارب و غالب الظن فكذلك القول في علم النجوم ، إلا في الأمور مخصوصة يمكن أن يعلم بضروب من الأخبار (انتهى) .

و قال العلامة - ره - في كتاب « منتهى المطلب » : التنجيم حرام ، و كذا تعلم النجوم مع اعتقاد أنها مؤثرة ، أو أن لها مدخلا في التأثير بالنفع و الضرر ، و بالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية و الطبيعية بالحركات الفلكية و الاتصالات الكوكبية كافر ، و أخذ الأجرة على ذلك حرام ، وأمّا من يتعلم النجوم فيعرف قدر سير الكواكب و بعده و أحواله من التربيع و الكسف و غيرها فإِنَّه لا بأس به . و نحوه قال في التحرير و القواعد .

و قال الشيخ الشهيد - ره - في قواعده : كل من اعتقد في الكواكب أنها مدبرة لهذا العالم و موجودة ما فيه فلا ريب أنه كافر ، وإن اعتقد أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ ، إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي ، و بعض الأشعرية يكفّرون هذا كما يكفّرون الأول ، و أوردوا على أنفسهم عدم تكفير المعتزلة و كل من قال بفعل العبد ، و فرّقوا بأن الإنسان و غيره من الحيوان يوجد فعله من أن التدبّر ظاهر عليه فلا يحصل منه اهتضام لجانب الربوبية ، بخلاف الكواكب فإنّها غائبة عنه ، فربما أدّى ذلك إلى اعتقاد استقلالها و فتح باب الكفر . و أمّا ما يقال من أن استناد الأفعال إليها كاستناد الإحراق إلى النار وغيرها من العادات بمعنى أن الله تعالى أجرى عادته أنها إذا كانت على شكل مخصوص أو وضع مخصوص يفعل ما ينسب إليها ، و يكون ربط المسببات بها كربط مسببات الأدوية و الأغذية بها

مجازاً باعتبار الربط العادي "لا الفعل" ^(١) الحقيقي ، فهذا لا يكفر معتقده ولكن مخطيء أيضاً ، وإن كان أقلّ خطأ من الأول ، لأن وقوع هذه الآثار عندها ليس بدائم ولا أكثرى .

وقال - ره - في الدروس : ويحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلة أو بالشركة والإخبار عن الكائنات بسببها أمّا لو أخبر بجريان العادة أن الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم وإن كره ، على أن العادة فيها لا تطرد إلا فيما قل ، وأمّا علم النجوم فقد حرّمه بعض الأصحاب ، ولعلّه لما فيه من التعرّض للمحظور من اعتقاد التأثير ، أو لأن أحكامه تخمينية ، وأمّا علم هيئة الأفلاك فليس حراماً بل ربما كان مستحباً لما فيه من الإطلاع على حكم الله وعظم قدرته .

وقال المحقق الشيخ علي - أجزل الله تشريفه - : التنجيم الإخبار عن أحكام النجوم باعتبار الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية التي مرجعها إلى القياس والتخمين - إلى أن قال - وقد ورد عن صاحب الشرع النهي عن تعلّم النجوم بأبلغ وجوهه ، إذا تقرّر ذلك فاعلم أن التنجيم مع اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في الموجودات السفلية ولو على جهة المدخلية حرام ، وكذا تعلّم النجوم على هذا الوجه ، بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه - نعوذ بالله - أمّا التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرّز عن الكذب فإنه جائز ، فقد ثبت كراهية النزويج وسفر الحجّ في العقرب ، وذلك من هذا القبيل ، نعم هو مكروه ولا ينجز إلى الاعتقاد الفاسد ، وقد ورد النهي عنه مطلقاً حسماً للمادة .

وقال الشيخ البهائي - ره - : ما يدعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالأجرام العلوية إن زعموا أن تلك الأجرام هي العلّة المؤثّرة في تلك الحوادث بالاستقلال أو أنها شريكة في التأثير فهذا لا يحلّ للمسلم اعتقاده ، وعلم النجوم المبني على هذا كفر والعياذ بالله ، وعلى هذا هل ما ورد في الحديث من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحته ، وإن قالوا إن اتصالات تلك

الأجرام وما يعرض لها من الأوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجد
الله سبحانه به قدرته وإرادته ، كما أن حركات النبض و اختلافات أوضاعه علامات
يستدل بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحة أو اشتداد المرض و نحو
ذلك ، و كما يستدل باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلية ، فهذا
لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده ، وما روي من صحة علم النجوم وجواز نقله محمول
على هذا المعنى .

ثم قال - ره - : الأمور التي يحكم بها المنجمون من الحوادث الاستقبالية
أصول بعضها مأخوذة من أصحاب الوحي سلام الله عليهم ، وبعض الأصول يدعون
فيها التجربة ، و بعضها مبني على أمور متشعبة لا تقي القوة البشرية في الأغلب
بضبطها والإحاطة بها ، كما يومىء إليه قول الصادق عليه السلام « كثيره لا يدرك وقليله
لا ينتج » ، فلذلك وجد الاختلاف في كلامهم ، و تطرّق الخطأ إلى بعض أحكامهم
و من اتفق له الجري على الأصول الصحيحة صحّ كلامه و صدقت أحكامه لا محالة
كما نطق به كلام الصادق عليه السلام في الرواية المذكورة قبيل هذا الفصل - يعني رواية
ابن سيابة - و لكن هذا أمر عزيز المنال ، لا يظفر به إلا القليل ، والله الهادي إلى
سواء السبيل .

ولابن سينا كلام في هذا الباب ، قال في فصل المبدء والمعاد من الهيئات الشفاء :
لو أمكن إنساناً من الناس أن يعرف الحوادث التي في الأرض والسماء جميعاً وطبائعها
لفهم كيفية ما يحدث في المستقبل ، و هذا المنجم القائل بالأحكام مع أن أوضاعه
الأولى ومقدّماته ليست مستندة إلى برهان بل عسى أن يدعي فيها التجربة أو الوحي
وربما حاول قياسات شرعية أو خطابية في إثباتها فإنه إنما يعول على دلائل جنس
واحد من أسباب الكائنات ، وهي التي في السماء ، على أنه لا يضمن الإحاطة بجميع
الأحوال التي في السماء ، ولو ضمن لنا في ذلك و وفى به لم يمكنه أن يجعلنا بحيث
نقف على وجود جميعها في كل وقت ، و إن كان جميعها من حيث فعله و طبيعه معلوماً
عنده . ثم قال في آخر كلامه : فليس لنا إذن اعتماد على أقوالهم ، و إن سلّمنا

منبر عین أن جمیع ما یعطونا من مقدّماتهم الحکمیّة صادقة (انتهى) .
وقال الشیخ أبو الفتح محمد بن علی الكراچکی - ره - فی کتاب کز الفوائد
فی الردّ علی من قال إن الشمس و القمر و النجوم علل موجبات کلاماً طویل
الذیل یرجع حاصله إلى أن هذه الکواکب و الأوضاع إن كانت عللاً للحوادث
فما الحاجة إلى الاطلاع علی الأحکام ، وأخذ الطوالع عند الموالید ، وعمل الزواجج
و تحاویل السنین ، مع أن الإنسان لا یقدر علی أن یرید فیہ فی سعده ولا أن ینقص
به من نحسه ، و ما أوجبه مولده فهو کائن لا مغيّر له ، مع أنه إذا علم حصول سعادة
قبل وقوعها یكون قلق النفس ، منقسم الخاطر ، یرتعد قرب الساعات ، و یستطیل
قصر الأوقات ، تشوّفاً إلى ما یرد ، و تطلّعاً إلى ما وعد ، و فی ذلك ما یقطعه عن
منافعه ، و یقصر به عن حرکاته فی مصالحه اتکالاً علی ما یأتیه ، وربما أخلف الوعد
و تأخر السعد ، فلیس جمیع أحکامکم تصیب ، ولا الغلط منکم بعجیب فتصیر المنفعة
مضرة ، وأما متوقع المنحسة فلا شک أنه قد تعجّل الشدة رهبة من قدومها ، وعظم
هلعها بهجومها ، و إن قلتم إن الإنسان یمکنه أن یحترز من المنحسة فیدفعها أو ینتقص
منها فقد أبطلتم دعواکم أنها مدبّرة .

ثم قال : وأنا أخبرک بعد هذا بطریق من بطلان أفعالهم ، و نکت من فساد
استدلالهم . اعلم أن تسمية البروج الاثنی عشر بالحمل و الثور و الجوزاء و غيرها
لأصل لها و لاحقیقة ، و إنما وضعها الراصدون لهم فحصل متعارفاً بینهم ، و كذلك
جمیع الصور الّتی عن جنبی منطقة البروج ، و الجمیع ثمان و أربعون صورةً عندهم
مشهورة ، و علماؤهم معترفون بأن ترتیب هذه الصور و تشبیها و قسمة الکواکب
علیها و تسميتها صنعها حدّاقهم الراصدون لها ، وقد ذکر هذا أبو الحسن عبد الرحمن
ابن عمر الصوفی ، وهو من جهلهم ، وله مصنّفات لم یعمل مثلها فی عملهم ، و بیّنه فی
الجزء الأول من کتابه الّذي عمله فی الصور ، وقد ذکر رصد الأوائل منهم الکواکب
وأنهم رتبوها فی المقادیر و العظم ستّ مراتب ، و بیّن أنهم الفاعلون لذلك ، وقال :
إنهم وجدوا من هذه الکواکب تسعمائة و سبعة عشر کوکباً ینتظم منها ثمانية

و أربعون صورة ، كل صورة منها تشتمل على كواكبها ، و هي الصور التي أثبتتها بطليموس في المجسطي ، بعضها في النصف الشمالي من الكرة ، و بعضها على منطقة البروج التي هي طريقة الشمس و القمر و الكواكب السريعة السير ، و بعضها في النصف الجنوبي منها ، فسمّوا كل صورة منها باسم الشيء المشبه بها ، فبعضها على صورة الإنسان مثل كوكبة الجوزاء ، و كوكبة الجاثي على ركبتيه و كوكبة العواء ^(١) ، و بعضها على صورة الحيوانات البرية و البحرية ، مثل الحمل و الثور و السرطان و الأسد و العقرب و الحوت و الدب الأكبر و الدب الأصغر ، و بعضها خارج عن شبه الإنسان و سائر الحيوانات ، مثل الإكليل و الميزان ، و إنّما فعلوا ذلك ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه ، لمعرفة أوقات الليل و الطالع في كل وقت و أشياء عظيمة المنفعة (انتهى) .

ثم قال الكراچكي : وهو دليل واضح على أن الصور و الأشكال و الأسماء و الألقاب ليست على سبيل الواجب و الاستحقاق ، وإنّما هي اصطلاح و اختيار ، ولو غيّرت عن ذلك إلى تشبيه آخر لأمكن و جاز . ثم إنهم بعد هذه الحال جعلوا كثيراً من الأحكام مستخرجاً من هذه الصور و الأشكال ، و منتسباً إلى الأسماء الموضوعة و الألقاب ، حتّى كأنّها على ما ذكروه بنحو واجب و دليل عقل ثبت ! فقالوا إنّ الحكم على الكسوف على ما حكاه ابن هنيئ عن بطليموس أنّه إذا كان البرج الذي يقع فيه الكسوف من ذوات الأجنحة مثل العذراء و الرامي و الدجاجة و النسر و ما أشبهها كان الحادث في الطير الذي يأكله الناس ، و إن كان في صورة الحيوان مثل السرطان و الدلفين كان الحادث في الحيوانات البحرية أو النهرية . و في هذه فضيحة عظيمة . أما يعلم هؤلاء القوم أنّهم الذين جعلوا ذوات الأجنحة بأجنحة و الصور البحرية بحرية ؟ ! و أنّه لولا ما فعلوه لم يكن شيء مما ذكروه ، فكيف صارت أفعالهم التي ابتدعوها و تشبيهاتهم التي وضعوها موجبة لأن يكون حكم

الكسوف مستخرجاً منها و صادراً عنها ؟! و هذا يؤدي إلى أنهم المدبرون للعالم إذ كانت أفعالهم سبباً لما توجهه الكوكب .

ثم أورد - ره - كثيراً من هذه الالتزامات المستكثة عليهم ، ثم قال : والصور عندهم لا تثبت في مواضعها ولا تستقر على أقسامها ، و صورة الحمل التي يقولون إنها أول البروج قد سفل إلى مكان البرج الثاني ، و الحمل في الحوت ، إذ الثوابت متحركة عندهم بحرركة بطيئة خفيفة ، و لخفاء حركاتها الباقية ، وإن وجدوها في الأرصاء مختلفة . و قال الصوفي في كتاب الصور : إن مواضع هذه الصور التي على منطقة فلك البروج كانت منذ ثلاثة آلاف سنة في غير هذه الأقسام ، وإن صورة الحمل كانت في القسم الأول و كان يسمى الأول من البروج الثور ، و الثاني الجوزاء ، و الثالث السرطان ، و لما جدوا الأرصاء في أيام « طيموخارس » وجدوا صورة الحمل قد انتقلت إلى القسم الأول من الأقسام الاثني عشر الذي هو بعد نقطة التقاطع غيروا أسمائها ، فسموا القسم الأول الحمل ، و الثاني الثور و الثالث الجوزاء . قال : و لا يخالفنا أحد في أن هذه الصور تنقل حركاتها على مر الدهور على أماكنها ، حتى تصير صورة الحمل في القسم التاسع الذي للميزان و صورة الميزان في القسم الأول الذي للحمل ، فيسمى أول البروج الميزان ، و الثاني العقرب ثم مر في كلامه موضحاً عما ذكرناه من تنقلها ماوجب لتغيير أسماء بروجها : و هم مجمعون على أن الكوكبين المتقاربين المعروفين بالشرطين على قرني الحمل ، و هما أول منازل القمر ، فيجب أن يكونا أول البروج الاثني عشر و من امتحنهما في وقتنا هذا - و هو من سنة ثمان و عشرين و أربعمائة للهجرة الموافقة لسنة ألف و ثلاثمائة و ثمان و أربعين لذي القرنين - وجد أحدهما في عشرين درجة من الحمل و الأخرى في إحدى و عشرين منه ، أعني من البرج الأول ، فأني برج من البروج الاثني عشر يبقى على صورة واحدة ؟ و كيف يثبت الحكم لأول البروج بأنه دال على الوحوش و على كل ذي ظلف ؟ و قد انتقلت إليه أكثر صورة الحوت و كذلك حال جميع البروج .

ثم ذكر - ره - كثيراً من أغلاطهم و اشتباهاتهم إلى أن قال : و أنا أذكر لك بعد هذا مقالتنا في النجوم و ما نعتقد فيها لتعرف الطريقة في ذلك فتعتمد عليها : اعلم أيّدك الله أن الشمس والقمر والنجوم أجسام محدثة من جنس أجسام العالم، مؤلفة من أجزاء تحلّها الأعراض، وليست بفاعلة في الحقيقة. ولا ناطقة، ولا حيّة قادرة، وقد قال شيخنا المفيد - ره - إنّها أجسام ناريّة، فأما حرّ كنهها في فعل الله تعالى فيها، وهو المحرّك لها، و هي من آياته الباهرة في خلقه، و زينة لسماؤه، و فيها منافع لعباده لا تحصى، و بها يهتدي السائرون برّاً و بحرّاً، قال الله تعالى « و علامات وبالنجم هم يهتدون ^(١) » و فيها للخلق مصالح لا يعلمها إلا الله، فأما التأثير المنسوب إليها فإننا لا ندفع كون الشمس والقمر مؤثرين في العالم، و نحن نعلم أن الأجسام و إن كان لا يؤثر أحدها في الآخر إلا مع مماسّة بينهما بأنفسهما أو بواسطة فإنّ للشمس والقمر شعاعاً متصلاً بالأرض و ما عليها، يقوم مقام المماسّة، و تصحّ به التأثيرات الحادثة، و من ذا الذي ينكر تأثير الشمس والقمر و هو موجود مشاهد؟ و إن كان تأثير الشمس أظهر للحسّ و أبين من تأثير القمر في الأزمان و البلدان و النبات و الحيوان، فأما غيرهما من الكواكب فلسنا نجدها تأثيراً نحسّ، ولا نقطع على وجوبه بالعقل، ولا هو أيضاً من الممتنع المستحيل، بل من الجائز في العقول، لأنّ لها شعاعاً متصلاً بالأرض، و إن كان دون شعاع الشمس والقمر فغير منكر أن يكون لها تأثير يخفى عن الحسّ خارج عن أفعال الخلق، فإن كان لها تأثير كما يقال كان تأثيرها مع تأثير الشمس والقمر في الحقيقة من أفعال الله عزّ وجلّ، و ليس يصحّ إضافته إليها إلا على وجه التوسّع و التجوّز، كما تقول: أحرقت النار، و برّد الثلج، و قطع السيف، و شجّ الحجر، و في الحقيقة إن النار أحرقت بها، و الثلج برّد بها، و قطع أيضاً بالسيف، و شجّ بالحجر، و كذلك قولنا: أحرمت الشمس الأرض و نفعت الزرع، و في الحقيقة إنّ الله تعالى أحمى بها و نفع، و ممّا يدلّ على أن الله تعالى يستعمل شيئاً بشيء قوله عزّ وجلّ « و هو

الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيهِ مَصْفًى^(١) ، و قوله تعالى « وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سَقْنَاهُ لَبَدًا مَيِّتًا فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٢) » ، و ليس فيما ذكرناه رجوع إلى قول أصحاب الأحكام ، و الإقرار بما أنكرناه عليهم في متقدم الكلام ، لأننا أنكرنا عليهم إضافتهم تأثيرات الشمس و القمر إليهما من دون الله سبحانه ، و قطعهم على ما جوزناه من تأثيرات الكواكب بغير حجة عقلية ولا سمعية ، و إضافتهم إلى جميع الأفعال في الحقيقة ، مع دعويهم لها بالحياة و القدرة ، فأنكرنا عليهم أن يكون الشمس و القمر أو شيء من الكواكب فاعلاً لأفعالنا ، أو تكون حر كته شيئاً موجباً لوقوع الأفعال عنا ، لشهادة العقل الصحيح بأن أفعالنا لو كانت مخترعة فينا أو كائنة عن سبب أوجبها من غيرنا لم تقع بحسب قصودنا و إراداتنا ، و كانت لا فرق بينها و بين جميع ما يفعل فينا من صحتنا و سقمنا و تأليف أجسامنا ، و في حصول الفرق دلالة على اختصاصها بنا ، و برهان واضح على أنها حدثت عن قدرتنا ، وأنه لا سبب لها غير اختيارنا ، و أنكرنا عليهم قولهم إن الله لا يفعل في العالم فعلاً إلا و الكواكب دالة عليه ، فإن كل شيء تدل عليه فلا بد من كونه ، و هذا باطل لأنه لو ثبت لها تأثير أو دلالة فإن الله تعالى أجرى بذلك العادة ، و ليس بمستحيل منه تغيير تلك العادة لما يراه من المصلحة ، و قد يصرف الله تعالى السوء عن عبده بدعوة و يزيد في أجله بصلة رحم أو صدقة . هذا الذي ثبتت لنا عليه الأدلة ، و هو الموافق للشريعة ، و ليس هو بملائم لما يدعيه المنجمون - و الحمد لله - و أنكرنا عليهم اعتمادهم في الأحكام على أصول متناقضة ، و مقدمات مفتعلة ، و دعاوهم مظلومة و ليس لهم على شيء منها بيعة ، فإن كان لهذا العلم أصل صحيح على وجه يسوغ في العقل و يجوز ، فليس هو مما في أيديهم ، و لامن جملة دعاويهم ، و قد قال شيخنا المفيد

(١) الزمر ٢١٠ .

(٢) الاعراف ٥٦ .

- رحمه الله - : إن الاستدلال بحركات النجوم على كثير مما سيكون لا يمنع العقل منه ولسنا نمنع أن يكون الله جل اسمه أعلمه بعض أنبيائه ، وجعله علماً على صدقه (انتهى كلام الكراجكى - ره -) .

و قال شيخ المتكلمين محمود بن علي الحمصي - ره - في ذكر علم النجوم :
إننا لا نرد عليهم فيما يتعلق بالحساب في تسيير النجوم واتصالاتها التي يذكرونها فان ذلك مما لا يهمننا ولا هو مما يقابل بآنكار و رد . ثم قال - ره - في إنكار كون النجوم عللاً موجبة : يبطل ذلك بكل ما يبطل به دعوة المجبرة بأننا غير مختارين .
ثم قال : فان قيل : كيف تنكرون الأحكام وقد علمنا أنهم يحكمون بالكسوف والخسوف ورؤية الأهلة ويكون الأمر على ما يحكمون في ذلك ؟ وكذلك يخبرون عن أمور مستقبلية تجري على الإنسان وتجري تلك الأمور على ما أخبروا عنها فمع وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف تدفع الأحكام ؟

قلنا : إن إخبارهم عن الكسوف والخسوف ورؤية الأهلة فليس من الأحكام وإنما هو من باب الحساب ، إنما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا وكذا .

ثم قال : فأما الأمور المستقبلية التي يخبرون عنها فأكثرها لاتقع على ما يخبرون عنه ، وإنما يقع قليل منه بالاتفاق ، ومثل ذلك يتفق لأصحاب الفال والزجر الذين لا يعرفون النجوم ، بل للعاجز اللواتي يتفألن بالأحجار ، والذي قد يخبر المصروع وكثير من ناقصي العقول عن أشياء فيتفق وقوع ما يخبرون عنه (انتهى) .

والسيد الجليل النبيل علي بن طاووس - ره - لانس قليل له بهذا العلم عمل في ذلك رسالة ، و بالغ في الإنكار على من اعتقد أن النجوم ذوات إرادة أو فاعلة أو مؤثرة ، واستدل على ذلك بدلائل كثيرة ، وأيده بكلام جم غفير من الأفاضل إلا أنه أنكر على السيد الأجل المرتضى - ره - في تحريره ، و ذهب إلى أنه من العلوم المباحات ، و أن النجوم علامات ودلالات على الحادثات ، لكن يجوز للقاد

الحكيم أن يغيرها بالبر" والصدقة والدعاء و غير ذلك من الأسباب والدواعي على وفق إرادته و حكمته ، و جوزت تعليم علم النجوم وتعلمه و النظر فيه و العمل به إذا لم يعتقد أنها مؤثرة ، و سهل أخبار النبي والذم على ما إذا اعتقدت ذلك ، ثم ذكر - ره - تأييداً لصحة هذا العلم أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به : فقال : إن جماعة من بني نوبخت كانوا علماء بالنجوم ، وقدة في هذا الباب ، ووقفت على عدة مصنفات لهم في النجوم ، وأنها دلالات على الحوادث ، منهم الحسن بن موسى النوبختي ، ومن علماء المنجمين من الشيعة أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، و ذكر النجاشي في كتبه كتاب النجوم ، و منهم أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة ، فقد عد الشيخ والنجاشي من كتبه كتاب النجوم ، والشيخ النجاشي كان له تصنيف في النجوم ومن المذكورين بعلم النجوم الجلودي البصري ، و منهم علي بن محمد بن العدوي الشمساطي ، فإنه ذكر النجاشي أن له رسالة في إبطال أحكام النجوم ، و منهم علي بن محمد بن العباس ، فإن النجاشي ذكر في كتبه كتاب الرد على المنجمين وكتاب الرد على الفلاسفة ، و منهم محمد بن أبي عمير - واستند إلى الخبر السابق وقد عرفت ما فيه - قال : و منهم محمد بن مسعود العياشي ، فإنه ذكر في تصانيفه كتاب النجوم ، و منهم موسى بن الحسن بن عباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت قال النجاشي : كان حسن المعرفة بالنجوم ، وله مصنفات فيه ، وكان مع ذلك حسن العبادة والدين ، و منهم الفضل بن أبي سهل بن نوبخت ، وصل إلينا من تصانيفه ما يدل على قوة معرفته بالنجوم ، و ذكر عن العيون ما أورده في أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من أنه أخبر المأمون بخطاء المنجمين في الساعة التي اختاروها لولاية العهد ، فزجره المأمون ونهاه أن يخبر به أحداً ، فعلم أنه تعمّد ذلك . و منهم السيد الفاضل علي ابن أبي الحسن العلوي المعروف بابن الأعلم ، وكان صاحب الزيج ، و منهم أبو الحسن النقيب الملقب « بأقيراط » و منهم الشيخ الفاضل الشيعي علي بن الحسين بن علي المسعودي مصنف كتاب « مروج الذهب » و منهم أبو القاسم بن نافع من أصحابنا الشيعة ، و منهم إبراهيم الفزاري صاحب القصيدة في النجوم و كان منجماً للمنصور

ومنهم الشيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصري* كاتب آل طولون ، ومنهم الشيخ الفاضل محمد بن عبدالله بن عمر البازيار القمي* تلميذ أبي معشر ، ومنهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبي الخضيب القمي* ، ومنهم أبو جعفر السقاء المنجم ذكره الشيخ في الرجال ، ومنهم محمد بن أحمد بن سليم الجعفي* مصنف كتاب الفاخر ، ومنهم محمود بن الحسين بن السندي* بن شاهك المعروف بكشاجم ، ذكر ابن شهر آشوب أنه كان شاعراً منجماً متكلماً ، ومنهم العفيف بن قيس أخو الأشعث ، ذكره المبرّد وقد مرّ أنه قيل : هو الذي أشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام بترك قتال الخوارج في الساعة التي أراد .

ثم قال - ره - : و ممن أدر كته من علماء الشيعة العارفين بالنجوم و عرفت بعض إصاباته الفقيه العلم الزاهد الملقب خطير الدين محمود بن محمد ، و ممن رأيته الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن علي القمي* . ثم عدّ - ره - من اشتهر بعلم النجوم و قيل إنه من الشيعة ، فقال : منهم أحمد بن محمد السجزي ، و الشيخ الفاضل علي* ابن أحمد العمراني* ، و الفاضل إسحاق بن يعقوب الكندي* قال : و ممن اشتهر بالنجوم من بني العباس محمد بن عبد العزيز الهاشمي* ، و علي* بن القاسم القصري* و قال - رحمه الله - : وجدت فيما وقفت عليه أن علي* بن الحسين بن بابويه القمي* كان ممن أخذ طالعاه في النجوم ، و أن ميلاده بالسنبلة . ثم قال السيد - ره - : روى الشيخ في اختيار الكشي* في بيان حال أبي خالد السجستاني* : حمدويه و إبراهيم عن محمد بن عثمان ، قال : حدثنا أبو خالد السجستاني* أنه لما مضى أبو الحسن عليه السلام وقف عليه ثم نظر في نجومه فزعم أنه قدمات ، فقطع على موته و خالف أصحابه . ثم قال - ره - : ففي هذه عدة فوائد : منها أن هذا أبو خالد كان واقعياً يعتقد أن أبا الحسن موسى عليه السلام مامات ، فدلّه الله تعالى بعلم النجوم على موته ، و قد كان هذا العلم سبب هدايته ، و منها أنه كان من أصحاب الكاظم عليه السلام ولم يبلغنا أنه أنكر عليه علم النجوم ، و منها أنه لو علم أبو خالد أن علم النجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه في عقيدته ، و منها اختيار جدّي الطوسي* لهذا الحديث و تصحيحه

وقد تقدم ثناؤه - ره - على جماعة من العلماء بالنجوم . ثم قال : و ممن اشتهر بعلمه من بني نوبخت عبدالله بن أبي سهل ، و من العلماء بالنجوم محمد بن إسحاق النديم كان منجماً للعلوي المصري ، و من المذكورين بالتصنيف في علم النجوم حسن بن أحمد بن محمد بن عاصم المعروف بالعاصمي المحدث الكوفي ، ثقة سكن بغداد ، فمن كتبه الكتب النجومية ، ذكر ذلك ابن شهر آشوب في كتاب « معالم العلماء » و ممن اشتهر بعلم النجوم من المنسوين إلى مذهب الإمامية الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمد بن عبدوس الجهمشاري وغيره ما معناه أنه لما وقع بين الأمين والمأمون ما وقع و اضطربت خراسان و طلب جند المأمون أوزاقهم و توجه علي بن عيسى ابن ماهان من العراق لحرب المأمون و صعد المأمون إلى منظره للخوف على نفسه من جنده و معه الفضل و قد ضاق عليه مجال التدبير و عزم على مفارقة ما هو فيه أخذ الفضل طالعهم و رفع أصرلاباً وقال : ما تنزل من هذه المنزلة إلا خليفة غالباً لأخيك الأمين ، فلا تعجل ! وما زال يسكنه و يثبتته حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس علي بن عيسى و قد قتله طاهر ، و ثبت ملكه ، و زال ما كان يخافه ، و ظفر بالأمان . و روي خبر آخر أيضاً مثل ذلك .

ثم قال : و ممن كان عالماً بالنجوم من المنسوين إلى الشيعة الحسن بن سهل ثم ذكر ما أخرجنا من العيون في أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من حديث الحمّام و قتل الفضل فيه ، ثم قال : رأيت في كتاب الوزراء جمع عبد الرحمن بن المبارك أنه ذكر محمد بن سعيد أنه وجد على كتاب من كتب ذي الرياستين بخطه : هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة ، و إلى الله نرغب في دفعها ، و إن صحّ من حساب الفلك شيء فالأمر واقع فيها لا محالة ، و نسأل الله تعالى أن يختم لنا بخير بمنه . و كان يعمل لذي الرياستين تقويم في كل سنة فيوقع عليه : هذا يوم يصلح لكذا ، و يجنب في هذا اليوم كذا . فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه اليوم ، فجعل يوقع فيه ما يصلح ، حتى انتهى إلى اليوم الذي قتل فيه ، فقال : أف لهذا اليوم ! ما أشره علي ! و رمى بالتقويم . و روي عن أخت الفضل ، قالت : دخل الفضل

إلى أمته في الليلة التي قتل في صبيحتها ، فقام إلى جانبها ، وأقبل يعظها ويمزجها عن نفسه ، و يذكرها حوادث الدهر وتقضي أمور العباد ، ثم قبّل صدرها وثديها ودعاها وداع المخارق ، ثم قام فخرج وهو قلق منزع لمادله عليه الحساب ، فجعل يذتل من موضع إلى موضع ، ومن مجلس إلى مجلس ، وامتنع عليه النوم فلمّا كان في السحر قام إلى الحمام وقدر أن يجعل غمّه و حرارته و كربته هو الذي دلّت عليه النجوم ، وقدّمت له بغلة فركبها و كان الحمام في آخر البستان فكبت به البغلة ، فسرّه ذلك وقدر أنّها هي النكبة التي كان يتخوّفها ، ثم مشى إلى الحمام ولم يزل حتّى دخل الحمام فاغتسل فيه ، فقتل .

قال : و من المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل ، وجدت في مجموع عتيق أنّ بوران كانت في المنزلة العليا بأصناف العلم لاسيّما في النجوم فإنّها برعت فيه و بلغت أقصى نهايته ، و كانت ترفع الأضرلاب كلّ وقت وتنظر إلى مولد المعتمصم ، فعثرت يوماً يقطع عليه ، سببه خشب ، فقالت لوالدها الحسن : انصرف إلى أمير المؤمنين ، وعرفه أنّ الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد و رفعت الأضرلاب فدلّ الحساب - و الله أعلم - أنّ قطعاً يلحق أمير المؤمنين من خشب في الساعة الغلانية من يوم بعينه . قال الحسن : يا قرّة العين ! ياسيدة الحرائر ! إنّ أمير المؤمنين قد تغيّر علينا وربما أصفى إلى شيخك بخلاف ما يقتضيه وجه المشورة والنصيحة . قالت : يا أبه ! وما عليك من نصيحة إمامك ، لأنّه خطر بروح لاعوض منها ، فإن قبلها وإلا كنت قد أدّيت المفروض عليك . قال : فانصرف الحسن إلى المعتمصم ، وعرفه ما قالت بوران . قال المعتمصم : أيّها الحسن ! أحسن الله جزاءها وجزائك ، انصرف إليها و خصّها عنّي بالسلام واسألها ثانياً واحضر عندي اليوم الذي عيّنت عليه و لازمني حتّى ينصرم اليوم و يذهب ، فلست أشاركك في هذه المشورة والتدبير أحداً من البشر . قال : فلمّا كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتمصم حتّى خرج كلّ من في المجلس وخلا إليه وأشار عليه أن ينتقل عن المجلس السقفيّ إلى مجلس ابن ارخى لا يوجد فيه وزن درهم واحد من الخشب

وما زال الحسن يحدثه و المعتصم يمازحه و ينشطه حتى أظهر النهار و ضربت نوبة الصلاة ، فقام المعتصم ليتوضأ ، فقال الحسن : لاتخرج أمير المؤمنين عن هذا المجلس ويكون الوضوء والصلاة وكل ما تريده فيه ، حتى ينصرم اليوم . فجاء خادم و معه المشط والسواك ، فقال الحسن للخادم : امشط بالمشط و استك بالسواك . فامتنع وقال : كيف أتناول آلة أمير المؤمنين ؟ قال المعتصم : ويليك ، امثل قول الحسن ولا تخالف . ففعل ، فسقطت ثنياه و انتفخ دماغه و خر مغشياً عليه ، و رفع ميتاً و قام الحسن ليخرج ، فاستدعاه المعتصم واحتضنه و لم يفارقه حتى قبل عينيه ، و رد على بوران أملاكاً و ضياعاً ، و كان ابن الزيات حلماً عنها و ذكر مثله برواية أخرى .

وروى من كتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس ، عن إسماعيل بن صبيح ، قال : كنت أكتب يوماً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فدخل عليه جعفر بن يحيى فلما رآه صاح و أعرض بوجهه عنه و قطب و كره رؤيته ، فلما انصرف قلت له : أطال الله بقاءك ، تفعل هذا بابنك و حاله عند أمير المؤمنين حالة لا يقدر عليه ولدأ ولا ولياً ؟ فقال : إليك عني أيها الرجل ! فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلا بسببه . فلما كان بعد مدة من ذلك دخل عليه أيضاً جعفر وأنا بحضرته ففعل مثل ما فعل الأول ، وأكدت عليه القول ، فقال : أدن مني الدواء : فأدنيته و كتب كلمات يسيرة في رقعة و ختمها و دفعها إلي ، وقال : بلى ، ليكن عندك ، فإذا دخلت سنة سبع و ثمانين و مائة و مضى فانظر فيها . فلما كان في صفر أوقع الرشيد بهم فنظرت في الرقعة ، فكان الوقت الذي ذكره . قال إسماعيل : و كان يحيى أعلم الناس بالنجوم . و روى أيضاً عن محمد بن عبدوس من كتاب الوزراء عن موسى بن نصر الوصيف ، عن أبيه ، قال : غدوت إلى يحيى بن خالد في آخر أمرهم أريد عيادته من علة كان يجدها ، فوجدت في دهلوزه بغلاً مسرجاً ، فدخلت إليه فكان يأنس بي و يفضي إلي بسره ، فوجدته مفكراً مهموماً ، ورأيت مستخلياً مشتغلاً بحساب النجوم وهو ينظر فيه ، فقلت له : إنني لما رأيت بغلاً مسرجاً سرني ، لأنني قد رت انصراف العلة وأن عزمك الركوب ، ثم قد غممني ما أراه من همك ، قال : فقال لي : إن

لهذا البقل قصة ، إني رأيت البارحة في النوم كأنني راكبه حتى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر ، فوقت فإذا صائح يصيح من الجانب الآخر « شعر » .
 كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ✧ أنيس ولم يسمر بمكة سامر
 قال : فضربت يدي على قربوس السرج ، وقلت « شعر » :

بلى نحن كساً أهلها فأبادنا ✧ صروف الليالي و الجدود العوثر
 ثم انتبهت فلجأت إلى أخذ الطالع ، فأخذته وضربت الأمر ظهر البطن
 فوقت على أنه لا بد من انقضاء مدتنا وزوال أمرنا . قال فما كان يكاد يفرغ من
 كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم بخوان مغطاة وفيها رأس جعفر بن يحيى ، و
 قال له : يقول : لك أمير المؤمنين : كيف رأيت نعمة الله في الفاجر ؟ فقال له يحيى :
 قل له : يا أمير المؤمنين ! أرى أنك أفسدت عليه دنياه . وأفسد عليك آخرتك .

ثم قال : وممن رأيت ذكره في علماء النجوم وإن لم أعلم مذهبه إبراهيم بن
 السندي بن شاهك ، وكان منجماً طيباً متكلماً . ومن العلماء بالنجوم عضدا الدولة
 ابن بويه ، و كان منسوباً إلى التشيع ، و لعله كان يرى مذهب الزيدية . و منهم
 الشيخ المعظم محمود بن علي الحمصي - ره - كما حكينا عنه ، و منهم جابر بن حبان
 صاحب الصادق عليه السلام وذكره ابن النديم في رجال الشيعة ، و ممن ذكر بعلم النجوم
 من الوزراء أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني ، و ممن ظهر منه العمل على النجوم
 البرامكة ، ذكر عبد الرحمن بن المبارك أن جعفرأ لما عزم على الانتقال إلى قصره
 الذي بناه وجمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه فاختاروا له وقتاً من الليل ، فلما
 حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي ينزله إلى قصره ، و الطرق خالية
 والناس ساكنون ، فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجلاً يقول : « شعر »

يدبر بالنجوم و ليس يدري ✧ و ربّ النجم يفعل ما يريد
 فاستوحش ووقف ودعا بالرجل فقال له : أعد علي ما قلت ، فأعاده فقال : ما
 أردت بهذا ؟ قال : والله ما أردت به معنى من المعاني ، لكنّه عرض لي وجاء على لساني
 فأمر له بدنانير .

ثم ذكر - ره - إصابات كثيرة من المنجمين نقلاً من كتبهم ، ونقل من كتاب ربيع الأبرار أن رجلاً أدخل إصبعيه في حلقتي مقراض ، وقال للمنجم : أيش ترى في يدي ؟ فقال : خاتمي حديد . وقال : فقدت في داربعض الرؤساء مشربة فضة فوجه إلى ابن ماهان يسأله فقال : المشربة سرقت نفسها ، فضحكت منه واغتاظ ، وقال : هل في الدارجارية اسمها فضة أخذت الفضة ؟ فكان كما قال . وقال : سعي بمنجم فأمربصلبه ، فقيل له : هل رأيت هذا في نجومك ؟ فقال : رأيت ارتفاعاً ، ولكن لم أعلم أنه فوق خشبة .

وقال : ومن الملوك المشهورين بعلم النجوم وتقريب أهله المأمون ، وذكر محمد بن إسحاق أنه كان سبب نقل كتب النجوم وأمثالها من بلاد الروم ونشرها بين المسلمين . وذكر المسعودي في حديث وفاة المأمون ، قال : فأمرنا باحضار جماعة من أهل الموضع ، فسألهم ماتفسير « النديون » فقالوا : تفسيره « مدّ رجلحك » فلما سمع المأمون بذلك اضطرب وتطير بهذا الاسم ، وقال : سلوهم ما اسم هذا الموضع بالعربية ؟ قالوا : اسمه بالعربية « الرقة » وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالرقة ، فلما سمع اسم الرقة عرف أنه الموضع الذي ذكر في مولده ، وأنه لا يموت إلا بالرقة ، فمات به كما اقتضت دلالة النجوم في طالعهِ .

وذكر محمد بن بابويه في دلائل النبوة أن « بخت نصر » لما رأى رؤياه أحضر من جملة العلماء أصحاب النجوم ، وذكر التنوخي في كتابه ، قال : حدثني الصوفي المنجم ، قال - وكان أبو الحسين حاضراً وعضد الدولة يحدثني - قال : اعتللت علة صعبة أيسر مني فيها الطبيب ، وأيسر من نفسي ، وكان تحويل سنتي تلك في النجوم ردياً جداً نحساً موحشاً ، ثم زادت العلة علي ، فأمرت أن يحجب الناس كلهم لا يدخل إلي أحد بوجه ولا سبب إلا حاجب البويه في أوقات ، حتى منعت الطبيب عن الوصول فجزأ بهم بل بنفسي وياساً من العافية ، فأقمت كذلك أياماً ثلاثة وأربعة وأنا أبكي في خلوتي على نفسي ، إذ جاءني حاجب البويه فقال : في الدارأبوالحسن الص في من الغداة يطلب الوصول ، وقد اجتهدنا به في الانصراف بكل رفق وجميل

فما فعل ، و قال : لا بد من أن أصل . ولم أحب أن أحدثه في الانصراف على أي وجه كان إلا بأمرك ، وقد عرفته بأنه قد رسم لي أن لا يصل إليه أحد من خلق الله أجمعين ، فقال : الذي حضرت له بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها ، فمرته هذا عنّي و استأذنه لي في الوصول إليه . فقلت له بضعيف صوت و كلام خفيف : يريد أن يقول لي قد بلغ الكوكب الفلاني الموضع الفلاني ، و يهدي إلي من هذا الجنس ما يضيق به صدري . و يزيد به همتي ، و ما أقدر على سماع كلامك فانصرف . فخرج الحاجب و رجع إلي مستعجلاً و قال : إمّا أن يكون أبو الحسين الصوفي قد جنّ أو معه أمر عظيم ! فإني قد عرفته بما قال مولانا ، فقال : ارجع إليه و قل له : والله لو أمرت بضرب عنقي ما انصرفت أوصل إليك ، و والله ما أكلمك في معنى النجوم بكلمة واحدة . ففجبت من ذلك عجباً شديداً مع علمي بعقل أبي الحسين و أنه ممّا لا يخرق معي في شيء ، و تطلّعت نفسي إلى ما يقوله فقلت : أدخله فلمّا دخل إليّ قبل الأرض و بكى و قال : أنت والله في عافية لا بأس عليك ، و اليوم تبرّء و معي معجزة في ذلك ! فقلت له : ما هي ؟ فقال : رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام و الناس يهرعون إليه يسألونه حوائجهم ، و كان قد تقدّمت إليه و قلت : يا أمير المؤمنين ! أنا رجل غريب في هذا البلد ، تركت نعمتي بالريّ و تجارتي ، و تعلّقت بحبّ هذا الأمير الذي أنا معه ، و قد بلغ إلى حدّ الأياس من العلة ، و قد أشفقت أن أهلك بهلاكه ، فادع الله تعالى بالعافية له . فقال : تعني فنّا خسرو بن الحسن بن بويه ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين . فقال : امض إليه غداً و قل له : أنسيت ما أخبرتك به أمك عنّي في المنام الذي رأيته و هي حامل بك ؟ أليس قد أخبرتك^(١) بمدة عمرك ، و أنك ستعتلّ إذا بلغت كذا و كذا سنة علة يأيس منها أطباءك و أهلك ثم تبرأ منها ؟ و أنت تصلح من هذه العلة غداً و تبرأ ، و أرى صلاحك أن تتركب و تعاود عادتك كلّها في كذا و كذا يوماً ، و لا قطع عليك قبل الأجل الذي خبرتك به أمك عنّي . قال لي عضد الدولة : و قد

كنت أنسيت أن أمي قالت لي في المنام إذا بلغت هذه السنة اعنلت العلة التي قد ذكرت حتى قال لي أبو الحسين الصوفي ، فحين سمعت الكلام حدثت لي في نفسي في الحال قوة لم يكن من قبل ، فقلت : أقعدوني ، فجاء الفلمان فأمسكوني حتى جلست على الفراش ، وقلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث ، فقد قويت نفسي فأعاده فتولدت لي شهوة الطعام فاستدعيت الأطباء ، فأشاروا بتناول غذا و صفوه حمل في الحال و أكلته ، ولم تنقض الحال في اليوم حتى بان لي في الصلاح أمر عظيم ، و أقبلت العافية فركبت و عاودت عاداتي في اليوم الذي قال أبو الحسين في المنام أن أركب فيه ، و كان عضد الدولة يحدّثني وأبو الحسين يقول : كذا والله كان ، وكذا قلت لمولانا ، و : أعيد بالله ما أحسن حفظه وذكر ماجرى حرفاً بحرف . ثم قال : ما فاتني في نفسي من هذا المنام شي ، كنت أشتهي الأشياء ، كنت أشتهي أن يكون فيه مثبناً و شيئاً [كنت] أشتهي أن لا يكون فيه . فقلت : يبلغ الله مولانا آماله و يحدث له كل ما يسر به ، و يصرف عنه كل ما لا يؤثر كونه . ولم أزد على الدعاء ، فعلم غرضي و قال : أمّا الذي كنت أشتهي أن لا يكون فيه فهو أنه وقف على أنني أملك حلباً ، ولو كان عنده أنني أملك شيئاً مما تجاوز حلباً لقاله ، وكانني أخاف أن يكون هذا غاية حداثتي من تلك الناحية ، حتى أنه جاءني الخبر بأن سيف الدولة أظهر الدعوة لي بحلب و أمهاله ، و دخل تحت طاعتي ، فذكرت المنام فتنفّص عليّ لأجل هذا الاعتقاد . و أمّا الذي كنت أشتهي أن يكون فيه فهو أنني أعلم من هذا الذي يملك من ولدي ، و يستقل^(١) الملك على يديه ، فدعوت له و قطعت الحديث بعدها بنحو سنتين ، و ما تجاوزت دعوته أعمال حلب بوجه ولا سبب . قال : و روى الحاكم النيسابوري في تاريخه بإسناده عن النبي ﷺ قال : بعث تبع إلى مكة لنقل البيت إليه ، قال : فابتلي بجسده فقال لمنجميه : انظروا فظنوا فقالوا : لملك أردت بيت الله بشي . قال : نعم ، أردت أن ينقل إليّ ، قالوا : إذا لا يكون ، ولكن اكسه ردّهم من ذلك ، فردّهم عن ذلك و كساه فبرأ (انتهى

ما أردت إيرادَه من كَلَامِ السَّيِّدِ - رَه - .

و سأل السَّيِّدَ مَهْنَانُ بْنُ سَنَانِ الْعَلَّامَةَ - رَه - : مَا يَقُولُ سَيِّدُنَا فِيمَا يُقَالُ : **إِنْ كَسُوفَ الشَّمْسِ بِسَبَبِ حِيلُولَةِ جَرَمِ الْقَمَرِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الشَّمْسِ ، وَإِنْ سَبَبُ خُسُوفِ الْقَمَرِ حِيلُولَةُ الْأَرْضِ ، وَيدلّ على ذلك ما يخبر به أهل التقويم فيطابق أخبارهم ؟** وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فَلَمَّ أَمَرْنَا بِالْخَوْفِ عِنْدَ ذَلِكَ وَ الْفَزَعِ إِلَى الدُّعَاءِ وَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ ؟ فَأَجَابَ - رَه - : اسْتِنَادُ الْكُسُوفِ وَ الْخُسُوفِ إِلَى مَا ذَكَرَهُ - أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ - مُسْتَنَدٌ إِلَى الرِّصْدِ ، وَهُوَ أَمْرٌ ظَنَنْتِي غَيْرَ يَقِينِي ، وَلَوْ سَلَّمْتُ لَمْ يَضُرَّ فِي التَّكْلِيفِ بِالصَّلَاةِ وَ سُؤَالِ اللَّهِ فِي رَدِّ النُّورِ ^(١) وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَادِثُ سَبَبًا لِتَجَدُّدِ حَادِثٍ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَجَازَ أَنْ يَكُونَ الْعِبَادَةُ رَافِعَةً لِمَانِيطِ بِذَلِكَ الْحَادِثِ مِنَ الشَّرِّ وَ الْخَوْفِ بِسَبَبِ ذَلِكَ .

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَخْبَارِ الْمُنْجَمِينَ وَأَصْحَابِ الرَّمْلِ بِالْأَشْيَاءِ الْمَغْيِبَةِ ، فَأَجَابَ بِأَنَّ هَذَا كُلُّهُ تَخْمِينٌ لِاحْتِيْقَةِ لَهُ ، وَمَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ فَإِنَّهُ يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ الْإِتِّفَاقِ ، وَ عِلْمُ الرَّمْلِ يَنْسَبُ إِلَى إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَيْسَ بِمُحَقَّقٍ ، وَ لَكِنَّهُ جَرَى لَنَا وَقَائِعٌ غَرِيبَةٌ عَجِيبَةٌ وَامْتِحَانَاتٌ طَابَقَتْ حُكْمَهُ ، لَكِنْ لَا يَشْمُرُ ذَلِكَ عِلْمًا مُحَقَّقًا (انتهى) .

و أقول : إِذَا أَحْطَتْ خَبْرًا بِمَا تَلَوْنَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَ الْأَقْوَالِ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ الْقَوْلَ بِاسْتِقْلَالِ النُّجُومِ فِي تَأْثِيرِهَا بِلِ الْقَوْلِ بِكَوْنِهَا عِلْمَةً فَاعِلِيَّةً بِالْإِرَادَةِ وَ الْإِخْتِيَارِ وَإِنْ تَوَقَّفَ تَأْثِيرُهَا عَلَى شَرَائِطِ كُفْرٍ وَ مَخَالَفَةِ لُزُومَةِ الدِّينِ ^(٢) ، وَ الْقَوْلُ بِالتَّأْثِيرِ النَّاقِصِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : **الاول :** تَأْثِيرُهَا بِالْكِيفِيَّةِ كَحَرَارَةِ الشَّمْسِ وَ إِضَاءَتِهَا وَ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَ تَبْرِيدِ الْقَمَرِ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ ، لَكِنْ الْكَلَامُ فِي أَنَّهَا

(١) لَمْ يَضُرَّ بِالْأَخْبَارِ بِحَسَنِ الصَّلَاةِ وَ الدُّعَاءِ فِي رَدِّ النُّورِ (خ)

(٢) الْقَوْلُ بِكَوْنِ الْكَوَاكِبِ حَيَّةٍ مَرِيدَةٍ مُخْتَارَةٍ مُؤَثِّرَةٍ فِي الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ خَطَاءٌ لَكِنَّهُ لَا يُوْجِبُ الْكُفْرَ ، إِلَّا أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهَا وَاجِبَةُ الْوُجُودِ وَ لَيْسَ فَوْقَهَا مُؤَثِّرٌ ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِهَا مِنَ التَّأْثِيرِ ، قَالَ الشَّهِيدُ فِي الْقَوَاعِدِ عَلَى مَا حَكَى عَنْهُ الْمُؤَلِّفُ ، وَانْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا - بِعَنْ الْكَوَاكِبِ - تَفْعَلُ الْأَثَارَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَيْهَا وَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الْمَوْثُرُ الْأَعْظَمُ كَمَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْعَدْلِ فَهُوَ مُخْطِئٌ ، إِذَا حَيَاةَ لَهُذِهِ الْكَوَاكِبِ ثَابِتَةٌ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ وَ لَا نَقْلِيٍّ وَ بَعْضُ الْأَشْمَرَةِ يَكْفُرُونَ هَذَا (البح) وَ عَلَى هَذَا فَدَعَوَى كَوْنُ هَذَا الْقَوْلِ مُخَالَفًا لُزُومَةَ الدِّينِ كَمَا تَرَى .

مؤثرات أو معدّات لتأثير الربّ سبحانه ، أو أنّه تعالى أجرى العادة بخلق الحرارة أو الضوء عقيب محاذاة الشمس مثلاً ، والأكثر على الأخير . والثاني كون حرّكانها وأوضاعها ومقارناتها واتّصالاتها مؤثّرةٌ ناقصةٌ في خلق الحوادث على أحد الوجوه الثلاثة المتقدّمة ، فلا ريب أنّ القول به فسق وقول بما لا يعلم ، ولادليل يدلّ عليه من عقل ولا نقل ، بل ظواهر الآيات والأخبار خلاصه ، والقول ، به جرأة على الله . وأمّا أنّه ينتهي إلى حدّ الكفر فيشكل الحكم به ، وإن لم يكن مستبعداً . والكرّاجكيّ - ره - لم يفرّق فيما مرّ بين هذا الوجه والوجه الأوّل ، وإنّما النزاع في الثاني دون الأوّل . وأمّا كونها أمارات وعلامات جعلها الله دلالةً على حدوث الحوادث في عالم الكون والفساد ، فغير بعيد عن السداد ، وقد عرفت أنّ كثيراً من الأخبار تدلّ على ذلك ، وهي إمامفيدة للعلم العاديّ لكنّه مخصوص ببعض الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ومن أخذها منهم لأنّ الطريق إلى العلم بعدم ما يرفع دلائلهم من وحي أو إلهام والإحاطة بجميع الشرائط والموانع والقوابل مختصة بهم ، أو مفيدة للظنّ ووقوع مدلولاتها مشروط بتحقيق شروط ورفع موانع ، وما في أيدي الناس ليس ذلك العلم أصلاً أو بعضه منه لكنّه غير معلوم بخصوصه ، ولا يفيد العلم قطعاً ، وإفادته نوعاً من الظنّ مشكوك فيه .

و أمّا تعليمه وتعلّمه والعمل به فأقسام : منها استخراج التقاويم والأخبار بالأُمور الخفيّة أو المستقبلة وأخذ الطوالع والحكم بها على الأعمار والأحوال ، و الظاهر حرمة ذلك لشمول النهي له ، وما ورد أنّها دلالات وعلامات لا يدلّ على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع ذلك من المعصومين عليهم السلام ، وما دلّ على الجواز فأخبار أكثرها ضعيفة ، ويمكن حمل بعضها على التقيّة بشيوع العمل بها في زمن خلفاء الجور والسلّاطين في أكثر الأعصار ، وتقرّب المنجّمين عندهم ، وربما يومئ بعض الأخبار إليه ، ويمكن حمل أخبار النهي على الكراهة الشديدة ، والجواز على الإباحة ، أو حمل أخبار النهي على ما إذا اعتقد التأثير ، والجواز على عدمه كما فعله السيّد بن طاووس - ره - وغيره ، لكنّ الأوّل أظهر وأحوط .

ومنها الاعتناء بالساعات المسعودة والمنحوسة واختيار الأوتة لارتكاب الأعمال والشروع فيها ، والاحتراز عن الثانية ، وهذا أيضاً يحتمل الكراهة والحرمة ، و ما ورد من رؤية العقرب والمحاق في التزويج والسفر فلا دلالة فيه على العموم مع أنك قد عرفت أن اصطلاح البروج في الأخبار الظاهر أنه غير اصطلاح المنجمين وأما سعادة الكواكب والبروج ونحوسنها فتحتمل الأخبار الواردة فيها أمرين : أحدهما أن يكون لها سعادة ونحوسة واقعية ، لكن ترتفع النحوسة بالتوكل والدعاء والصدقة والتوسل بالله تعالى ، ونحن إنما أمرنا بذلك الأمور لا برعاية الساعات ، و ثانيهما أن يكون تأثيرها من جهة الطيرة لما اشتهر بين الناس من نحوسة تلك الساعات ، و إنما يتأثر بها من يتأثر من الطيرة ممن ضعف توكلهم واعتمادهم على ربهم ، و لهم عقول ضعيفة ، و نفوس دنيئة يتأثرون بأدنى شيء ، و يومئذ إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام عند خبر المنجم « اللهم لا طير إلا طيرك » فعلى الوجهين الأولى لمن قويت نفسه وصدق في توكله على ربه أن لا يلتفت إلى أمثال ذلك ، و يتوسل بجنابه تعالى في جميع أموره ، و يطلب منه الخيرة ، وقد روي عن الصادق عليه السلام أن الطيرة على ما تجعلها ، إن هو نها تهوت ، و إن شددتها تشددت و إن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً . و عنه عن آبائه عليهم السلام قال قال النبي ﷺ : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها ، و كما لا تضر الطيرة من لا يتطير منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيرون . و سيأتي القول فيها في الباب الآتي .

و منها تعليم هذا العلم بوجهيه المتقدمين وتعلمه والنظر والتفكر فيه ، و هو أيضاً يحتمل الحرمة والكراهة ، و احتمال الكراهة هنا أقوى مما سبق .

و منها علم الهيئة والنظر في هيئات الأفلاك وحركانها ، و جوازه لا يخلو من قوة إذا لم يعتقد فيه ما يخالف الآيات و الأخبار كتطابق الأفلاك ، و لم يجزم بمالاً برهان عليه ، و إنما قال به على سبيل الاحتمال . و أما ما ذكره الشهيد - ره - من استحباب النظر في علم الهيئة فأنما هو إذا ثبتت مطابقة قواعده لما هي عليها في

نفس الأمر ، و عدم اشتماله على قاعدة مخالفة لما ظهر من الشريعة ، و إلا فيكون بعضها داخلًا في القول بغير علم ، أو فيما حرم اتّباعه لمخالفة الشريعة وأما الآيات الدالة على التفكّر في خلق السماوات والأرض فالظاهر أن المراد بها التفكّر فيها من جهة دلالتها على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته ، لا من جهة نضدها و ترتيبها و كميّات حرّكاتها ، و إن احتمل شمولها لها أيضاً .

و منها الحكم بالكسوف والخسوف و أوائل الأهلة و المحاق و أشباه ذلك فالظاهر جوازه و إن كان الأحوط اجتناب ذلك أيضاً ، فإن الأحكام الشرعيّة فيها مبتنية على الرؤية لا على أحكام المنجّمين بذلك . و بالجملة ينبغي للمتديّن المتنبّع لأهل بيت العصمة عليهم السلام المدّعي لكونه شيعة لهم مقتدياً آثارهم أن لا يتعرّض لشيء من ذلك إلا في قليل منه يتعلّق بمعرفة أوقات الصلوات و سائر العبادات ، و تعيين جهة القبلة و أشباه ذلك ، ولو كانت هذه العلوم و الأعمال ممّا له مدخلية في صلاح الدين لأمرنا عليهم السلام شيعتهم بذلك ، و رغّبوهم فيها ، و حثّوهم عليها و علّموهم قواعدها ، ولم يتقل من عادة أهل البيت عليهم السلام و سيرتهم الرجوع إلى الساعات و استعلامها ، أو بيانها لشيعتهم ، و احترازهم عن ساعة بسبب أنّها نحس بحسب النجوم ، بل كانوا يأمرؤنهم بالصدقة و الدعاء و التضرّع و التوسّل إلى الله سبحانه في الاحتراز عن البلايا و الآفات ، و المنحوسة من الساعات ، و في هذه الأزمان تركوا جميع ذلك و اكتفوا بالرجوع إلى التقاويم و أصحاب النجوم ، و اتكلوا عليها . و أيضاً لعلمهم بأخبار المنجّمين بأوقات الكسوفات و الخسوفات لا يحصل لهم في وقوعها فزع ، و لا يتضرّعون إلى الله في رفعها و دفع شرّها ، مع أنّه يصير في أكثر الناس سبباً للقول بتأثير النجوم و حياتها و تدبيرها في العالم ، أعاذنا الله و سائر المؤمنين من ذلك ، و إنّما أطبنا الكلام قليلاً في هذا المقام لكثرة ولوع الناس بهذا العلم و العمل به ، و تقرّبهم إلى الملوك بذلك ، فيوقعون الناس به في المهالك ، والله العاصم من فتن المبتدعين ، و الهادي إلى الحقّ واليقين .

﴿ باب آخر ﴾

﴿ فى النهى عن الاستمطار بالانواء و الطيرة و العدوى ﴾

الآيات :

النمل : قالوا اطيّرنا بك و بمن معك قال طائر كم عندالله بل أنتم قوم
تفتنون ^(١) .

يس : قالوا إنّنا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجنّكم و ليمسّنكم منّا عذاب
أليم قالوا طائر كم معكم أئن ذكّرتم بل أنتم قوم مسرفون ^(٢) .
الواقعة : و تجعلون رزقكم أنكم تكذّبون ^(٣) .

تفسير : « قالوا اطيّرنا بك و بمن معك » أي تشأّ منّا بكم إذ تتابعتم علينا
الشدائد من القحط وغيره ، و وقع بيننا الافتراق بما اخترعتم من دينكم « قال
طائر كم » أي سبيكم الذي جاء منه شرّكم « عندالله » وهو قضاؤه و قدره ، أو أعمالكم
السيئة المكتوبة عنده « بل أنتم قوم تفتنون » أي تختبرون بتعاقب السراء و الضراء
وفيه دلالة على أنّه لأصل للطيرة ، و أنّ ما يقع من الخير و الشرّ بقدر الله مترتباً
على الأعمال الحسنة و السيئة ، كما قال : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم ^(٤) » قال صاحب الكشف : كان الرجل يخرج مسافراً فيمرّ بطير فيزجره
و إن مرّ سائحاً يميّن ، و إن مرّ بارحاً تشأّم ، فلمّا نسبوا الخير و الشرّ إلى
الطائر استعير لما كان سبباً للخير و الشرّ وهو قدر الله و قسمته .

« إنّنا تطيّرنا بكم » قال البيضاوي : تشأّ منّا بكم ، وذلك لاستغفراهم ما دّعه

(١) النمل : ٣٧ .

(٢) يس : ١٨ ، ١٩ .

(٣) الواقعة : ٨٢ .

(٤) الشورى : ٢٠ .

واستباحتهم له وتنقّروهم عنه « لئن لم تنتهوا » عن مقاتلتكم هذه « طائر كم معكم » سبب شومكم معكم ، وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم « أنن ذكّرتكم » وعظمت به ، وجواب الشرط محذوف مثل « تطيّرتم » أو « توعّدتم بالرجم والتعذيب » « بل أنتم قوم مسرفون » قوم عادتكم الإسراف في العصيان ، فمن ثمّ جاءكم الشوم ، أوفى الضلال ولذلك توعّدتم وتشأتم بمن يجب أن يكرم ويتبرّك به ^(١) .

« وتجعلون رزقكم » قال الطبرسي - ره - : أي وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم أنكم تكذبون به ، وقيل : وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال : أصاب الناس عطش في بعض أسفاره فدعا عليه السلام فسقوا ، فسمع رجلاً يقول : مطرنا بنوء كذا ، فنزلت الآية . وقيل : معناه وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به ، عن الحسن ^(٢) . وقرأه علي عليه السلام و ابن عباس ورويت عن النبي صلى الله عليه وآله « وتجعلون شكر كم » ^(٣) ، فالمعنى : تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب ، وقد يكون المعنى : وتجعلون شكر رزقكم التكذيب ^(٤) ، قال ابن جني : هو على « وتجعلون بدل شكر كم » ^(٥) .

١ - تفسير علي بن ابراهيم : عن محمد بن أحمد بن ثابت ، عن الحسن بن محمد بن سماعة وأحمد بن الحسن القزاز ، جميعاً عن صالح بن خالد ، عن ثابت بن شريح عن أبان بن تغلب ، عن عبد الأعلى الثعلبي ، ولا أراني إلا وقد سمعته من عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي أن علياً عليه السلام قرأ بهم الواقعة « وتجعلون شكر كم أنكم تكذبون » فلمّا انصرف قال : إنني قد عرفت أنه سيقول قائل : لم قرأه كذا قراءتها ، إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها كذلك ، وكانوا إذا مطروا قالوا : مطرنا

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٢) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ .

(٣) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٢٣ .

(٤) في المصدر : فهو حذف المضاف وقال .

(٥) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ .

بنوه كذا وكذا ، فأنزل الله « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون »^(١) .

٢ - وعن علي بن الحسين ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » قال : بل هي « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون »^(٢) .

توضيح : قوله « ولا أراني » كلام ثابت ، أي أظن أني سمعت الحديث من عبد الأعلى بغير توسط أبان . وقال الجزري في النهاية : فيه : ثلاث من أمر الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، والأنواء . وقد تكرّر ذكر النوء ، والأنواء في الحديث ومنه الحديث « مطرنا بنوء كذا » والأنواء هي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر في كل ليلة في منزلة منها ، ومنه قوله تعالى « والقمر قد رآه منازل » يسقط في المغرب كل ثلاث عشر ليلة منزلة مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابلتها^(٣) ذلك الوقت في المشرق ، فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر ، وينسبونه إليها ، فيقولون : مطرنا بنوء كذا ، وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالشرق : يقال : ناء ينوء نوءاً أي نهض وطلع ، وقيل : أراد بالنواء الغروب وهو من الأضداد ، قال أبو عبيد : لم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع : وإنما غلظ النبي صلى الله عليه وآله في أمر الأنواء لأن العرب كانت تنسب المطر إليها ، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد بقوله مطرنا بنوء كذا أي في وقت كذا وهو هذا النواء الفلاني فإن ذلك جائز ، أي أن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات^(٤) (انتهى) وقال ابن العربي : من انتظر المطر منها على أنها فاعلة من دون الله أو يجعل الله شريكاً فيها فهو كافر ، ومن انتظره منها على إجراء العادة فلا شيء عليه وقال النووي : لكنه يكره لأنه شعار الكفر وموهم له .

(٢١٩) تفسير علي بن إبراهيم القمي : ٦٦٣ .

(٣) في المصدر ، مقابلها - بالنصب على الظرفية - .

(٤) النهاية : ج ٢ ، ص ١٧٨ .

٣ - معاني الاخبار : عن ابن عقدة^(١) ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن أبيه ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : ثلاثة من عمل الجاهلية : الفخر بالأنساب ، والظن في الأحساب والاستسقاء بالأنواء .

قال الصدوق - ره - : أخبرني محمد بن هارون الزنجاني ، عن علي بن عبد العزيز ، عن أبي عبيد أنه قال : سمعت عدة من أهل العلم يقولون : إن الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمان السنة كلها ، من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمى ، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة ، وكانت السرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لا بد أن يكون عند ذلك رياح ومطر ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا ، والدبران ، والسمك ، وما كان من هذه النجوم فعلى هذا ، فهذه هي الأنواء واحدها « نوء » وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالشرق بالطلوع ، وهو بنوء نوءاً وذلك النهوض هو النوء ، فسمي النجم به ، وكذلك كل ناهض ينتقل بابطاء فانه ينوء عند نهوضه ، قال الله تبارك وتعالى « لتنوء بالعصبة أولي القوة »^(٢) .

٤ - ومنه : عن محمد بن هارون الزنجاني ، عن علي بن عبد العزيز ، عن

(١) في المصدر ، أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني عن علي بن إبراهيم . وابن عقدة هو أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي الثقة المتوفى سنة (٣٣٣) ويمكن روايته الصدوق - ره - عنه لأنه تولد سنة (٣٠٥) وكان عند وفاة « ابن عقدة » ابن ثمانية وعشرين ، وإن لم يذكر في مشايخه ، والله العالم .

(٢) القصص ، ٧٦ . معاني الاخبار ، ٣٢٦ .

أبي عبيد القاسم بن سلام بأسانيد متصلة إلى النبي ﷺ قال : نهى ﷺ عن ذبائح الجن ، و ذبائح الجن أن يشتري الدار أو يستخرج العين أو ما أشبه ذلك فيذبح له ذبيحة للطيرة .

قال أبو عبيد : معناه أنهم كانوا يتطهرون إلى هذا الفعل مخافة إن لم يذبحوا أو يطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجن ، فأبطل النبي ﷺ هذا و نهى عنه ^(١) .
 ٥ - و قال ﷺ لا توردن ^(٢) ذو عاهة على مصح . يعني الرجل يصيب إبله الجرب أو الداء ، فقال لا توردنها ^(٣) على مصح ، و هو الذي إبله و ماشيته صحاح بريئة من العاهة . قال أبو عبيد : وجهه عندي - والله أعلم - أنه خاف أن ينزل بهذه الصحاح من الله عز وجل ما نزل بتلك ، فيظن المصح أن تلك أعدتها ، فيأثم في ذلك ^(٤) .

٦ - الخصال : عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن الحسن بن أبي الحسين الفارسي ، عن سليمان بن جعفر البصري ، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آيائه ، عن علي بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ : أربعة لا تزال في أمّتي إلى يوم القيامة : الفخر بالآحساب و الطعن في الأنساب ، و الاستسقاء بالنجوم ، و النياحة ^(٤) (الخبر) .

٧ - المخرايج : روي أنه في وقعة تبوك أصاب الناس عطش ، فقالوا : يا رسول الله لودعوت الله اسقانا ، فقال ﷺ : لودعوت الله اسقيت ، قالوا : يا رسول الله ادع لنا ليسقينا ، فدعا ، فسالت الأودية ، فإذا قوم على شفير الوادي يقولون : مطرنا بنوء الذراع ، وبنوء كذا . فقال رسول الله ﷺ : ألا ترون ؟ فقال خالد : ألا أضرب أعناقهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : يقولون هكذا وهم يعلمون أن الله أنزله .

(١) معاني الاخبار : ٢٨٢ .

(٢) في المصدر : لا يوردن .

(٣) > لا يوردنها .

(٤) الخصال ، ١٠٥ .

بيان : يدلّ على حرمة هذا القول أو الكراهة الشديدة ، و أنّه لا يصير سبباً للكفر مع عدم الاعتقاد بكونها مؤثّرة ، و أنّ هذا الاعتقاد كفر يوجب الارتداد و استحقاق القتل .

٨ - العياشي : عن يعقوب بن شعيب ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى « و ما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون ^(١) » قال : كانوا يقولون : نمطر بنوء كذا و بنوء كذا ، و منها أنّهم كانوا يأتون الكهّان فيصدّقونهم بما يقولون . بيان : قال الطبرسي - ره - في قوله تعالى « و ما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون » : اختلف في معناه على أقوال : أحدها أنّهم مشركوا قريش ، كانوا يقرّون بالله خالقاً و محبباً و مميّناً ، و يعبدون الأصنام و يدعونها آلهة ، عن ابن عباس و ثانيها أنّها نزلت في مشركي العرب ، إذا سئلوا : من خلق السماوات والأرض و ينزل القطر ؟ قالوا : الله ، ثمّ هم يشركون ، كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلّا شريك هوك ، تملكه و ماملك . و ثالثها أنّهم أهل الكتاب ، آمنوا بالله و اليوم الآخر و النورية و الإنجيل ثمّ أشركوا بإنكار القرآن و إنكار نبوة نبيّنا عليه السلام و هذا القول مع ما تقدّم رواه دارم بن قبيصة ، عن الرضا عن جدّه أبي عبد الله عليه السلام و رابعها أنّهم المنافقون ، يظهرون الإيمان و يشركون في السرّ و خامسها أنّهم المشبهة ، آمنوا في الجملة و أشركوا ^(٢) بالتفصيل ، عن ابن عباس أيضاً . و سادسها أنّ المراد بالإشراك شرك الطاعة لاشرك العبادة ، أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها ممّا أوجب الله عليها النار ، فأشركوا بالله في طاعته ، ولم يشركوا في ^(٣) عبادته ، فيعبدون معه غيره ، عن أبي جعفر عليه السلام . و روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : قول الرجل لولافلان لهلكت و لولافلان لضاع عيالي جعل الله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه . ف قيل له : لو قال : لولأن من الله عليّ بفلان

(١) يوسف : ١٠٦ .

(٢) في المصدر ، في التفصيل ، و روى ذلك عن ابن عباس أيضاً .

(٣) ، ، ، ولم يشركوا بالله شرك عبادة .

لهلكت ، قال لا بأس بهذا . وفي رواية زرارة و محمد بن مسلم وحران عنهما عليهما السلام أنه شرك النعم ، و روى محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنه شرك لا يبلغ به الكفر ^(١) (انتهى) و أقول : ما ورد في الخبر قريب من الوجه الأخير ، و يدل على حرمة الاعتقاد بالنجوم والكهانة .

٩ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب عن النضر بن قرواش الجمال ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجمال يكون بها الجرب أعزها من إبلي مخافة أن يعديها جربها ، و الدابة ربما صفرت لها حتى تشرب الماء ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، إنني أصيب الشاة و البقرة و الناقة بالثمن اليسير وبها جرب ، فأكره شراءها مخافة أن يعدي ذلك الجرب إبلي و غنمي . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أعرابي فمن أعدى الأول ؟ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا شؤم ، ولا صفر ، ولا رضاع بعد فصال ، ولا تعرب بعد هجرة ، ولا صمت يوماً إلى الليل ، ولا طلاق قبل نكاح ، ولا عتق قبل ملك ، ولا يتم بعد إدراك ^(٢) .

ايضاح : قوله صلى الله عليه وآله « لا عدوى » قال في النهاية : فيه : « لا عدوى ولا صفر » العدوى اسم من الإعداء كالدعوى و التقوى من الإذعاء و الاتقاء ، يقال : أعداه

(١) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

(٢) روضة الكافي : ١٩٦ أقول ، المراد بنفي العدوى ان مخالطة المرضى ليست علة تامة مستقلة في سراية الامراض ، وان كانت مؤثرة كان تأثيرها ناقصاً ومنوطاً باذن الله و مشيئة . وبعبارة اخرى الفرض من هذا البيان انه لا ينبغي للموحدان يسند الفعل إلى غير الله تعالى ، لا أنه ليس لغيره أى تأثير حتى مع تسببه تعالى وجعله اياه مؤثراً و مثل ذلك الشفاء ، فان الله سبحانه هو الذى يبرىء و يشفى ، ولا يستلزم ذلك عدم تأثير الدواء ، لانه تعالى هو الذى جعل الدواء مؤثراً ، فالفعل بحسب الحقيقة مستند اليه ، و على هذا فلا منافاة بين هذا الحديث و بين ما ثبت في الطب والحديث من سراية بعض الامراض بواسطة المخالطة . مضافاً إلى ان سببية ذلك انما هو على سبيل الاقتضاء أو الاعداد وربما يمنع عن تأثيره مانع ظاهرى كبعض الادوية أو غير ظاهرى كالدعاء والتوسل ونحوهما والله عز وجل هو مسبب الاسباب وهو على كل شيء قدير .

الداء يعديه إعداء ، و هو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء ، و ذلك أن يكون ببعر جرب مثلاً فقتقى مخالطته بأبل أخرى حذراً أن يتعدى إليها ما به من الجرب فيصيبها ما أصابه ، وقد أبطله الإسلام ، لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس الأمر كذلك ، و إنما الله تعالى هو الذي يمرض و ينزل الداء ، و لهذا قال في بعض الأحاديث : فمن أعدى البعر الأول ؟ أي من أين صار فيه الجرب (١) انتهى .

و أقول : يمكن أن يكون المراد نفى استقلال العدوى بدون مدخلية مشيئة تعالى ، بل مع الاستعاذة بالله يصرفه عنه ، فلا ينافي الأمر بالفرار من المجدوم وأمثاله لعامة الناس الذين لضعف يقينهم لا يستعيذون به تعالى ، و تتأثر نفوسهم بأمثاله . وقد روي أن علي بن الحسين عليه السلام أكل مع المجدومين و دعاهم إلى طعامه و شارهم في الأكل ، مع أنه يمكن أن يكون من خصائصهم عليهم السلام لأن الله يعصمهم عن الأمراض المشينة التي توجب نفرة الناس عنهم ، و قيل : الجذام مستثنى من هذه الكلية ، أي عدم العدوى . و قال الطيبي في شرح المشكوة : العدوى مجاوزة العلة أو الخلق إلى الغير ، و هو بزعم الطب في سبع : الجذام والجرب والجدرى والحصبة و البخرو الرمد و الأمراض الوبائية : فأبطله الشرع أي لا تسري علته إلى شخص و قيل : بل نفى استقلال تأثيره بل هو متعلق بمشيئة الله تعالى ، ولذا منع من مقاربتة كمقاربة الجدار المائل و السفينة المعيبة ، و أجاب الأولون بأن النهي عنها للشفقة خشية أن يعتقد حقيقته إن اتفق إصابة عاهته ، و أرى هذا القول أولى لما فيه من التوفيق بين الأحاديث والأصول الطبية التي ورد الشرع باعتبارها على وجه لا يناقض أصول التوحيد (انتهى) .

« ولا طيرة » هذه أيضاً مثل السابقة ، و المراد به النهي عن التطير و التثؤم بالأمور التي يحترز منها العوام ، أو لا تأثير للطيرة مطلقاً ، أو على وجه الاستقلال بل مع قوة النفس وعدم التأثير بها والتوكل على الله تعالى يرتفع تأثيرها ، ويؤيد

الأخير ماسياتي وما ورد في بعض الأخبار الدالة على تأثيرها في الجملة ، وما ورد في بعض الأدعية من الاستعاذة منها . قال الجزري في النهاية : الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التثؤم بالشئ ، وهو مصدر تطير ، يقال : تطير طيرة كنخير خيرة ، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما ، وأصله فيما يقال : التطير بالسوانح و البوارح من الطير و الطباء وغيرهما ، فكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم فنقاه الشرع وأبطله ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ودفع ضرر ، و منه الحديث « ثلاث لا يسلم ^(١) منها أحد : الطيرة ، والحسد ، و الظن » ، قيل : فما نصنع ؟ قال : إذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقّق ^(٢) .

وقال في قوله « ولا هامة » الهامة الرأس واسم طائر وهو المراد في الحديث ، و ذلك أنهم كانوا يتشائمون بها ، وهي من طير الليل وقيل هي البومة ، وقيل : إن العرب كانت تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول : اسقوني ، اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت ، وقيل : كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل روحه تصير هامة ويسمونه « الصدى » فنقاه الإسلام و نهاهم عنه ^(٣) (انتهى) و قيل : هي البومة إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له أو لبعض أهله ، وهو بتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديدها .

وقوله « ولا شؤم » هو كالتأكيد لما سبق ، قال الجزري فيه أيضاً : قال إن كان الشؤم في شيء ففي ثلاث : المرأة ، والدار ، والفرس . أي إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاث ، وتخصيصه لها لأنه لما أبطل مذهب العرب في التطير بالسوانح و البوارح من الطير و الطباء ، ونحوهما قال : فإن كانت لأحدكم داريكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره ارتباطها فليفارقه ، بأن ينتقل عن الدار ويطلق المرأة ، و يبيع الفرس . وقيل : إن شوم الدار ضيقها و سوء جارها ، وشوم

(١) في المصدر ، لا يسلم منهن أحد .

(٢) النهاية ، ج ٣ ، ص ٥١ .

(٣) النهاية : ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

المرأة أن لا تلد ، و شوم الفرس أن لا يغزى عليها . و الواو في الشؤم همزة ولكنها خففت فصارت واواً و غلب عليها التخفيف ، حتى لم ينطق بها مهموزة . و الشوم ضد اليمن ، يقال : تشأمت بالشيء و يتمنت به ^(١) (انتهى) و قيل : شوم المرأة غلاء مهرها و سوء خلقها ، و قال الخطابي من العامة : هو مستثنى من الطيرة ، أي هي منهية إلا في الثلاثة فليفارقها . و قال الطيبي : ليس هو من باب التطير ، بل إرشاد بأن من يكره واحداً من الثلاثة يفارقها ، و لذا جعل منه فرضاً يقول إن يكن الطيرة (انتهى) .

وأقول : هذا الأخير أظهر ، وورد الخبر في أخبارنا أيضاً كما سيأتي في كتاب النكاح إن شاء الله .

« ولا صفر » قال في النهاية : كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال له « الصفر » تصيب الإنسان إذا جاع و تؤذيه ، و أنها تعدي ، فأبطل الإسلام ذلك و قيل : أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، و هو تأخير المحرم إلى صفر ، و يجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله ^(٢) (انتهى) و قيل : هو الشهر المعروف ، زعموا أنه تكثر فيه الدواهي والفتن ، فنفاه الشارع ، و يحتمل أن يكون المراد هنا النهي عن الصفير ، بقرينة أنه ﷺ لم يذكر الجواب عنه و هو بعيد ، و الظاهر أن الراوي ترك جواب الصفير ، و يظهر من بعض الأخبار كراهته .

« ولا رضاع بعد » [فصال] و في سائر الروايات « بعد » فطام ، أي لا حكم للرضاع بعد الزمان الذي يجب فيه قطع اللبن عن الولد ، أي بعد الحولين فلا ينشر الحرمة . « ولا تعرب بعد هجرة » أي لا يجوز اللجوء بالأعراب و ترك الهجرة بعدها ، و عُدّ في كثير من الأخبار من الكبائر . « ولا صمت يوماً إلى الليل » أي لا يجوز التعبد بصوم الصمت الذي كان في الأمم السابقة ، فإنه منسوخ في هذا

(١) النهاية ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) د ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

الشرع بدعة . « ولا طلاق قبل نكاح » كأن يقول : إذا تزوجت فلانة فهي طالق . فلا يَحَقِّقُ هذا الطلاق و كذا قوله « لا عتق قبل ملك » .

« ولا يُتَمَّ بعد إدراك » أي ترتفع أحكام اليتيم من حجره و ولاية الولي عليه و حرمة أكل ماله بغير إذن وليه وغيرها بعد بلوغه ، وستأتي تفاصيل تلك الأحكام في محالها إن شاء الله تعالى .

١٠ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : كفارة الطير التوكل ^(١) .

بيان : أي التوكل على الله يرفع ذنب ما خطر بالبال من التشوُّم بالأشياء التي نهي عن التشوُّم بها ، أو أنه يرفع تأثير ذلك كما ترفع الكفارة تأثير الذنب قال الجزري : « ومنه الحديث « الطيرة شرك و ما منّا [إلّا] و لكن الله يذهب بالتوكل » هكذا جاء الحديث ^(٢) مقطوعاً ولم يذكر المستثنى ، أي إلّا وقد يعتريه التطير و تسبق إلى قلبه الكراهة ^(٣) فحذف اختصاراً و اعتماداً على فهم السامع ، و إنّما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه ، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى في ذلك ، وقوله « و لكن الله يذهب بالتوكل » معناه [أنه] إذا خطر له عارض التطير فتوكل على الله تعالى وسلم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله تعالى [له] ولم يؤاخذ به ^(٤) .

١١ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن عمرو بن حريث ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الطيرة على ما تجعلها ، إن هوّا نتها تهوّا نت ، و إن شدّدتها تشدّدت ، و إن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً ^(٥) .

(١) روضة الكافي ، ١٩٨ .

(٢) في المصدر ، جاء في الحديث .

(٣) الكراهية (خ) .

(٤) النهاية : ج ٣ ، ص ٥٢ .

(٥) روضة الكافي ، ١٩٧ .

١٢ - و منه : عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي مالك الحضرمي عن حمزة بن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاثة لم ينج منها نبيّ فمن دونه : التّفكّر في الوسوسة في الخلق ، والطيرة ، والحسد ، إلّا أنّ المؤمن لا يستعمل حسده (١) .

١٣ - الخصال : عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس و محمد بن يحيى العطار ، جميعاً عن محمد بن أحمد بن يحيى الأشعريّ ، بإسناده يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاث لم يعرّ منها نبيّ فمن دونه : الطيرة ، والحسد ، والتّفكّر في الوسوسة في الخلق . قال الصدوق - ره - : معنى الطيرة في هذا الموضع هو أن يتطهّر منهم قومهم فأماهم عليه السلام فلا يتطهّرون ، وذلك كما قال الله عزّ وجلّ عن قوم صالح قالوا اطهّرنا بك و بمن معك قال طائر كم عند الله (٢) ، و كما قال آخرون لا نبياهم « إنّنا تطهّرنا بكم - الآية - (٣) ، و أمّا الحسد في هذا الموضع هو أن يُحسدوا لأنّهم يحسدون غيرهم ، و ذلك كما قال الله عزّ وجلّ « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً (٤) ، و أمّا التّفكّر في الوسوسة في الخلق فهو بلواهم عليه السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك ، و ذلك كما حكى الله عن وليد بن المغيرة المخزوميّ « إنّهُ فكّر و قدّر فقتل كيف قدّر (٥) ، يعني قال للقرآن « إنّ هذا إلّا سحر يؤثّر إنّ هذا إلّا قول البشر (٦) . بيان : ما ذكره الصدوق - ره - وجه متين في الخبر الذي رواه في الخصال و أمّا سائر الأخبار المروية من طرق الخاصّة و العامّة المشتملة على التّمات فهذا

(١) روضة الكافي ، ١٠٨ .

(٢) النمل ، ٣٧ .

(٣) يس : ١٨ .

(٤) النساء : ٥٣ .

(٥) المدثر ، ١٨ و ١٩ .

(٦) الخصال ، ٤٢ .

الوجه لا يجري فيها إلا بتكلف كثير ، والظاهر أن المراد بالطيرة فيها انفعال النفس عما يتشأم به ، أو تأثيرها واقعاً وحصول مقتضاها ، والأول في المعصومين عليهم السلام أظهر ، بأن يخطر ببالهم الشريفة ثم يدفعوا أثرها بالتوكل ، وهذا لا ينافي العصمة وأما الحسد فظاهرها أن الحسد المركوز في الخاطر إذالم يظهره إلا إنسان لم يكن معصية ولا استبعاد فيه ، فإنه في أكثر الخلق ليس باختيارى ، ويمكن أن يراد به ما يعم الغبطة ويكون هذه هي الحاصلة فيهم ، وأما التفكر في الوسوسة في الخلق فيحتمل وجهين : الاول أن يراد به التفكر فيما يحصل في نفس الإنسان في خالق الأشياء و كيفة خلقها ، ومنها ربط الحادث بالقديم ، و خلق أعمال العباد ومسألة القضاء والقدر ، والتفكر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم ، كل ذلك من غير استقرار في النفس وحصول شك بسببها ، كما روى الكليني بإسناده عن محمد بن حمران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوسوسة ^(١) فقال : لا شيء فيها تقول : لا إله إلا الله ^(٢) . وإسناده عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إنه يقع في قلبي أمر عظيم ! فقال : قل : لا إله إلا الله ، فقال جميل : فكلما وقع في قلبي شيء قلت لا إله إلا الله فذهب عني ^(٣) وإسناده عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله هلكت ! فقال له : أتاك الخبيث فقال لك : من خلقك ؟ فقلت : الله ، فقال لك : الله من خلقه ؟ فقال : إي والذي بعثك بالحق ! كان كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذاك والله محض الإيمان . قال ابن أبي عمير : فحدثت بذلك عبد الرحمن بن الحجاج فقال : حدثني ^(٤) أبو عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما عنى بقوله « هذا والله محض الإيمان » خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه ^(٥) وقد روت العامة

(١) في المصدر ، وإن كثرت .

(٢) الكافي ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٣) في المصدر ، حدثني أبي عن أبي عبد الله .

(٤) الكافي ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

في صحاحهم أنه سئل النبي ﷺ عن الوسوسة ، فقال : تلك محض الإيمان ، وفي رواية أخرى : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله و لينته .

الثاني أن المراد بالخلق المخلوقات ، وبالتفكر فيهم بالوسوسة التفكير وحديث النفس بعبوبهم و تفنيش أحوالهم ، و يؤيد هذا الوجه ما رواه الجزري في النهاية و نقلناه آنفا .

١٤ - الخصال : عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، عن سعد بن عبد الله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز بن عبد الله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : رفع عن أمي تسعة : الخطاء ، و النسيان ، و ما أكرهوا عليه ، و ما لا يعلمون ، و ما لا يطبقون ، و ما اضطروا إليه ، و الحسد ، و الطيرة و التفكير في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة ^(١) .

الفقيه : عن النبي ﷺ مرسلًا مثله ^(٢) .

بيان : لعل قوله ﷺ « ما لم ينطق بشقة » قيد للثلاثة الأخيرة ، و قد مر شرح الخبر بتمامه في كتاب العدل .

١٥ - الكافي : عن عدة من أصحابه ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بكر بن صالح ، عن سليمان الجعفري ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : الشؤم للمسافر ^(٣) في طريقه خمسة أشياء : الغراب النائق عن يمينه ، و الناشر لذنبه ، و الذئب العاوي الذي يعوي في وجه الرجل ، و هو مقع على ذنبه ^(٤) ثم ^(٥) يرتفع ثم ينخفض ثلاثاً و الظبي السانح عن يمين إلى شمال ، و البومة الصارخة ، و المرأة الشمطاء تلقي

(١) الخصال ، ٣٥ .

(٢) الفقيه ، ١٣ .

(٣) في الخصال : الشؤم في خمسة للمسافر .

(٤) في المصدر ، على ذنبه يعوى .

(٥) في الخصال ، حتى يرتفع .

فرجها ، و الأثنان العضباء - يعني الجدعاء - فمن أوجس في نفسه منهن^(١) شيئاً فليقل : اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي^(٢) فيعصم من ذلك^(٣) .

الخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمد مثله إلى قوله « من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك » .

بيان : « الشؤم للمسافر » أي ما يتشأم به الناس ، وربما تؤثر بتأثير النفس بها ، و يدفع ضررها بالتوكل و الدعاء المذكور في الخبر و غيره . كما مر في الطيرة قوله عليه السلام « خمسة » كذا في الخصال و المحاسن و أكثر نسخ الفقيه ، و في بعضها « سبعة » و في بعضها « ستة » و في الفقيه « و الكلب الناصر » و في الخصال كالكافي « و الناصر » فيكون نوعاً آخر لشؤم الغراب ، و في المحاسن بدون الواو أيضاً فيكون صفة أخرى للغراب ، فقد ظهر أن الظاهر على بعض النسخ ستة ، و على بعضها سبعة ، فالخمس إمّا من تصحيف النسخ ، أو مبني على « الثلاثة المصوّتة واحدة » أوعد الكلب والذئب واحداً لأنّهما من السباع ، والغراب والبوم واحداً لأنّهما من الطير ، و يمكن عطف المرأة على بعض النسخ و الأثنان على بعضها على الخمسة ، فيكون أفراد الخمسة لشهرتها بينهم أو لزيادة شؤمها .

قوله عليه السلام « و هو مقع » يقال أقعى الكلب إذا جلس على إسته مفترشاً رجليه و ناصباً يديه ، و الظاهر رجوع ضميري « يرتفع » و « ينخفض » إلى الذئب ، و يقال : إن هذا دأبه غالباً إذا لقي إنساناً يفعل ذلك لإثارة الغبار في وجهه ، و قيل : هما يرجعان إلى صوته أو إلى ذنبه ، ولا يخفى بعدهما . قوله عليه السلام « و الطيبي السانح » قال في النهاية : البارح ضد السانح ، فالسانح ما مر من الطير و الوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، و العرب تميمن بذلك ، لأنّه أمكن للرمي و الصيد و البارح ما مر من يمينك إلى يسارك ، و العرب تتميطر به ، لأنّه لا يمكنك أن

(١) في الخصال : من ذلك

(٢) في الكافي : قال : فيعصم من ذلك .

(٣) روضة الكافي : ٣١٤ .

ترميهِ حتّى تنحرف^(١) و نحوه قال الجوهري وغيره ، فالمراد بالسائح هنا المعنى اللغوي من قولهم « سائح له » أي عرض له و ظهر ، وقال الكفعمي - ره - : منهم من ينمّن بالبارح و يتشائم بالسائح كأهل الحجاز ، وأمّا النجديّون فهم على العكس من ذلك .

« و المرأة الشمطاء » قال الجوهري : الشمط بياض شعر الرأس يخالط سواده و الرجل أشمط ، و المرأة شمطاء . و قوله « تلقي فرجها » الظاهر عندي أنّه كناية عن استقبالها إيتاك و مجيئها من قبل وجهك ، فإن فرجها من قدّامها . وقال الفاضل أمين الدين الاسترابادي - ره - : الظاهر أنّ المراد من قوله تلقاء فرجها أن تستقبلك بفرج خمارها فتعرف أنّها شمطاء ، و قال غيره ممّن لقينته : يحتمل أن يكون المراد افتراشها على الأرض من الإلقاء ، أو كناية عن كونها زانية ، و يحتمل أن يكون « تنلقتي » فحذفت إحدى التائين ، فالمراد مواجهتها لفرجها بأن تكون جالسة بحيث يواجه الشخص فرجها ، ولا يخفى بعد تلك الوجوه وركاكتها . و الأتان العضباء : المقطوعة الأذن ، و لذا فسرها بالجدعاء لئلا يتوهّم أن المراد المشقوقة الأذن . قال الجوهري : ناقة عضباء أي مشقوقة الأذن^(٢) . و قال الفيروز آبادي : العضباء الناقة المشقوقة الأذن ، و من آذان الخيل الذي جاوز القطع ربعها^(٣) وقال : الجدع كالمنع قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة^(٤) .

١٦ - الدر المنثور : عن ابن عباس : قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النبي ﷺ : أصبح من الناس شاكر و منهم كافر ، قالوا : هذه رحمة وضعها الله ، و قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا ، فنزلت هذه الآية « فلا

(١) النهاية ج ١ ، ص ٧١ .

(٢) الصحاح ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٣) القاموس ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٤) القاموس ج ٢ ، ص ١١ .

«قسم بمواقع النجوم ، حتى يبلغ ^(١) » و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون ^(٢) » .
 ١٧ - و عن ابن عباس أنه كان يقرء « و تجعلون شكركم أنكم تكذبون »
 قال : يعني الأَنْواء ، و ما مُطر قوم إلا أصبح بعضهم كافراً ، و كانوا يقولون مُطرنا
 بنوء كذا و كذا ، فأنزل الله « و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون ^(٣) » .

١٨ - و عن أبي خدرة قال : نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة
 تبوك ، و نزلوا ^(٤) الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً ، ثم
 ارتحل ثم نزل منزلاً آخر و ليس معهم ماء ، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال
 فصلّي ركعتين ثم دعا ، فأرسل الله سحابة فأمرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال
 رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالتفاق : و يحك ! قد ترى ما دعا النبي
 صلى الله عليه و آله فأمر الله علينا السماء ، فقال : إنما مطرنا بنوء كذا و كذا
 فأنزل الله « و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون ^(٥) » .

١٩ - و عن عليّ عليه السلام عن النبي ﷺ في قوله « و تجعلون رزقكم أنكم
 تكذبون » قال : شكركم ، تقولون : مطرنا بنوء كذا و كذا ، و بنجم كذا
 كذا ^(٦) .

٢٠ - و عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قرأ عليّ الواقعة في الفجر فقال :
 « و تجعلون شكركم أنكم تكذبون » فلما انصرف قال : إنني قد عرفت أنه
 سيقول قائل : لم قرأها هكذا ؟ إنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأها كذلك ، كانوا
 إذا أمطروا ^(٧) قالوا : مطرنا بنوء كذا و كذا ، فأنزل الله : « و تجعلون شكركم
 أنكم إذا أمطرتكم به تكذبون ^(٨) » .

(١) في المصدر : حتى بلغ .

(٢) (٣ و ٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

(٣) في المصدر ، بالحجر .

(٤) (٥ و ٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٧) في المصدر : إذا مطروا .

٢١ - وعن قتادة « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » قال ^(١) : أمّا الحسن فقال : بئس ما أخذ القوم لأنفسهم ! لم يرزقوا من كتاب الله إلاّ التكذيب . قال : وذكر لنا أن الناس أمحلوا على عهد نبي الله ﷺ فقالوا : يا نبي الله لو استقيت لنا ! فقال : عسى قوم أن سقوا أن يقولوا سقيناه بنوء كذا وكذا ، فاستسقى ^(٢) نبي الله ﷺ لهم فمطروا ، فقال رجل : إنّه قد كان بقي من الأنواء كذا وكذا ، فأنزل الله « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » ^(٣) .

٢٢ - وعن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي ﷺ : لو أمسك الله المطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة كافرين ! قالوا : هذه بنوء الدبران ^(٤) .

٢٣ - وعن زيد بن خالد الجهني ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح من ^(٥) الحديدية في أثر سماء ^(٦) فلما سلم أقبل علينا فقال : ألم تسمعوا ما قال ربكم في هذه الآية ؟ ما أنعمت على عبادي نعمة إلاّ أصبح فريق منهم بها كافرين فأما من آمن بي وحمدني على سقياي فذلك الذي آمن بي وكفر بالكوكب ، و من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الذي آمن بالكوكب وكفري ^(٧) .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنّه يقول : إنّ الذين يقولون نستقي ^(٨) بنجم كذا وكذا فقد كفر بالله و آمن بذلك النجم ، و الذين يقولون سقانا الله فقد آمن بالله وكفر بذلك النجم ^(٩) .

(١) فقال (خ) ،

(٢) فاستسقى (خ) .

(٣) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ١٦٣

(٤) في المصدر ، زمن الحديدية .

(٥) أي عقيب مطر .

(٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٤ .

(٨) في المصدر « نسقي » ، وفي بعض نسخ البحار « نستسقى » .

(٩) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

- ٢٥ - و عن عبدالله بن سخير أن سليمان بن عبد الملك دعاه فقال : لو تعلمت علم النجوم فازددت إلى علمك . فقال : قال رسول الله ﷺ : إن أخوف ما أخاف على أمتي النصديق بالنجوم ، و التكذيب بالقدر ، و ظلم الأمة ^(١) .
- ٢٦ - وعن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أخاف على أمتي ثلاثاً : استسقاء بالأنواء ، و حيف السلطان ، و تكذيباً بالقدر ^(٢) .
- ٢٧ - و عن معاوية الليثي قال : قال رسول الله ﷺ : يكون الناس مجدين فينزل الله عليهم رزقاً من رزقه فيصبحون مشركين قيل له : كيف ذلك يا رسول الله قال : يقولون مطرنا بنوء كذا و كذا و كذا ^(٣) .
- ٢٨ - و عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسهم بها فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء كذا و كذا ^(٤) .
- ٢٩ - و عن ابن عباس قال : ما مطر قوم إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون : مطرنا بنوء كذا و كذا وقرأ ابن عباس « و يجعلون شكر كم أنكم تكذبون » ^(٥) .

١٢

﴿ باب ﴾

﴿ ما يتعلق بالنجوم و يناسب أحكامها من كتاب ﴾

﴿ دانيال عليه السلام و غيره ﴾

- ١ - قصص الراوندي : بإسناده عن الصدوق ، عن الحسين بن علي الصوفي عن حمزة بن القاسم العباسي ، عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري ، عن محمد بن الحسين بن زيد الزيات ، عن عمرو بن عثمان الخزاز ، عن عبدالله الفضل الهاشمي عن الصادق عليه السلام قال : كان في كتاب دانيال عليه السلام أنه إذا كان أول يوم من المحرم يوم السبت فإنه يكون الشتاء شديد البرد كثير الريح ، يكثر فيه الجليد ، و تغلو

فيه الحنطة ، و تقع فيه الوباء و موت الصبيان ، و يكثر الحمى في تلك السنة ، و يقلّ العسل ، و تكسر الكماة ، و يسلم الزرع من الآفات ، و يصيب بعض الأشجار آفة و بعض الكروم ، و تخبب السنة ، و يقع بالروم الموتان ، و يغزوهم العرب ، و يكثر فيهم السبي والغنائم في أيدي العرب ، و يكون الغلبة في جميع المواضع للسلطان بمشيئة الله . و إذا كان يوم الأول المحرم فأنه يكون الشتاء صالحاً ، و يكثر المطر ، و يصيب بعض الأشجار و الزرع آفة ، و يكون أوجاع مختلفة و موت شديد و يقلّ العسل ، و يكثر في الهواء الوباء و الموتان ، و يكون في آخر السنة بعض الغلا في الطعام ، و يكون الغلبة للسلطان في آخره . و إذا كان يوم الاثنين أوّل المحرم فأنه يكون الشتاء صالحاً ، و يكون في الصيف حرّاً شديد ، و يكثر المطر في أيامه و يكثر البقر و الغنم ، و يكثر العسل و يرخص الطعام و الأسعار في بلدان الجبال و يكثر الفواكه فيها ، و يكون موت النساء ، و في آخر السنة يخرج خارجي على السلطان بنواحي المشرق ، و يصيب بعض فارس غم ، و يكثر الزكام في أرض الجبل و إذا كان يوم الثلاثاء أوّل المحرم فأنه يكون الشتاء شديد البرد ، و يكثر الثلج و الجمد بأرض الجبل و ناحية المشرق ، و يكثر الغنم و العسل ، و يصيب بعض الأشجار و الكروم آفة ، و يكون بناحية المغرب و الشام آفة من حدث يحدث في السماء يموت فيه خلق ، و يخرج على السلطان خارجي قوي ، و تكون الغلبة للسلطان ، و يكون في أرض فارس في بعض الغلات آفة ، و تغلو الأسعار بها في آخر السنة . و إذا كان يوم الأربعاء أوّل المحرم فأن الشتاء يكون وسطاً ، و يكون المطر في القيظ صالحاً نافعاً مباركاً ، و تكثر الثمار و الغلات بالجبال كلها و ناحية جميع المشرق ، إلا أنه يقع الموت في الرجال في آخر السنة ، و يصيب الناس بأرض بابل و بالجبل آفة ، و يرخص الأسعار ، و تسكن مملكة العرب في تلك السنة ، و يكون الغلبة للسلطان . و إذا كان يوم الخميس أوّل المحرم فأنه يكون الشتاء ليئناً ، و يكثر القمح و الفواكه و العسل بجميع نواحي المشرق ، و تكثر الحمى في أوّل السنة و في آخره و بجميع أرض بابل في آخر السنة ، و يكون للروم على المسلمين غلبة ، ثم تظهر

العرب عليهم بناحية المغرب . و يقع بأرض السند حروب و الظفر لملوك العرب . و إذا كان يوم الجمعة أوّل المحرم فانه يكون الشتاء بلابرد ، و يقل المطر والأودية و المياه ، و تقلّ الغلات بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ ، و يكثر الموت في جميع الناس ، و يغلو الأسعار بناحية المغرب ، و يصيب بعض الأشجار آفة ، و يكون للروم على الفرس كربة شديدة .

✽ (في علامات كسوف الشمس في الاثنى عشر شهراً) ✽

إذا انكسفت الشمس في المحرم فإنّ السنة تكون خصيبة ، إلا أنه يصيب الناس أوجاع في آخرها وأمراض ، و يكون من السلطان ظفر ، و يكون زلزلة بعدها سلامة . وإذا انكسفت في صفر فانه يكون فزع وجوع في ناحية المغرب ، و يكون قتال في المغرب كثير ، ثمّ يقع الصلح في الربيع و الظفر للسلطان . وإذا انكسفت في ربيع الأوّل فانه يكون بين الناس صلح ، و يقلّ الاختلاف و الظفر للسلطان بالمغرب ، و يعزّ البقر و الغنم ، و يتّسع في آخر السنة ، و يقع الوباء في الإبل بالبدو . و إذا انكسفت في شهر ربيع الآخر فانه يكون بين الناس اختلاف كثير ، و يقتل منهم خلق عظيم ؛ و يخرج خارجي على الملك ، و يكون فزع و قتال ، و يكثر الموت في الناس . وإذا انكسفت في جمادى الأولى فانه تكون السعة في جميع الناس بناحية المشرق والمغرب ، و يكون للسلطان إلى الرعيّة نظر ، و يحسن السلطان إلى أهل مملكته ، و يراعي جانبهم . وإذا انكسفت في جمادى الآخرة فانه يموت رجل عظيم بالمغرب ، و يقع ببلاد مصر قتال و حروب شديدة ، و يكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة و إذا انكسفت في رجب فانه تعمّر الأرض ، و يكون أمطار كثيرة بالجبال و بناحية المشرق ، و يكون جراد بناحية فارس ولا يضرّهم ذلك . و إذا انكسفت في شعبان يكون سلامة في جميع الناس من السلطان و يكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب ، و يقع وباء في الجبال في آخر السنة و يكون عاقبته إلى سلامة . و إذا انكسفت في شهر رمضان كان جملة الناس يطيعون

عظيم فارس ، و يكون للروم على العرب كربة شديدة ، ثم يكون على الروم يُسبى منهم و يُغنم . وإذا انكسفت في الشوال فإنه يكون في أرض الهند و الزنج قتال شديد ، و يكثر نبات الأرض بالمشرق . وإذا انكسفت في ذي القعدة فإنه يكون مطر كثير متواتر ، و يقع خراب بناحية فارس . وإذا انكسفت في ذي الحجة فإنه يكون فيه رياح كثيرة ، و ينقص الأشجار ، و يقع بالأرض من المغرب سبع و خراب في كل أرض من ناحية المغرب ، و ينقص الطعام و يغلو عليهم ، و يخرج خارجي على الملك و يصيبه منه شدة ، و يقل طعام أهل فارس ثم يرخص في العام الثاني .

❖ (في علامات خسوف القمر طول السنة) ❖

إذا انكسف القمر في المحرم فإنه يموت في المغرب رجل عظيم ، و ينتقص الفاكهة بالجبال ، و يقع في الناس حكة ، و يكثر الرمد بأرض بابل ، و يقع الموت و يغلو أسعارها ، و يخرج خارجي على السلطان و الظفر للسلطان ، و يقتلهم وإذا انكسف في صفر فإنه يكون جوع و مرض ببابل و بلادها حتى يتخوف على الناس ثم تكون أمطار كثيرة فيحسن نبات الأرض و حال الناس ، و يكون بالجبال فاكهة كثيرة . وإذا انكسف في شهر ربيع الأول فإنه يقع بالمغرب قتال ، و يصيب الناس يرقان ، و يكثر فاكهة البلاد بناحية « ماه » و يقع الدود في البقول بالجبال ، و يقع خراب كثيرة بماء . و إذا انكسف في شهر ربيع الآخر فإنه يكثر النداء بالجبال و يكثر الخصب و المياه ، و تكون السنة مباركة ، و يكون للسلطان الظفر بالمغرب و إذا انكسف في جمادى الأولى فإنه تهراق دماء كثيرة بالبدو ، و يصيب عظيم الشام بلمة شديدة ، و يخرج خارجي على السلطان و الظفر للسلطان . و إذا انكسف في جمادى الآخرة فإنه تقل الأمطار و المياه بنيوى ، و يقع فيها جزع شديد و غلاء و يصيب ملك بابل إلى المغرب بلاء عظيم . و إذا انكسف في رجب فإنه يكون بالمغرب موت و جوع ، و يكون بأرض بابل أمطار ، و يكثر و جع [الأثف و] العين في الأمصار . و إذا انكسف في شعبان فإن الملك يقتل أو يموت و يملك ابنه ، و

يفلو الأسعار ، و يكثر جوع الناس . و إذا انكسف في شهر رمضان يكون بالجبل برد شديد و ثلج و مطر ، و كثرت المياه ، و يقع بأرض فارس سباع كثيرة ، و يقع بأرض « ماه » موت كثير بالصبيان و النساء . و إذا انكسف في شوال فإن الملك يغلب على أعدائه ، و يكون في الناس شر و بليّة . و إذا انكسف في ذي القعدة فإنّه تفتح المدائن الشداد ، و تظهر الكنوز في بعض الأرضين و الجبال . و إذا انكسف في ذي الحجة فإنّه يموت رجل عظيم بالمغرب ، و يدعى فاجر الملك .

قال الراوندي - ره - : و جميع ذلك إن صحّت الروايات عن دانيال النبي عليه السلام يجري مجرى الملاحم و الحوادث في الدنيا وعلاماتها ، و قد قال النبي صلى الله عليه و آله : إذا أراد الله بقوم خيراً أمطرهم بالليل و شمسهم بالنهار . و قال ﷺ : إذا غضب الله على أمة و لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها ، و قصرت أعمارها ، و لم تريح تجارتها ، و لم تترك ثمارها ، و لم تغزر أنهارها ، و حبس عنها أمطارها ، و سلط عليها أشرارها . و قال ﷺ : إذا منعت الزكوة هلكت الماشية و إذا جار الحكام أمسك القطر من السماء ، و إذا خفرت الذمة نُصر المشركون على المسلمين . و أمثلة ذلك كثيرة والله أعلم بحقيقة ذلك .

بيان : قال في القاموس : الجليد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد (١) . و قال : الكمؤ نبات معروف ، و الجمع : أكمؤ و كمأة ، أو هي اسم للجمع ، أو هي للواحد و الكمؤ للجمع ، أو هي تكون واحدة و جمعاً (٢) . و قال : بلاد الجبل مدن بين آذربيجان و عراق العرب و خوزستان و فارس (٣) . و قال : الماء قصبة البلد ، و الماهان الدينور و نهاوند أحدهما (٤) ماهة الكوفة و الآخر ماهة البصرة (٥) .

(١) القاموس : ج ١ ، ص ٢٨٤ .

(٢) > ج ١ ، ص ٢٦ .

(٣) > ج ٣ ، ص ٣٣٤ .

(٤) في المصدر ، أحدهما ماء الكوفة و الآخر ماء البصرة .

(٥) القاموس : ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

أقول : وجدت في بعض الكتب القديمة أخباراً طويلة في الملاحم و الأحكام تركتها لعدم الاعتماد على أسانيدھا وإن كان مروياً بعضها عن الصادق عليه السلام وبعضها عن دانيال عليه السلام .

٢ - **الاختصاص :** اعلم إذا قرنت الزهرة مع المريخ في برج واحد هلك ملك الروم أو يكون بالروم مصيبات عظيمة أو بلايا ، و إذا قرنت مع زحل كان في العامة شدة و ضيق ، و إذا قرنت الزهرة ^(١) المشتري أصاب الناس رخاء من العيش و إذا قرنت الزهرة عطارد يكون إهراق الدماء و فتح عظيم ، و إذا قرن بهرام زحل ^(٢) في برج واحد ملك مهلك ^(٣) حديث في أرض ذلك البرج ، و إذا اجتمع بهرام و المشتري مات ملك عظيم الشأن ، و إذا اجتمع زحل و عطارد وقع في التجار الخوف و الحزن ، و كذلك في أهل الأدب . و إذا اجتمع زحل و المشتري في برج واحد تغيرت الدنيا في سائر الأحوال ، و يتغير أمور الناس ، و تخرج الخوارج من النواحي كلها ، و خاصة من الجبلان و الديلم و الأكراد ، و يقتلون الناس قتلاً شديداً ، و يشتد الأمر عليهم من الخوف و الحزن ، و ترتفع السفلة شأنهم ، و تغير طبائع الناس كلها ، و يذهب عنهم الحياء و الإنسانية ^(٤) و يزيد فيهم كثرة الفساد خاصة في النساء ، و إسقاط الوالدات أولاد الحرام ، و إهراق الدماء و القتل و الجوع . و إذا اجتمع المشتري و العطارد ^(٥) أصاب الأرض طاعون ، و يقع فيما بين الناس العداوة و البغض ، و إذا ركب القمر فوق زحل ذهب ملك ملك ، و إذا اجتمع بهرام و عطارد في العقرب فذلك آية قتل ملك بابل ، و إذا اجتمع المشتري و الزهرة في العقرب فذلك آية فزع و مرض بأرض بابل ، و إذا اجتمع الشمس و

(١) في المصدر ، مع المشتري .

(٢) > مع زحل .

(٣) بفتح اللام في الاول و كسرھا في الثاني ، و في المصدر « هلك ملك » و الصواب

ما في المتن .

(٤) في المصدر : و يطعم كل واحد في آخر .

(٥) كذا ، و في المصدر ، و عطارد .

زحل في العقرب في شولة العقرب فذلك آية اختلاف الروم وقتل ملكهم ، وإذا اجتمع المريخ وعطارد في شولة العقرب فذلك خراب بيت ملك بابل ، وإذا اجتمعت الشمس والقمر في شولة العقرب وبهرام في سرطان فإن استطعت أن تتخذ سرباً لتدخل فيه فافعل ، وإذا اجتمعت الزهرة والمشتري فإن النساء يخشين أزواجهن عداوة ، وإذا نزل كيوان الطرفة أو الدبران وقع الطاعون بالعراق ومات كثير من الناس ، وإذا نزل الطرفة على آخره يكون في أرض العراق قتال وفتنة ، وإذا نزل النثرة بدلت أعمال العراق : ولقوا بلاء وشدّة ، وإذا نزل كيوان الغفر يكون بأرض العراق قتال وفتنة ، وإذا نزل كيوان جبهة وقع الموت في البقر والسباع والوحش ، وإذا نزل كيوان والمشتري الاكليل والقلب والشولة يقع في المشرق والمغرب طاعون شديد ، ويموت من الناس أناس كثير ، ويقع الفساد والبلايا في الأرض كلها ، ويكون بلايا عليهم كلها في الناس ، ويقتل الملوك والعلماء وترتفع سفلة من الناس .

واعلم أن مع الشمس كواكب لها أذنان بعضها فوق بعض نقر فإذا بدا كوكب منها في برج من البروج وقع في أرض ذلك البرج شرّ وبلاء وفتنة وخلع الملوك ، وإذا رأيت كوكباً أحمر لا تعرفه وليس على مجاري النجوم ينتقل في السماء من مكان إلى مكان يشبه العمود وليس به فإن ذلك آية الحرب والبلايا وقتل العظماء وكثرة الشرور والهموم والآشوب في الناس ^(١) .

أقول : و كان في أصل الكتاب هكذا : قوبل و نسخ من خط ابن الحسن بن شاذان - رحمه الله - .

بيان : لما ذكر الشيخ المفيد - ره - هذه الأحكام في الاختصاص أوردته ولم يستنده إلى رواية ، وأخذ من كتب أصحاب علم النجوم بعيد .

﴿ أبواب ﴾

﴿ (الازمنة وأنواعها وسعادتها ونحوستها وسائر أحوالها) ﴾

١٣

﴿ باب ﴾

﴿ (السنين و الشهور وأنواعهما والفصول وأحوالها) ﴾

الآيات :

التوبة : « إنَّ عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم - إلى قوله تعالى - إنما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين (١) .

تفسير : « إنَّ عدَّةَ الشهور » قال الرازي : أعلم أنَّ السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية ، و الدليل عليه هذه الآية ، وأيضاً قوله : « هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب (٢) » فجعل تقدير القمر بالمنازل علّة للسنين ، وذلك إنّما يصحّ إذا كانت السنة معلّقة بسير القمر ، وأيضاً قال تعالى « يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحجج (٣) » وعند سائر الطوائف عن (٤) المدّة التي تدور الشمس فيها دورة تامة . والسنة القمرية أقلّ من الشمسية بمقدار معلوم ، وبسبب ذلك التقصان تنتقل

(١) التوبة ، ٣٦ - ٣٧ .

(٢) يونس ، ٥ .

(٣) البقرة ، ١٨٩ .

(٤) في المصدر : عبارة عن المدّة .

الشهور القمرية من فصل إلى فصل ، فيكون الحج واقعاً في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى ، وكان يشق عليهم الأمر بهذا السبب ، و أيضاً إذا حضروا الحج حضروا للتجارة ، وربما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور التجار من الأطراف ، وكان يخل بأسباب تجارتهم بهذا السبب ، فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة على ما هو معلوم في علم الزيجات ، واعتبروا السنة الشمسية و عند ذلك بقي زمان الحج مختصاً بوقت معين ، فهو ^(١) أخف لمصلحتهم ، وانفعوا بتجاراتهم ومصالحهم ، فهذا النسيء وإن صار سبباً لحصول المصالح الدنيوية إلا أنه لزم منه تغيير حكم الله تعالى ، لأنه لما خص الحج بأشهر معلومة على التعيين و كان بسبب النسيء يقع في سائر الشهور فتغير حكم الله ^(٢) لتكليفه . و الحاصل أنهم لرعاية مصالحهم في الدنيا سعوا في تغيير أحكام الله و إبطال تكليفه ، فلهذا استوجبوا الذم العظيم في هذه الآية ^(٣) . قال النيسابوري : قال المفسرون : إنهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متوالية من غير قتل و غارة ، فإذا اتفق لهم في شهر منها أو في المحرم حرب أو غارة أخرّوا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر . قال الواحدي : وأكثر العلماء على أن هذا التأخير كان من المحرم إلى صفر ، ويروى أنه حدث ذلك في كنانة ، لأنهم كانوا فقراء محاييج إلى الغارة ، و كان جنادة بن عوف الكناني مطاعاً في قومه ، وكان يقوم على بجل في الموسم فيقول بأعلى صوته : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ! ثم يقوم في القابل فيقول : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرّموه ! و الأكثرون على أنهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر ، وذلك قوله « ليواطئوا عدة ما حرم الله » أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوا ، ولم يعلموا أنهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص ، وذلك قوله تعالى « فيحلّوا ما حرم الله » أي من القتال وترك الاختصاص .

(١) في المصدر ، بوقت واحد معين موافق لمصلحتهم .

(٢) في المصدر ، تغير حكم الله وتكليفه .

(٣) مفاتيح الغيب ج ٢ ، ص ٦٣٣ .

قال ابن عباس : إنهم ما أحلّوا شهراً من الأشهر الحرم إلّا حرّموا مكانه شهراً آخر من الحلال ولم يحرموا شهراً من الحلال إلّا أحلّوا مكانه شهراً آخر من الحرم لأجل أن تكون عدّة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى . وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر ، حتّى يلتحق بالسنة الشمسية ، وذلك أن السنة القمرية أعني اثني عشر شهراً قمرياً هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من أيّة نقطة تفرض من الفلك إليها بحركتها الخاصة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم إلّا كسراً قليلاً ، فالسنة القمرية أقلّ من السنة الشمسية بعشرة أيّام وإحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريباً ، وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل إلى فصل ، فيكون الحج واقعاً في الشتاء مرّة وفي الصيف أخرى ، وكذا في الربيع والخريف ، وكان يشقّ الأمر عليهم ، إذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الأطراف فكان تختلّ أسباب تجارتهم ومعايشهم ، فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحج دائماً عند اعتدال الهواء وإدراك الثمرات والغلات ، وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي ، فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتّى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهراً ثمّ في الخامسة ، ثمّ في السابعة ، ثمّ في العاشرة ، ثمّ في الثالثة عشر ، ثمّ في السادسة عشر ، ثمّ في الثامنة عشر ، وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى ، فإنّهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم ، فالشهر الزائد هو الكبيس ، وسمّوا بالنسيء ، لأنّه المؤخّر ، والزائد مؤخّر عن مكانه ، وهذا التفسير يطابق ما روي أنّه ﷺ خطب في حجة الوداع ، و كان في جملة ما خطب به : ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثني عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر^(١) بين جمادى وشعبان . والمعنى : رجعت الأشهر إلى ما

(١) مضر - كسرد - قبيلة معروفة ، ولعل إضافة رجب إليها لأجل أنهم كانوا يعظمونه دون غيرهم كما قيل .

كانت عليه ، وعاد الحجّ في ذي الحجة ، و بطل النسيء الذي كان في الجاهلية ، و قد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الأمر ، و كانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة التي سمّوها ذا الحجة . وإنّما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لأنّهم إذا حكموا على بعض السنين بأنّها ثلاثة عشر شهراً كان مخالفاً لحكم الله بأنّ عدّة الشهور اثنا عشر شهراً ، أي لا أزيد ولا أنقص ، و إليه الإشارة بقوله « ذلك الدين القيم » على هذا التفسير ، ويلزمهم أيضاً ما لزمهم في التفسير الأوّل من تغيير أشهر الحرم عن أماكنها ، فتكون الإشارة إلى المجموع (انتهى) .

وقال الطبرسي - ره - : « إنّ عدّة الشهور عند الله » أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره « اثنا عشر شهراً » وإنّما تعبّد الله المسلمين أن يجعلوا سنتهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلّة ومنازل القمر ، دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ^(١) من شهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم و محلّ ديونهم وحجّتهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلّقة بالشهور ، و قوله « في كتاب الله » معناه ما كتب الله في اللوح المحفوظ ، و في الكتب المنزلة على أنبيائه . و قيل : في القرآن ، و قيل : في حكمه وقضائه ، عن أبي مسلم . وقوله « يوم خلق السماوات و الأرض » متّصل بقوله « عند الله » والعامل فيها الاستقرار ، و إنّما قال ذلك لأنّه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر ، وبمسيرهما تكون الشهور و الأيّام ، وبهما تعرف الشهور « منها أربعة حرم » ثلاثة منها سرد : ذوالقعدة ، وذو الحجة والمحرم ، و واحد فرد وهو رجب ، و معنى « حرم » أنّه يحرم^(٢) انتهاك المحارم فيها أكثر ممّا يحرم^(٣) في غيرها ، وكانت العرب تعظّمها حتّى لو أنّ رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها ، وإنّما جعل الله بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لماعلم من المصلحة في الكفّ عن الظلم فيها ، لعظم منزلتها ، ولأنّه ربما

(١) مأخوذ (خ) .

(٣٢) في المصدر : يعظم .

أدّى ذلك إلى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة و انكسار الحميّة في تلك المدّة فإنّ الأشياء تجرّت إلى أشكالها .

وشهور السنة : المحرّم ، سمّي بذلك لتحريم القتال فيه ؛ وصفر ، سمّي بذلك لأنّ مكّة تصفر من الناس فيه أي تخلو ، وقيل لأنّه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال أبو عبيد : سمّي بذلك لأنّه صفرت فيه أوطابهم ^(١) عن اللبن ؛ و شهر ربيع سمّي بذلك لأنّ نبات الأرض و إمرأها ^(٢) فيهما ، وقيل : لارتباع القوم أي إقامتهم والجماديان ، سمّيّا بذلك لجمود الماء فيهما ؛ و رجب سمّي بذلك لأنّهم كانوا يرجبونه ويعظّمونه ، يقال : رجبته ورجبته - بالتخفيف و التشديد - وقيل : سمّي بذلك لترك القتال فيه ، من قولهم « رجل أرجب » إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي ﷺ أنّه قال : « إنّ في الجنّة نهرأ يقال له « رجب » ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج و أحلى من العسل ، من صام يوماً من رجب شرب منه ؛ و شعبان سمّي بذلك لشعب القبائل فيه ، عن أبي عمرو ، وروى زياد بن ميمون أنّ النبي ﷺ صلّى الله عليه و آله قال : إنّما سمّي شعبان لأنّه يشعب فيه خير كثير لرمضان ؛ و شهر رمضان ، سمّي بذلك لأنّه يرمض الذنوب ، وقيل : سمّي بذلك لشدة الحرّ وقيل : إنّ رمضان من أسماء الله تعالى ؛ و شوّال ، سمّي بذلك لأنّ القبائل كانت تشول فيه أي تبرح عن أمكنتها ، وقيل : لشولان الناقة ^(٣) أذناها فيه ؛ و ذوالقعدة سمّي بذلك لقعودهم فيه عن القتال ؛ و ذوالحجّة ، لقضاء الحجّ فيه .

« ذلك الدين القيم » أي ذلك الحساب المستقيم الصحيح ، لاما كانت العرب تفعله من النسيء ، و قيل : معناه ذلك الحساب ^(٤) المستقيم الحقّ ، و قيل : معناه

(١) الاوطاب ، جمع « الوطب » وهو سقاء اللبن .

(٢) امرع المكان : أخصب .

(٣) في المصدر : النوق .

(٤) في المصدر : القضاء .

ذلك الدين تعبد به ، فهو اللازم « فلا تظلموا فيهن » أي في هذه الأشهر ^(١) كلها عن ابن عباس . وقيل : في هذه الأشهر الحرم « أنفسكم » بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه ، وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهيًا عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد إلى الأشهر الحرم ففائدة التخصيص أن « الطاعة فيها أعظم ثواباً ، والمعصية أعظم عقاباً ، وذلك حكم الله في جميع الأوقات الشريفة ، والبقاع المقدسة ^(٢) » (انتهى) .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد : فلا تظلموا أنفسكم في أمرهن بهتك حرمتهن . وقال الطبرسي - ره - : قال مجاهد : كان المشركون يحجّون في كل شهر عامين ، فحجّوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجّوا في المحرم عامين ، ثم حجّوا في صفر عامين ، وكذلك في الشهور ، حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ، ثم حجّ النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع ، فوافقت ذا - الحجة فلذلك ^(٣) قال النبي ﷺ في خطبته : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض (الخبر) أراد ﷺ بذلك أن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها ، وعاد الحج إلى ذي الحجة ، وبطل النسي . ^(٤)

« يضلّ به الذين كفروا » قال البيضاوي : أي ضلّالاً زائداً ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص « يضلّ » على البناء للمفعول « يحلّونه عاماً » أي يحلّون النسي من الأشهر الحرم سنة ، ويحرّمون مكانه شهراً آخر « ويحرّمونه عاماً » فيتركونه على حرمة « لبواطئوا عدّة ماحرّم الله » أي ليوافقوا عدّة الأربعة المحرّمة ، واللام متعلّقة بيجرّمونه أو بما دلّ عليه مجموع الفعلين « فيحلّوا ماحرّم الله » بمواطاة العدّة وحدها من غير مراعاة الوقت ^(٥) (انتهى) .

(١) في المصدر ، الشهور .

(٢) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) في المصدر : فوافقت في ذي الحجة فذلك حين .

(٤) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

(٥) أنوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

واقول : لما كانت معرفة الأخبار المذكورة في هذا الباب و غيره متوقفة على معرفة الشهور و السنين و مصطلحاتهما قد منا شيئاً من ذلك فنقول : لما احتاجوا في تقدير الحوادث إلى تركيب الأيام ، وكان أشهر الأجرام السماوية الشمس ثم القمر ، وكان دورة كل منهما إنما تحصل في أيام متعددة ، كانا متعينين بالطبع لاعتبار التركيب ، فصار القمر أصلاً في الشهر و الشمس أصلاً في السنة . ثم إن الظاهر من حال القمر ليس دورة في نفسه ، بل باعتبار تشكلاته النورية ، فذلك كان الشهر مأخوذاً منها ، وهي إنما تكون بحسب أوضاعه مع الشمس ، ويتم دوره إذا صار فضل حركة القمر على حركة الشمس الحقيقيين دوراً ، و العلم به متعذر لأنهما إذا اجتمعا مثلاً بمقوميهما و عاد القمر بمقومه إلى موضع الاجتماع فقد سارت الشمس قوساً ، فإذا قطع القمر تلك القوس فقد سارت قوساً أخرى ، ومع تعذره مختلف لاختلاف حركتهما بمقوميهما ، فلا يكون ذلك الفضل أمراً منضبطاً فمستعملوا الشهر القمري من أهل الظاهر منهم من يأخذونه من يوم الاجتماع إلى يومه و هم اليهود و الترك ، و منهم من ليلة رؤية الهلال إلى ليلتها و هم المسلمون أو من تشكّل آخر إلى مثله بحسب ما يصطلحون عليه ، و اعتبار الاستهلال أولى ، لأنه أبين أوضاعه من الشمس و أقربها إلى الإدراك ، مع أن القمر في هذا الموضع كالموجود بعد العدم ، و المولود الخارج من الظلم . لكن لما لم يكن لرؤية الأهلة حد لا يتعداه لاختلافها باختلاف المساكن و وحدة الأبصار إلى غير ذلك لم يلتفت إليها إلا في الأحكام الشرعية المبتنية على الأمور الظاهرة . و مستعملوه من أهل الحساب يأخذون الدور من الفضل بين الحركتين الوسيطتين ، فيجدونه في تسعة و عشرين يوماً و نصف يوم و دقيقة واحدة و خمسين ثانية إذا جرى يوماً ^(١) بليته بستين دقيقة ، و كل دقيقة بستين ثانية ، و هذا هو الشهر القمري الاصطلاحي المبني على اعتبار سير الوسط في السيرين ، و إذا ضرب عدد أيامه في « اثني عشر » عدد أشهر السنة خرج

أيام السنة القمرية الاصطلاحية، وهو ثلاثمائة وأربع وخمسون يوماً وخمسة وسدس يوم ، وهي ناقصة عن أيام السنة الشمسية بعشرة أيام وعشرين ساعة و نصف ساعة مستوية بالتقريب ، فيأخذون لشهر ثلاثين يوماً ولشهر آخر تسعة وعشرين يوماً ، و ذلك لأنهم اصطلمحوا على أخذ الكسر الزائد على النصف صحيحاً ، فأخذوا المحرّم الذي هو أوّل شهور السنة القمرية ثلاثين يوماً لكون الكسر أزيد من النصف فصار صفر تسعة و عشرين لذهاب النصف عنه بما احتسب في المحرّم ، فلم يبق إلا ضعف فضل الكسر الزائد على النصف أعني ثلاث دقائق وأربعين ثانية وهو غير ملتفت إليه لقصوره عن النصف ، و صار أوّل الربيعين ثلاثين يوماً وثانيهما تسعة و عشرين وعلى هذا الترتيب إلى آخر السنة ، فصار ذوالحجّة تسعة وعشرين [يوماً] وخمس وسدس يوم وهما اثنتان وعشرون دقيقة ، لأنّها الحاصلة من ضرب مازاد في الكسر على النصف - وهودقيقة واحدة وخمسون ثانية - في « اثني عشر » عدد الشهور ، وإذا فعل بشهور السنة الثانية مثل ما فعل بشهور الأولى اجتمع لذي الحجّة في الثانية مثل مامرّ ، فيصير الجميع أربعاً وأربعين دقيقة ، وهوزائد على النصف فيؤخذ ذوالحجّة في السنة الثانية ثلاثين يوماً ، ويذهب في السنة الثالثة من الكسر اللازم بعد كل سنة ست عشرة دقيقة بما اعتبر في السنة السابقة ^(١) وتبقى ست دقائق ، فتنضمّ إلى الكسر اللازم من السنة الرابعة فيصير المجموع ثمانين دقيقة ، وهو أقلّ من النصف ، فإذا انضمّ إلى كسر السنة الخامسة صار مجموعها خمسين دقيقة ، وهو أكثر من النصف فيجعل ذوالحجّة في هذه السنة ثلاثين يوماً ويذهب من الكسر اللازم في السنة السادسة ، عشر دقائق ، و تبقى اثنا عشرة دقيقة ، فينضمّ إلى كسر السنة السابعة و يصير المجموع أربعاً و ثلاثين دقيقة ، فيؤخذ ذوالحجّة فيها ثلاثين يوماً ، وعلى هذا القياس يؤخذ ذوالحجّة ثلاثين يوماً في السنة العاشرة ، والثالثة عشرة ، والسادسة

(١) لان ذال الحجة اخذ في السنة الثانية ثلاثين يوماً و هو ناقص عنه بست عشرة دقيقة

لانه كان زائداً على التسعة و العشرين يوماً بأربع و أربعين دقيقة ، و الاربع و الاربعون دقيقة تنقص من الستين دقيقة بست عشرة دقيقة .

عشرة ، و الثامنة عشرة ، و الحادية والعشرين ، و الرابعة والعشرين ، و السادسة والعشرين ، و التاسعة والعشرين ، و من لم يعتبر في اعتبار الكسر مجاوزة النصف بل يكتفي بالوصول إليه يجعل ذا الحجة في السنة الخامسة عشرة ثلاثين يوماً بدل السادسة عشرة ، و على التقديرين إذا أخذ ذو الحجة في السنة التاسع والعشرين ثلاثين يوماً بقي عليهم لتمام يوم اثنان وعشرون دقيقة ، فينجبر بالكسر اللازم في السنة الثلاثين ، و يتم عدد أيام الشهور بالكسر في كل ثلاثين سنة ، ثم يستأنف و السبب في ذلك أن الكسر اللازم في سنة واحدة اثنتان وعشرون دقيقة كما مر و نسبته إلى « ستين » بالخمس والسادس ، وهما إنما يصحان من « ثلاثين » فثلاثون خمس يوم ستة أيام ، و ثلاثون سدس يوم خمسة أيام ، و المجموع أحد عشر يوماً وتسمى هذه الأيام « كبائس » فسئوا الكبس على ترتيب « بهزيجهج كادوط^(١) » أو « بهزيجوح كادوط » على القولين المتقدمين . هذا هو المشهور في الكبس . و ذكر شراح التذكرة نوعين آخرين من الكبس : الاول ما يفعله اليهود و الترك فانهم كانوا يردون السنين القمرية إلى السنين الشمسية بكبس القمرية في كل سنة أو ثلاث أشهر . و الثاني ما تفعله العرب في الجاهلية من النسيء ، و هو أنهم كانوا يستعملون شهور الأهلة ، و كانوا حجّهم الواقع في عاشر ذي الحجة كما رسمه إبراهيم عليه السلام دائراً في الفصول كما في زماننا هذا ، فأرادوا وقوعه دائماً في زمان إدراك الفلات والقواكه واعتدال الهواء ، أعني أوائل الخريف ، ليسهل عليهم السفر وقضاء المناسك ، فكان يقوم في الموسم عند اجتماع العرب خطيب يحمدا لله و ينهي عليه و يقول : إنني أزيد لكم في هذه السنة شهراً ، وهكذا أفعل في كل ثلاث سنين

(١) الباء للسنة الثانية ، و الهاء للخامسة ، و الزاي للسادسة ، و الباء للمعاشر ، و الجيم للثالثة عشر ، و الهاء للخاصة عشر ، و الهاء للتاسعة عشر ، و « ك » للحادية والعشرين و هكذا و الاختلاف بين الكلمتين في الهاء الثانية ، فعلى القول بكون الكبس هي الخامسة عشر يكون الرمزهاء ، و على القول بكونها السادسة عشر يكون و أو كما مر آنفاً .

حتى يأتي حجتكم في وقت يسهل فيه مسافرتكم . فوافقونه على ذلك ، فكان يجعل
المحرم كعباً ويؤخر اسمه إلى صفر ، واسم صفر إلى ربيع الأول ، وهكذا إلى
آخر السنة ، فكان يقع الحج في السنة القابلة في عشر محرم ، وهو ذو الحجة
عندهم ، لأنهم لما سموا صفر بالمحرم وجعلوه أول السنة صار المحرم الآتي
ذو الحجة و آخر السنة ، ويقع في السنة محرمان : أحدهما رأس السنة ، والآخر
النسيء ، و يصير شهورها ثلاثة عشر ، وعلى هذا يبقى الحج في المحرم ثلاث سنين
متوالية ، ثم ينتقل إلى صفر ، ويبقى فيه كذلك إلى آخر الأشهر ، ففي كل ست
و ثلاثين سنة قمرية تكون كبيستهم اثنا عشر شهراً قمرياً . وقيل : كانوا يكسون
أربعاً وعشرين سنة باثني عشر شهراً ، وهذا هو الكبس المشهور في الجاهلية ، و
إن كان الأول أقرب إلى مرادهم . وبالجمله إذا انقضى سنتان أو ثلاث و انتهت
النوبة إلى الكبس قام فيهم خطيب وقال : إنما جعلنا اسم الشهر الفلاني من السنة
الداخله للذي بعده . و حيث كانوا يزيدون النسيء على جميع الشهور بالنوبة حتى
يكون لهم في سنة محرمان وفي أخرى صفران ، فإذا اتفق أن يتكرر في السنة
شهر من الأربعة الحرم بنائم الخطيب ^(١) بتكريره ، و حرّم عليهم واحداً منهما
بحسب ما تقتضيه مصلحتهم . ولما انتهى النوبة في أيام النبي ﷺ إلى ذي الحجة
و تم دور النسيء على الشهور كلها حج في السنة العاشرة من الهجرة بوقوع الحج
فيها في عشر ذي الحجة ، و قال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات و الأرض . يعني به رجوع الحج وأسماء الشهور إلى الوضع الأول ، ثم
تلا قوله تعالى « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » إلى آخر الآية (انتهى)
وأما السنة الشمسية فما أخوذة من عود الشمس إلى موضعها من فلك البروج ، المقتضي
لعود حال السنة بحسب الفصول ، ويحصل ذلك في ثلاث مائة و ستين يوماً
و ربع يوم إلا كسراً ، كما ذكره في التذكرة ، و الكسر عند بطليموس جزء واحد
من ثلاث مائة جزء من يوم ، و يتم في أيام السنة المذكورة من الشهور القمرية

الوسطية اثني عشر شهراً و أحد عشر يوماً إلا سبع دقائق و اثنتي عشرة ثانية ، و هذه المدة أعني اثني عشر شهراً قمرياً و سبطياً تسمى سنة قمريّة اصطلاحية . و مستعملوا السنة الشمسيّة لهم طرق : الاولى طريقة قدماء المنجمين فإنهم يأخذون السنة من يوم تحلّ الشمس فيه نقطة بعينها كالاعتدال الربيعي إلى مثل ذلك اليوم و يأخذون شهورها من الأيّام التي تحلّ فيها أمثال تلك النقطة من البروج فإن كانت النقطة التي هي مبدأ السنة الموافق لمبدء الشهر الأوّل أوّل برج كأوّل الحمل كانت أمثالها أوائل البروج الباقية ، و إن كانت عاشرة برج مثلاً كانت أمثالها عواشر البروج . الثانية الفرس ^(١) القديم و ليس فيها كسور و كبائس ، و ستمهم ثلاثمائة و خمسة و ستون يوماً ، و شهورهم ثلاثون ثلاثون ، و يزيدون الخمسة في آخرها و يسمونها « الخمسة المسترقة » و هذه أسماء شهورهم : فروردينماه ، أردبي بهشت ماه ، خرداد ماه ، تير ماه ، مرداد ماه ، شهر يور ماه ، مهر ماه ، أبان ماه ، آذر ماه ، دي ماه ، بهمن ماه ، اسفندارمذ ماه ، و كان في العهد القديم لهذا التاريخ كبيسة و أنهم كانوا يجمعون الأرباع الزائدة ، و يؤخّرونها إلى عشرين و مائة سنة ، و كانوا يزيدون لذلك شهراً في سنة الإحدى و العشرين و المائة ، فنصير هذه السنة ثلاثة عشر شهراً ، و لهم في ذلك تفصيل من دور الكبس و غير ذلك أعرضنا عن ذكرها و كان مبدأ هذا التاريخ من زمان جمشيد أو كيومرث ، و استمرّ إلى زمان يزدجرد فلما انتهى ملكهم تركوا الكبس . و كان بعض المنجمين يزيدون الخمسة المسترقة بعد أبان ماه ، و بعضهم بعد اسفندارمذ ماه ، ففي كلّ أربع سنين أو خمس سنين تتقدّم هذه السنة على السنة الشمسيّة بيوم . الثالثة التاريخ الملكي وهو منسوب إلى السلطان جلال الدين ملك شاه ، و السبب في وضعه أنّه اجتمع في حضرته ثمانية من الحكماء منهم الخيام ، فوضعوا تاريخاً مبدؤه نزول الشمس أوّل الحمل ، و أوّل السنة يوم تكون الشمس في نصف نهاره في الحمل سمّوه بالنيروز السلطاني ، فسنوه شمسيّة حقيقيّة ، و كذا شهوره إذا اعتبرت بحلول الشمس في أوائل البروج كما فعله بعض

(١) كذا في جميع النسخ و الظاهر أن الصواب « طريقة الفرس » .

المنجمين ، وإذا أخذت ثلاثين ثلاثين وألحقت الكسر بآخر السنة وكبس الكسر في كل أربع سنين أو خمس بيوم لبوافق أول السنة دائماً نزول الشمس الحمل كما فعله أكثر المنجمين كانت اصطلاحية ، وأسماء شهورها أسماء شهور الفرس القديم المتقدم ، وعليه بناء التقاويم الآن الرابعة التاريخ الرومي ، مبدؤه بعد اثنتي عشرة سنة شمسية من وفات الإسكندر بن فيلقوس الرومي ، و سنوه شمسية اصطلاحية ، هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع تام ، وكذا شهورهم اصطلاحية شمسية ، وأسماء شهورهم وعددها هكذا : تشرين الأول (لا) تشرين الآخر (ل) كانون الأول (لا) كانون الآخر (لا) شباط (كج) اذار (لا) نيسان (ل) أيار (لا) حزيران (ل) تموز (لا) اب (لا) ايلول (ل) و مستعملوا هذا التاريخ يعدون أربعة منها ثلاثين ، وهي : تشرين الآخر ، و نيسان ، و حزيران ، و ايلول و السبعة البقية غير شباط أحداً و ثلاثين ، و شباط في ثلاث سنين متوالية ثمانية و عشرين ، و في الرابعة و هي سنة الكبيسة تسعة و عشرين فالسنة عندهم ثلاثمائة و خمسة وستون و ربع كامل ، مع أن السنة الشمسية أقل من ذلك عندهم لكسر في الربع كما عرفت ، و وجدوا الكسر مختلفاً في أروصادهم ، ففي رصد التبانين ثلاثة عشرة دقيقة و ثلاثة أخماس دقيقة ، و في رصد المغربي اثنتا عشرة دقيقة ، و على رصد مراغة إحدى عشرة دقيقة ، و على رصد بعض المتأخرين تسع دقائق و ثلاثة أخماس دقيقة ، و على رصد بطليموس أربع دقائق و أربعة أخماس دقيقة . و الفرس من زمان جمشيد أو قبله و الروم من عهد إسكندر أو بعده كانوا يعتبرون الكسر رباعاً تاماً موافقاً لرصد « أبرخس » فالشهور الرومية مبنية على هذا الاعتبار و هذا الرصد و على ما وجده سائر أصحاب الأروصاد فلا يوافق هذه السنة الشمسية . و مرور الأزمان تدور شهورها في الفصول . وقال بعضهم : في كل ثلاثين سنة تقريباً تتأخر سنتهم عن مبدأ السنة الشمسية بيوم ، و أول سنتهم و هو تشرين الأول في هذه الأزمان يوافق تاسع عشر الميزان ، و أول نيسان في الدرجة الثالثة و العشرين من الحمل .

و اعلم أن كثيراً من الأمور الشرعية منوطة بهذه الشهور ، من الأحوال و الأعمال و الآداب ، كالمطر في نيسان و آدابه ، ولا يعلم أن الشارع بناء على الفصول أو على الشهور ، ولعل الأول أظهر فيشكل اعتبار الشهور في تلك الأزمان ، إذ لعلمهم أرادوا تعيين أوقات الفصول فعيّنوها بهذه الشهور لموافقتها لتلك الأوقات في تلك الأزمان لكن في بعض الأعمال التي في وقتها اتساع يمكن رعاية الاحتياط بحسب التفاوت بين الزمانين و إيقاعها في الوقت المشترك ، وما لم يكن فيه اتساع بعملها في اليومين معاً .

ثم إن انقسام السنة الشمسية عند الروم إلى هذه الشهور الاثني عشر التي بعضها ثمانية و عشرون وبعضها ثلاثون وبعضها أحد و ثلاثون إنما هو محض اصطلاح منهم ، لم يذكر أحد من المحصلين له وجهاً أو نكتة ، و ما توهم بعض المشاهير من أنه مبني على اختلاف مدة قطع الشمس كلاً من البروج الاثني عشر ظاهر البطلان فإن الحمل و الثور عندهم أحد و ثلاثون ، و الجوزاء اثنان و ثلاثون ، و السرطان و الأسد و السنبلة أحد و ثلاثون ، و الميزان و العقرب ثلاثون ، و القوس و الجدي تسعة و عشرون و الدلو و الحوت ثلاثون ، و ظاهر أن الأمر في الشهور الرومية ليس على طبقها ، كيف و كانون الأول الذي اعتبروه أحداً و ثلاثين هو بين القوس و الجدي ، و كل منهما تسعة و عشرون .

ثم اعلم أن التاريخ تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع كملة أو دولة ، أو حدث فيه أمهات كطوفان أو زلزلة أو حرب عظيم ، لمعرفة ما بينه وبين أوقات الحوادث و لضبط ما يجب تعيين وقته في مستقبل الزمان ، و قد مرّت الإشارة إلى تاريخ الروم و الفرس ، و الشائع المستعمل في زماننا تاريخ الهجرة ، و سبب وضعه على ما نقل أنه دفع إلى عمر صك محله شعبان ، فقال : أي شعبان هو ؟ هذا الذي نحن فيه أو الذي يأتينا ؟ أو أن أبا موسى كتب إليه أنه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف كيف نعمل فيها ، قد قرأنا صكاً محله شعبان فما ندرى أي الشعبانين هو ؟ الماضي أو الآتي ؟ فجمع الصحابة و استشارهم فيما يضبط به الأوقات ، فقال له الهرمزان ملك الأهواز

- وقد أسلم على يديه حين أسر و حمل إليه - : إنَّ للجم حساباً يسمونه «ماه روز» و أسنده إلى من غلب عليهم من الأكاسرة ، و بين كيفية استعماله ، فعربوا «ماه روز» بمورخ ، و جعلوا مصدره التاريخ ، فقال ابن الخطّاب : ضعوا للناس تاريخاً نضبط به أوقاتهم . فقال بعض الحاضرين من مسلمي اليهود : لنا حساب مثله نسنده إلى إسكندر ، فما ارتضاء الصحابة ، و اتفقوا على أن يجعل مبدؤه هجرة النبي صلى الله عليه و آله ، إذ بها ظهرت دولة الإسلام ، و كانت الهجرة يوم الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل ، و أوّل هذه السنة أعني المحرم كان يوم الخميس بحسب الأمر الأوسط ، و على قول أهل الحديث ، و يوم الجمعة بحسب الرؤية و حساب الاجتماعات ، فعمل عليه في أكثر الأزياج إلّا زيج المعتبر فإنّه عمل على يوم الخميس ، و كان اتّفاقهم على ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة و مبادئ شهور تلك السنة على الرؤية و قد تكون تامّة و أكثر المتوالية منها أربعة ، و قد تكون ناقصة و أكثر المتوالية منها ثلاثة .

واعلم أنّ القوم تمسكوا في اختيار واقعة الهجرة بمبدء التواريخ الإسلامية على سائر الوقائع المعروفة كالمبعث و المولد بوجوه ضعيفة ، كقولهم إنّ المبعث غير معلوم ، و المولد مختلف فيه ، ولا يخفى و هنه ، فإنّه لو أريد بذلك عدم اتّفاقهم في شيء منهما على يوم معيّن من شهر معيّن فظاهر أنّ أمر الهجرة أيضاً كذلك كما بيّناه في محله ، مع أنّ العلم باليوم و الشهر لا مدخل له في المطلوب و هو ظاهر ، و إن أريد به اختلافهم في خصوص سنتيهما فكلاً ، فإنّه لا خلاف فيه في زماننا فضلاً عن أوائل الإسلام ، و كذا الوجوه الأخرى التي ذكروها في هذا الباب ، و لقد عثرت على خبر يصلح مرجحاً و مخصّصاً لذلك قلّ من تفتّن به ، و هو ما ورد في خبر الصحيفة الشريفة السجّادية صلوات الله على من ألهمها حيث قال الصادق عليه السلام : إنّ أبي حدثني عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله أخذته نعمة و هو على منبره ، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزول القردة ، يردّون الناس على أعقابهم القهقري ! فاستوى رسول الله صلى الله عليه و آله جالساً و الحزن يعرف في

وجهه ، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن ^(١) - الآية - » يعني بني أمية . قال : يا جبرئيل ! أعلى عهدي يكونون و في زمني ؟ قال : لا ، و لكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرأ ، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسا (إلى آخر الخبر) فيدل على أن جعل مبدء التاريخ من الهجرة مأخوذ من جبرئيل عليه السلام و مستند إلى الوحي السماوي ، و منسوب إلى الخبر النبوي ، و هذا يؤيد ما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام أشار عليهم بذلك في زمن عمر عند تحييتهم ، و العلة الواقعية في ذلك يمكن أن تكون ما ذكر من أنها مبدء ظهور غلبة الإسلام و المسلمين ، و مفتتح ظهور شرائع الدين ، و تخلص المؤمنين من أسر المشركين ، و سائر ماجرى بعد الهجرة من تأسيس قواعد الدين المبين .

و لنشر هنا إلى فوائد :

الفائدة الاولى : أنه قد وردت أخبار كثيرة تدل على أن عدد أيام السنة ثلاثمائة و ستون ، كالأخبار الواردة في عدد الطواف المستحبة و كخبر الاحتزال و غيرها ، و هي لا توافق شيئا من المصطلحات المتقدمة ، ولا السنين الشمسية ولا القمرية ، و يمكن توجيهه بوجوه : الاول أن يكون المراد بها السنة الإلهية كما مرّت الإشارة إليه في الباب الأوّل . الثاني أن يكون المراد به السنة الأولى من خلق الدنيا بضم الستة المصروفة في خلق الدنيا إلى السنة القمرية . الثالث أن يكون مبنياً على بعض مصطلحات القدماء ، قال أبو ریحان البيروني في تاريخه : سمعت أن الملوك البيشدادية من الفرس و هم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها كانوا يعملون السنة ثلاثمائة و ستين يوماً ، كل شهر منها ثلاثون يوماً بلا زيادة و نقصان و أنهم كانوا يكبسون في كل ست سنين بشهر و يسمونها « كبيسة » و في كل مائة و عشرين سنة شهرين احدهما بسبب الخمسة أيام ، و الثاني بسبب ربع اليوم ، و أنهم كانوا يعظمون تلك السنة و يسمونها « الميارقة » و يشتغلون فيها بالعبادات و

المصالح . ثم قال بعد ذكر نسيء العرب و كبس أهل الكتاب و غيرهم : و قد حكي أبو محمد التائب الآملي في كتاب الفرة عن يعقوب بن طارق أن الهند تستعمل أربعة أنواع من المدد : أحدها من عودة الشمس من نقطة من فلك البروج إليها بعينها و هي سنة الشمس و الثانية طلوعها ثلاثمائة و ستين مرة ، و تسمى السنة الوسطى لأنها أكثر من سنة القمر و أقل من سنة الشمس . و الثالثة عودة القمر من الشرطين و هما رأس الحمل إليهما اثنتي عشرة مرة ، و هي سنة القمر المستعملة .

الفائدة الثانية : قال الرازي في قوله تعالى « و لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعاً » فإن قالوا : لم لم يقل ثلاثمائة و تسع سنين ؟ وما الفائدة في قوله « و ازدادوا تسعاً » ؟ قلنا : قال بعضهم كانت المدة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسية و ثلاثمائة و تسع سنين من القمرية ، و هذا مشكل ، لأنه لا يصح بالحساب هذا القول ^(١) . و روى الطبرسي - ره - و غيره أن يهودياً سأل علياً عليه السلام عن مدة لبثهم ، فأخبر عليه السلام بما في القرآن ، فقال : إننا نجد في كتابنا ثلاثمائة . فقال عليه السلام : ذلك بسني الشمس ، و هذا بسني القمر ^(٢) .

و تفصيل القول في ذلك أنه يمكن تقرير الإشكال الوارد على هذا التفسير الذي أوماً إليه الرازي بوجهين : أحدهما أن أيام السنة القمرية في مدة ثلاثمائة و تسع سنين إذا قسمت على ثلاثمائة تخرج حصّة كل سنة شمسية ثلاثمائة و أربعة و ستين يوماً و ثلثاً و عشرين ساعة مستوية و ستاً و خمسين دقيقة و ثماني و ثلاثين ثانية و أربعة و عشرين ثالثة ، و لا يوافق ذلك شيئاً من الأرصاد المتداولة بل ناقص عن الجميع . و ثانيهما أن التفاوت المضبوط بين السنتين في مدة ثلاثمائة سنة يزيد على تسع سنين على جميع الأرصاد ، فإنه على رصد التبانّي ، مع أن مقتضاه أقل من سائر الأرصاد يبلغ إلى عشرة أيام و عشرين ساعة و ست و أربعين دقيقة و

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٧٠٦ .

(٢) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٣٦٣ .

أربع و عشرين ثانية ، وإذا ضرب هذا المقدار من الزمان في ثلاثمائة و قسمَ الحاصل على مقدار السنة القمرية يزيد الخارج على تسع سنين قمرية بأربعة و سبعين يوماً و أربع ساعات و ثمان و أربعين دقيقة ، فكيف على سائر الأرصاد ؟ حتى أنه على رصد أبرخس المجني عليه حساب الروم و الفرس من قديم الأيتام بل المعروف بين جميع الطوائف في صدر الإسلام يزيد على تسع سنين بسبعة و سبعين يوماً و ثمانين و أربعين دقيقة ، فلا تستقيم الموافقة المستفادة من التفسير المذكور و الرواية المنقولة وقد يجاب بأن عدم الاعتناء بالكسور القليلة في جنب آحاد الصحاح تارة بإسقاطها سيما إذا لم تبلغ النصف ، و تارة بإكمالها أي عدّها تامّةً سيما إذا جاوزت النصف و كذا بالأحاد القليلة في جنب العشرات والعشرات القليلة في جنب المئات و هكذا أمر شائع و عرف عام في المحاورات الحسابية ، يبني عليه كثير من القرآن و الحديث كما سنشير إليه في حديث الصباح بن سيابة ، فلا بأس أن يخبر تعالى بأن مدة لبث أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة بالشمسية أو ثلاثمائة و تسع سنين بالقمرية ، و كانت ناقصة عن الأولى حقيقة بمثل تلك الأيام القلائل ، أو كانت مطابقة لها و كانت زائدة على الثانية حقيقة بمثلها ، أو كان في الأول نقصان وفي الثانية زيادة يصير المجموع مساوياً لمثل تلك الأيام ، فإن في رعاية مطابقة العرف في تلك المحاورات لمندوحة عن كذبها حتى أنه يمكن أن يقيد عرفاً أمثال ذلك بأنه كذلك بلا زيادة ولا نقصان ، اعتماداً على أن تحقق الزيادة و النقصان في عرف الحسابيين إنما هو بالصحاح أو ما في حكمها ، دون أمثال تلك الكسور .

و اقول : قد مر في المجلد التاسع في باب علم أمير المؤمنين عليه السلام بعض القول في ذلك .

الفائدة الثالثة : قد ورد في الأخبار بناء كثير من الأمور الشرعية من الصوم وغيره على عدد شهر من الشهور القمرية تاماً و شهراً ناقصاً ، كعدد الخمسة من شهر آخر مثله ، أو الستة في سنة الكبيسة و سيأتي بيانها و بسط القول فيها في كتاب الصيام إن شاء الله تعالى ، و عليه يبنى ما روي أن يوم الأضحى يوم الصوم و يوم

عاشورا يوم الفطر ، لكنه إنما يستقيم في سنة الكبيسة ، فإنه إذا كان أوّل شهر رمضان يوم السبت مثلاً كان أوّل شوّال يوم الاثنين لأنّه من الشهور الناقصة ، وأوّل ذي القعدة يوم الثلاثاء وأوّل ذي الحجة يوم الخميس ، فالأضحى يوم السبت موافقاً ليوم الصوم ، و ذو الحجة ممّا كان من الشهور الناقصة في غير سنة الكبيسة فالجمعة أوّل المحرم فعاشوراء يوم الأحد وهو لا يوافق يوم الفطر ، وفي الكبيسة يوافقه لا تمام ذي الحجة فيها . ويمكن أن يكون مبنياً على الغالب ، أو على ما إذا غمّت الأهلة كما عمل بها جماعة من الأصحاب على هذا الوجه ، أو على استحباب صوم يوم الشكّ فإنّ هذا الحساب متقدّم على الرؤية غالباً ، وما قيل في الخبر الأخير من أنّ المعنى أنّ العارفين يوم صومهم يوم عيدهم ويوم فطرهم يوم تعزيتهم فهو ممّا تضحك منه الثكلى ، وسيأتي مزيد تحقيقه في محله الأنسب .

و قال أبو ریحان في تاريخه يبتدؤون بالشهر من عند رؤية الهلال ، و كذلك شرع في الإسلام كما قال الله تعالى و يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج^(١) ثمّ نبئت نابتة ونجمت ناجمة و نبئت فرقة جاهليّة فنظروا إلى أخذهم بالتأويل و ميلهم إلى اليهود و النصارى ، فإنّ لهم جداول و حسابات يستخرجون بها شهورهم و يعرفون منها صيامهم و المسلمون مضطرونّ إلى رؤية الهلال ، و وحدوهم شاكرين فيه مختلفين مقلّدين بعضهم بعضاً بعد استغراغهم أقصى الوسع في تأمل مواضعه و تفحص مواضعه ، ثمّ رجعوا إلى أصحاب الهيئة فألفوا زيجاتهم و كتبهم مفتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات و أنواع الجداول ، فظنّوا أنّها معمولة لرؤية الأهلة ، وأخذوا بعضها و نسبوه إلى جعفر الصادق عليه السلام و أنّه سرّ من أسرار النبوة ، و تلك الحسابات مبنية على حركات النيران الوسطى دون المعدّلة ، و معمولة على عدّ سنة القمر ثلاثمائة و أربعة وخمسين يوماً و خمس و سدس و أنّ سنة أشهر من السنة تامّة و سنة ناقصة ، و أنّ كلّ ناقص منها فهو تالٍ لتامّ على ما عمل عليه في الزيجات فلمّا قصدوا استخراج أوّل الصوم وأوّل الفطر بها خرجت

قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال ، فأولوا قول النبي ﷺ « صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته » بأن معناه صوموا الذي يرى الهلال في عشيته ، كما يقال : تهيؤوا لاستقباله ، فيقدم التهيؤ على الاستقبال ! قالوا ، و إن شهر رمضان لا ينقص من ثلاثين ، فأما أصحاب الهيئة و من تأمل الحال بعناية شديدة فإنهم يعلمون أن رؤية الهلال غير مطرد على سنين واحد ، لاختلاف حركة القمر المرئية بطيئة و سريعة ، و قربه من الأرض و بعده و صعوده في الشمال و الجنوب و هبوطه فيهما و حدوث كل واحد من هذه الأحوال له في كل نقطة من فلك البروج ، ثم بعد ذلك لما يعرض من سرعة غروب بعض القطع من فلك البروج و ببطء بعض ، و تغير ذلك على اختلاف عروض البلدان و اختلاف الأهوية إما بالاضافة إلى البلاد الصافية الهواء بالطبع و الكدرة المختلطة بالبخارات دائماً و المغبرة في الأغلب ، و إما بالاضافة إلى الأزمنة إذا غلظ في بعضها ورق في بعض و تفاوت قوى بصر الناظرين إليه في الحدة و الكلال . و إن ذلك كله على اختلاف بصنوف الاقترانات كائنة في كل أول شهرين رمضان و شوال على أشكال غير معدودة ، و أحوال غير محدودة فيكون لذلك رمضان ناقصاً مرة و تاماً أخرى ، و إن ذلك كله يفتن بتزايد عروض البلدان و تناقصها ، فيكون الشهر تاماً في البلدان الشمالية مثلاً ، و ناقصاً هو بعينه في الجنوبية منها و بالعكس . ثم لا يجري ذلك فيها على نظم واحد ، بل لا يتفق فيها أيضاً حالة واحدة بعينها لشهر واحد مراراً متوالية و غير متوالية ، فلو صحّ حملهم مثلاً بتلك الجداول و اتفق مع رؤية الهلال أو تقدمه يوماً واحداً كما أصلوا لاحتاجوا إلى إفرادها لكل عرض ، على أن اختلاف الرؤية ليس متولداً من جهة العرض فقط ، بل لاختلاف أطوال البلدان فيها أوفر نصيب ، فإذن لا يمكن ما ذكروه من تمام شهر رمضان أبداً ، و وقوع أوله و آخره في جميع المعمورة من الأرض متفقاً ، كما يخرج الجدول الذي يستعملونه . فأما قولهم إن مقتضى الخبر المأثور تقديم الصوم و الفطر على الرؤية فباطل ، و ذاك أن حرف اللام يقع على المستأنف كما ذكروه ، و يقع على الماضي ، كما يقال : كتب لكذا مضى من الشهر

أي من عند مضي كذا ، فلا تتقدم الكعبة الماضي من الشهر ، وهذا هو مقتضى الخبر دون الأول . ألا ترى إلى ما روي عنه عليه السلام أنه قال : نحن قوم أميون لانكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا . وكان يشير في كل واحدة منها بأصابعه العشر يعني تاماً ثلاثين يوماً ، ثم أعاد فقال : هكذا وهكذا وهكذا ، وخمس إبهامه في الثالثة يعني ناقصة تسعة وعشرين يوماً ، فنص عليه السلام نصاً لا يخفى على أحد أن الشهر يكون تاماً مرة ويكون ناقصاً أخرى ، وأن الحكم جار عليه بالرؤية عليه دون الحساب بقوله لانكتب ولا نحسب . فإن قالوا : عنى أن كل شهر تام فإن تاليه ناقص كما يحسبه مستخرجوا التواريخ ، كذبهم العيان إن لم ينكروه ، وعرف تمويههم الصغير والكبير فيما ارتكبوه ، على أن تتمه الخبر الأول يفصح باستحالة ما ادّعوه ، وهو قوله عليه السلام « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا شعبان ثلاثين يوماً » وفي رواية أخرى « فإن حال بينكم وبين رؤيته سحب أو قتام فأكملوا العدة ثلاثين » وذلك أنه إذا عرف أن الهلال يرى إما بجداولهم وحسابهم أو بما يستخرجه أصحاب الزيجات وقدم الصوم أو الفطر على رؤيته لم يحتج إلى إتمام شعبان ثلاثين أو إكمال شهر رمضان ثلاثين إذا انطبقت الآفاق بسحاب أو غبار ، ولو كان أيضاً شهر رمضان تاماً أبداً ثم عرف أنه لا يستغنى به عن الرؤية لشوال ، مع ما روي في كتب الشيعة الزيدية أن الناس صاموا شهر رمضان على عهد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرين يوماً ، فأمرهم بقضاء يوم واحد فقصوه ، وإنما اتفق ذلك لتوالي شهر شعبان وشهر رمضان عليهم ناقصين معاً ، وكان حال بينهم وبين الرؤية لرأس شهر رمضان حائل ، فأكملوا العدة وتبين الأمر في آخره . وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : يصيب شهر رمضان ما يصيب سائر الشهور من الزيادة والنقصان ، وروي عنه أيضاً أنه قال : إذا حفظتم شعبان وغم عليكم فعدوا ثلاثين وصوموا . وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه سئل عن الأهلة فقال : هي الشهور ، فإذا رأيت الهلال فصم ، وإذا رأيت فافطر . فأمّا ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إذا رأيت هلال رجب فعد تسعة وخمسين يوماً ثم صم

وما رووا عنه أنه قال : إذا رأيت هلال شهر رمضان لرؤيته فقد ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً ثم صم في القابل ، فإن الله خلق السنة ثلاثمائة وستين يوماً ، فاستثنى منها ستة أيام فيها خلق السماوات والأرض فليست في العدد . فلو صححت الرواية عنه لكان إخباره عن ذلك على أنه أكثر من الوجود في بقعة واحدة ، لا أنه مطرد في جميع البقاع كما ذكرنا . وأما تعليل الأيام الستة بهذه العلة فتعليل ركيك يكذب الرواية وتبطل له صحتها ، وقد قرأت فيما قرأت من الأخبار أن أبا جعفر محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء وهو خال معن بن زائدة وكان من المانوية ، فكثر شفاعؤه بمدينة السلام والحثوا على المنصور حتى كتب إلى محمد بالكف عنه ، وكان عبد الكريم يتوقع ورود الكتاب في معناه ، فقال لأبي الجبار وكان منقطعاً إليه : إن أخرني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف درهم . فأعلم أبو الجبار محمداً فقال : ذكرتني وكنت نسيته ، فإذا انصرفت من الجمعة فاذا ذكرني . فلما انصرف ذكره إياه فدعاه فأمر بضرب عنقه ، فلما أيقن أنه مقتول قال : أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل به الحرام ، ولقد فطرتكم في يوم صومكم ، و صوتمكم في يوم فطركم . ثم ضربت عنقه وورد الكتاب في معناه بعده ، وما أحق هذا الرجل الملحد بأن يكون متولي هذا التأويل الذي ذهبوا إليه وأصله (انتهى) و تمام القول فيه في كتاب الصوم .

الفائدة الرابعة : اعلم أن ما ذكرناه من أن مدة الشهر القمري تسعة وعشرون يوماً و اثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة إنما هو باعتبار وضع القمر بالنسبة إلى الشمس إلى حصول مثل ذلك الوضع له ، فكان قدر مسير الشمس في هذا الزمان منضمماً إلى قدر دورته من نقطة معينة إليها ، وأما باعتباره في نفسه فإنه يتم دوره في مدة سبعة وعشرين يوماً و ثلث يوم ، فالتفاوت بين الاعتبارين ببومين وأربع ساعات وأربع وأربعين دقيقة ، فلمداره بالاعتبار الأخير حدود ينزل في كل ليلة في أحدها إلى أن يرجع إلى الأول منها ، فهي حقيقة اثنان وثمانون منزلاً

في ثلاث دورات له لمكان الكسر المذكور ، و لكنّ الناس تسامحوا فيه و اصطاحوا على تقسيم كلّ دورة له إمّا إلى سبعة و عشرين منزلاً كما اصطاح عليه أهل الهند إسقاطاً للكسر ، و إمّا إلى ثمانية و عشرين كما اصطاح عليه العرب إتماماً له ، و علموها بالكواكب القريبة منها وقد مرّ ذكرها ، و نظموها بالفارسيّة على الترتيب هكذا :

| | | |
|------------------------------|---|--|
| اسماء منازل قمر نزد عرب | ✽ | شرطين و بطين است و ثريادبران |
| هقعه هقعه ذراع و نثره پس طرف | ✽ | جبهة زبره صرفه و عوآپس اران |
| پس سماك و غفر و زبانا إكليل | ✽ | قلب و شوله نعائم و بلده بدان |
| سعد ذابح سعد بلع سعد سعود | ✽ | باشد پس سعد أخيه چارمشان |
| از فرع مقدّم بمؤخر چه رسید | ✽ | آنكه برشاء شد كه باشد پايان ^(١) |

فلاجل التفاوت المذكور بين الاعتبارين إذا فرضنا القمر بديراً في منزل معين في شهر معين فبعد إتمام دورة منه إليه يكون فيه بعينه في الشهر التالي ناقصاً عن البدريّة بحسب ذلك التفاوت ، وهكذا يزيد النقصان المذكور بعد كلّ دورة حتّى يبلغ بعد ستّ دورات في المنزل المذكور بعد تمام الشهر السادس إلى مرتبة الهلاليّة و قس عليه عكسه فيبلغ بعد إتمام ستّ دورات آخر فيه إلى البدريّة ، فعلى أيّ حالة يرى في منزل معين يرى فيه بعد ستّ دورات على الحالة المقابلة لها ، و بعد اثنتي عشرة دورة على الحالة الموافقة لها ، و هكذا دائماً .

فاذا تمهّد هذا فنقول : قد عرفت ما ذكره بعض المفسّرين في قوله تعالى : « و القمر قدرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم^(٢) » ، و يرجع حاصله إلى أنّ القمر من أوّل ظهوره بالعشيّات مستهلاًّ إلى آخر رؤيته بالغدوات مستنيراً يسير بجميع المنازل ، و في آخرها يشبه بالعرجون القديم فيما يعرضه بسبب مرور الزمان

(١) قد مرّ مناخبط الاسماء ووجوه تسميه المنازل بها في هذا الجزء (ص ١٣٥ و ١٣٦)

فراجع .

(٢) يس ٣٩٠ .

كالدقة والانحاء . قال الطبرسي - ره - في جامع الجوامع : والمعنى قد رنامسيره منازل ، وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر منها ^(١) على تقدير مستو حتى عاد كالعرجون القديم ، وهو عود العذق الذي تقادم عهده حتى يبس وتقوس ، وقيل : إنه يصير كذلك في سنة أشهر ، قال الزجاج : هو « فعلون » من الإنراج وهو الانعطاف ، والقديم يدق وينحني ويصفر ، فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (انتهى) وقال الزمخشري بعد تفسير الآية بنحو مما مر : وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول ، فلو أن رجلاً قال « كل مملوك لي قديم فهو حر » أو كتب ذلك في وصيته ، عتق له من مضى له حول أو أكثر (انتهى) وروى علي بن إبراهيم والطبرسي - رحمه الله - وغيرهما أنه دخل أبو سعيد ^(٢) المكاربي على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال : ما تقول في رجل قال عند موته « كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله ؟ » فقال أبو الحسن عليه السلام : ما ملكه لسنة أشهر فهو قديم وهو حر . قال : وكيف صار ذلك ؟ قال : لأن الله يقول « والقمر قد رنا منازل حتى عاد كالعرجون القديم » سمّاه الله قديماً ويعود كذلك لسنة أشهر ^(٣) (الخبر) وفي الكافي هكذا : قال نعم ، إن الله يقول في كتابه « حتى عاد كالعرجون القديم » فما كان من مملكته التي له سنة أشهر فهو حر ^(٤) . فظهر من سياق ما نقلناه من التفسير والحديث أن بين العامة والخاصة في المسألة المذكورة من العتق موضع وفاق ، هو أن حكمها مستنبط من الآية المذكورة ، وموضع خلاف هو أن العامة لم يجاوز نظرهم محافيتها من توصيف العرجون بالقديم فظنوا بمحض زعمهم أن ثبوت هذا الوصف له بعد أن يحول الحول ، فحكموا في المسألة على طبقه ، وأن الخاصة عرفوا بتفريع إمامهم الحكم فيها بسنة أشهر على

(١) عنها (خ) .

(٢) في الكافي ، ابن أبي سعيد .

(٣) تفسير القمي ، ٥٥١ ، مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ٢٢٢ و ٢٢٥ .

(٤) الكافي (طبعة دار الكتب) ج ٦ ، ص ١٩٥ وفيه فهو قديم وهو حر .

الآية أنه الحق" الموافق لما تضمنه الكتاب ، فاكثفوا به لعدم احتياجهم معه إلى تعرف وجه استنباطه منها ، إذ لهم ^{الطريق} طرق في استخراج الأحكام و الوقائع من الكلام المجيد لا سبيل لنا إلى معرفتها . لكن ذكر بعض المحققين هنا وجهاً دقيقاً نورده ههنا وهو أن عبارة « حتى عاد كالرجون القديم » المذكورة من الآية في الحديث للاحتجاج عليه مشتملة على عدة ألفاظ فابتدأوها المتكفل للدلالة على اعتبار انتهاء لما صورته تعالى فيها من سير القمر بالمطابقة متضمن للدلالة على اعتبار ابتداء له أيضاً بالالتزام ، و ذكر العود يدل على اتحادهما ، بمعنى أن ما اعتبره من منازل في هذا السير للابتداء اعتبر هو بعينه للإنتهاء ، و تقييده في ضمن التشبيه بكونه هلالاً في خصوص حال العود يدل على اعتبار كونه بدرأ مقابلاً لها في حال البدء المقابل له ، كما يتبادر من لفظ القمر أيضاً سيّما مع مقابلة الشمس من الطرفين . و النكتة حينئذ في اعتبار هذا الترتيب في البدء والعود دون العكس أظهر من الشمس ثم توصيف المشبه به بالقدم يدل على اعتبار هذا الوصف أيضاً في جملة وجوه الشبه بل هو أحق بالاعتبار ، لاختصاصه بالذكر ، و كونه مناطاً لسائر الوجوه ، كقولهم فلان كالبدر المنير أو كالأسد الغضبان ، فمجمل ما أوجز في تلك الكلمات التامات إنما يرى من حال سير القمر في منازل المقدرة له من أنه في أي منزل كان بدرأ فيه ، في وقت يصير فيه بعينه هلالاً شبيهاً بالرجون القديم بعد دورات معدودة في أزمنة محدودة على تدريج خاص و نظام معين لا يتغير ولا يتبدل ولا يزيد ولا ينقص وهكذا حاله في جميع الأزمان من عجائب الآيات و غرائب التدبيرات ، فبذلك التصوير و التشبيه مع ما عرفت ممّا مهدناه من أن صيرورته هلالاً في منزل كان فيه بدرأ يتم بتمام الشهر السادس و حينئذ بتعرضه للصفات المعتمدة في المشبه به و من جعلتها القدم تعرف أن الشيء إذا أتى له ستة أشهر صار موصوفاً بالقدم و هذا هو المطلوب .

فان قيل : مدة ستة دورات ناقصة عن ستة أشهر كما عرفت .

قلنا : قد مرّ أنه شاع في عرف أهل الحساب عدّ ما زاد على النصف من الكسور

كاملاً ، و النقصان هنا أقلّ من نصف شهر كما لا يخفى .

و ربّما يؤيّد هذا الوجه بأنّ الخبر على ما رواه عليّ بن إبراهيم ظاهره وصف القمر بالقديم ، إذ الظاهر رجوع الضمير في « سماء » إلى القمر ، بقرينة قوله « و يعود كذلك » .

و أقول : هذا وجه لطيف مشتمل على دقائق جليّة ، لكنّه في غاية البعد و التكلف ، والله يعلم حقائق كلامه ، و من خصّه بمزيد الفضل من إنعامه .

الفائدة الخامسة : اعلم أنّ أصحابنا اتفقوا على أنّ ولادة نبينا ﷺ كانت في شهر ربيع الأوّل ، إمّا في السابع عشر منه كما هو المشهور ، أو في الثاني عشر كما اختاره الكلينيّ - ره - وهو المشهور بين المخالفين . و ذكر الكلينيّ وغيره أنّ الحمل به ﷺ كان في أيّام التشريق ، فيلزم أن يكون مدة حمل ﷺ إمّا ثلاثة أشهر أو سنة وثلاثة أشهر . مع أنّ أصحابنا اتفقوا على أنّه لا يكون الحمل أقلّ من ستّة أشهر ولا أكثر من سنة ، ولم يذكر أحد من العلماء أنّ ذلك من خصائصه صلى الله عليه و آله و الجواب أنّ ذلك مبنيّ على النسيء الذي حقّقناه في صدر الباب ، و ذكروا للنسيء ثلاثة معانٍ أوّماًنا إلى بعضها : الاول أنّهم كبسوا تسع عشرة سنة تامّة قمرية ، حتّى صارت تسع عشرة سنة تامّة شمسيّة على ترتيب « بهزيجوح » فدور النسيء على هذا الوجه تسع عشرة سنة تامّة قمرية مكبوسة بسبعة أشهر تامّة قمرية ، لأنّ تسع عشر منه وسبعة أشهر تامّتين قمريتين تسع عشرة سنة تامّة شمسيّة ، والشهر الزائد وهو الكبس يسمّى النسيء ، لأنّه المؤخّر عن مكانه لأنّ المحرم لو سمّي بذی الحجّة صار صفر محرّماً ، فتأخّر المحرم إلى مكان صفر و السنة التي يزيدون الشهر فيها هي السنة الكبيسة أي المدخولة المزیدة فيها ، من الكبس بمعنى الطم . الثاني أنّهم كانوا يكبسون في كلّ ثلاث سنين شهراً ، فدور النسيء ستّ و ثلاثون سنة تامّة قمرية مكبوسة باثني عشر شهراً قمرياً كذلك . الثالث أنّهم كانوا يكبسون في كلّ سنتين شهراً ، فدور النسيء على هذا الوجه أربع وعشرون سنة تامّة قمرية مكبوسة باثني عشر شهراً تامّاً قمرياً ، وهذا الوجه أشهر

موافقاً لما ذكره الطبرسي وغيره . وبالجمله إنهم كانوا يزيدون في بعض السنين شهراً
ويتركون بعضها بحاله ، فبعض سنينهم اثنا عشر شهراً ، وبعضها ثلاثة عشر شهراً ، و
الزيادة دائماً تكون في آخر السنة التي ينتقل الحج بعدها من شهر إلى آخر ، لأن
من شهر إلى مثله اثني عشر شهراً ، ومنه إلى ما يليه ثلاثة عشر شهراً والنسيء المشهور مبني
على الأخير ، وربما يبنى على الأول والثاني أيضاً فنقول على الوجه الثالث المشهور لما
تبين أن الولادة في الربيع الأول إما في السابع عشر أو في الثاني عشر والوفاة إما في
الثاني عشر منه كما اختاره الكليني - ره - وفقاً للمشهور بين العامة ، أو في الثامن
والعشرين من الشهر قبله أعني صفر كما هو المشهور عند الإمامية والمشهور أن مدة حياته
الشريفة عليه السلام ثلاث وستون سنة تامة قمريّة تحقيقاً على الأول وتقريباً على الثاني
فمن جمادى الآخرة المؤخر عن ولادته عليه السلام بثلاثة أشهر إلى ذي الحجة من حجة
الوداع المقدّم على وفاته عليه السلام بمثله اثنان وستون سنة تامة قمريّة وستة أشهر ، و
هو ستون سنة تامة نسيئية ، لأن ستين سنة نسيئية زائدة على ستين سنة تامة قمريّة
بثلاثين شهراً ، لأن كل سنتين تامتين نسيئتين زائدة على سنتين تامتين قمريتين
بشهر ، باعتبار انتقال الحج من شهر إلى آخر كما عرفت ، و ثلاثون شهراً سنتان
وسنة أشهر ، فظهر أن من جمادى الثانية التي في خلال عام مولده إلى حجة الوداع
ستون سنة تامة نسيئية ، وظهر أن الحج وقع في خلال عام مولده في جمادى الثانية
إذ المفروض أن مبدأ كل سنة من السنين التامة النسيئية الحج الواقع في شهر و
منتهاها الحج الآخر الواقع في هذا الشهر أو في الشهر الآخر بعده ، فمبدأ الستين
السنة النسيئية جمادى الثانية ، و منتهاها ذو الحجة حجة الوداع ، فالستون السنة
محصورة بين حجتين : إحداهما المبدأ والأخرى المنهى ، فالحجج الواقعة في هذه
المدّة إحدى وستون حجة لأن كل سنة تامة نسيئية محصورة بين حجتين ، وكل
حجة بداية سنة تامة نسيئية ونهاية سنة أخرى إلا حجة الوداع ، لأن النسيء
انقطع عنده ، فهي نهاية سنة ستين نسيئية فقط ، و الحجة الواقعة في خلال عام
مولده هي الحجة الأولى الواقعة فيها ، لأن حجة الوداع كانت أولى حجة وقعت

في ذي الحجة كما مرّ ، والواقعة قبلها في الشهر السابقة كانت في ذي القعدة ، فالشهر الزائد في آخر سنة السنتين و المزيد فيها شهر سنة السنتين لا التي قبلها ، وكذا كلّ شفع من السنين النسيئية هي التي زيد في آخرها شهر ، وقد مرّ أنّ الزيادة تكون باعتبار انتقال الحجّ من شهر إلى آخر ، فلو كانت الحجّة الواقعة في جمادى الثانية في خلال عام مولده ﷺ هي الحجّة الثانية لزم أن تكون الحجّة الواقعة بعدها التي هي مبدأ السنة الثانية من السنين النسيئية ومنتهى السنة الأولى قد وقعت في رجب ، لأنّ المفروض عدم وقوع أزيد من حجتين في شهر ، وأن تكون الزيادة في السنة الأولى لا في الثانية ، وفي الوتر من السنين التامة النسيئية لافي الشفع ، و أن تكون حجّة الوداع الحجّة الثانية الواقعة في ذي الحجّة ، لا الأولى ، وهو خلاف المنقول والمروي . فظهر أنّ الحجّة الواقعة في جمادى الثانية في خلال عام مولده صلى الله عليه وآله كانت الحجّة الأولى ، فالحمل به ﷺ في أيام التشريق في السنة السابقة في جمادى الأولى ، فمدة الحمل عشرة أشهر بلا زيادة ولا نقصان ، أو بزيادة يوم أو بقصانه على ما ذهب إليه الكليني ، و بزيادة أيام على المشهور ، من أنّ يوم الولادة السابع عشر . وقد مرّ بعض القول منّا في ذلك في المجلد السادس في باب ولادته ﷺ وقد ذكرنا هنا جملة من القول في الاختلاف الواقع في يوم مولده صلى الله عليه وآله و لنذكر هنا أيضاً بعض القول فيه لما انتهى الكلام إليه ، فإنّ الحديث ذو شجون .

فاعلم أنّه لا خلاف في أنّ يوم الولادة الشريفة من أيام ربيع الأوّل في عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة ، وإنّما الخلاف في أنّه أيّ يوم من الشهر المذكور ، ولكن علماء الإمامية - رضوان الله عليهم - متفقون على كونه غير خارج من الثاني عشر والسابع عشر ، فالشهور السابع عشر ، قال الشيخ المفيد - ره - في المقنعة : ولد ﷺ بمكة يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل و صدع بالرسالة في يوم السابع والعشرين من رجب وله يومئذ أربعون سنة (انتهى) و نحو ذلك قال شيخ الطائفة وغيرهما من العلماء و المحدثين إلّا ثقة الإسلام في

الكافي حيث قال : ولد النبي ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال ، وروي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة (١) وهو موافق لما هو المشهور بين العامة في الحرمين زاد الله في شرفهما وغيرهما من بلاد المخالفين ، وهذا القول مع ندرته بيننا قدماً يد بوجوه :

الاول أن وفاته ﷺ كانت في يوم الاثنين بالاتفاق ، وكانت إما لليلتين بقتنا من شهر صفر كما هو المشهور بين الشيعة ، أو في الثاني عشر من ربيع الأول كما في الكافي وهو أيضاً مشهور بين المخالفين ، وعلى كل تقدير يكون لامحالة غرة ربيع الأول في السنة الحادية عشر من هجرته الموافقة لوفاته ﷺ مطابقة ليوم الخميس ويلزم منه بالبرهان الحسابي أن يكون غرة ربيع الأول في سنة المولد يوم الاثنين أو يوم الثلاثاء ، إذ بين غرتي هذين الربيعين ثلاث و ستون سنة قمرية بلا زيادة ولا نقصان لعدم الخلاف في مدة عمره ﷺ ثلاث وعشرون أو أربع وعشرون منها ذات كبيسة ، و الباقية خالية عنها ، و التريد باعتبار عدم العلم بمبدأ الكبائس ، و بعد طرح الأسبوعات التامة من كل سنة يبقى من ذوات الكبائس خمسة أيام ، و من غيرها أربعة أيام ، و هذا ظاهر ، فيجتمع من بقايا أسبوعات تلك السنين مائتان وخمسة وسبعون أو ستة وسبعون يوماً ، و الباقي منها بعد طرح سبعة سبعة اثنان أو ثلاثة ، فيلزم من ذلك أن تكون غرة ربيع المولد يوماً من الأسبوع مقدماً على يوم غرة ربيع الوفاة باثنين أو ثلاثة ، و كان هذا يوم الخميس فكان ذلك يوم الاثنين أو الثلاثاء كما ذكرنا و كونه يوم الثلاثاء ساقط بالاتفاق لعدم إمكان مطابقة الثاني عشر ولا السابع عشر على تقديره ليوم الجمعة ، فتعيّن يوم الاثنين فيصادفه الثاني عشر دون السابع عشر ، وهو المطلوب .

والثاني أن وفاة العسكري وانتقال الأمر إلى صاحب الزمان عليه السلام باتفاق الكليني والمفيد - رضي الله عنهما - في الكافي والإرشاد كان في يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين من الهجرة (٢) . فكانت غرة الشهر المذكور أيضاً

(١) الكافي : ج ١ ، ص ٣٩٩ .

(٢) الكافي ، ج ١ ، ص ٥٠٣ ، الإرشاد : ٣٢٥ .

وما بين غرة هذا الربيع وربيع المولد ثلاثمائة واثناعشرة سنة كاملة ، فيظهر بالحساب المتقدم أن بقايا أسبوعات أيام تلك السنين أربعة أو خمسة أيام ، فتكون غرة ربيع المولد مقدماً على الجمعة بمثلها ، فيكون يوم الاثنين أو يوم الأحد ، والثاني ساقط بالاتفاق ، والأول مستلزم للمطلوب .

والثالث : أن غرة محرم الحرام لسنة الهجرة مضبوطة عند أهل الهيئة والحساب ، بأنها كانت يوم الخميس بحسب الحساب ، و يوم الجمعة باعتبار رؤية الهلال كما هو مذکور في التحفة والزيج الجديد وكذا غرة رجب المرجب سنة المبعث مضبوط بأنها كانت يوم الاثنين كما يظهر مما رواه الشيخ في المصباح من أن المبعث كان في يوم السبت ، ولم أطلع على خلاف فيه ، فيستفاد من هذين الضبطين أيضاً دليلاً آخران على هذا المطلوب .

والرابع : ذكر بعض الأفاضل - ره - أن غرة ربيع الأول فيما نحن فيه من الزمان سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة كانت يوم الثلاثاء بلاشتباه ، وقدمضى حينئذ من غرة ربيع المولد ألف ومائة و أربعون سنة ، و من المقررات الحسابية المعلومة لأهل الخبرة أن في كل مائتين وعشرة سنين يعود وضع أيام الأسابيع مع أيام الشهور العربية إلى ما كان ، ففي ألف وخمسين سنة يتم العود المذكور خمس مرات ، فيكفي لنا النظر في تتمتها وهي تسعون سنة ، ثلاث وثلاثون منها ذات كبيسة وسبع وخمسون بلا كبيسة ، وقد عرفت أن الباقي من الأسبوعات كل من الأولى خمسة ، و من الثانية أربعة ، فمجموع البقايا ثلاثمائة و ثلاث وتسعون يوماً ، وإذا طرحناه سبعة سبعة يبقى واحد ، فظهر أن غرة ربيع المولد مقدماً على غرة ربيعنا بيوم ، وهذا كان يوم الثلاثاء فذلك كان يوم الاثنين وهو يستلزم المطلوب كما مر .

ثم قال - ره - : فإن قيل : ذكر الشيخ في المصباح وغيره رواية مشتملة على تفسير المولد بالسابع عشر . قلنا : لكونها منافية لمقتضى هذه الدلائل الحسابية الغير المشكوك فيها ، بل معارضة لما رواه أيضاً في المصباح من موافقة المبعث يوم

السبت ، لعدم إمكان اجتماعهما على ما مرّ ينبغي حملها على أن لا يكون التفسير المذكور من كلام الإمام ، بل من كلام بعض الرواة ، لإزالة الإبهام عنها على حسب اعتقاده ومثل ذلك ليس بعزيز في الروايات .

ثم إذا أقنعت هذا المسلك يتبين لك الحق بمعونه في كثير مما وقع الخلاف فيه ، فمن ذلك أن الأمة بعد اتفاقهم على وقوع هجرة نبينا ﷺ من مكة إلى المدينة في السنة الرابعة عشر من المبعث اختلفوا في شهرها ويومها بالنسبة إلى الشهر و بالنسبة إلى الأسبوع ، فقيل : يوم الاثنين السادس والعشرون من صفر ، وقيل : ليلة الاثنين السابع والعشرون منه ، وقيل : يوم الخميس أول ربيع الأول ، وقيل : يوم الثلاثاء ثامنه ، وقيل : يوم الاثنين بدون ذكر شهرها ، وقيل : أول ربيع الأول بدون ذكر يومه ، وقيل : الرابع منه ، وقيل : العاشر منه كذلك ، فهذه أقوال ثمانية ، ولما عرفنا ما مرّ من مطابقة غرة المحرم سنة الهجرة ليوم الخميس أو الجمعة و اطلعنا على سائر التواريخ المعلومة و من جعلتها أن غرة ربيع المولد يوم الاثنين ، وأن بينها و بين غرة ربيع الهجرة ثلاثاً و خمسين سنة ، و وجدناها مشتملة على أسابيع تامة بلا كسر ، ومستلزمة لموافقة غرتيها يوماً ، حصل لنا بذلك المعارف العلم بتهافت القولين الأولين ، لعدم موافقة السادس والعشرين ولا السابع والعشرين من صفر ليوم الاثنين ، وكذا بتهافت القول الثالث والرابع لعدم مطابقة أول ربيع الأول للخميس ، ولا الثامن منه للثلاثاء ، ثم نعلم بارتفاع احتمال الثلاثاء و الخميس من البين ، تعين يوم الاثنين موافقاً لليوم الخامس المروي عن ابن عباس بل عن رسول الله ﷺ . ثم بتعيينه بطلان القولين الآخرين لتنافيهما ، ثم ببطلانهما تعين أول ربيع الأول موافقاً للقول السادس المنقول عن الشيخ المفيد - ره - فتبين لنا أن هجرته ﷺ كانت في يوم الاثنين أول ربيع الأول والحمد لله .

ثم بعد هذا التحقيق إذا نظرنا في تاريخ وصوله ﷺ إلى المدينة و اختلاف القوم فيه ، فقيل : لهلال ربيع الأول ، وقيل لليلتين خلتا منه ، وقيل لاثنتا عشرة مضت منه عرفنا بطلان القولين الأولين من طريق العادة ، فتعين القول الأخير

الذي ذهب إليه المفيد - ره - في حقائق الرياض ، وقد نقل ابن الجوزي في تلقيحه عن ابن سعد أنه هو المجمع عليه ، ثم بتعيينه عرفنا أن ما نقله ابن الجوزي عن ابن عباس وغيره و ادعى صاحب روضة الصفا اتفاق أئمة الأخبار عليه من مصادفة يوم وصوله عليه السلام إلى المدينة ليوم الاثنين لا عبرة به ، لعدم إمكان اتفاق الأول و الثاني عشر من شهر في يوم ، فيكون وصوله عليه السلام يوم الجمعة ، فظهر أيضاً فساد ما نقله عن عروة أنه مكث بقبا ثلاث ليال ، ثم ركب يوم الجمعة ، فالمعتمد هو ما نقله عن الزهري أنه عليه السلام نزل في بيت عمرو بن عوف بقبا ، فأقام به بضعة عشرة ليلة ، فإنه موافق لما رواه الكليني في الروضة بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين عليهما السلام في ذكر إسلام علي عليه السلام وموضع الحاجة منه قوله عليه السلام : « حتى هاجر رسول الله عليه السلام إلى المدينة و خلف علياً عليه السلام في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره ، وكان خروج رسول الله عليه السلام من مكة في أول يوم من ربيع الأول و ذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث ، و قدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس فنزل بقبا ف صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين ، ثم لم يزل مقيماً ينتظر علياً عليه السلام يصلي الخمس صلوات ركعتين ركعتين وكان نازلاً على عمرو بن عوف ، فأقام عندهم بضعة عشريوماً يقولون له : أقيم عندنا فنتخذلك منزلاً و مسجداً ؟ فيقول : لا ، إنني أنتظر علي بن أبي طالب ، وقد أمرته أن يلحقني ، و لست مسنوطاً منزلاً حتى يقدم علي ، و ما أسرع إن شاء الله تعالى فقدم علي عليه السلام و النبي عليه السلام في بيت عمرو بن عوف ، فنزل معه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله لما قدم علي عليه السلام تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف ، و علي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس ، فخط لهم مسجداً و نصب قبلته ف صلى بهم فيه الجمعة ركعتين ، و خطب خطبتين ، ثم راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها ، و علي معه لا يفارقه يمشي بمشيهِ ^(١) (الحديث) . ولا يخفى أن فيه إشكالين : أحدهما في قوله « وذلك يوم الخميس » لما عرفت

أن أول ربيع الأول في سنة الهجرة يوم الاثنين ، و الآخر في قوله « من سنة ثلاث عشرة من المبعث » لما عرفت أيضاً من الاتفاق على كونه في السنة الرابعة عشر منه ، ويمكن توجيه الأول بأن ذلك ليس إشارة إلى أول يوم ولا إلى خروج رسول الله ﷺ كما يتبادر إلى الأذهان ، بل إلى التخليف المذكور قبلهما ، ولعل هذا أقرب إلى ذلك لفظاً لكونه أبعد ، ومعنى لما نقل أنه ﷺ توقف بعد خروجه من مكة في الغار المشهور ثلاثة أيام ، وكان عليّ ﷺ يصل إليه فيه سرّاً ، فالظاهر أن تخليفه فيما أوصى إليه من أموره كان عند ارتحاله عنه فتدبر . و توجيه الثاني بأن الاتفاق على كونها في الرابعة عشر مبني على أن المبعث كان في رجب ، و مبدأ السنة عند العرب هو المحرم ، فمابعد المحرم إلى رجب من جملة السنة الثالثة عشر من المبعث وإن كان معدوداً عندهم من الرابعة عشر باعتبار مبدأ السنة فهما متوافقان معنى ، و المخالفة إنما هي في اللفظ فقط .

و من ذلك اختلاف القوم بعد اتفاقهم على وقوع نص غدير خم في ثامن عشر ذي الحجة من السنة العاشرة الهجرية في خصوص يوم ^(١) الأسبوعي ، فقل عن ابن مردويه وعن أخطب خوارزم مروياً عن أبي سعيد الخدري أنه كان يوم الخميس وقال بعض الشيعة إنه كان يوم الجمعة ، وما نقل في حبيب السير من اتفاق المؤرخين على أن يوم عرفة في حجة الوداع كان مطابقاً ليوم الجمعة مقتض للقول منهم بكونه يوم الأحد ، و كذا ما ينوّه ممّا في كتاب الحجة من الكافي في أثناء رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ حيث قال بعد بيان نزول الصلوة والزكوة والصوم والحج : « ثم نزلت الولاية و إنما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة ، أنزل الله عز وجل » اليوم أكملت لكم دينكم ^(١) » (الحديث) و كونه توهماً لأنه لا يصح أن يكون المراد بلفظ عرفة ههنا يوم عرفة لمكان الباء ، ولا الموقف لا لأن اسمه عرفات و إطلاق عرفة عليه شبهه بمولد كما في الصحاح و القاموس فإنها مستعملة فيه في كثير من روايات

(١) كذا ، و الصواب « اليوم الأسبوعي » .

(١) الكافي ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

كتاب الحج من الكافي و الفقيه ، بل لظاهر الروايات عن أهل البيت عليهم السلام بأن نزولها ما بين مكة و المدينة بعد الانصراف من حجة الوداع موافقاً لما نقل في مجمع البيان عن الربيع بن أنس إما قبل وصوله إلى غدير خم كما روي في تفسير علي ابن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام ، و إما بعده كما روي في مجمع البيان و غيره عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام موافقاً لما رواه المخالفون عن أبي سعيد الخدري و وجه الجمع حمل النزول في الأول على تمهيد ما ينزل ، أو في الثاني على إقامة ما نزل بالتبليغ ، فلو كان هذا اللفظ ههنا من كلام الامام عليه السلام لاحتمل أن يكون « عرفة » بالضم ، إذ هي كما في القاموس اسم لثلاثة عشر موضعاً ، فلا يبعد أن يكون أحدها قريباً من غدير خم ، هذا ، و لكن التحقيق أن ليس شيء من هذه الأيام الثلاثة موافقاً للتواريخ المضبوطة المعلومة مع اختلافها بالنسبة إليه قريباً و بعداً ، فإن أقربها منه غرة صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة سنة وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم وهي كما ظهر بما مر كانت مطابقة للثلاثاء ، فكانت غرة المحرم فيها موافقة للأحد أو الاثنين ، فكانت غرة ذي الحجة من السنة السابقة العاشرة من الهجرة غير خارجة عن الجمعة و السبت و الأحد ، فكانت الثامن عشر منه لا يخلو من الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء . و أن أبعدا عنه غرة ذي الحجة من سنة سبع و ثمانين و ألف قبيل ما نحن فيه من الزمان ، وهي كانت يوم الخميس بحسب الحساب والرؤية جميعاً بلا اشتباه ، و غرة ذي الحجة من السنة العاشرة مقدّمة عليها بألف و سبع و سبعين سنة تامّة ، فبطريق الحساب الذي مرّ بيانه يكون الباقي منها بعد طرح أسبوعاتها ستة فتكون مطابقة للجمعة ، فكان ثامن عشره مصادفاً ليوم الاثنين ، فيدلّ كل من هذين التاريخين المعلومين على خلاف كل من الأقوال الثلاثة ، و يدلّ على تعيين رابع هو يوم الاثنين ، و يطابقه أيضاً ما ضبط ابن الجوزي في التلخيص من أن قتل عثمان كان في يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين ، فإن ما بينهما خمس و عشرون سنة كاملة ، والباقي بعد طرح أسبوعاتها أربعة ، فإذا كان هذا يوم الجمعة فكان ذلك مقدّماً عليه بأربعة أيام ، فكان يوم الاثنين ، و يوافقه أيضاً

ما ذكره الطبري في تاريخه من أن أول جمعة صلى علي عليه السلام بالناس وخطب بهم بعد قتل عثمان كان مطابقاً للخامس والعشرين من ذي الحجة كما لا يخفى .

فان قلت : الصدوق - ره - قال في الفقيه : وروي أنه ما طلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة ، و كان اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام بغدير خم يوم الجمعة ^(١) (الحديث) .

قلنا : أو لا إن دأبه - ره - في هذا الكتاب أن يذكر ما لم يعتمد عليه من الروايات بهذا السياق .

وثانياً إن قوله « و كان اليوم الذي - إلى آخره - » يجوز أن يكون من عبارة الراوي ، أو من عبارته على طبق طريقته في هذا الكتاب من إدراج كلامه كثيراً بين الأحاديث بدون علامة فاصلة بينهما ، ويؤيدهما أن مثل صدر هذا الحديث مروى في التهذيب والكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام بدون هذه التتمة ^(٢) وفي الكافي أيضاً عن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن بعض أصحابه ، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام مع تتمّة أخرى ^(٣) .

و ثالثاً : إنه يمكن أن يوجه فيحمل اليوم الذي نصب فيه علي عليه السلام على اليوم الذي نزل فيه الأمر بالنصب المذكور ، أو على اليوم المقدّر فيه ذلك ، وهو يوم الميثاق ، أو يقال : أفاد عليه السلام أحد هذين المعنيين بلفظ آخر ، فنقله بعض الرواة بهذا اللفظ على طبق وهمه ، فيطابق على الأول ما مرّ من رواية أبي الجارود ، و على الثاني ما روي في الباب المذكور من الكافي والتهذيب عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال له رجل : كيف سميت الجمعة ؟ قال : إن الله عز وجل جمع فيها خلقه لولاية محمد صلى الله عليه وآله ووصيته في الميثاق ، فسمّاه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه ^(٤) (الحديث) فتأمل .

(١) الفقيه : ١١٣ .

(٢) الكافي : ج ٣ ، ص ٤١٣ .

(٣) > ج ٣ ، ص ٤١٥ .

(٤) > ج ٣ ، ص ٤١٥ .

ومن ذلك أنهم بعد اتّفاقهم على وقوع الواقعة العظمى بكر بلا في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة اختلفوا في يومه الأسبوعي ، فقيل : كان يوم الجمعة ، وقيل : يوم السبت ، وقيل : يوم الاثنين ، و التواريخ المعلومة المضبوطة لاتوافق شيئاً منها ، فإن أقربها إلى يوم القدير في السنة العاشرة ، وكونها مطابقةً للاثنين على مامرٍ مستلزم لعدم خروج غرة المحرم في الحادية عشر عن السبت والأحد ، وما بين المحرمين خمسون سنة تامة ، و الباقي من أسبوعاتها واحد ، و يحتمل اثنين أيضاً من جهة زيادة الكبائس لو فرضنا مثلاً [مبدء] الخمسين المذكور مطابقاً لخمس الثلاثين المعتبر فيها الكبائس إحدى عشرة كما لا يخفى على أهل الخبرة ، فيلزم أن يكون غرة المحرم في سنة إحدى وستين مؤخّرة عن السبت أو الأحد بواحد أو اثنين ، فيكون موافقاً للأحد أو الاثنين ، أو الثلاثاء ، فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء والأربعاء والخميس وأبعد التواريخ المذكورة عنها غرة المحرم فيما نحن فيه من السنة الثامنة والثمانين بعد الألف ، وهي كما ثبت بالحساب و الرؤية جميعاً بلا اشتباه كانت يوم الجمعة ، وما بين ذينك المحرمين ألف وسبع وعشرون سنة ، فإذا أسقطنا عنها « ثمانمائة وأربعين » أربع دورات تامة كل منها مئتان وعشرة سنين على مامرٍ وجهه يبقى مائة وسبع وثمانون سنة ، والباقي من أسبوعاتها خمسة مع احتمال أربعة أيضاً من جهة نقصان الكبائس لو فرضنا مثلاً مبدء المدّة المذكورة مطابقاً لثالث الثلاثين المذكور ، فيلزم أن يكون غرة ذلك المحرم مقدّمة على غرة محرم سنتنا بخمسة أو أربعة ، فكانت يوم الأحد أو الاثنين ، فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء و الأربعاء ، وسائر التواريخ المعلومة أيضاً دالة على مثل ما دلّ عليه هذان التاريخان من حال الأقوال المذكورة بالنسبة إلى القواعد الحسابية .

فان قلت : القول الأخير مضبوط في الكافي ، و الثاني في إرشاد المفيد على التعيين ، و الثلاثة في مقننته على التريديد ، و بالجملة القدر المشترك بينها هو ما اتفق عليه الشيخان الجليلان .

قلنا : اتّفاقهما بل نقل كل منهما مقبول ما لم يظهر في خلافه ما لا يعتريه الشك .

و الشبهة ، و أمّا مع ذلك فالعذر واضح ، و باب التأويل مفتوح ، والله أعلم بحقائق الأمور .

ومن ذلك أن ابن إدريس - ره - في سرائره بعد ذكر فضيلة أيام ذي الحجة وما وقع فيها قال : وفي اليوم السادس والعشرين منه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة طعن عمر بن الخطاب ، فينبغي للإنسان أن يصوم هذه الأيام ، فإن فيها فضلاً كثيراً وثواباً جزيلاً ، وقد تلبس على بعض أصحابنا يوم قبض عمر بن الخطاب فيظن أنه اليوم التاسع من ربيع الأول ، وهذا خطأ من قائله بإجماع أهل التواريخ والسير ، وقد حقق ذلك شيخنا المفيد في كتاب التواريخ وذهب إلى ما نقلناه (انتهى) .

ثم إن صاحب كتاب أنيس العابدين على طبق الكععمي في ذكر أعمال أيام ربيع الأول قال : و تاسعه روى فيه صاحب مسار الشيعة أن من أنفق شيئاً غفرله و يستحب فيه إطعام الإخوان و تطيبهم ، والتوسعة في النققة ، و لبس الجديد ، و الشكر ، و العبادة ، و هو [يوم] نفي الهموم ، و روي أنه ليس فيه صوم . و جمهور الشيعة يزعمون أن فيه قتل عمر بن الخطاب و ليس بصحيح ، ثم ذكر مضمون السرائر و كتاب التواريخ ، ثم قال : و إنما قتل عمر يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة نص على ذلك صاحب الفرة ، و صاحب المعجم ، و صاحب الطبقات ، و صاحب كتاب مسار الشيعة ، و ابن طاووس ، بل الإجماع حاصل من الشيعة و السنة على ذلك (انتهى) .

و فيه أن اليوم المذكور من ذي الحجة من السنة المذكورة لا يمكن كونه موافقاً ليوم الاثنين ، بل الضوابط الحسابية على نحو ما مر تدل على أنه غير خارج عن الثلاثاء و الأربعاء ، فالقول بهما مشتمل على التفات .

أقول : أكثر ذلك ذكره بعض أفاضل المدققين ممن كان في عصرنا - ره - ولقد دقق و أفاد ، و أحسن و أجاد ، لكن بعض المقدمات المذكورة مبتنية على أقوال بعض العلماء ، تبع فيها بعضهم بعضاً ، أخذاً من بعض المورخين ، فعدّها من الإجماعات ، و ليس من الإجماع في شيء ، فلا يمكن القدح بها في الأخبار المعتمدة

و بعضها متفرقة على ما ظهر لهم من الأرصاد المختلفة في الكسور و الكبائس ، مع أن حسابهم مبني على الأمر الأوسط في القمر ، وقد تتقدم الرؤية عليه بيومين و تتأخر بيومين ، لما مر أنه قد تتوالى أربعة من الشهور تامة ، وقد تتوالى ثلاثة من الشهور ناقصة ، مع أنه قد يمكن تأخر أول الشهور وتأخره بأكثر من ذلك لما نع غيم أو غيره ، فيمكن أن يكون ماورد في الأخبار مبيهاً على حكم ظاهر الشرع لا على قوانين الهيئة ، ومع ذلك كله يصلح أن يكون مرجحاً لبعض الأقوال والأخبار المختلفة ، و لذا أطلنا الكلام بذكرها ، و سنعيد القول في كل منها في باب إن شاء الله تعالى ، وقد مر الكلام في بعضها ، والله الموفق للحق و الصواب .

١ - مهج الدعوات : روينا من كتاب عبد الله بن حماد الأنصاري ، عن أبي عبد الله عليه السلام - و ذكر عنه حزيان - فقال : هو الشهر الذي دعا فيه موسى على بني إسرائيل ، فمات في يوم و ليلة من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف من الناس .

٢ - و في حديث آخر من الكتاب المذكور عنه عليه السلام قال : إن الله خلق الشهور و خلق حزيان ، و جعل الآجال فيه متقاربة .

بيان : تقارب الآجال كناية عن كثرة الموت ، إما لأن أجل بعضهم يقرب من بعض ، أو لأن أجل كل منهم يقرب من ابتدائه . و في القاموس : « إذا تقارب الزمان لم تكدرؤيا المؤمن تكذب » المراد آخر الزمان و اقتراب الساعة ، لأن الشيء إذا قل تقاصرت أطرافه (١) .

٣ - الخصال : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن الصباح بن سيابة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله خلق الشهور اثني عشر شهراً ، و هي ثلاثمائة وستون يوماً ، فحجر منها ستة أيام خلق فيها السماوات و الأرضين ، فمن ثم تقاصرت الشهور (٢) .

(١) القاموس ج ١ ، ص ١١٥ .

(٢) الخصال ، ٨٢ .

العلل : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد مثله ^(١) .
العياشي : عن الصباح مثله .

٤ - **الفقيه :** باسناده عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن محمد بن يعقوب ، عن شعيب ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : إن الناس يروون أن رسول الله ﷺ ما صام ^(٢) من شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً أكثر مما صام ثلاثين . قال : كذبوا ، ما صام رسول الله ﷺ إلا تاماً ، ولا تكون الفرائض ناقصة ، إن الله تعالى خلق السنة ثلاثمائة وستين يوماً ، وخلق السماوات والأرض في ستة أيام ، فحججها ^(٣) من ثلاثمائة وستين يوماً ، فالسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً ، و شهر رمضان ثلاثون يوماً لقول الله عز وجل " و لتكملوا العدة " ، والكمال تام ، و شوال تسعة وعشرون يوماً ، و ذو القعدة ثلاثون يوماً ، لقول الله تعالى " و واعدنا موسى ثلاثين ليلة ، فالشهر هكذا ، ثم هكذا ، أي شهر تام وشهر ناقص ، وشهر رمضان لا ينقص أبداً ، و شعبان لا يتم أبداً ^(٤) .

توضيح : قد عرفت سابقاً أن السنة القمرية تزيد على ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً بثمان ساعات وثمان وأربعين دقيقة على ما هو المضبوط بالأرصاد ، فما في الخبر مبني على ما تعارف من إسقاط الكسر الناقص عن النصف في الحساب مساهلةً ، فإن كان ثلاث مائة وستون بلا كسر فالسنة المختزلة ناقصة منها أيضاً بالقدر المذكور ، وإلا فيحتمل تمامها .

٥ - **التهذيب :** في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن الأهلة فقال : هي أهلة الشهور ، فإذا رأيت الهلال فصم ، وإذا رأيته فأفطر .
 و منه : باسناده عن عبدالله بن سنان عنه عليه السلام مثله .

(١) علل الشرائع ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٢) في المصدر ، صام .

(٣) في المصدر " حجبها " بالزاي الممجمة .

(٤) الفقيه ١٩٦ .

المقنعة : عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام مثله .
بيان : « عن الأهلّة » أي المذكورة في قوله تعالى « يسألونك عن الأهلّة »
 فاستدل عليه السلام بالآية على أن المدار في الأحكام الشرعية على الرؤية كما قال الشيخ
 - ره - في التهذيب : المعتبر في تعرف أوائل الشهور بالأهلّة دون العدد على ما يذهب
 إليه قوم من شذاذ المسلمين ، و الذي يدلّ على ذلك قول الله عزّ وجلّ « يسألونك
 عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج »^(١) ، فبيّن الله تعالى أنه جعل هذه الأهلّة
 معتبرة في تعرف هذه الأوقات ، ولو كان الأمر على ما يذهب إليه أصحاب العدد
 لما كانت الأهلّة مراعاة في تعرف هذه الأوقات ، إذ كانوا يرجعون إلى العدد
 دون غيره ، وهذا خلاف التنزيل . و الهلال إنما سمي هلالاً لارتفاع الأصوات
 عند مشاهدتها بالذكر لها و الإشارة إليها بالتكبير أيضاً و التهليل عند رؤيتها ، و
 منه قيل « استهلّ الصبي » إذا ظهر صوته بالصياح عند الولادة ، و سمي الشهر شهراً
 لاشتغاره بالهلال ، فمن زعم أن العدد للأيّام و الحساب للشهور و السنين يغني في
 علامات الشهور عن الأهلّة أبطل معنى سمات الأهلّة و الشهور الموضوعة في لسان
 العرب على ما ذكرناه (انتهى) .

و أقول : يمكن المناقشة في بعض ما ذكره - ره - و سندكرها في محلّها إن
 شاء الله .

٦ - التهذيب : في الصحيح عن محمد بن عيسى قال : كتب إليه أبو عمر : أخبرني
 يا مولاي أنه ربما أشكل علينا هلال شهر رمضان فلانراه ، ونرى السماء ليست علّة
 فيفطر الناس و نفطر معهم ؟ و يقول قوم من الحساب قبلنا : إنّه يرى تلك الليلة
 بعينها بمصر و إفريقية و الأندلس ، فهل يجوز يا مولاي ما قال الحساب في هذا
 الباب حتّى يختلف الفرض على أهل الأمصار فيكون صومهم خلاف صومنا ، وفطرهم
 خلاف فطرنا ؟ فوقع عليه السلام : لا تصومنّ الشك ، أفطر لرؤيته ، و صم لرؤيته .

بيان : يظهر من كلامه عليه السلام أن المدار على الرؤية ، و اختلاف الفرض إن

وقع الاختلاف في الرؤية غير ضائر .

٧ - الاقبال : روينا بإسنادنا إلى علي بن فضال ، من كتاب الصيام بإسناده إلى ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : شهر رمضان رأس السنة ^(١) .

٨ - الفقيه : عن العبد الصالح عليه السلام قال : ادع بهذا الدعاء في شهر رمضان مستقبل دخول السنة . وذكر أن من دعا به محتسباً مخلصاً لم تصبه في تلك السنة فتنة ولا آفة ، وذكر الدعاء ^(٢) .

٩ - الكافي و التهذيب : بسند فيه جهالة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، فغرة الشهور شهر الله ^(٣) شهر رمضان ، وقلب شهر رمضان ليلة القدر ، ونزل القرآن في أول ليلة من شهر رمضان ، فاستقبل الشهر بالقرآن ^(٤) .

تبين : « فغرة الشهور » أي أولها ، قال في النهاية : غرة كل شيء أوله . وقد ورد في الأخبار أن أول السنة شهر رمضان ، أو المراد بها أفضلها وأكملها كما قال في النهاية : كل شيء ترفع قيمته فهو غرة . والغرة أيضاً البياض ، فيحتمل ذلك أيضاً ، أي منور بالألوان والمعنوية ، والأول أظهر . والمشهور بين العرب أن أول سنتهم المحرم ، وهذه الأمور تختلف باختلاف الاعتبارات ، فيمكن أن يكون أول السنة الشرعية شهر رمضان ، ولهذا ابتدأ الشيخ به في المصباحين ، وأول السنة العرفية المحرم ، وأول سنة التقديرات ليلة القدر ، وأول سنة جواز الأكل والشرب شهر شوّال ، كما روى الصدوق في العلل بإسناده إلى الفضل بن شاذان في علّة صلوة العيد : لأنه أول يوم من السنة يحلّ فيه الأكل والشرب ، لأنّ

(١) الاقبال ٣٠ .

(٢) الفقيه ١٧٥ .

(٣) في المصدر ، شهر الله عز ذكره وهو شهر رمضان .

(٤) فروع الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

أول شهور السنة عند أهل الحق شهر رمضان^(١) وقال في علّة اختصاص شهر رمضان بالصوم : وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وفيها يفرق كل أمر حكيم وهو رأس السنة ، ويقدر فيها ما يكون في السنة من خير أو شر ، أو مضرّة أو منفعة أو رزق أو أجل ، ولذلك سميت ليلة القدر^(٢) .

وقال السيّد بن طاووس - ره - في كتاب الإقبال : واعلم أنّي وجدت الروايات مختلفات في أنّه هل أول السنة المحرّم أو شهر رمضان ، لكنني رأيت من عمل من أدركته من علماء أصحابنا المعترين وكثيراً من تصانيف علمائهم الماضين أنّ أول السنة شهر رمضان على التعيين^(٣) ولعلّ شهر الصيام أول العام في عبادات الإسلام ، والمحرّم أول السنة في غير ذلك من التواريخ ومهام الأنام ، لأنّ الله جلّ جلاله عظم شهر رمضان فقال جلّ جلاله « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان »^(٤) ، فلسان حال هذا التعظيم كالشاهد لشهر رمضان بالتقديم ، ولأنّه لم يجر لشهر من شهور السنة ذكر باسمه في القرآن وتعظيم أمره إلّا لهذا الشهر شهر الصيام ، وهذا الاختصاص بذكره كأنّه ينبّه - والله أعلم - على تقديم أمره ، ولأنّه إذا كان أول السنة شهر الصيام وفيه ما قد اختصّ به من العبادات التي ليست في غيره من الشهور والأيّام ، فكان الإنسان قد استقبل أول السنة بذلك الاستعداد والاجتهاد ، فيرجى أن يكون باقي السنة جاريّاً على السداد والمراد ، وظاهر دلائل المعقول وكثير من المنقول أنّ ابتداءات الدخول في الأعمال ، هي أوقات التأهب والاستظهار لأوساطها وأواخرها على كلّ حال ولأنّ فيه ليلة القدر التي يكتب فيها مقدار الآجال ، وإطلاق الآمال ، وذلك منبه على أنّ شهر الصيام هو أول السنة ، فكأنّه فتح للعباد في أول [دخولها]

(١) الملل ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٢) الملل ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٣) على اليقين (خ) .

(٤) البقرة ، ١٨٥ .

أن يطلبوا أطول^(١) آجالهم ، و بلوغ آمالهم ، ليدر كوا آخرها ، و يحمدا مواردها و مصادرها . و روى محمد بن يعقوب و ابن بابويه في كتابيهما و اللفظ لابن يعقوب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليلة القدر هي أوّل السنة ، و هي آخرها^(٢) . و لأنّ الاخبار بأنّ شهر رمضان أوّل السنة أبعد من التقيّة وأقرب إلى مراد العترة النبويّة و حسبك شاهداً و تنبيهاً و أكداً ما تضمنه الأدعية المنقولة في أوّل شهر رمضان بأنّه أوّل السنة على التعيين و البيان^(٣) .

١٠ - الخصال : عن محمد بن عليّ ماجيلويه ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن أبي عمير ، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ " إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض " قال : المحرّم و صفر ، و ربيع الأوّل ، و ربيع الآخر ، و جمادى الأولى ، و جمادى الآخرة ، و رجب ، و شعبان ، و شهر رمضان ، و شوّال ، و ذو القعدة ، و ذو الحجة . منها أربعة حرم : عشرون من ذي الحجة ، و المحرّم ، و صفر ، و شهر ربيع الأوّل ، و عشر من شهر ربيع الآخر^(٤) .

بيان : الشهور المذكورة في هذا الخبر هي أشهر السباحة التي قال الله عزّ وجلّ " فسيحوا في الأرض أربعة أشهر " و المشهور أنّ ابتداءها يوم النحر إلى العاشر من ربيع الآخر ، و قيل : من أوّل الشوّال إلى آخر المحرّم ، لأنّ الآية نزلت في شوّال ، و قيل : لعشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأوّل ، لأنّ الحجّ في تلك السنة كان في ذلك الشهر ، و على التقادير هي غير الأشهر الحرم ، و كانت مختصة بتلك السنة ، فهذا إمّا اصطلاح آخر للأشهر الحرم غير المشهور ، أو سقط من الخبر شيء ، و لعلّه أظهر .

(١) في المصدر ، طول .

(٢) فروع الكافي ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٣) الاقبال ، ٢ .

(٤) الخصال ، ٨٥ .

١١ - الخصال : في خطبة النبي ﷺ في أيام التشريق : أيها الناس ! إن

الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهية يوم خلق الله السماوات والأرضين ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم : رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، وذوالقعدة ، وذوالحجة ، والمحرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، فإن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فكانوا يحرّمون المحرم عاماً ويستحلّون صفر ، ويحرّمون صفر عاماً ويستحلّون المحرم^(١) .

بيان : قال في النهاية : يقال رجب فلان مولاه أي عظمه ، ومنه سمي شهر رجب ، لأنه كان كان يعظم ، ومنه الحديث « رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » أضاف رجب إلى مضر لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم وكأنهم اختصوا به ، و قوله « بين جمادى وشعبان » تأكيد للبيان وإيضاح ، لأنهم كانوا ينسؤونه ويؤخّرونه من شهر إلى شهر ، فيتحول عن موضعه المختص به ، فبين لهم أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان ، لا ما كانوا يسمونه على حساب النسيء .

١٢ - الخصال : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن الحسين بن علي بن يقطين ، عن بكر بن علي بن عبد العزيز ، عن أبيه ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السنة كم يوماً هي ؟ قال : ثلاثمائة وستون يوماً منها ستة أيام خلق الله عز وجل فيها الدنيا ، فطرح من أصل السنة ، فصارت السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً ، يستحب أن يطوف الرجل في مقامه بمكة عدد أيام السنة ثلاثمائة وستين أسبوعاً ، فإن لم يقدر على ذلك طاف ثلاثمائة وستين شوطاً^(٢) .

١٣ - ومنه : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة ، عن معاوية بن همار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يستحب أن تطوف ثلاثمائة وستين أسبوعاً عدد أيام السنة ، فإن لم تستطع فما قدرت عليه من الطواف^(٣) .

١٤ - العلل : عن أبي الهيثم عبد الله بن محمد ، عن محمد بن علي الصائغ ، عن سعيد بن منصور ، عن سفيان^(١) عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا اشتد الحر فابردوا بالصلوة ، فإن الحر من فيح جهنم ، و اشتكت النار إلى ربها فأذن لها في نفسين : نفس في الشتاء ، و نفس في الصيف ، فشدة ما يجدون من الحر من فيحها ، و ما يجدون من البرد من زمهريرها^(٢) .

بيان : الخبر عامي ضعيف ، و قال في النهاية : فيه « شدة الحر » من فيح جهنم ، الفيح سطوع الحر و فورانه ، و يقال بالواو ، و فاحت القدر تفوح و تفيح إذا غلت ، و قد أخرجه مخرج التشبيه و التمثيل ، أي كأنه نار جهنم في حرها (انتهى) و قال الطيبي : « فأذن لها في نفسين » يبين أن المراد به الحقيقة لا المجاز و قال الكرمانى في شرح البخاري : هو علة لشرعية الإبراد ، فإن شدته يسلب الخشوع ، أو لأنه وقت غضب الله لا ينجع فيه الطلب بالمناجاة ، إلا من أذن له (انتهى) و أقول : سيأتي تمام القول فيه في كتاب الصلوة إن شاء الله .

١٥ - العياشي : عن أبي جعفر ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله خلق السماوات و الأرض في ستة أيام ، فالسنة تنقص ستة أيام .
أقول : و سيأتي فضائل الشهور و خواصها في الأبواب المناسبة لها في عرض الكتاب إن شاء الله تعالى .

فائدة : قال أبو ریحان : فأما العرب فإن شهورهم اثنا عشر ، أو لها المحرم و قد قيل في علل أسامي هذه الشهور أقاويل : منها أنه قيل في تسمية المحرم أنه

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ذكره الشيخ في أصحاب الصادق ، و قال العلامة ، سفيان بن عيينة ليس من أصحابنا ولا من عدادنا . و قال الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال (ص : ١٢٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولا هم أبو محمد الاهور الكوفي احد ائمة الاسلام - إلى ان قال - مات سنة (١٩٨) .

(٢) الملل ج ١ ص ٢٣٥ .

لكونه من جملة الحرم ، و صفر لامتيازهم من فرقة تسمى صفرية ، و شهري ربيع للزهر و الأنوار ، و تواتر الأندية و الأمطار ، و هو نسبة إلى طبع الفصل الذي نسميه نحن الخريف ، و كانوا يسمونه ربيعاً ، و شهري جمادى لجمود الماء ، و رجب لاعتمادهم الحركة فيه لامن جهة القتال ، و الرجة العماد ، و منه قيل : عذق مرجب . و شعبان لتشعب القبائل فيه ، و شهر رمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحر ، و شوال لارتفاع الحر و إداره ، و ذوالقعدة للزومهم منازلهم ، و ذوالحجة لحجهم فيه . و توجد للشهور العربية أسامي أخر قد كان أوائلهم يدعونها بها ، وهي هذه : المؤتمر ، ناجر ، خوان ، صوان ، حنتم ، زباء ، الأصم ، عادل ، نافق ، واغل ، هواح ، برك . و قد توجد هذه الأسماء مخالفة لما أوردناه و مختلفة الترتيب كما نظمها أحد الشعراء :

| | | |
|-----------------------|---|--------------------------|
| بمؤتمر و ناجرة بدأنا | ✧ | و بالخوان يتبعه الصوان |
| و بالزباء بايدة تليه | ✧ | يعود أصم صم به الشنان |
| و واغله و ناتله جميعا | ✧ | و عادله فهم غرر حسان |
| ورنة بعدها برك فتمت | ✧ | شهور الحول يعقدها البنان |

ومعاني هذه الأسماء على ما ذكر في كتب اللغة : أمّا المؤتمر فمعناه أن يأتيهم بكل شيء مما تأتي به السنة من أقصيتها ، و أمّا ناجر فهو من النجر وهو شدة الحر و أمّا خوان فهو على مثال فعال من الخيانة . و كذلك صوان على مثال فعال من الصيانة ، و هذه المعاني كانت اتفقت لهم عند أول التسمية ، و أمّا الزباء فهي الداهية العظيمة المتكاثفة ، سمي لكثرة القتال فيه و تكاثفه ، و أمّا البائد فهو أيضاً من القتال إذ كان يبديد فيه كثير من الناس ، و جرى المثل بذلك « العجب كل العجب بين جمادى و رجب » ، و كانوا يستعجلون فيه و يتوخون بلوغ ما كان لهم من النار و الغارات قبل دخول رجب ، و هو شهر حرام ، و أمّا الأصم فلا نهم كانوا يكفون عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح ، و أمّا الواغل فهو الداخل على شراب ولم يدعو ، و ذلك لهجومه على شهر رمضان ، و كان يكثر في شهر رمضان شربهم للخمر ، لأن ما يتلوه

هي شهور الحج ، و أمّا ناتل فهو مكّيال للخمر سمّي به لإفراطهم في الشرب ، و كثرة استعمالهم لذلك المكّيال . و أمّا العادل فهو من العدل لأنّه من أشهر الحج كانوا يشتغلون فيه عن الباطل ، و أمّا الرنة فلأنّ الأنعام كانت ترنّ فيه لقرب النحر ، و أمّا برك فهو لبروك الإبل إذا حضرت المنحر . و أحسن من النظم الذي ذكرنا نظم صاحب إسماعيل بن عبّاد لها وهي هذه : « شعر »

أردت شهور العرب في جاهليّة ✽ فخذها على سرد المحرّم تشترك
فمؤتمر يأتي ومن بعد ناجر ✽ وخو أن مع صوّان يجمع في شرك
حنين وزبّا و الأصمّ و عادل ✽ و نافق مع وغل ورنّة مع برك (انتهى)
و أقول : في القاموس : ناجر رجب أوصفر ، و كلّ شهر من شهور الصيف .
وقال : الخوان - كشدّاد ويضمّ - شهر ربيع الأوّل . وقال : « زبّا » كربى بلالام
بجادی الآخرة . وقال : حنين كأمر وسكّيت وباللّام فيهما اسمان لجمادى الأولى
والآخرة .

ثمّ قال أبو ریحان : ذكر محمد بن دريد في كتاب الوشاح أنّ ثمود كانوا يسمّون
الشهور بأسماء آخر وهي هذه : موجب وهو المحرّم ، ثمّ موجر ، ثمّ مولد ، ثمّ
ملزم ، ثمّ مصدر ، ثمّ هوبر ، ثمّ هوبل ، ثمّ موها ، ثمّ ديمر ، ثمّ دابر ، ثمّ
حيفل ، ثمّ مسبل . قال : و أنّهم كانوا يبتدؤون من ديمر ، وهو شهر رمضان ، ولم
تكن العرب تسمّي أيّامهم بأسماء مفردة كما سمتها الفرس ، غير أنّهم أفردوا لكلّ
ثلاث ليال من كلّ شهر من شهورهم أسماءً عليحدة مستخرجاً من حال القمر وضوئه
فيها ، فإذا ابتدؤوا من أوّل الشهر فثلاث « غر » جمع « غرة » و غرة كلّ شيء
أوّلّه ، وقيل : لأنّ الهلال فيها يرى كالغرة . ثمّ ثلاث « نفل » من قولهم « تنقل »
إذا ابتدأ بالعطيّة من غير وجوب ، وبعضهم سمّى هذه الثلاث الثانية « شهب » . ثمّ
ثلاث « تسع » لأنّ آخر ليلة منها هي التاسعة ، وسمّى بعضهم هذه الثلاث الثالثة
« البهر » لأنّه تبهر ظلمة الليل فيها . ثمّ ثلاث « عشر » لأنّ أوّلها العاشرة ، ثمّ
ثلاث « بيض » لأنّها تبيض بطلوع القمر من أوّلها إلى آخرها . ثمّ ثلاث « درع »

لاسوداد أوائلها تشبيهاً بالشاة الدرعا ، والأصل هو التشبيه بالدرع الملبوس ، لأن لون رأس لابسه يخالف لون سائر بدنه . ثم ثلاث « ظلم » لا ظلامها في أكثر أوقاتها . ثم ثلاث « حنادس » وقيل لها أيضاً « دهم » لسوادها . ثم ثلاث « آدى » لأنها بقايا ، وقيل : إن ذلك من سير الإبل ، وهو يقدم إحدى يديه ثم يتبعها الأخرى عجلًا ، ثم ثلاث « محاق » لانمحاق القمر والشهر وخصوا من الشهر ليالي بأسماء مفردة كآخر ليلة منه ، فإنها تسمى « السرار » لاستسرار القمر وتسمى « الفحمة » أيضاً لعدم الضوء فيها . ويقال لها « البراء » لتبرؤ الشمس فيها .

وآخر الشهر فإنهم يسمونه « النخيرة » لأنه ينحر فيه ، أي يكون في نحره .

وكالليلة الثالثة عشر فإنها تسمى « السواء » والرابعة عشر « ليلة البدر » لامتلاء القمر فيها وتمام ضوئه ، وكل شيء قد تم فقد بدر ، كما قيل للعشرة آلاف درهم بدرة لأنها تمام العدد ومنتهاه بالوضع لا بالطبع .

﴿ بسمه تعالى ﴾

إلى هنا تم الجزء الثاني من المجلد الرابع عشر
- كتاب السماء والعالم - من بحار الأنوار وهو الجزء
الخامس والخمسون حسب تجزئتنا من هذه الطبعة البهية .
وقد قابلناه على النسخة التي صححها الفاضل الخبير
الشيخ محمد تقي اليزدي ، بما فيها من التعليق و الترميم
والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم على أن وفّقتنني للفوص في بحار الأنوار ، واقتناء درر الحكم
ولا لي الأخبار ، وأصلي وأسلم على رسولك المختار ، وآله المصطفين الأخيار
المجتبين الأطهار ، معادن العلم وينايع الحكمة ومصادر الآثار .

أقتصر من حمدك بالاعتراف بالعجز عن اكتناء وصفك ، وإحصاء نعمك ، و
من شكر أوليائك أولياء النعمة بالنظامن تجاه مقامهم المنيع ، ومكانهم الرفيع
استحياء من القصور عن إيفاء حقهم ، وخجلاً من التقصير في أداء شكرهم ، و
إجلالاً لشأنهم عندك ، وإكباراً لقرّبهم منك ، أنت كما أثّنت على نفسك ، وأوليائك
كما أثّنت عليهم ، فصلّ عليهم صلاة كثيرة دائمة لا تنبغي إلا لهم ، ولا يعلم مبلغها
غيرك .

و بعد من الواجب علينا بنصّ فتيا العقل ، وبما تواتر عليه من النقل ، شكر
المنعم وإيفاء الحق . ولعمر الحق من أعظم الناس حقاً علينا معاشر المسلمين
وأكبرهم إحساناً إلينا العلماء العظام والمحدثون الكبار ، حيث بذلوا جهيدهم
وأفروا طاقتهم ومقدّرتهم لحفظ سنن النبي ﷺ وآثار الأئمة من أهل بيته ﷺ
ونشر علومهم وحكمهم وإبقائها لنا ولمن أراد الله أن يستخلفه من بعدهم ، فجزاهم
الله عنا وعن كافة أهل الإسلام خير الجزاء ، وأجزل لهم الأجر والعطاء .

ومن فطاحل العلماء وجهابذتهم ، وفحول المحدثين وعباقرتهم ، مولانا شيخ
الإسلام محمد باقر المجلسي - رضوان الله عليه - وله من تلك الفضيلة حظ وافر ، وعليه
مننا ومن قاطبة الشيعة ثناء عاطر ، وشكر متواتر .

وقد كابد - رحمه الله - من المشقة والتعب ، وقاسى من العناء والنصب ، في الجمع والتأليف ، والنظم والترصيف ، ما جاز حدّ البيان ، وأعجز القلم واللسان وليس يخفى ذلك على من تأمل في آثاره النفيسة البهية . ونظر في كتبه الثمينة القيمة ، وسبر غور تأليفه الضخمة الفخمة . فعلمنا وعلى كلّ من اقتطف من ثمار آثاره ، وسبح في أجواء بحاره ، وارتشف من مناهل موسوعاته إجمال الثناء عليه إعظماً لشأنه ، وإكثار الدعاء له إيفاءً لحقه . قدّس الله سرّه ، ورفع شأنه ، وأعلى مقامه .

و لقد بذلنا غاية مجهودنا في تصحيح هذا الجزء من كتابه المسمّى « بحار الأنوار » متناً وسنداً ، وتخريجاً ، والتعليق عليه بما يوضح جده ، و يقيم صده أداء لبعض حقه ، وشكراً لما أنعم المولى تعالى علينا من ولاية أوليائه ، ولما يسّر لنا من الاستزادة بأنوارهم والاستفادة من علومهم .

و لست أنسى الثناء على من وازرني وساهمني في هذا المشروع من إخواني الأماجد ، لاسيّما على زميلي الثقة الفاضل البارع « الشيخ عبد الكريم النيّري البروجردى » حيث عاضدني بتصحيح الأسانيد ، وترجمة بعض الرجال ، وعلى الفاضل المتنبّس الذكي « السيّد جعفر الحسنى اليزدى » وعلى سائر إخواني الذين ساعدوني في التخريج والمقابلة بالنسخ والمصادر ، وأسأل الله الكريم أن يديم توفيقنا جميعاً ويزيدنا من فضله ، إنّه ذو فضل عظيم .

قم المشرقة : محمد تقى اليزدى

١٢ / شبان المظّم ١٣٧٩

﴿مراجع التصحيح والتخريج والتعليق﴾

قوبل هذا الجزء بعدة نسخ مطبوعة ومخطوطة ، منها النسخة المطبوعة بطهران سنة (١٣٠٥) المعروفة بطبعة أمين الضرب ، ومنها النسخة المطبوعة بتبريز ومنها النسخة المخطوطة النفيسة لمكتبة صاحب الفضيلة السيد جلال الدين الأرموي الشهير بـ « المحدث » واعتمدنا في التخريج والتصحيح والتعليق على كتب كثيرة نسرد بعض أساميتها :

- | | | | | |
|--|---------|----------|----|----------|
| ١ - القرآن الكريم . | | | | |
| ٢ - تفسير علي بن إبراهيم القمي | المطبوع | سنة ١٣١١ | في | ايران |
| ٣ - تفسير فرات الكوفي | » | » ١٣٥٤ | » | النجف |
| ٤ - تفسير مجمع البيان | » | » ١٣٧٣ | » | طهران |
| ٥ - تفسير أنوار التنزيل للقاضي البضاوي | » | » ١٢٨٥ | » | استانبول |
| ٦ - تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي | » | » ١٢٩٤ | » | » |
| ٧ - الاحتجاج للطبرسي | » | » ١٣٥٠ | » | النجف |
| ٨ - أصول الكافي للكليني | » | » | » | طهران |
| ٩ - الاقبال للسيد بن طاوس | » | » ١٣١٢ | » | » |
| ١٠ - تنبيه الخواطر لورام بن أبي فراس | » | » | » | » |
| ١١ - التوحيد للصدوق | » | » ١٣٧٥ | » | » |
| ١٢ - ثواب الأعمال للصدوق | » | » | » | » |
| ١٣ - الخصال | » | » ١٣٧٤ | » | » |
| ١٤ - الدر المنثور للسيوطي | | | | |
| ١٥ - روضة الكافي للكليني | » | » | » | طهران |

- ١٦ - علل الشرائع للصدوق المطبوع سنة ١٣٧٨ في قم
- ١٧ - عيون الأخبار » » » ١٣٧٧ » »
- ١٨ - فروع الكافي للكليني » » » »
- ١٩ - المحاسن للبرقي » » » ١٣٧١ طهران
- ٢٠ - معاني الاخبار للصدوق » » » ١٣٧٩ » »
- ٢١ - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب » » » ١٣٧٨ قم
- ٢٢ - من لا يحضره الفقيه للصدوق » » » ١٣٧٦ طهران
- ٢٣ - نهج البلاغة للشریف الرضی » » » مصر
- ٢٤ - أسد الغابة لعزّ الدين ابن الأثير » » » طهران
- ٢٥ - تنقيح المقال للشيخ عبدالله المامقاني » » » ١٣٥٠ النجف
- ٢٦ - تهذيب الاسماء واللغات للحافظ محیى الدين بن شرف النوری المطبوع في مصر
- ٢٧ - جامع الرواة للاردبیلی المطبوع سنة ١٣٣١ في طهران
- ٢٨ - خلاصة تذهیب الکمال للحافظ الخزرجی » » » ١٣٢٢ مصر
- ٢٩ - رجال النحاشی » » » طهران
- ٣٠ - روضات الجنات للمیرزا محمد باقر الموسوی » » » ١٣٦٧ » »
- ٣١ - الکنی والألقاب للمحدث القمی » » » صیدا
- ٣٢ - لسان المیزان لابن حجر العسقلانی » » » فی حیدرآباد الدکن
- ٣٣ - الرواشح السماویة للسید محمد باقر الحسینی الشهیر بالداماد المطبوع سنة ١٣١١ في ايران
- ٣٤ - القبسات للسید محمد باقر الحسینی الشهیر بالداماد المطبوع سنة ١٣١٥ في ايران
- ٣٥ - رسالة مذهب ارسطاطاليس للسید محمد باقر الحسینی الشهیر بالداماد المطبوعة بهامش القبسات
- ٣٦ - أئو لوجيا المنسوب إلى ارسطاطاليس المطبوع بهامش القبسات

- ٣٧ - رسالة الحدوث لصدر المتألهين المطبوع سنة ١٣٠٢ في ايران
 ٣٨ - الشفاء للشيخ الرئيس ابي علي بن سينا د د د ١٣٠٣ د
 ٣٩ - شرح التجريد تأليف المحقق الطوسي للعلامة الحلبي
 المطبوع سنة ١٣٩٧ في قم
 ٤٠ - عين اليقين للمولى محسن الفيض الكاشاني د د ١٣١٣ في طهران
 ٤١ - مروج الذهب للمسعودي د د ١٣٤٦ د مصر
 ٤٢ - القاموس المحيط للفيروز آبادي د د ١٣٣٢ د
 ٤٣ - الصحاح للجوهري د د ١٣٧٧ د
 ٤٤ - النهاية لمجد الدين ابن الاثير د د ١٣١١ د

| العنوان | الصحيفة |
|---|-----------|
| ٢ - باب العرش والكرسى وحملتهما | ١ - ٣٩ |
| ٥ - باب الحجب والأستار والسرادات | ٣٩ - ٤٧ |
| ٦ - باب سدة المنتهى ومعنى عليّين وسجّين | ٤٨ - ٥٥ |
| ٧ - باب البيت المعمور | ٥٥ - ٦١ |
| ٨ - باب السماوات وكيفياتها وعددها ، والنجوم وأعدادها وصفاتها | |
| و المجرة | ٦١ - ١١٣ |
| ٩ - باب الشمس والقمر وأحوالهما وصفاتهما والليل والنهار وما | |
| يتعلق بهما | ١١٣ - ٢١٦ |
| ١٠ - باب علم النجوم والعمل به وحال المنجمين | ٢١٧ - ٣١١ |
| ١١ - باب آخر في النهي عن الاستمطار بالأقنواء والطيرة والعدوى | ٣١٢ - ٣٤٦ |
| ١٢ - باب ما يتعلق بالنجوم ويناسب أحكامها من كتاب دانيال عليه السلام وغيره | ٣٤٦ - ٣٢٥ |

✽ (أبواب الازمنة وأنواعها وسعادتها ونحوستها) ✽

✽ (وسائل أحوالها) ✽

| | |
|---|-----------|
| ١٣ - باب السنين والشهور وأنواعها والفصول وأحوالها | ٣٥٤ - ٣٩٩ |
|---|-----------|

(رموز الكتاب)



| | | |
|---------------------------------|-------------------------------|-------------------------|
| لد : للبلد الامين . | ع : لملل الشرائع . | ب : لقرب الاستاد . |
| لي : لامالي الصدوق . | عا : لدعائم الاسلام . | بشا : لبشارة المصطفى . |
| م : لتفسير الامام العسكري (ع) . | عد : للمقائد . | تم : لفلاح السائل . |
| ما : لامالي الطوسي . | عدة : للعدة . | ثو : لثواب الاعمال . |
| محص : للتمحيص . | عم : لاعلام الوري . | ج : للاحتجاج . |
| مد : للعدة . | عين : للعيون والمحاسن . | جا : لمجالس المفيد . |
| مص : لمصباح الشريعة . | غر : للغرر والدرر . | جش : لفهرست التجاشي . |
| مصبا : للمصباحين . | غط : لنفية الشيخ . | جع : لجامع الاخبار . |
| مع : لمعاني الاخبار . | غو : لنوالي اللثالي . | جم : لجمار الاسبوع . |
| مكا : لمكارم الاخلاق . | ف : لتحف العقول . | جنة : للجنة . |
| مل : لكامل الزيارة . | فتح : لفتح الابواب . | حة : لفرحة الغرى . |
| منها : للمنهاج . | فر : لتفسير فرات بن ابراهيم . | ختص : لكتاب الاختصاص . |
| مهرج : لمهج الدعوات . | فس : لتفسير على بن ابراهيم . | خص : لمنتخب البصائر . |
| ن : لميون اخبار الرضا (ع) . | فض : لكتاب الروضة . | د : للعدد . |
| نبه : لتنبيه الخاطر . | ق : للكتاب العتيق الغروي . | سر : للسرائر . |
| نجم : لكتاب النجوم . | قب : لمناقب ابن شهر آشوب . | سن : للمحاسن . |
| نص : للكفاية . | قبس : لقبس المصباح . | شا : للإرشاد . |
| نهيح : لنهج الهلاغة . | قضا : لقضاء الحقوق . | شف : لكشف اليقين . |
| ني : لنفية النعماني . | قل : لاقبال الاعمال . | شي : لتفسير العياشي . |
| هد : للهداية . | قية : للدروع . | ص : لنقص الانبياء . |
| يب : للتهذيب . | ك : لاكمال الدين . | صا : للاستبصار . |
| يج : للخرائج . | كا : للكافي . | صبا : لمصباح الزائر . |
| يد : للتوحيد . | كش : لرجال الكشي . | صح : لصحيفة الرضا (ع) . |
| ير : لبصائر الدرجات . | كشف : لكشف الغمة . | ضا : لفتحه الرضا (ع) . |
| يف : للطرائف . | كف : لمصباح الكفعمي . | ضوء : لضوء الشهاب . |
| يل : للفضائل . | كنز : لكنز جامع الفوائد و | ضه : لروضة الواعظين . |
| ين : لكتابي الحسين بن سعيد | تاويل الايات الظاهرة | ط : للصراط المستقيم . |
| او لكتابه والنوادر . | مأ . | طا : لامان الاخطار . |
| يه : لمن لا يحضره الفقيه . | ل : للخصال . | طب : لطب الائمة . |